RUOSMANIYE
734/4
1020

المجلد الرابع من شرح الشفا لعمر العرضي الحلبي ٩١ ق ع

١٢٧٠

١
٩٠٩
٤٢٢
١٠٢٠

NURUOSMANİYE KÜTÜPHANESİ

Kısmı :	Nuruosm.
Yeri :	734/4
Eski Kayıt No.	1020
Tasnif No.	297.2(077)=927

الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا ان هدانا الله

وقف عمدة ملوك الدوران وسلسلة آل عثمان مشكوة انوار انواع الحسنات مصباح سرر مجالس الخيرات محيي السنة امام الامة السلطان ابن السلطان السلطان ابو المحاسن والمواهب عثمان خان ابن السلطان مصطفى خان لا زالت ايامه مصابيح الاقبال ومن عنده الجميلة مفاتيح ابواب الآمال

وانا الداعي لدولته الحاج ابراهيم حنيف المفتش باوقاف الحرمين المحترمين عفي له

بسم الله الرحمن الرحيم

فصل واما شرف نسبه وكرم بلده ومنشئه فلا يحتاج الى اقامة دليل عليه ولا بيان مشكل ولا خفي منه فانه نخبة بني هاشم سلالة قريش الشرف القدر الرفيع والكرم هو الجمع لانواع الخير والشرف والفضائل والنخبة بالضم المنتخب منهم المنتقى والانتخاب الاختيار والانتقاء والسلالة هو المستخرج وفي الحديث اللهم اسلل سخيمة قلبي اي اخرج وصميمها اي محضها وخالصها فانه صلى الله عليه وسلم لا يشاب في النسب بغير قريش لان اباه قرشي وامه قرشية واشرف العرب واعزهم اي اعز العرب نفرا من قبل ابيه وامه النفر القوم وهم رهط الانسان وعشيرته وهو اسم جمع يقع على جماعة من الرجال خاصة ما بين الثلاثة الى العشرة ولا واحد له من لفظه ومن اهل مكة من اكرم بلاد الله على الله عز وجل وعلى عباده اي من اشرف بلاد الله على الله عز وجل ويكفيك في كرمها على الله عز وجل ان مسجدها اول بيت وضع

لعبادة

لعبادة الله عز وجل واخرج ابن جرير عن الحسن قال ان اول بيت وضع للناس يعبد الله عز وجل فيه للذي ببكة وفي الصحيحين عن ابي ذر رضي الله عنه قال قلت يا رسول الله اي مسجد وضع اول قال المسجد الحرام قلت ثم اي قال المسجد الاقصى قلت كم بينهما قال اربعون سنة واخرج ابن جرير وابن المنذر والطبراني والبيهقي في الشعب عن ابن عمر رضي الله عنهما قال خلق الله سبحانه البيت قبل الارض بالفي سنة وكان اذ كان عرشه على الماء زبدة بيضا وكانت الارض تحته خشفة فدحيت الارض من تحته واخرج ابن المنذر عن الحسن في الاية قال اول قبلة اعلمت للناس المسجد الحرام واخرج الازرقي عن ابن جريج قال بلغنا ان اليهود قالوا بيت المقدس اعظم فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فنزلت ان اول بيت وضع للناس للذي ببكة مباركا الى قوله فيه ايات بينات مقام ابرهيم وليس في بيت المقدس ومن دخله كان امنا وليس ذلك في بيت المقدس ولله على الناس حج البيت وليس لبيت المقدس واخرج البيهقي في الشعب عن الزهري قال بلغني انهم وجدوا في مقام ابرهيم ثلاثة صفوح في كل صفح منها كتاب في الصفح الاول انا الله ذو بكة صنعتها يوم صنعت الشمس والقمر

من الكعبة لانها مهاجر الانبياء ولانه في الارض المقدسة فقال المسلمون بل الكعبة اعظم

وحففتها بسبعة املاك حفا وباركت لاهلها فى اللحم واللبن وفى الصحيح الثانى
ان الله ذو بكة خلقت الرحم وشققت لها من اسمي من وصلها وصلته
ومن قطعها بتته وفى الثالث انا الله ذو بكة خلقت الخير والشر فطوبى لمن
كان الخير على يديه وويل لمن كان الشر على يديه واخرج ابن المنذر عن عطاء
قال من مات فى الحرم بعث آمنا بقول الله عز وجل ومن دخله كان آمنا
واخرج البيهقي في الشعب عن جابر رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم من مات فى احد الحرمين بعث آمنا وفى الشعب عن سلمان رضي الله عنه
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من مات فى احد الحرمين استوجب
شفاعتي وجاء يوم القيمة من الآمنين فان قلت قال البرهان الحلبي ان قول
المصنف هنا ومن اهل مكة اكرم بلاد الله على الله وعلى عباده ينافى مذهبه
يعني ان مذهب المصنف مالكي والامام مالك رضي الله عنه يقول بان المدينة
افضل من مكة وقد تفصى شيخنا الرضي بن الحنبلي عن هذا الاشكال قائلا
والحق انه انما ينافي مذهب المصنف ان لو كان جميع المالكيين على ان المدينة
افضل وليس كذلك لما ذكره التجاني وهو منهم وصاحب البيت ادرى بالذي
فيه نعم هو ينافي مذهب امامه على ما عزاه البرهان الحلبي اليه واما ولا اقول
الذي ذهب جماعة من المالكيين الى ان المدينة افضل غير سديد فان هذا مذهب
مالك رضي الله عنه وجميع اتباعه سوى ابن وهب ومطرف وابن حبيب والثلاثة
مالكيون وهم وافقوا ابا حنيفة والشافعي بل تفضيل المدينة قال به عمر بن
الخطاب رضي الله عنه واكثر المدنيين قال القاضي عبد الوهاب المالكي المدينة عند اصحابنا

افضل

افضل البقاع كلها خلافا للشافعي وابي حنيفة رضي الله عنهما في تفضيلهما مكة واما
ثانيا فليس في كلام المصنف ما ينافي مذهب امامه فان قوله ومن اهل مكة من
اكرم بلاد الله سبحانه على الله عز وجل وعلى عباده يجعل فيه من في قوله من اكرم
بلاد الله عز وجل عليه للتبعيض لا لابتداء الغاية فتكون مكة من بعض الاكرم
وهذا لا ينافي ان تكون مفضولة بالنسبة الى المدينة وقد ذكر بعض الشراح
هنا بحث التفاضل بين مكة والمدينة ودلائل كل من القولين ونحن اعرضنا
عن ذلك لانه يأتي بطوله في فصل من فصول الباب الرابع فارجع الى ما قلنا
هناك تجد ما يشفي الغليل حدثنا قاضي القضاة حسين بن محمد
الصدفي نسبة الى الصدف قرية من قرى القيروان حدثنا ابو الوليد سليمن
ابن خلف قال حدثنا ابو ذر عبد بن احمد قال حدثنا ابو محمد السرخسي
نسبة الى سرخس بفتح السين والراء بلد عظيم بخراسان بلا نهر كذا في القاموس
وابو اسحق وابو الهيثم قالوا حدثنا محمد بن يوسف اي الفربري قال نا
محمد بن اسمعيل امير المومنين في الحديث البخاري قال نا قتيبة بن سعيد
قال نا يعقوب بن عبد الرحمن عن عمرو عن سعيد المقبري عن ابي هريرة
رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال بعثت من خير قرون بني
ادم قرنا فقرنا حتى كنت من القرن الذي كنت منه القرن اهل زمان واحد
متقارب اشتركوا في امر من الامور المقصودة ويقال ان ذلك مخصوص بما
اذا اجتمعوا في زمن نبي او رئيس يجمعهم على ملة او مذهب او عمل ويطلق القرن
على مدة من الزمان واختلفوا في تحديدها من عشرة اعوام الى المائة وعشرين لكن

لم أر من صرح بالتسعين ولا بمائة وعشرة وما عدا ذلك فقد قال به قائل وذكر الجوهري
الثلاثين والثمانين وفي القاموس القرن اربعون سنة او عشرة او عشرون او
ثلاثون او خمسون او ستون او سبعون او ثمانون او مائة او مائة وعشرون
والاول وهو كون القرن مائة سنة اصح لقوله صلى الله عليه وسلم لغلام عش قرنا فعاش م ت
مائة انتهى ووقع في حديث عبد الله بن بسر في صحيح مسلم ما يدل على ان القرن
مائة وهو مشهور قال صاحب المطالع القرن امة هلكت فلم يبق منهم احد وقوله
من خير قرون بني ادم من هنا لابتدا الغاية وليست تبعيضية لان المراد انه صلى الله
عليه وسلم بعث من قوم وجيل هم خير القرون لان قرنه صلى الله عليه وسلم الذي بعث
به منه بعض خير القرون ويؤيد ذلك قوله صلى الله عليه وسلم خير القرون قرني ثم الذين
يلونهم ثم الذين يلونهم الحديث ويؤيد ذلك رواية احمد في هذا الحديث قال صلى الله
عليه وسلم خير القرون القرن الذي بعثت فيهم والمراد بالقرن الذي شهد فيه النبي
صلى الله عليه وسلم بانه خير القرون الصحابة وقد ظهر ان بين بعثة النبي صلى الله عليه
وسلم واخر من مات من الصحابة مائة سنة وعشرين سنة او دونها او فوقها
بقليل على الاختلاف في وفاة ابي الطفيل وهذا الحديث يقتضي ان الصحابة افضل
جميع الناس بعد الانبيا وان ذلك ثابت لكل واحد منهم لا للمجموع وهو الذي
ذهب اليه الجمهور لان فضيلة الصحبة لا يعدلها عمل لمشاهدة رسول الله صلى الله عليه
وسلم واما من اتفق له الذب عنه والسبق اليه بالهجرة او النصرة وضبط الشرع
المتلقى عنه وتبليغه لمن بعده فانه لا يعدله احد وخالف ابن عبد البر فجوز ان يكون
في من بعد الصحابة من هو افضل منهم ومحل الخلاف فيمن حصل له مجرد المشاهدة

بلغ مقابلته على خط المولف

مع الايمان

السادسة والعشرون

٤

مع الايمان واما من قاتل بين يديه او انفق شيا من ماله فذاك لا يعدله في الفضل احد
بالاتفاق واستدل ابن عبد البر بحديث مثل امتي مثل المطر لا يدرى اوله خير ام اخره
وهو حديث حسن وله طرق قد يرتقي بها الى الصحة وصححه ابن حبان من حديث
انس واجاب النووي عنه بان المراد من يشتبه عليه الحال في ذلك من اهل القرن
الذين يدركون عيسى عليه السلام ويرون ما في زمانه من الخير والبركة وانتظام كلمة
الاسلام ودحض كلمة الكفر فيشتبه الحال على من شاهد ذلك اي الزمانين خير
وهذا الاشتباه مندفع بصريح قوله صلى الله عليه وسلم خير القرون قرني وسياتي منا
كلام اطول من هذا في بحث فضل اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم من هذا الكتاب وعن
العباس هو ابن عبد المطلب عم نبينا صلى الله عليه وسلم قال النبي صلى الله قال ع
عليه وسلم ان الله عز وجل خلق الخلق فجعلني من خير فرقهم ثم تخير القبائل
جمع قبيلة وهم جماعة بنو اب واحد فجعلني من خير قبيلة ثم تخير البيوت
جمع بيت والمراد به هنا الشرف اي تخير الله عز وجل جهات الشرف والاسباب
المقتضية له فجعلني من خيرهم بيتا فانا خيرهم نفسا وخيرهم بيتا من خير بيوتهم
قال شيخنا الرضي بن الحنبلي ان قلت اذا جعله من بيت هو خير بيوتهم فله شركاء
يكونون من جملة ذلك البيت فكيف يفرع على ذلك ان يكون خيرهم بيتا
وانما هو من خيرهم بيتا قلت ليس المراد انه خيرهم بيتا بالقياس الى كل احد
حتى شركاه بل بالقياس الى من كان من غير بيته وبعد فالمحل محل تامل انتهى
واقول ان النبي صلى الله عليه وسلم قد فرع على ما قدمه انه خير الخلق نفسا فليس في
نفوس العالم اطهر من نفسه ولا اكمل ولا اعلى مكارم ولا اسمى صفات وهذا

هو الفضل الذي استبد به ولم يشارك فيه مشارك فان قلت على اي شيء فرع كونه خيرهم نفسا قلت هذه مقدمة علمها المخاطبون وسلموها فكانه يقول لهم لا تعتقدوا اني خير الناس نفسا فقط وان ربي عز وجل قد من علي بنفس كاملة من غير ان ينضم الى ذلك كمال اباءي وقبائلي ومن المعلوم ان العرب لهم شهامة قد بما ظن بعض العرب انهم يدانون قبيلة النبي صلى الله عليه وسلم في الشرف فاخبرهم صلى الله عليه وسلم باني مع ما منحني ربي من كمال النفس ليس في القبائل خير من قبيلتي ولا في البيوت خير من بيتي وكونه شورك في هاتين الصفتين لا يقتضي انه شورك في جميع الصفات فان هاتين الصفتين ضميمة الى المقصود بالذات وهو انه خيرهم نفسا والصفة المقصودة بالذات لم يشاركه فيها مخلوق على انا قد نستفيد انه خير اهل ذلك البيت من قرينة المقام وذلك ان شرف ذلك البيت انما نشا منه وحصل بسببه واذا كان هو السبب الداعي لحصول الشرف لذلك البيت فهو افضل من كل اهل ذلك البيت على ان افضلية النبي صلى الله عليه وسلم على اهل البيت الذين هو منهم استفيدت من الخبر الاتي حيث قال فيه واصطفاني من بني هاشم هذا وان هذا الحديث اعني حديث العباس انفرد بروايته الترمذي وعن واثلة بن الاسقع قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله اصطفى من ولد ابرهيم اسمعيل واصطفى من ولد اسمعيل بني كنانة واصطفى من بني كنانة قريشا واصطفى من قريش بني هاشم واصطفاني من بني هاشم قال الترمذي وهذا حديث حسن صحيح الولد بحركة اللام يطلق على الواحد والجمع كما هنا

كما هنا فانه جمع وقد كان لابرهيم عليه السلام بنون سوى اسحق واسمعيل عليهما السلام منهم ستة من قنطورا بنت يقطن وهم مديان وزمران وسرح بالجيم ونقشان ومن ولد نقشان البربر في احد الاقوال واميم رعوه ومنهم نشق ولابرهيم عليه السلام بنون اخرون من حجون بنت اهين وهم كيسان وسورج واميم ولوطان ونافش هولا بنوا ابرهيم عليه السلام وقضية هذا الحديث ان اسمعيل افضل اولاد ابرهيم عليه السلام لانه صرح ان ربه عز وجل اصطفاه من بينهم وهو افضل من اسحق عليه الصلاة والسلام لانه الذبيح على الاصح لقوله صلى الله عليه وسلم انا ابن الذبيحين الاول اسمعيل والثاني عبد الله نذر ابوه عبد المطلب ذبحه في قصة معلومة قال ابن القيم ومما يدل على ان الذبيح اسمعيل عليه السلام انه لا ريب ان الذبح كان بمكة ولهذا جعلت القرابين يوم النحر بها كما جعل السعي بين الصفا والمروة ورمي الجمرات تذكيرا لشان اسمعيل وامه واقامة لذكر الله عز وجل ومعلوم ان اسمعيل وامه هما اللذان كانا بمكة دون اسحق وامه ثم قال ولو كان الذبح لاسحق وانه كان بالشام كما زعم اهل الكتاب ومن تلقى عنهم لكانت القرابين والنحر بالشام لا بمكة وايضا فانه تعالى سمى الذبيح حليما ولا احلم ممن سلم نفسه للذبح طاعة لربه عز وجل ولما ذكر اسحق عليه السلام سماه عليما وايضا فان الله عز وجل اجرى العادة البشرية ان يكون بكر الاولاد احب الى الوالدين ممن بعده وابرهيم لما سال ربه عز وجل الولد ووهبه له تعلقت شعبة من قلبه بمحبته والله عز وجل قد اتخذه خليلا والخلة منصب يقتضي توحيد المحبوب بالمحبة وان لا يشارك

فيه فلما اخذ الولد شعبة من قلب الوالد جاءت غيرة الخلة تنزعها من قلب الخليل
فامر بذبح المحبوب فلما اقدم على ذبحه وكانت محبة الله عز وجل عنده اعظم من
محبة الولد خلصت الخلة من شوب المشاركة فلم يبق في الذبح مصلحة اذ
كانت المصلحة انما هي في العزم وتوطين النفس وقد حصل المقصود فنسخ
الامر وفدي الذبيح وصدق الخليل عليه السلام الرؤيا انتهى وقد قال بعضهم

من الكامل

ان الذبيح هديت اسمعيل • نطق الكتاب بذاك والتنزيل •
شرف به خص الاله نبينا • وابانه التفسير والتاويل •

وروى المعافى بن زكريا ان عمر بن عبد العزيز سال رجلا اسلم من علما اليهود
اي ابني ابرهيم امر بذبحه فقال والله يا امير المومنين ان اليهود ليعلمون انه
اسمعيل ولكنهم يحسدونكم معشر العرب ان يكون لكم الفضل الذي ذكره الله عز وجل
عنه فهم يجحدون ذلك ويزعمون انه اسحق لانه ابوهم ومعرفة هذا الحديث
موقوفة على الاطلاع على نسبه صلى الله عليه وسلم ليعلم اصطفا كل من اسمعيل
وكنانة وقريش وبني هاشم قال النبي صلى الله عليه وسلم محمد

الكلام على نسبه صلى الله عليه وسلم

ابن عبد الله بن عبد المطلب وهو شيبة الحمد وقيل اسمه عامر وقيل سمي
شيبة لانه ولد وفي راسه شيبة واما غيره من العرب فتسمى شيبة تفاولا
بانه يبلغ سن الشيبة كما سموا معمرا وكبيرا عاش عبد المطلب مائة واربعين
سنة وهو اول من خضب بالسواد من العرب ابن هاشم واسمه عمرو ابن
عبد مناف واسمه المغيرة وهو منقول من الوصف بالاغارة على الاعداء
والها فيه للمبالغة او من اغار الحبل اذا احكمه ودخلته الهاء كما دخلت علامة ونسابة

اول من خضب بالسواد من العرب عبد المطلب

ويجوز

عبارة الروض الانف ويجوز ان تكون الهاء فيه للتانيث ويكون منقولا من وصف كتيبة او خيل مغيرة كما سموا بعسكر انتهى

ويجوز ان تكون التا والنقل فيه من كتيبة او جماعة فيكون للتانيث لانها وصف
لمونث وكان عبد مناف يلقب قمر البطحا واسمه المغيرة وقد اخدمته مناة وهو صنم
عظيم لهم فكان يسمى عبد مناة ثم نظر ابوه فراه موافقا لعبد مناة بن كنانة فحوله عبد
مناف دفعا للبس ابن قصي واسمه زيد وهو في الاصل تصغير قصي بفتح القاف
اي بعيد سمي بذلك لانه بعد عن عشيرته في بلاد قضاعة ابن كلاب وهو منقول
اما من مصدر كالب اعداءه مكالبة وكلابا واما من كلاب جمع كلب لانهم يريدون
الكثرة كما سموا بسباع وانمار وقد قيل لابي الدقيش الاعرابي لم تسمون
ابناءكم بشر الاسما نحو كلب وذيب وعبيدكم باحسن الاسما نحو مرزوق ورباح
فقال انا نسمي ابناءنا لاعدائنا وعبيدنا لانفسنا يريد ان الابنا عدة للاعداء
وسهام في نحورهم فاختاروا لهم هذه الاسما ابن مرة هو منقول من وصف
الحنظل والعلقمة وكثيرا ما يسمون بحنظلة وعلقمة ويجوز ان تكون الهاء
للمبالغة فيكون منقولا من وصف الرجل بالمرارة ويقوى هذا ان اخاه تيم
ابن مرة قال السهيلي واحسبه من المسمين بالنبات لان ابا حنيفة

ابو حنيفة الدينوري

وهو ابو حنيفة الدينوري العالم بالنباتات وليس هو ابا حنيفة النعمان
ابن ثابت الامام المتبوع رضي الله عنه ذكر ان المرة بقلة تقلع فتوكل بالخل والزيت
تشبه ورقها ورق الهندبا ابن كعب منقول من كعب القدم وهو الذي كان
يبشر بنبينا صلى الله عليه وسلم روى صاحب الوفا بسنده الى عبد الرحمن
ابن عوف قال كان كعب بن لوي يجمع قومه يوم الجمعة وكانت قريش تسمي ذلك
اليوم عروبة فيخطبهم فيقول اما بعد فاسمعوا وتعلموا وافهموا واعلموا ان الليل

ساج ونهار ضاح والارض مهاد والسما بنا والجبال اوتاد والنجوم هواد والاولون
كالاخرين فصلوا ارحامكم واحفظوا اصهاركم وثمروا اموالكم فهل رايتم من هالك رجع
او ميت نشر الدار امامكم والظن غير ما تقولون حرمكم زينوه وعظموه وتمسكوا
به فسياتي نبا عظيم وسيخرج منه نبي كريم ثم انشا يقول

نهار وليل كل يوم بحادث   سوا علينا ليلها ونهارها
على غفلة ياتي النبي محمد   فيخبر اخبارا صدوقا خبيرها

ثم يقول يا ليتني شاهد   دعوته حين العشيرة تبغي الحق خذلانا

وقد ذكره الماوردي من اصحابنا في كتابه الاحكام السلطانية ابن لوي
وقال ابن الانباري هو تصغير اللاي وهو الثور الوحشي ابن غالب بن فهر
واليه جماع قريش وما كان فوق فهر فليس بقرشي بل هو كناني ابن مالك بن النضر
واسمه قيس ابن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن الياس بن مضر بن نزار بن معد
ابن عدنان وروى الطبراني باسناد جيد عن عايشة رضي الله عنها قالت استقام
نسب الناس الى معد بن عدنان ومضر بضم الميم وفتح المعجمة يقال سمي بذلك
لانه كان مولعا بشرب اللبن الماضر وهو الحامض وفيه نظر لانه يستدعي
انه كان له اسم غيره قبل ان يتصف بهذه الصفة نعم يمكن ان يكون هذا
اشتقاقه ولا يلزم ان يكون متصفا به حال التسمية وهو اول من حدى الابل
وروى ابن حبيب في تاريخه عن ابن عباس رضي الله عنهما قال مات عدنان وابوه
وابنه معد وربيعة ومضر وقيس وتميم واسد وضبة على الاسلام على ملة
ابرهيم عليه الصلوة والسلام وروى الزبير بن بكار من وجه اخر عن ابن عباس رضي الله
عنهما

عنهما قال لا تسبوا مضر وربيعة فانهما كانا مسلمين ولابن سعد من مرسل
عبد الله بن خالد قال لا تسبوا مضر فانه كان قد اسلم فظهر بذلك معنى اصطفا الله
عز وجل هولاء المذكورين في هذا الحديث هذا وان هذا الحديث المذكور رواه مسلم
في صحيحه وفي رواية لابن سعد لكن من مرسل محمد ابي جعفر الباقر رضي الله عنه
ثم اختار بني هاشم ثم اختار بني عبد المطلب من بني هاشم وما بعد عدنان من
الاسما مضطرب فيه فالذي صح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه انتسب الى
عدنان لم يتجاوزه بل قد روي من طريق ابن عباس رضي الله عنهما انه لما بلغ عدنان
قال كذب النسابون مرتين او ثلاثا والاصح في هذا الحديث انه من قول ابن مسعود
ولهذا اعرض الاكثر عن سياق النسب بين عدنان واسمعيل وفي كتاب النسب
لابن دريد عدنان بن اد بن زيد بن يعود بن مقدم بن هميسع بن نبت بن نوف
ثم نبت ثم تيما بن قيدار بن اسمعيل وقيل غير ذلك قال ابن سيد الناس اليعمري في
سيرته والذي رجحه بعض النسابين في نسب عدنان انه ابن اد بن ادد بن اليسع
ابن الهميسع بن سلامان بن نبت بن حمل بن قيذار بن الذبيح اسمعيل بن
الخليل ابرهيم بن تارح وهو آزر بن ناحور بن ساروح بن ارغو بن فالغ بن
عابر بن شالخ بن ارفخشد وهو اسم سرياني معناه مصباح مضي بن سام
ابن نوح بن لمك بن متوشلخ معناه مات الرسول لان اباه كان
رسولا ابن اخنوخ وهو ادريس النبي عليه الصلاة والسلام بن يارد بن مهلايل
ابن قينان بن انوش ومعناه الصادق بن شيث بكسر الشين المعجمة ثم
مثناة تحت ثم ثاء مثلثة ومعناه عطية الله عز وجل ابن ادم عليه الصلوة والسلام

واما قريش المذكورون في قوله صلى الله عليه وسلم واصطفى من بني كنانة قريشا فهم ولد
النضر بن كنانة وبذلك جزم ابو عبيدة وكان سكان مكة يزعمون انهم قريش فقط
دون سائر ولد النضر حتى رحلوا الى النبي صلى الله عليه وسلم فسالوه من قريش قال
من ولد النضر بن كنانة وقيل ان قريشا هم ولد فهر بن مالك بن النضر بن كنانة
وهذا قول الاكثر وبه جزم مصعب قال ومن لم يلده فهر فليس قرشيا وقيل
اول من نسب الى قريش قصي بن كلاب فروى ابن سعد ان عبد الملك بن مروان
سال محمد بن جبير متى سميت قريش قريشا قال حين اجتمعت الى الحرم بعد
تفرقها فقال ما سمعت بهذا ولكن سمعت ان قصيا كان يقال له القرشي ولم يسم
احد قرشيا قبله وروى ابن سعد من طريق المقداد قال لما فرغ قصي من نفي
خزاعة من الحرم تجمعت اليه قريش فسميت يومئذ قريشا لحال تجمعها
والتقرش التجمع وقيل لتلبسهم بالتجارة وقيل لان الجد الاعلى جاء في ثوب
واحد متجمعا فيه فسمي قريشا وقيل من التقرش وهو اخذ الشي اولا فاولا
وحكي عن مصعب ان اول من سمي قريشا قريش بن بدر بن مخلد بن النضر بن
كنانة وكان دليل بني كنانة في حروبهم فكان يقال قدمت قريش وقال المطرزي
سميت بدابة في البحر هي سيدة الدواب البحرية وكذلك قريش سادات الناس قال الشاعر

وقريش هي التي تسكن البحر ... بها سميت قريش قريشا
تاكل الغث والسمين ولا تترك ... فيه لذي جناحين ريشا
هكذا في البلاد حي قريش ... ياكلون البلاد اكلا كميشا
ولهم اخر الزمان نبي ... يكثر القتل فيهم والخموشا

قال

قال صاحب المحكم قريش دابة في البحر لا تدع دابة الا اكلتها وجميع الدواب تخافها
وكذلك قريش جميع الناس تهابهم منحهم من الله عز وجل واختلفوا هل قريش اسم للنضر
او لقب له واسمه شي اخر او اسمه ولقبه شي اخر والصحيح انه لقب فقريش هو النضر
ومالك بن النضر ولد فهرا فولد فهر اربعة نفر غالبا ومحاربا والحارث واسدا
فولد غالب بن فهر رجلين لوي بن غالب وتيم بن غالب فولد لوي اربعة نفر
كعبا وعامرا وسامة وعوفا فولد كعب بن لوي ثلاثة نفر مرة وعديا وهصيصا
فولد مرة بن كعب ثلاثة نفر كلاب بن مرة وتيم بن مرة ويقظة بن مرة فولد
كلاب بن مرة رجلين قصي بن كلاب وزهرة بن كلاب فولد قصي اربعة نفر وامراتين
عبد مناف وعبد الدار وعبد العزى وعبد بن قصي وتخمر ابنتي قصي وبرة بنت
قصي فولد عبد مناف اربعة نفر هاشما وعبد شمس والمطلب ونوفلا
فولد هاشم بن عبد مناف اربعة نفر وخمس بنات عبد المطلب واسدا
وابا صيفي ونضلة بن هاشم والشفا وخالدة وضعيفة ورقية وحية
فولد عبد المطلب بن هاشم عشرة نفر وست نسوة العباس وحمزة وعبد الله
وابا طالب واسمه عبد مناف والزبير والحارث وحجلا والمقوم وضرارا
وابا لهب واسمه عبد العزى وصفية وام حكيم البيضاء وعاتكة واميمة
واروى وبرة فولد عبد الله بن عبد المطلب سيد الاولين والاخرين
وحبيب رب العالمين محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم
واسم هاشم عمرو وانما سمي هاشما لان اهل مكة اصابهم جدب شديد ومجاعة
فهشم لهم الخبز واطعمهم الثريد والهشم الكسر وكان هاشم جوادا سريا سخيا

لانه كثر من الاضياف ولم يكن عنده ما يكفي جميع الناس من الخبز فكسره وثرده في
الجفان وقدمه اليهم فكان ذلك اعم لحاجتهم واستر عليهم اذ لا يعلم كل احد قدر ما ياكل
صاحبه وصار ذلك سنة للعرب قال ابن اسحق لما ولي هاشم السقاية والرفادة
ساد بالسخا والشرف وكان موسرا فكان اذا حضر الحج قام في قريش فقال يا
معشر قريش انكم جيران الله عز وجل واهل بيته وانه ياتيكم في هذا الموسم زوار
الله عز وجل وحجاج بيته وهم ضيف الله سبحانه واحق الضيف بالكرامة ضيفه
فاجمعوا لهم ما تصنعون لهم به طعاما ايامهم هذه التي لا بد لهم من الاقامة بها
فانه لو كان والله مالي يسع ذلك ما كلفتموه فيخرجون لذلك خرجا من اموالهم
كل امرئ بقدر ما عنده فيصنع به للحاج طعاما حتى يصدروا منه وكان هاشم
اول من سن الرحلتين لقريش رحلة الشتا والصيف واول من اطعم
الثريد بمكة قال شاعر من قريش او من بعض العرب

كانت قريش بيضة فتفلقت ... فالمح خالصها لعبد مناف
عمرو الذي هشم الثريد لقومه ... لرجال قوم مسنتين عجاف
قرس فيها الرحلتين كلاهما ... سفر الشتا ورحلة الاصياف

قال شيخنا الرضي بن الحنبلي وفي هذا الحديث دلالة على ان التفاضل واقع فيما
بين العرب وهم ولد اسمعيل فكنانة منهم افضل وفيما بين كنانة فقريش منهم
افضل وفيما بين قريش فبنوا هاشم منهم افضل الا ان التفاضل فيما بين
قريش غير معتبر في باب الكفاءة عند اصحابنا الا ما روي عن محمد بن الحسن صاحب
ابي حنيفة رحمهما الله انه قال الا ان يكون نسبا مشهورا كاهل بيت الخلافة كانه قال
ذكر

اول من سن الرحلتين
واول من اطعم الثريد
بمكة هاشم
ه

ذلك تعظيما للخلافة وتسكينا للفتنة ويدل على ذلك ان عليا رضي الله عنه زوج
ابنته ام كلثوم بنت فاطمة البتول من عمر بن الخطاب رضي الله عنه وهي صغيرة
مع ان عمر رضي الله عنه عدوي وهي هاشمية وكلاهما من قريش وكذا التفاضل
فيما بين العرب الباقين بعد قريش غير معتبر بل بعضهم اكفا لبعض الا بني باهلة
فليسوا باكفا لغيرهم من العرب لانهم معروفون بالخساسة والدناءة بدليل
قوله اذا ولدت حليلة باهلي ... غلاما زاد في عدد اللئام ه واما ما انشده
النحاة في بحث اذا من قوله اذا باهلي تحته حنظلية ... له ولد منها فذاك المذرع ه
فلا دلالة له الا على ان الحنظلية اشرف من الباهلي لان المذرع بالمعجمة والراء
المفتوحة المشددة هو الذي امه اشرف من ابيه وقد كانت حنظلة قبيلة
من تميم هي اشرف قبائلها يقال لهم حنظلة الاكرمون واما انه يدل على ان
باهلة ذو خساسة بالنسبة الى سائر العرب فلا واقول اما
التفاضل بين اصناف العجم فلا شك فيه وفي صحيح البخاري بسنده عن
ابي هريرة رضي الله عنه قال قيل يا رسول الله من اكرم الناس قال
اتقاهم لله عز وجل قالوا ليس عن هذا نسال قال يوسف نبي الله
ابن نبي الله ابن نبي الله ابن خليل الله قالوا ليس عن هذا نسال قال
فعن معادن العرب تسالون قالوا نعم قال خيارهم في الجاهلية خيارهم في
الاسلام اذا فقهوا وفي صحيح البخاري بسنده عن ابي هريرة رضي الله عنه قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تجدون الناس معادن خيارهم في الجاهلية
خيارهم في الاسلام اذا فقهوا وتجدون خير الناس في هذا الشان اشدهم له

ومما يناسب المقام
وما ينفع الاصل من هاشم
اذا كانت النفس من باهله

كراهيته و تجدون شر الناس ذا الوجهين الذي ياتي هولاء بوجه وهولاء بوجه ثم
ان هذا الحديث الذي ذكره المصنف دليل ظاهر لمالك فهي رضي الله عنه ان
المراة العربية لا يكافئها العجمي لان الله عز وجل اصطفى محمدا من بني ادم العرب
ويدل له ايضا حديث الطبري الذي ياتي والمراة الهاشمية لا يكافئها القرشي وغيره
ممن ليس هاشميا نعم عندنا بنو هاشم وبنو المطلب بعضهم اكفاء بعض
لانهم في المرتبة عندنا سواء عملا بقوله صلى الله عليه وسلم نحن وبنو
المطلب شي واحد رواه البخاري فان قلت حيث لم يكن غير بني هاشم
والمطلب كفوا للهاشمية والمطلبية فما بال نبينا صلى الله عليه وسلم زوج بناته
اما زينب الطاهرة رضي الله عنها فقد زوجها صلى الله عليه وسلم لابي العاص بن
الربيع وهو عبشمي وهو الذي مدحه النبي صلى الله عليه وسلم على المنبر بقوله
انكحت ابا العاص بن الربيع فحدثني وصدقني ووعدني فوفى لي وزوج
رقية بعد ان كانت تحت عتبة بن ابي لهب وعتبة كان هاشميا زوجها
من عثمان بن عفان رضي الله عنه وهاجرت معه الى الحبشة ثم ماتت
وهي تحت عثمان رضي الله عنه ثم ان رقية ماتت فزوج النبي صلى الله
عليه وسلم عثمان بام كلثوم فالحاصل انه صلى الله عليه وسلم زوج عثمان
رضي الله عنه بابنتين له وكان عثمان من بني عبد شمس والعبشمي
لا يكافئ الهاشمية وكذلك علي بن ابي طالب زوج ام كلثوم بنته من فاطمة
رضي الله عنهم عمر بن الخطاب رضي الله عنه ولما خطبها عمر من علي قال انها
صغيرة فقال زوجنيها فاني ارصد من كرامتها ما لا يرصده احد فقال علي
رضي

زواج ام كلثوم بنت علي ابن ابي طالب لعمر بن الخطاب رضي الله عنهم اجمعين

رضي الله عنه انا ابعثها اليك فان رضيتها فقد زوجتكها فبعثها اليه ببرد وقال
لها قولي له هذا البرد فقالت له ذلك فقال رضيت ووضع يده على ساقها
فكشفه فقالت اتفعل هذا لولا انك امير المومنين لكسرت انفك ثم جاءت
اباها فاخبرته الخبر وقالت بعثتني الى شيخ سوء فقال يا بنية انه زوجك
فقد كانت ام كلثوم هذه هاشمية وعمر رضي الله عنه كان عدويا قلت
الكفاءة ليست شرطا لصحة النكاح والا فبنات النبي صلى الله عليه وسلم
لا يكافئهن احد ولا علي بن ابي طالب رضي الله عنه لانهن من حيث انهن
بنات اعلى العالمين من المخلوقين على الاطلاق لا كفو لهن وقد امر النبي صلى
الله عليه وسلم فاطمة بنت قيس بنكاح اسامة فنكحته وهو مولى وهي
قرشية وانما هي حق للمراة والولي فاذا رضيا بتركها فلا مانع لكن
اشكل هنا شيئان الاول كيف زوج فاطمة بنت قيس باسامة رضي الله
عنهما فانه صلى الله عليه وسلم زوجها بالولاية لانه الامام الاعظم وقد قال
فقهاونا ليس للسلطان ان يزوج بغير كفو ولو رضيت المراة لكن اجابوا
عن ذلك بان النبي صلى الله عليه وسلم لم يزوج فاطمة وانما اشار عليها وهي اذنت
لولي خاص فزوجها والثاني كيف صح نكاح ام كلثوم لعمر مع عدم كفاءة عمر
لها وهي صغيرة زوجها ابوها بالاجبار وقد قال فقهاونا اذا زوجت البكر
بالاجبار من غير كفو لم يصح النكاح والقصة المذكورة تشعر بانها لم تعلم بما
فعل ابوها وانها كانت صغيرة وان اباها رضي الله عنه زوجها بالاجبار ويمكن
الجواب بان الصحابة رضي الله عنهم لا سيما عمر وعليا كانا من اكابر المجتهدين

اي الكفاءة

فلعلهما كانا يريان كفاءة بعض العرب لبعض او انهما كانا يريان ان الكفاءة حق
الولي فقط فاذا اسقطها سقطت على ان تزويج النبي صلى الله عليه وسلم ابنتيه
لعثمان وبنته الاخرى لابي العاص وفاطمة لعلي رضي الله عنهم وان لم يكونوا
اكفا فهو جائز وان لم يجز للولي ان يزوج بنته البكر بالاجبار من غير كفو لانه صلى
الله عليه وسلم من خصائصه انه يخص من شاء بما شاء من الاحكام كجعله شهادة
خزيمة بشهادة رجلين واجازة النياحة لام عطية وتجويز الاضحية
بعناق لابي بردة بن نيار واما ام كلثوم بنت علي فلعل مذهب عمر وعلي
رضي الله عنهما كان على ان قريشا بعضهم كفو بعض وعلى ان الكفاءة عندهما غير معتبرة
وهو قول مالك رضي الله عنه وقال به من الحنفية ابو بكر الرازي وابو الحسن
الكرخي ودليلهما قوله عز وجل انا خلقناكم من ذكر وانثى الى ان قال ان اكرمكم
عند الله اتقاكم وقال عليه الصلوة والسلام ليس لعربي على عجمي فضل الا بالتقوى
وقال النبي صلى الله عليه وسلم لابي هريرة لو كان لي بنت لزوجتك وروى ان
بلالا رضي الله عنه خطب امراة من الانصار فابوا ان يزوجوه فقال له النبي
صلى الله عليه وسلم قل لهم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم امركم ان تزوجوني واما
ابو حنيفة وصاحباه رضي الله عنهم فقالوا ان قريشا بعضهم اكفا بعض ولا
تكافئهم غيرهم من العرب على اختلاف قبائلهم حتى يكون القرشي الذي ليس بهاشمي
كالمطلبي والنوفلي والاموي والعبشمي والزهري والتيمي والعدوي كفوا
للهاشمي وصنيع علي كرم الله وجهه في ام كلثوم يؤيد هذا المذهب واما مذهب الشافعي رضي الله
عنه فبنوا هاشم والمطلب اكفا وسائر العرب بعضهم اكفا بعض وذكر

ابرهيم

ابرهيم المروزي ان غير كنانة لا تكافئها واستدلوا له بالحديث الذي ذكره المصنف
ونقل الماوردي عن البصريين من الشافعية انهم اكفا وعن البغداديين منهم
خلافه فتفضل مضر على ربيعة وعدنان على قحطان اعتبارا بالقرب منه صلى الله
عليه وسلم لكن الاصح في مذهبنا العمل بما يقتضيه هذا الحديث من ان الكفاءة
معتبرة على ترتيب الفضيلة ولا يرد على الشافعي رضي الله عنه صنيع النبي
صلى الله عليه وسلم لان ذلك من خواصه واما صنيع علي وعمر رضي الله عنهما فهو
مذهب صحابي وليس مذهب الصحابي عند الشافعي رحمه الله حجة فوجب
العمل بما يقتضيه قول النبي صلى الله عليه وسلم واما استثناء بعضهم من العرب
باهلة فهو غير مسلم له ومن اين له هذا الاستثناء وهم عرب داخلون في عموم
العرب حكمهم حكم باقي العرب واما كونهم مشهورين بالخسة فعلى تقدير
تسليمه فالخسة لا تضر بالنسب فكم من خسيس هو هاشمي كيف والخسة
وعدمها ليسا من الخصال المعتبرة بالكفاءة والمعتبر فيها كان المعتبر في الكفاءة
عند الحنفية الذين نقلهم شيخنا في سبعة اشيا في النسب والمال والحرية
والتقوى واسلام الاباء والحرف والعقل ~~وقال الترمذي هذا حديث صحيح~~
وفي حديث عن ابن عمر رضي الله عنهما رواه الطبري انه صلى الله عليه وسلم قال
ان الله عز وجل اختار خلقه فاختار منهم بني ادم قال شيخنا الرضي بن
التاذفي اما ان يكون معناه فميز بني ادم من بينهم عن غيرهم ثم اصطفى بني
ادم على غيرهم او يكون معناه فاصطفى من بينهم بني ادم ثم دام على اصطفائه
اياهم وكثيرا ما تتضمن الافعال معنى الدوام نحو يا ايها الذين امنوا امنوا بالله

مناقشة مع ابن الحنبلي

ورسوله اي دوموا على الايمان بهما والا فلا معنى لاصطفائهم واختيارهم مرة بعد
اخرى واقول في القاموس انت المختار اي اختر ما شئت انتهى ومعنى
اختر انتق ما شئت ويقال اختار اي انتقى والحاصل الذي تفهم من كلام
القاموس ان المختار يطلق على طالب ما هو الخيار فيقال للذي يريد ان يختار
احدى السلعتين انت المختار اي انتق ما شئت منهما فمعنى الحديث ان الله
عز وجل اراد ان ينتقي حصة من مخلوقاته فاختار اي انتقى بالفعل منهم بني
ادم كلمنا انه اراد باختار انتقى فيحمل في الاول على ارادة الانتقا مجازا مرسلا
من اطلاق اسم المسبب على السبب ويكون على حد قوله عز وجل اذا قمتم الى الصلاة
اي اردتم القيام اليها والثاني على الانتقا بالفعل اي اراد ان ينتقي ثم بعد ان
انتقى بني ادم من بين خلقه اختار بني ادم اي اراد ان ينتقي منهم شرذمة
فاختار اي فانتقى منهم العرب ثم اختار العرب اي اراد تعالى ان ينتقي من
العرب شرذمة يميزهم عن غيرهم ممن ليس منهم فاختار اي فانتقى منهم اي
من العرب قريشا ثم اختار قريشا اي اراد ان ينتقي منهم طائفة وشعبة
فاختار اي فانتقى بني هاشم ثم اختار من بني هاشم اي اراد ان ينتقي
من بني هاشم من هو خيرهم فاختارني اي فانتقاني من بين بني هاشم
فلم ازل خيارا من خيار اما اختياره لبني ادم فلقوله عز وجل ولقد كرمنا بني ادم
وبهذا يستدل على افضلية النوع الانساني على النوع الملكي واما اختياره
للعرب فهم على ثلاثة اقسام عرب متعربة وابوهم قحطان وعرب مستعربة
وابوهم اسمعيل وعرب عاربة كثمود وعاد وطسم وجديس لكن قال ابن هشام

العرب

العرب كلها من اسمعيل وقحطان ابن اليمن وبعض اليمن يقولون ان قحطان
من ولد اسمعيل واسمعيل ابو العرب كلها فان قلت اهل اليمن جماع نسبهم
قحطان وقحطان ليس من ولد اسمعيل لانهم قالوا ان اسمه عابر بن شالح
ابن ارفخشد بن سام بن نوح وقيل هو من ولد هود عليه السلام وقيل هو هود
نفسه وقيل ابن اخيه قلت الصحيح الذي مشى عليه البخاري في صحيحه ان قحطان
من ولد اسمعيل وان قحطان بن الهميسع بن تيم بن نبت بن قيدار بن اسمعيل
وهو ظاهر قول ابي هريرة المتقدم في قصة هاجر حيث قال وهو يخاطب
الانصار فتلك امكم يا بني ماء السماء يشير الى هاجر التي هي ام اسمعيل واستدل
لذلك البخاري في صحيحه بحديث سلمة ان النبي صلى الله عليه وسلم خرج على قوم
يتناضلون بالسوق فقال ارموا بني اسمعيل فان اباكم كان راميا وانا مع
بني فلان لاحد الفريقين فامسكوا بايديهم قال فقال ما لهم قالوا وكيف نرمي وانت
مع بني فلان قال ارموا وانا معكم كلكم وهذا الخطاب كان للانصار وهم اصلهم
من اليمن واهل اليمن من نسل قحطان وقد جعلهم واجب الصدق صلى الله
عليه وسلم من اولاد اسمعيل فثبت ان قحطان الذي هو ابوهم قطعا من ذرية
اسمعيل وانما فضل الله عز وجل العرب على خلافهم لانهم احرار من رق العبوس
كرما والاحرون في طبعهم الحرية فالعرب شرفهم الله عز وجل بحسن الاخلاق
ويدل على ذلك دعوة ابرهيم عليه السلام حيث قال ومن ذريتنا امة مسلمة لك
وهي ذرية اسمعيل خاصة لان صدر الاية مشعر باشتراك اسمعيل وابرهيم
عليهما السلام في هذه الدعوة ولا شركة بينهما الا فيمن يكون من ذرية اسمعيل

وقد وصفها ابرهيم عليه السلام بانها مسلمة والاسلام تسليم النفس وبذلها والجود
بها ومن جاد بنفسه لله عز وجل فلا احد احسن خلقا منه ولا اكرم منه فليس
الشان في الجود بالمال كالشان في الجود بالنفس فجرت هذه الدعوة في ولد
اسمعيل فقط فصار العرب باذلين انفسهم لله عز وجل فاين هم من قوم قالوا
لنبيهم عليه الصلاة والسلام اذهب انت وربك فقاتلا انا ههنا قاعدون وقيل وذلكم
لامة محمد صلى الله عليه وسلم من العرب خاصة ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم
فزادهم ايمانا وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل وهي مقالة قالها ابرهيم خليل الله عليه
السلام حين القي في النار فالعرب من نسل اسمعيل والعجم من نسل اسحق
عليهما الصلاة والسلام والشجرة واحدة وهو ابرهيم عليه السلام وقد اعطى الله عز
وجل كلا من النسلين فضيلة وموهبة صارت وراثة في اولادهما فظهر في
ولد اسحق الجهد والعبادة وظهر في ولد اسمعيل حسن الخلق والسماحة
والشجاعة فالجهد من خزائن الحكم والاخلاق من خزائن المنة فالحكم بدت من العدل
والعدل من الربوبية وهي من الملك والقدرة والمنة بدت من العطف والعطف
من الفضل والفضل من الجمال ومن الملك بدا الغضب ومن الجمال بدت
الرحمة والفضل كذا قال الامام ابو عبد الله الحكيم الترمذي في كتابه نوادر الاصول
في الاصل السابع والستين واما قريش فلهم من الكمال في الاخلاق الجميلة
ما ليس لغيرهم ولهذا جعل النبي صلى الله عليه وسلم قريشا اصولا في شؤون الدين والدنيا
ففي الصحيحين واللفظ للبخاري بسنده الى ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم الناس تبع لقريش في هذا الشان مسلمهم لمسلمهم وكافرهم

لكافرهم

لكافرهم الناس معادن خيارهم في الجاهلية خيارهم في الاسلام اذا فقهوا وهو
خبر بمعنى الامر والمراد بهذا الشان هذا الدين جاء به محمد صلى الله عليه وسلم
ثم قال صلى الله عليه وسلم الا من احب العرب فبحبي احبهم ومن ابغض
العرب فببغضي ابغضهم وفي حديث صحيح ان النبي صلى الله عليه وسلم قال
لسلمان يا سلمان لا تبغضني فتفارق دينك قال قلت يا رسول الله وكيف
ابغضك وبك هداني الله عز وجل قال تبغض العرب فتبغضني وفي الحديث
من غش العرب لم يدخل في شفاعتي ولم تنله مودتي قال الترمذي الحكيم غش العرب
ان تصدهم عن سبيل الهدى او تحملهم على امر يبعدون به عن الرسول صلى الله عليه
وسلم ومن فعل ذلك فقد قطع الرحم فيما بينهم وبين الرسول صلى الله عليه وسلم
قال ومن غشهم ايضا ان تحسدهم على ما اتاهم الله عز وجل من فضله وان تضع ما
رفعه الله عز وجل وتغمر فضلهم والاخبار قد اتت بفضلهم قال شيخنا الرضي بن
التادفي المعروف بابن الحنبلي ويندرج تحت هذا الشعوبية وهم قوم
يتعصبون للعجم ويفضلونهم على العرب قال الهروي الشعوبي الذي يصغر
شان العرب ولا يرى لهم فضلا على غيرهم قيل لهم ذلك لانهم تاولوا قوله تعالى
شعوبا وقبائل ان الشعوب من العجم كالقبائل من العرب قال شيخنا اقول وكانهم
يستخرجون من تقديم الشعوب في الاية لفظا انهم متقدمون رتبة مع ان
التقديم اللفظي لا يستلزم التقديم الرتبي بدليل قوله عز وجل وما خلقت الجن
والانس الا ليعبدون مع تقدم الانس رتبة ومما يقال ان ابا عبيدة معمر بن
المثنى كان من هولاء وانه وضع كتابا في مثالب العرب فحاشاه من ذلك ولقد اثنى عليه

الطائفة الشعوبية خذلهم الله عز وجل ٥

ابن المديني وصحح روايته وقال كان لا يخلو عن العرب الا الشي الصحيح انتهى
وانا اقول استدل الشعوبية على جهالتهم التي وقعت بامور منها قولهم
ان اسحق ابو العجم وهو الذبيح وابو الانبيا واسمعيل ابو العرب ذريته عبدة
الاصنام وساقكوا الوما الى ان جا النبي صلى الله عليه وسلم من ذرية اسمعيل وام
اسمعيل كانت امة لام اسحق ومنها ان اكرم الناس على الله عز وجل اتقاهم فلا
دخل للعربية في ذلك ومنها ما جا في حديث ان الله عز وجل اذا تكلم بالرضى تكلم
بالفارسية واذا تكلم بالغضب تكلم بالعربية ومنها ان حملة العرش يتكلمون
بالفارسية ومنها ان العرب اذوا رسول الله صلى الله عليه وسلم حيا وميتا اما
حيا فمعلوم ما فعلوا به من مفارقة بلده وقتاله والتضييق عليه واما ميتا
فمقاتلهم الخلافة عن اقاربه واهل بيته ثم كانت الاعاجم هم الذين انتقلوا اليه
ونصروه ونصروا اهل بيته ومنها ما كان في العرب من الالوان كالتجاهر
بالقبائح والطواف عراة ونصب الاصنام حول الكعبة واهانتهم بيت الله
عز وجل ثم انهم تجاوزوا ذلك الى تعييرهم بالفقر والبوس واكل الحشرات
والفخر عليهم بانهم كانوا الى وقت النبي صلى الله عليه وسلم تحت ايدي العجم
ومنها ان استيلا العرب على رقاب الناس معدود في اشراط الساعة
فقال صلى الله عليه وسلم اذ عدا اشراط الساعة ان ترى الحفاة العراة
يتطاولون في البنيان قالوا يا رسول الله من الحفاة العراة قال العرب
ومنها انهم قالوا ان زعمتم ان العجم ليست اكفا للعرب في النكاح فانتم تعلمون
ان العجمي كفو للحور العين فكيف ابيتم ان يكونوا اكفا للعربيات مع انه قد روي
عن

عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من اتاكم من ترضون خلقه ودينه فزوجوه كائنا من
كان ان لا تفعلوه تكن فتنة في الارض وفساد كبير ومنها ان النفاق لم يكن الا
في العرب وليس في العجم احد نافق ولكن هذا — مما استدلوا به
ان اسحق ابو العجم فهو ليس ابا الا لبني اسرايل فقط واما الفرس فلم يثبت انه اب
لهم وبنوا اسرايل كانت النبوة فيهم فلما ان بعث الله سيد المرسلين صلى الله عليه
وسلم انتقلت عنهم وزالت منهم على انك ان تتبعت ما وقع من بني اسرايل في
حق انبيايهم من قتلهم الانبيا بغير حق وقولهم لنبيهم لن نومن لك حتى نرى الله
جهرة وقولهم اجعل لنا الها كما لهم الهة وهم لم تجف اقدامهم من بلل فلق البحر
وقولهم قلوبنا غلف وقولهم عن موسى نبيهم انه قتل اخاه هرون وقولهم انه
ادر وقولهم له اذهب انت وربك فقاتلا انا ههنا قاعدون وتسميتهم
له موسى وحبهم لهرون اكثر من موسى وتحريك قرون المراة البغي حتى تقع
في عرض نبي الله وكليمه وعبادتهم العجل ونبيهم لم يفارقهم الا ايامًا يسيرة
وهرون نبيهم بين اظهرهم وتوليهم عن قبول احكام التوراة حتى رفع الله
عز وجل عليهم الطور وعدم رضاهم بما في التيه من المن والسلوى وعدم
امتثالهم امر نبيهم في قولهم قولوا حطة الى غير ذلك مما يطول الكلام عليه فلو
قابلت هذا بما وقع للعرب مع نبينا صلى الله عليه وسلم حيث لم يلق لتابع من العجم
لعلمت الانصاف فتامل ما وقع لفرقتي المهاجرين والانصار فانهم هذا
النبي صلى الله عليه وسلم تجدهم فعلوا ما لم يفعله اصحاب نبي مع نبيهم وهم اذ ذاك
عرب صرف واين كانت العجم اذ ذاك ولو علم الله ان للعجم فضلا على العرب ما اظهر محمدا

صلى الله عليه وسلم من صميم العرب ولا جعل ناصريه الذين هم خير انصار وخير اصحاب
من صميمهم ولا جعل كتابه الذي هو افضل الكتب باللسان العربي واما قولهم
ان اسحق هو الذبيح فهو قول مرجوح وهب انه الذبيح فيكون اسمعيل فضلا انه
اب لافضل انبياء الله عز وجل واما قولهم من ذريته عبدة الاصنام الى اخره
فالكفر الذي في العجم اشنع وهل تعلمت العرب عبادة الاصنام الا من العجم
فقد كان الاصنام تعبد في زمن ابرهيم عليه السلام والنار تعبد في ارض فارس
والعراق والكواكب في كثير من بلاد العجم على ان الايمان والتوحيد اللذين ظهرا
من العرب لا يوازنه ايمان ويكفيك ان العرب هم دعوة اسمعيل وابرهيم حيث
قالا في دعائهما ومن ذريتنا امة مسلمة لك اي خرجت عن نفوسها وبذلت
ارواحها لك وهل للعجم شركة في هذا الدعا وفي النعت الذي لا نعت اشرف منه
واما قولهم ان اكرم الناس اتقاهم لله عز وجل فلا نزاع لنا في ذلك انما الكلام على
العرب من حيث هم عرب وعلى العجم من حيث هم عجم مع قطع النظر عن التقوى والعلم
وغير ذلك فان النبي صلى الله عليه وسلم قال اكرم الناس على الله عز وجل اتقاهم لله
سبحانه ثم قال خيار الناس في الجاهلية خيارهم في الاسلام اذا فقهوا واما
الاحاديث الواردة في فضل اللغة الفارسية فكلها كذب موضوعة واما قولهم
ان العرب كانت فيهم الاوثان فنقول وكان في العجم التجبر والتكبر ودعوى
الربوبية وهل سمعت ان عربيا ادعى الربوبية ففرعون القائل انا ربكم الاعلى
كان عجميا ونمرود كذلك على ان الاوثان انقلبت بالطهارات الظاهرة والباطنة
على يد النبي صلى الله عليه وسلم اما بلغهم ان من العجم من لعن على لسان داود وعيسى

العرب صح

انظر ان ما ورد في فضل اللغة الفارسية كذب ه

[illegible]

ابن مريم اما بلغهم ان العجم هم القائلون على مريم بهتانا عظيما اما بلغهم ان من العجم من
كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون ترى كثيرا منهم يتولون
الذين كفروا وترى كثيرا منهم يسارعون في الاثم والعدوان واكلهم السحت ومنهم
الذين اذوا رب العزة حيث قالوا يد الله مغلولة سبحانه وتعالى وقولهم ان
الله فقير ونحن اغنيا وقولهم ان عزير ابن الله وقولهم ان المسيح ابن الله وقولهم
ان المسيح هو الله وهم الذين نزل فيهم قوله عز وجل قل او نبئكم بشر من ذلك
مثوبة من لعنه الله وجعل منهم القردة والخنازير وعبد الطاغوت اولئك
شر مكانا واضل عن سوا السبيل ومعلوم ان بني اسمعيل في جاهليتهم لم
يبلغوا هذا المبلغ والعجم بعد ان جاءهم موسى بالبينات فعلوا ما فعلوا وقالوا ما
قالوا ومن خرب بيت المقدس ومن حرق المصاحف ومن سبى ذراري الانبياء
الا بخت نصر الذي هو عجمي فكيف بنو اسرائيل يعيرون العرب واما ايذاهم
لنبيهم صلى الله عليه وسلم فالذي فعل ذلك كان كافرا وايذاوه لم كان دينويا واما بنوا
اسرائيل فقد اذوا نبيهم اذ قالوا له قتلت اخاك وارادوا ان يرموه بالزنا
وكذبوه اذ قالوا له لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة واذوا ربهم عز وجل اذ جعلوه
هو المسيح وجعلوا له الولد ونسبوا اليه الجسمية والعي من خلق السموات
والارض وكل ذلك فعلوا بعد ان سمعوا كلام ربهم وجاءتهم البينة واما العرب
فلم يفعلوا ما فعلوا الا قبل ان يؤمنوا بالنبي صلى الله عليه وسلم وقد سبق ذكر شي من
ذلك ولما امن العرب خرجوا عن اموالهم وارواحهم لله عز وجل ولرسوله صلى الله
عليه وسلم ولم يصدر من احد بعد الايمان شي من سو الادب اصلا واما ايذاوهم لم

بعد موته فما شاهم من ذلك انهم الذين نصبوا خليفته وصاحبه في الغار وما دونه
في الصلاة وهذا الذي كان يرضيه صلى الله عليه وسلم كيف وهو القائل ويابى الله
والمومنون الا ابا بكر واما قولهم ان النفاق كان في العرب وليس في العجم
نفاق قلنا ان النفاق انما وجد في العرب لكونه العرب اقارب النبي صلى الله عليه
وسلم وقبيلته مناظرة لقبائلهم فادرك بعضهم الحسد فكان ينافق واما
العجم فلم يصل الايمان اليهم الا بعد موت النبي صلى الله عليه وسلم وهل ادخل الايمان في
صدور العجم الا اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وهم من العرب وعن ابن عباس
رضي الله عنهما ان قريشا كانت نورا بين يدي الله عز وجل هذا من باب
الكناية عن غاية القرب من محل رضاه كما يقال فلان بين يدي الملك والحقيقة هنا
متعذرة فحمل على الكناية وارادة اللازم فان ذلك النور الذي سبق خلق ادم
وكان يسبح بين يدي الله عز وجل انما هو لواحد من قريش قلت كان
نور النبي صلى الله عليه وسلم مندرجا في قريش لانهم اصوله فما من قبيلة من قريش
الا وللنبي صلى الله عليه وسلم اليها نسبة وكانت قريش يظهر منها التسبيح لاندراج
المسبح فيهم قبل ان يخلق الله عز وجل ادم بالفي عام يسبح ذلك النور
وتسبح الملائكة بتسبيحه ولما خلق الله عز وجل ادم القى ذلك النور
في صلبه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فاهبطني الله عز وجل الى
الارض في صلب ادم عليه السلام وجعلني في صلب نوح عليه السلام
وقذف بي في صلب ابرهيم عليه السلام ثم لم يزل الله عز وجل ينقلني
في الاصلاب الكريمة والارحام الطاهرة حتى اخرجني بين ابوي

لم

لم يلتقيا على سفاح قط روى كعب الاحبار ان تسبيح نور النبي صلى الله عليه
وسلم كان يسمع بجبهة ادم كنشيش الطير فقال ادم يا رب ما هذا قال هذا
تسبيح محمد ولكن خذه بعهدي وميثاقي ان لا تودعه الا في اصلاب
الطاهرين وارحام الطاهرات قال وكان نور محمد صلى الله عليه وسلم يرى في غرة
جبين ادم كالشمس في دوران فلكها او كالقمر في الديجور ليلة ظلمها ثم لم يزل
ينتقل من نبي الى نبي ومن صلب طاهر الى رحم طاهر الى ان كان بصلب ابرهيم عليه السلام
حين القي في النار وبصلب نوح عليه السلام حين ركب السفينة وقال بعضهم
خلق الله عز وجل نور محمد صلى الله عليه وسلم قبل ان يخلق الاشياء بتسعة
الف سنة فجعل يطوف بالقدرة وهو يقول سبحان العالم الذي لا يجهل سبحان
الحليم الذي لا يعجل سبحان الجواد الذي لا يبخل وما احسن ما قال ابو الحصال الاندلسي

من الطويل

الى صفوة الله الامين لوحيه • ابي القاسم الهادي الى خير مشعب •
الى المنتقى من عهد ادم في الورى • تردد في السر الصريح المهذب •
الى من تولى الله تطهير بيته • وعصمته من كل عيص مؤشب •
فجى بريئا العرض من كل وصمة • فما شئت من ام حصان ومن اب •
اذا اعرضت اعراقه عن قبيلة • فما اعرضت الا لامر مغيب •
وما عبرت الا على مسلك الهدى • ولا عثرت الا على كل مطلب •

والسفاح الزنا تقول سافحه مسافحة وسفاحا وآباء النبي صلى الله عليه وسلم من
ادم عليه السلام اليه صلى الله عليه وسلم منزهون عن ذلك حفظهم الله عز وجل وصانهم
بالنكاح الصحيح على حسب الملل واختلاف الاديان واخرج البيهقي في السنن

الكبير عن ابن عباس رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما ولدني من
سفاح اهل الجاهلية شيء ما ولدني الا نكاح كنكاح الاسلام واخرج ابن عساكر
عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما ولدتني بغي قط
منذ خرجت من صلب ادم ولم يزل تنازعني الامم كابرا عن كابر حتى خرجت من
افضل حيين من العرب هاشم وزهرة **ويشهد لصحة هذا الخبر المروي**
عن ابن عباس **شعر العباس في مدح النبي صلى الله عليه وسلم** موجود في ابيات
والى ذلك اشار الصرصري في النونية حيث قال

اهدى له العباس ابياتا بها ⁂ مدح يفوق قلائد العقيان
وعاله واتاه كعب مادحا ⁂ بقصيدة مرضية الاوزان
فاجازه ولطالما من قبلها ⁂ سمع المدائح فيه من حسان

وابيات العباس ستاتي في اول الباب الثالث ونشرحها هناك شرحا حسنا
ان شاء الله واما ابيات كعب فهي القصيدة الموسومة ببانت سعاد
وقد قيل ان ابيات العباس لحسان وهو ضعيف **فصل**
واما ما لا بد منه من ضرورة الحياة البهيمية فضلناه فعلى ثلاثة ضروب
في القاموس الضرب الصنف من الشيء كالضريب والمضروب والضروب جمع كثرة للضرب
ويجوز استعارة جمع الكثرة في القلة وبالعكس كما في قوله والمطلقات يتربصن بانفسهن
ثلاثة قروء فقروء جمع كثرة استعمل في الثلاثة وهي موضع القلة لانه في العشرة فما دونها
والانفس جمع قلة والمقام جمع كثرة لانها نفوس كثيرة **ضرب الفضل في قلته وضرب**
الفضل في كثرته وضرب تختلف الاحوال فيه فاما ما التمدح اي الذي التمدح

والكمال

والكمال بقلته اي بسببها **اتفاقا** اي عند اهل العادة والشرع **وعلى كل حال عادة** والمراد
من العادة ما ادى اليه العقل اذ الخلق ونفسه **وشريعة** اي امر به الشارع صلى الله
عليه وسلم **كالغذا** في القاموس الغذا اي بالغين ثم الذال المعجمتين ككساء ما به نما
الجسم وقوامه والغدا بالغين المعجمة ثم الدال المهملة والقصر الاكل في وقت الغدوة
فالغذا ككساء اعم **والنوم ولم تزل العرب والحكما** انما خص العرب لان عقولهم اسد
من عقول غيرهم من حيث هم عرب ولهذا كان ما استطابته العرب من الاطعمة اذا لم يرد
في حلها والا في حرمتها نص حلالا باستطابتهم لحسن عقولهم واما الحكما فهم علماء
الشرع فقد فسر الحكمة في قوله عز وجل يؤتي الحكمة من يشاء بعلوم الشرائع وما جاء
به النبي صلى الله عليه وسلم وانما خصهم بالذكر من بين العلماء لانهم المقتدى بهم في دين الله
عز وجل وهم المعتنون بجمع السنة والاستنباط من الكتاب والسنة ومن المعلوم
ان من استمسك بها فقد اهتدى **تتمادح بقلتهما ولا تذم بكثرتهما** فمن فضل الجوع ما
رواه الخطيب في الزهد من حديث اسامة بن زيد وابي هريرة رضي الله عنهم قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم ان اقرب الناس يوم القيامة من الله عز وجل من طال جوعه
وعطشه وحزنه في الدنيا الاخفياء الاتقياء الذين اذا شهدوا لم يعرفوا وان
غابوا لم يفتقدوا تعرفهم بقاع الارض وتحف بهم ملائكة السماء نعم الناس بالدنيا
ونعموا بطاعة الله عز وجل افترش الناس الفرش وافترشوا الجباه والركب ضيع الناس
فعل النبيين واخلاقهم وحفظوها هم تبكي الارض اذا فقدتهم ويسخط الله عز وجل
على كل بلدة ليس فيها منهم احد لم يتكالبوا على الدنيا تكالب الكلاب على الجيف اكلوا العلق
من الطعام ولبسوا الخلق شعثا غبرا يراهم الناس فيظنون ان بهم داء وما بهم داء

قوله كالغذا هو جواب اما
وكان الاولى قرنه بالفاء
كما لا يخفى

المشهور

بلغ مقابلة
على نسخة المولف

ويقولون قد خولطوا وذهبت عقولهم وما ذهبت عقولهم ولكن نظر القوم بقلوبهم الى من
اذهب عنهم الدنيا فهم عند الدنيا يمشون بلا عقول عقلوا حيث ذهبت عقول الناس احوالهم
لهم الشرف في الاخرة يا اسامة اذا رايتهم في بلدة فاعلم انهم امان لتلك البلدة لا يعذب الله
عز وجل قوما هم فيهم الارض بهم فرحة والجبار عنهم راض اتخذهم لنفسك اخوانا
عسى ان تنجو بهم وان استطعت ان ياتيك الموت وبطنك جائع وكبدك ظمآن
فافعل فانك تدرك بذلك شرف المنازل وتحل مع النبيين وتفرح بقدوم روحك
الملائكة ويصلي عليك الجبار جل وعلا وفي الصحيحين بسندهما الى عمر بن الخطاب
وابي هريرة رضي الله عنهما قالا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم المومن ياكل في معا
واحد والمنافق ياكل في سبعة امعاء اي ياكل سبعة اضعاف ما ياكله المومن
او يكون شهوته سبعة امثال شهوته فيكون المعى كناية عن الشهوة لان الشهوة
هي التي تقبل الطعام وتاخذه كما ياخذه المعى وليس المعنى زيادة امعاء الكافر على
معى المومن وفي صحيح البخاري بسنده الى نافع قال كان ابن عمر رضي الله عنهما لا ياكل
حتى يوتى بمسكين ياكل معه فادخلت رجلا ياكل معه فاكل كثيرا فقال يا نافع
لا تدخل علي هذا سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول المومن ياكل في معى واحد والكافر
ياكل في سبعة امعاء وفي رواية له عن ابي هريرة رضي الله عنه ان رجلا كان ياكل اكلا
كثيرا فاسلم فكان ياكل اكلا قليلا فذكر ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فقال ان المومن ياكل
في معى واحد والكافر ياكل في سبعة امعاء والمعا بكسر الميم مقصور وهو المصارين
وانما خص السبعة بالذكر في اكل الكافر والمنافق للمبالغة فانه عدد يذكر للكثرة
كالسبعين والسبعمائة ومعنى الحديث ان المومن من شانه التقلل من الاكل لاشتغاله

رسمه المعا شارح بالياء واخرى بالالف امر وقع من المصنف فليحرر

باسباب العباده

باسباب العبادة ولعلمه بان مقصود الشرع من الاكل ما يسد الجوع ويعين على
العبادة ولخشيته ايضا من حساب ما زاد على ذلك والكافر بخلاف ذلك واقول
الذي يظهر ان الكلام على حقيقته وان الكافر ياكل في امعاء سبعة وذلك لان
لكل ادمي كافر ومومن ذكر وانثى سبعة امعاء المعدة ثم ثلاثة امعاء بعدها
متصلة بها البواب ثم الصائم ثم الرقيق والثلاثة رقاق ثم الاعور والقولون
والمستقيم وطرفه الدبر وكلها غلاظ وقد نظمها الحافظ زين الدين
عبد الرحيم العراقي في قوله

سبعة امعاء لكل ادمي • معدة بوابها مع صائم •
ثم الرقيق اعور قولون مع • المستقيم مسلك المطاعم •

فعلى هذا يكون معنى الحديث ان الكافر لكونه ياكل بشرهه لا يشبعه الا ملء
امعائه السبعة والمومن يشبعه معى واحد ولا يلزم من هذا الحديث
اطراده في حق كل مومن وكافر فقد يكون في المومنين من ياكل كثيرا اما
بحسب العادة واما لعارض يعرض له من مرض باطن او لغير ذلك وقد
يكون في الكفار من ياكل قليلا اما لمراعاة الصحة على راي الاطباء واما للرياضة
على راي الرهبان واما لعارض لضعف المعدة والحاصل ان المومن
من حيث انه مومن ياكل قليلا والكافر والمنافق من حيث كفرهما ياكلان كثيرا
وذلك ان الطبع البشري يطلب الاكل والمومن المصدق بفناء الدنيا وزوال
نعيمها الفاني يردعها بما لا بد منه حذرا من وخامة الاكثار وضرر
فيحمله ايمانه على التقليل من الاكل فان غلبت عليه شهوته او كان به مرض يحمله

على كثرة الاكل فالداعي الى كثرة الاكل حينئذ ليس شان الايمان بل شي اخر واما كثرة
الاكل في حق الكافر فالداعي اليها اذا لم يكن لعارض الكفر لانه يجحد فنا الدنيا ويرى ان
لذاتها وان تارك اللذائذ الدنيوية هو الفائز بالنعيم المقيم وقيل المراد ان
المومن اذا اكل ذكر اسم الله عز وجل على طعامه وشرابه فلا يشركه الشيطان في اكله
كما نطق بذلك الحديث فيكفيه القليل بخلاف الكافر وقيل المراد بالمومن الكامل الايمان
لان من شانه افكاره فيما يوول اليه الامر من اهوال يوم القيمة يلهيه ذلك عن
الاكل فلا ياكل ملتذا فيقنع بقوام البدن كما قال صلى الله عليه وسلم والله لو تعلمون
ما اعلم لضحكتم قليلا الحديث فانه مصرح بان خوف الله عز وجل ينغص لذات الدنيا
وقد وقع في رواية مسلم من طريق ابي صالح عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
ضافه ضيف وهو كافر فامر له بشاة فحلبت فشرب حلابها ثم اخرى ثم اخرى
حتى شرب حلاب سبع شياه ثم انه اصبح فاسلم فامر له بشاة فشرب حلابها
ثم اخرى فلم يستتمها الحديث قال حافظ عصره شيخ الاسلام شهاب الدين بن حجر
العسقلاني وهذا الرجل يشبه ان يكون جهجاه الغفاري فاخرج ابن ابي شيبة
وابو يعلى والبزار والطبراني من طريقه انه قدم في نفر من قومه يريدون الاسلام
فحضر وامع رسول الله صلى الله عليه وسلم المغرب فلما سلم قال لياخذ كل رجل بيد
جليسه فلم يبق غيري وكنت رجلا عظيما طويلا لا يقدم على احد فذهب بي رسول
الله صلى الله عليه وسلم الى منزله فحلب عنزا فاتيت عليه ثم حلب لي اخرى حتى حلب لي سبعة
اعنز فاتيت عليها ثم اتيت بصنيع برمة فاتيت عليها فقالت ام ايمن امس
هذا ضيفنا اجاع الله من اجاع رسول الله فقال يا ام ايمن اكل رزقه ورزقنا

عشا

على الله فلما كانت الليلة الثانية وصلينا المغرب صنع ما صنع في التي قبلها فحلب
لي عنزا فرويت وشبعت فقالت ام ايمن اليس هذا ضيفنا قال انه اكل في
معا واحد الليلة وهو مومن واكل قبل ذلك في سبعة امعا الكافر ياكل في سبعة
امعا والمومن ياكل في معا واحد واخرج الطبراني بسند جيد عن عبد الله بن
عمرو قال جا الى النبي صلى الله عليه وسلم سبعة رجال فاخذ كل رجل من الصحابة رجلا
واخذ النبي صلى الله عليه وسلم رجلا فقال له ما اسمك قال ابو غزوان قال فحلب
له سبع شياه فشرب لبنها كله فقال له النبي صلى الله عليه وسلم هل لك يا ابا غزوان
ان تسلم قال نعم فاسلم فمسح رسول الله صلى الله عليه وسلم صدره فلما اصبح حلب له
شاة واحدة فلم يتم لبنها فقال ما لك يا ابا غزوان فقال والذي بعثك نبيا لقد
رويت قال انك امس كان لك سبعة امعا وليس لك اليوم الا معا واحد وهذه
الطريق اصح من طريق جهجاه وقيل انه نضلة بن عمرو الغفاري ووقع في كلام
النووي تابعا للمصنف في شرح مسلم انه بصرة بن ابي بصرة الغفاري ووقع
في السيرة الاسحاقية ما يقتضي ان مثل ذلك وقع لثمامة بن اثال لما اسر
ثم اسلم ولم يذكره صدور المازري بتفسير هذا المبهم وقيل معنى الحديث ان المومن
ياكل الحلال والكافر ياكل الحرام والحلال اقل من الحرام في الوجود وقيل هذا
تقرير لرغبة الكافر في الدنيا وتعبير عن قلة رغبة المومن فيها وما يدل على ان
الكافر اكول قوله عز وجل والذين كفروا يتمتعون وياكلون كما تاكل الانعام وقال
النووي يحتمل ان يريد بالسبعة في الكافر السبع صفات التي نشات من كفره
وهي الحرص والشره وطول الامل والطمع وسوء الطبع والحسد وحب السمن

تعريف النوم

وبالواحد في الموتى سوخطته واما النوم فانما كان التمدح في قلته لان الانسان
بسببه يخرج عن اهلية الخطاب ويرتفع القلم عنه وان كان لا يرتفع عنه التكليف
فانه فترة تعرض مع قيام العقل توجب العجز عن ادراك المحسوسات
والافعال الاختيارية واستعمال العقل فالفترة هي معنى قول الاطبا انحباس
الروح من الظاهر الى الباطن وهذه الروح بواسطة العروق الضوارب تنتشر
الى ظاهر البدن وقد تنحصر في الباطن باسباب مثل طلب الاستراحة من كثرة
الحركة والاشتغال بتاثير في الباطن لنضج الغذا وكذا تغلب النوم عند
امتلا المعدة ونحوه وبالجملة فهي حالة نقص ولهذا كان صلى الله عليه وسلم تنام عيناه
ولا ينام قلبه ولحبه صلى الله عليه وسلم التقليل منه كان ينام على شقه الايمن ففي
صحيح البخاري بسنده الى عايشة رضي الله عنها قالت كان النبي صلى الله عليه وسلم
يصلي من الليل احدى عشرة ركعة فاذا طلع الفجر صلى ركعتين خفيفتين ثم اضطجع
على شقه الايمن حتى يجي الموذن فيوذنه فان في الاضطجاع على الشق الايمن
فوايد منها انه اسرع الى الانتباه ومنها ان القلب يتعلق الى جهة اليمين فلا يثقل
بالنوم ولذلك ايضا كان صلى الله عليه وسلم يضع يده تحت الخد الايمن ففي صحيح
البخاري بسنده الى حذيفة قال كان النبي صلى الله عليه وسلم اذا اخذ مضجعه
من الليل وضع يده تحت خده ثم يقول الحديث وانما كان صلى الله عليه وسلم يامر
البرا بن عازب رضي الله عنه بقوله اذا اتيت مضجعك فتوضا وضوك للصلاة
الحديث فكان يامره كما شمل الامر غير البرا بالوضو للنوم كما يتوضا للصلاة
ليقرب النايم من المستيقظ بسبب الوضو لان النبي قال من اوى الى فراشه

طاهرا

طاهرا او نام ذاكرا كان فراشه مسجدا او كان في صلاة وذكر حتى يستيقظ
لان كثرة الاكل والشرب دليل على النهم بنون مفتوحة ثم ها مفتوحة
ايضا وهو افراط الشهوة في الطعام وفي النهاية الاثيرية النهمة بلوغ الهمة في الشي
ومنه النهم من الجوع ومنه الحديث منهومان لا يشبعان طالب علم وطالب دنيا
وعلى الحرص والشره وهما خلقان ذميمان يتولدان من البخل اما الحرص فهو شدة
الكدح والاسراف في الطلب وهو مذموم اذا كان ذلك في الدنيا ومحمود اذا كان في طلب
مرضاة الله عز وجل واما الشره فهو استقلال الكفاية والاستكثار لغير حاجة
وقد روى عن العلا بن حريز عن ابيه عن سلم بن مسرور قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم من لا يجزيه من العيش ما يكفيه لم يجد من العيش ما يغنيه
وقال بعض الحكما الشره من غرايز اللوم فمهما كان العبد حريصا على شي اعماه
حرصه واصمه اذ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حبك الشي يعمي ويصم ونور
البصيرة هو الذي يعرف مداخل الشيطان فاذا اغطاه الحرص والحسد لم يبصر
فيجد الشيطان فرصته فيحسن عند الحريص كل ما يوصله الى شهوته وان كان
منكرا او فحشا فقد روى ان نوحا عليه الصلاة والسلام لما ركب البحر وحمل في السفينة
كل زوجين اثنين كما امر فراى في السفينة شيخا لم يعرفه فقال له نوح عليه
السلام ما ادخلك قال دخلت لاصيب قلوب اصحابك فتكون قلوبهم معي وابدانهم
معك فقال نوح عليه السلام اخرج منها يا عدو الله فانك رجيم فقال ابليس خمس
اهلك بهن الناس وساحدثك منهن بثلاث ولا احدثك بالثنتين فقال هات
الثنتين فقال هما اللتان لا تكذباني ولا تخلفاني وهما اهلك الناس الحسد والحرص

صح في الاصل اهلك باهلك واظن انه بغير خط المحقق والله اعلم

وبالحسد لعنت وجعلت شيطانا رجيما وبالحرص ابيح لادم الجنة فاصبت حاجتي
منه بالحرص فهما بابان عظيمان من ابواب الشيطان اجارنا الله عز وجل منه قال
الماوردي في ادب الدين والدنيا الحرص يسلب فضائل النفس لاستيلائه عليها
ويمنع من التوفر على العبادة لتشاغله عنها ويبعث على التورط في الشبهات لقلة
تحرزه منها وهذه ثلاث خلال هن جامعات الرذائل وسالبات الفضائل مع ان
الحريص لا يستزيد بحرصه زيادة على رزقه سوى اذلال نفسه واسخاط خالقه
عز وجل وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال الحريص الجاهد والقنع الزاهد
يستوفيان اكلهما غير منتقص منه شيا فعلام التهافت في النار وقال بعض الحكماء
الحرص مفسدة للدين والمروة والله ما عرفت من وجه رجل حرصا فرايت ان فيه
مصطنعا وقال اخر الحريص اسير مهانة لا يفك اسره وقال بعض البلغاء
المقادير الغالبة لا تنال بالمغالبة والارزاق المكتوبة لا تنال بالشدة
والمكالبة فذلل للمقادير واعلم بانك غير نائل بالحرص غير حظك وقال اخر
حظ ادركه غير طالبه ودر احرزه غير جالبه قال وانشدني بعض اهل الادب
لمحمد بن حازم • يا اسير الطمع الكاذب في غل الهوان ه
ان عز الياس خير • لك من ذل الاماني ه ساعد الدهر اذا عز • وخذ صفو الزمان ه
• ربما اعدم ذو الحرص واثرى ذو التواني ه وليس للحريص غاية مقصودة
يقف عندها ولا نهاية محدودة يقتنع بها وقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه
قال يشيب ابن ادم ويبقى معه خصلتان الحرص وطول الامل وقيل للمسيح عليه
الصلاة والسلام ما بال المشايخ احرص على الدنيا من الشباب فقال لانهم ذاقوا من طعم

الدنيا

من مجزو الرمل ه

الدنيا ما لم يذقه الشباب وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال اقتصدوا في الطلب
فان ما رزقتموه لا شطط لكم منكم اليه وما حرمتموه فلن تنالوه ولو حرصتم انتهى
وغلبة الشهوة اي شهوة البطن وشهوة الفرج **وسبب** اي موجد الاسباب
هي **لمضار الدنيا والاخرة** لان شهوة البطن وهي حب الاكل بها اخرج ادم
وحوا عليهما السلام من دار القرار الى دار الذل والافتقار اذ نهيا عن الشجرة
فغلبتهما شهواتهما حتى اكلا منها فبدت لهما سواتهما والبطن ينبوع
الشهوات فان شهوة الفرج متولدة منه ويحصل منهما شدة الشبق الى
المنكوحات وشهوة المطعم والمنكح يتبعها شدة الرغبة في المال والجاه اللذين
هما الوسيلة الى التوسع في المطعومات والمنكوحات ثم يتبع استكثار
المال والجاه انواع الرعونات وضروب المنافسات والمحاسدات ومنها
تتولد آفة الريا وغائلة التفاخر والتكاثر والكبريا وذلك داع واي داع الى الحسد
والحقد والعداوة والبغضا ويفضي بصاحبه الى اقتحام البغي والمنكر
م ب والفحشا وكل ذلك ثمرة من سمع اهمال المعدة والله المستعان وايضا
غلبة الشهوة تصير النفس لا تكال مقصودها الا زيادة المال وكثرة المادة
فاذا نازعته الشهوة طلب من المال ما يوصله اليها وليس للشهوات حد متناه فيصير
ذلك ذريعة الى ان ما يطلبه من الزيادة غير متناه ومن لم يتناه طلبه استدام
كده وتعبه ومن استدام به الكد والتعب لم يف التذاذه بنيل شهواته بما
يعانيه من استدامة كده واتعابه مع ما قد لزمه من ذم الانقياد لمغالبة الشهوات
والتعرض لاكتساب التبعات حتى يصير كالبهيمة التي قد انصرف طلبها الى ما تدعو

اليه شهواته فلا تنزجر عنه بعقل ولا تنفك عنه بقناعة وقد روى علي بن ابي طالب رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال من اراد الله عز وجل به خيرا حال بينه وبين شهوته و... وبين قلبه واذا اراد الله عز وجل بعبد شرا وكله الى نفسه وقال الشاعر

وانك ان اعطيت بطنك همه * وفرجك نالا منتهى الذم اجمعا *

جالب لادواء الجسد اي امراضه واسقامه لان سبب الامراض كثرة الاكل وحصول فضلة الاخلاط في المعدة والعروق فان قلت الامراض فيها ثواب وتفتح باب الصبر فاي ضرر ونقص على المومن اذا حصلت له قلت العافية اكثر فائدة للمومن لان المرض يمنع من العبادات ويشوش القلب ويمنع من الذكر والفكر وينغص العيش ويحوج الى الفصد والحجامة والدواء والطبيب وكل ذلك يحتاج الى مؤن وتبعات لا يخلو الانسان فيها بعد التعب عن انواع من المعاصي واقتحام الشبهات وفي الجوع ما يدفع عنه كل ذلك

حكاية

حكي ان الرشيد جمع اربعة اطباء هندي ورومي وعراقي وسوادي فقال ليصف كل واحد منكم الدواء الذي لا داء فيه فقال الهندي الدواء الذي لا داء فيه الاهليلج الاسود وقال الرومي هو حب الرشاد الابيض وقال العراقي هو الماء الحار وقال السوادي وكان اعلمهم الاهليلج الاسود يعفص المعدة وهذا داء وحب الرشاد يرقق المعدة وهذا داء والماء الحار يرخي المعدة وهذا داء قالوا فما عندك قال الدواء الذي لا داء فيه عندي ان لا تاكل الطعام حتى تشتهيه وان ترفع يدك عنه وانت تشتهيه فقالوا صدق وذكر لبعض الفلاسفة من اطباء اهل الكتاب قول النبي صلى الله عليه وسلم ثلث طعام وثلث شراب وثلث

نفس

نفس فتعجب منه وقال ما سمعت كلاما في قدر الاكل احكم من هذا وانه لكلام حكيم وقال صلى الله عليه وسلم البطنة اصل الداء والحمية اصل الدواء وعودوا كل بدن ما اعتاد ولعمري ان هذا الكلام لو سمعه ذلك الطبيب لعجب منه اكثر من عجبه من ذلك الخبر وقال بعض افاضل الاطباء في ذم الاستكثار من الاكل ان انفع ما ادخل الانسان معدته الرمان واضر ما ادخل اليها المالح ولان يقلل من المالح خير له من ان يستكثر من الرمان وفي الخبر المشهور صوموا تصحوا **وخثارة النفس** في القاموس خثرت نفسه غثت واختلطت انتهى وضبط في نسخة معتمدة خثر على زنة حسن ومصدره خثارة على زنة كفالة وضلالة وفي الحديث اصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو خاثر النفس اي ثقيل النفس غير طيب ولا نشيط ومنه الحديث قال يا ام سليم ما لي ارى ابنك خاثر النفس قالت ماتت صعوته **وامتلاء الدماغ** اي من الابخرة الكثيفة وذلك يذهب صفاء القلب وانفاذ الروية ونفاذ البصيرة فان الشبع يورث البلادة ويعمي القلب ويكثر البخار في الدماغ كشبه السكر حتى يحتوي على معادن الفكر فيثقل القلب بسببه عن الجريان في الافكار وعن سرعة الادراك بل الصبي اذا اكثر الاكل بطل حفظه وفسد ذهنه وصار بطيء الفهم **وقلته** اي قلة الاكل **دليل على القناعة** لان من تعود قلة الاكل كفاه من المال قدر يسير والذي تعود الشبع صار بطنه غريما له ملازما ياخذ بمخنقه كل يوم فيقول ماذا اكل اليوم فيحتاج الى ان يكتسب من الحرام فيعصي او من الحلال فيذل ويتعب وربما احتاج الى ان يمد عين الطمع الى الخلق وهو غاية الذل والعناء والمومن خفيف المؤنة وبالجملة

انفع ما دخل المعدة الرمان واضر ما يدخلها المالح هـ

نهاية

قوله وقلته يجوز نصبه ورفعه فتامل هـ

سبب هلاك الناس حرصهم على الدنيا وسبب حرصهم الفرج والبطن وسبب
الشهوة في الفرج شهوة البطن وفي تقليل الاكل ما يحسم هذه الابواب كلها وهي
ابواب النار وفي حسمها فتح ابواب الجنة فقد قال النبي صلى الله عليه وسلم اديموا قرع
باب الجنة بالجوع فمن قنع برغيف في كل يوم قنع في سائر الشهوات ايضا وصار
حرا واستغنى عن الناس واستراح من التعب وتخلى لعبادة ربه عز وجل
وتجارة الاخرة فيكون من رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله عز وجل فانه
انما لا تلهيهم لاستغنائهم عنها بالقناعة بخلاف المحتاج فانها تلهيه لا محالة
وملك النفس معطوف على القناعة **وقمع الشهوة** معطوف على القناعة ايضا
اي قمع شهوة المعاصي وهذه من كبار فوائد الجوع وهي قمع شهوات المعاصي كلها
وملك النفس الامارة عنها فان منشا المعاصي كلها الشهوات والقوى ومادة
القوى والشهوات الاطعمة فتقليلها يضعف كل شهوة وقوة وانما السعادة
كلها في ان يملك الانسان نفسه والشقاوة في ان تملكه نفسه وكما انك لا تملك
الدابة الجموح الا بضعف الجوع فاذا شبعت قويت وشردت وجمحت
فكذلك النفس قال ذو النون ما شبعت قط الا عصيت او هممت بمعصية
وقالت عائشة رضي الله عنها اول بدعة حدثت بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم
الشبع ان القوم لما شبعت بطونهم جمحت بهم نفوسهم الى الدنيا وقوله **مسبب**
للصحة اي موجد لاسباب الصحة واسبابها خلو المعدة من الاخلاط الرديئة الناشئة
من كثرة الطعام المقتضية لفساده **وصفاء الخاطر وحدة الذهن** وهما من اعظم
آلات المومن لادراك حقائق الايمان فان دين الاسلام عمود امره الفكر وادراك

العقليات

العقليات التي اتى بها رسول الله صلى الله عليه وسلم وايضا المقصود من المومن
العبادة والمقصود من العبادة المناجاة ولا يتهيأ المومن لادراك لذة المناجاة
الا بصفاء الخاطر وحدة الذهن والا فكم من ذكر يجري على اللسان مع عدم حضور
القلب والقلب لا يلتذ به ولا يتاثر منه حتى كان بينه وبينه حجابا من قسوة
القلب وقد يصفو في بعض الاحيان فيلتذ بالذكر وخلو المعدة هو السبب
الاظهر في ذلك قال ابو سليمان الداراني احلى ما تكون العبادة اذا التصق البطن
في الظهر وقال الجنيد يجعل احدكم بينه وبين قلبه مخلاة من الطعام ويريد ان
يجد حلاوة المناجاة وقال ابو سليمان القلب اذا جاع وعطش صفا ورق
واذا شبع وروي عمي فاذا خلت المعدة من الطعام صفا القلب والذهن
ويكون ذلك سببا لاقتناص المعارف الربانية **كما ان كثرة النوم دليل على**
الفسولة وهي الفتور في الامر وعدم الهمة فيه وفي الحديث لعن الله المفسلة
وهي التي اذا طلبها زوجها للوطء قالت اني حائض وليست بحائض فتفسل
الرجل عنها وتفتر نشاطه من الفسولة وهي الفتور كذا في النهاية وفي
القاموس الفسل الرذل من الرجال الذي لا مروة له وعندي ان ما قاله في
النهاية انسب بما هنا فان كثرة النوم دليل على الكسل والفتور والرذالة
صفة ذميمة جدا **والضعف** اي ضعف القوى الادراكية **وعدم الذكاء**
معطوف على الفسولة والذكاء سرعة الفطنة فعطف قوله **والفطنة** عليه من
باب الترقي في المذمة لان الذكاء اخص من الفطنة ونفي الاعم ارقى في المذمة من
نفي الاخص لانه يلزم من نفي الاعم نفي الاخص ولا عكس **ومسبب للكسل**

وفي النهاية عقب ما نقله ان رجلا
وفي حديث حذيفة اشترى ناقة
من رجلين وشرط لهما من النقد
رضاهما فاخرج لهما كيسا فافسلا
عليه ثم اخرج كيسا فافسلا
عليه اي ارذلا وبقيا منه الرديء
واصله من الفسل وهو
الرذل من كل شيء يقال فسله
وافسله انتهى

وعادة العجز وتضييع العمر في غير نفع وقساوة القلب وغفلته وموته
والشاهد على هذا اي الدليل عليه المثبت لمضمونه مايعلم ضرورة ويوجد
مشاهدة وينقل متواترا من كلام الامم المتقدمة والحكما السالفين
واشعار العرب واخبارها وصحيح الحديث واثار من سلف وخلف مما لا
يحتاج الى الاستشهاد عليه اختصارا واقتصارا على اشتهار العلم به
قد اقام المصنف على مذمة كثرة الاكل ومدحة قلته ومذمة كثرة النوم ومدح قلته
الذي هو مدعاه اولا شواهد كثيرة الشاهد الاول العلم الضروري
وحيث كان العلم بهذين المدعيين ضروريا فلا يحتاج الى شاهد لان الضروري
يشترك في العلم به من ليس اهلا للنظر ويدركه البله والصبيان لكن سماه شاهدا
على طريق التشبيه اي يشبه الشاهد الذي يورد على النظريات والا فالضروري
يسمى ما يثبته تنبيها لا شاهدا ولقائل ان يقول لا نسلم ان العلم بذلك ضروري
لانه ربما يتبادر للنفس ان تقول لا اسلم ان للجوع والسهر هذا الفضل الجسيم
فمن اين ثبت له هذا الفضل وما سببه وليس في الجوع الا ايلام المعدة ومقاساة
الاذى وليس في قلة النوم الا انهاك البدن فان كان كذلك فينبغي ان يعظم الفضل في
كل ما يتاذى به الانسان كضربه نفسه بالعصا وقطعه لحمه وتناوله الاشياء
المكروهة وما يجري مجراها ولو كان العلم به ضروريا لما احتجنا الى دليل يقطع هذه
الشبهة فانا نجيب عن شبهة هذا المتوهم بان نقول ان قولك هذا ايضا هو قول
من شرب دواء فانتفع به فظن ان منفعته لمرارته وكراهة مذاقه فاخذ يتناول
كل ما هو مر كريه المذاق وذلك غلط بل نفعه في خاصية هذا الدواء وليس لكونه مرا

ولا يقف على تلك الخاصية الا الاطبا المهرة ولكن نقول لعل المصنف اراد بكونه ضروريا
انه واضح وضوح الضروري ظاهر ظهور البديهي فاطلق عليه الضروري ادعاء
او يقال رب شي يكون ضروريا عند قوم نظريا عند اخرين والا فقد قال حجة
الاسلام ابو حامد الغزالي لا يقف على علة نفع الجوع الا سماسرة العلماء
الثاني ما يوجد مشاهدة اراد بالمشاهدة ما يعم الادراك البصري
والوجدان فان منفعة الجوع يدرك بعضها بالحواس وبعضها بالوجدان كصفا
القلب واتقاد القريحة فانهما من فوائد الجوع ولا يدركان بالحواس الظاهرة
الثالث ما تواتر عن الامم الماضين والحكما والمراد بهم قوم ادركوا الحقائق على زعمهم
بمجرد عقولهم من غير استناد الى كلام نبي ولا تقيد بشرع وكلام الشعرا وكلام سيد
العقلا في الاحاديث الصحيحة ومقصود المصنف بذلك انه قد اتفقت كلمة
اهل العقل على فضل هذين الشيئين وكان اللائق بالمصنف ان لا يعول على
مقالة احد غير مقالة سيد المرسلين فان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يرضى
للمؤمن بانه صلى الله عليه وسلم اذا قال شيا ان يكون معوله على غير قوله الا ترى الى
قصة عمر بن الخطاب رضي الله عنه لما نظر الى التوراة ظهر في وجه النبي صلى الله عليه
وسلم الغضب ثم قال لو راني موسى عليه الصلاة والسلام ما وسعه غير اتباعي
ثم ان مراد المصنف بكون ذلك تواتر مع ان بعض ما ورد في ذلك بل كله ليس
متواترا التواتر المعنوي والحاصل فقد اخرج الترمذي وابن ماجه والبيهقي
كلهم من رواية يحيى البكاء عن ابن عمر رضي الله عنهما قال تجشى رجل عند النبي صلى
الله عليه وسلم فقال كف عنا جشاك فان اكثرهم شبعا في الدنيا اطولهم جوعا يوم

بلغ قابلا

القيمة قال الترمذي حديث حسن واخرج الطبراني باسناد حسن عن ابن عباس
رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان اهل الشبع في الدنيا هم اهل
الجوع غدا في الاخرة وروى عن عطية بن عامر الجهني قال سمعت سلمان رضي الله عنه
واكره على طعام ياكله فقال حسبي اني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول ان اكثر الناس شبعا في الدنيا اطولهم جوعا يوم القيمة وعن جعدة رضي الله
عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم راى رجلا عظيم البطن فقال باصبعه لو كان
هذا في غير هذا لكان خيرا لك وعن ابي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال ليوتين يوم القيمة بالعظيم البطن الاكول الشروب فلا يزن عند الله
عز وجل جناح بعوضة اقرؤوا ان شئتم فلا نقيم لهم يوم القيمة وزنا رواه البيهقي
وهو في الصحيحين باختصار قال صلى الله عليه وسلم انه لياتي الرجل العظيم السمين
يوم القيمة فلا يزن عند الله عز وجل جناح بعوضة وروى عن ابي بجير وكان من
اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم قال اصاب النبي صلى الله عليه وسلم جوع يوما فعمد الى
حجر فوضعه على بطنه ثم قال الا رب نفس طاعمة ناعمة في الدنيا جائعة عارية يوم
القيمة الا رب مكرم لنفسه وهو لها مهين الا رب مهين لنفسه وهو لها مكرم رواه
ابن ابي الدنيا وعن اللجلاج رضي الله عنه قال ما ملات بطني منذ اسلمت مع
رسول الله صلى الله عليه وسلم اكل حسبي واشرب حسبي يعني قوتي رواه الطبراني
والبيهقي وزاد فكان قد عاش مائة وعشرين سنة خمسين في الجاهلية
وسبعين في الاسلام وعن عائشة رضي الله عنها قالت راني رسول الله صلى الله
عليه وسلم وقد اكلت في اليوم مرتين فقال يا عائشة الا تحبين ان لا يكون لك شغل

الاجوفكر

الا جوفك الاكل في اليوم مرتين من الاسراف والله عز وجل لا يحب المسرفين
رواه البيهقي وروى عن انس رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم من الاسراف ان تاكل كلما اشتهيت رواه ابن ماجة وابن ابي الدنيا
في كتاب الجوع والبيهقي وقد صحح الحاكم اسناده لمتن غير هذا وحسنه غيره
وروى مالك عن يحيى بن سعيد القطان ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه ادرك
جابر بن عبد الله رضي الله عنهما ومعه حامل لحم فقال عمر رضي الله عنه اما يريد
احدكم ان يطوي بطنه لجاره وابن عمه فاين تذهب عنكم هذه الاية اذهبتم
طيباتكم في حياتكم الدنيا واستمتعتم بها قال الحليمي في شعب الايمان وهذا
الوعيد وان كان من الله عز وجل للكفار الذين يقدمون على الطيبات
المحظورة ولذلك قال فاليوم تجزون عذاب الهون فقد يخشى مثله على
المنهمكين في الطيبات المباحة لان من تعودها مالت نفسه الى الدنيا
فلم يومن ان يرتبك في الشهوات والملاذ كلما اجاب نفسه الى واحدة منها
دعته الى غيرها ويصير الى ان لا يمكنه عصيان نفسه في هوى قط وينسد باب ينسد
العبادة دونه فاذا آل به الامر الى هذا لم يبعد ان يقال اذهبتم طيباتكم في حياتكم لم
الدنيا واستمتعتم بها فاليوم تجزون عذاب الهون فلا ينبغي ان يعود النفس ما
تميل به الى الشره فيصعب تداركها وليرض من اول الامر على السداد فان ذلك
اهون من ان يتدرب على الفساد ثم يجتهد في اعادتها الى الصلاح والله اعلم
واما ما ورد عن سيد المخلوقين من مذمة طول النوم وكثرته فمنه ما صح عن
ابن مسعود قال ذكر عند النبي صلى الله عليه وسلم رجل نام ليلة حتى اصبح قال ذاك رجل

بال الشيطان في اذنيه او قال في اذنه وزاد في اخره قال الحسن ان بوله والله لثقيل
رواه الشيخان والنسائي وابن ماجه ورواه احمد بن حنبل رضي الله عنه وقد
قيل ان هذا الذي بال الشيطان في اذنه هو عبد الله بن مسعود رضي الله عنه وكان
رضي الله عنه يقول عن نفسه لقد بال الشيطان في اذن صاحبكم الليلة يعني نفسه
وقال سفيان ان نومه كان عن الفريضة اخرجه ابن حبان في صحيحه وقال
القرطبي لا مانع من ان يكون بوله على حقيقته ولا احالة في ذلك لانه ثبت ان الشيطان
ياكل ويشرب وينكح فلا مانع من ان يبول واقول انما بال الشيطان في اذن هذا
النائم من باب الشماتة به والاستهزاء كانه يقول له انظر كيف سمعت مني حتى
فاتت منك السعادة وضيعت ثوابا دائما بنومة جزئية فتبا لك ولا تستحق
الا ان تكون مرحاضا يبال في اشرف عضو منك كما هو ديدنه اجارنا الله منه اذ
يقول للانسان اكفر فلما كفر قال اني بريء منك اني اخاف الله رب العالمين واما
قول بعض العلماء ان بوله كناية عن سد اذن النائم حتى لا يسمع الذكر وكذا قول
اخرين انه كناية عن استيلائه عليه واستخفافه حتى ملا اذنيه من سماع
الاباطيل فحجب سمعه عن الذكر فكل ذلك لا يعول عليه الا عند تعذر الحقيقة والحقيقة
هنا ممكنة وقوله انما يقع بعد تمكنه منه وطلوع الشمس عليه من غير صلاة
فان قلت الاوفق بحال النائم ان يبول الشيطان في عينيه لانهما معدن النوم
قلت بل معدن النوم الدماغ والاذن باب مفتوح يوصل الى الدماغ وانما خص
البول دون غيره من فضلاته الخبيثة لانه لا شيء في الفضلات اخبث من
البول الا الغائط وهو لا ينفذ نفوذ البول فالبول اسرع نفوذا الى الدماغ

الذي

الذي هو معدن النوم على ان الشيطان ليس مقصوده بالبول حمله على النوم لانه
لا يبول في اذنه الا بعد قضاء وطره منه بان يجلس عنده النوم حتى اذا اصبح بال
في اذنيه بل مقصوده مجرد السخرية به حيث جره نومه الى تفويت ثواب عظيم
وتمام السخرية به ان يصل بوله الى الدماغ واسرع شيء في الانسان يصل الى
دماغه اذناه والعين وان كان لها وصول الى الدماغ الا انه بطيء لضيق
منافذها الموصلة الى الدماغ وفي الصحيحين عن ابي هريرة رضي الله عنه ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال يعقد الشيطان على قافية راس احدكم اذا هو نام
ثلاث عقد يضرب كل عقدة عليك ليل طويل فارقد فان استيقظ فذكر
الله عز وجل انحلت عقدة فان توضا انحلت عقدة فان صلى انحلت عقده فاصبح
نشيطا طيب النفس والا اصبح خبيث النفس كسلان فهذا يدل على
تمكن الشيطان ممن يطيل النوم وقضيته هذا الحديث ان عقد الشيطان
يحصل لمن صلى ولمن لم يصل الا انه اذا صلى لا يبقى العقد واذا لم يصل
دام العقد والمراد بنومه نومه عن صلاة العشاء فان نام قبل ان يصليها
وليس المراد بالصلاة صلاة الليل لان هذا الوعيد يقتضي الوجوب وفي
الحديث من صلى العشاء في جماعة كان كمن قام الليل والمراد بالشيطان الشيطان
الموكل بالانسان وهو القرين الحامل للانسان على التقصير في الطاعات
ويمكن ان يراد به ابليس وان له من القوة ما يقدر على ان يفعل ذلك بكل
نائم والمراد باحدكم كل احد لانه اسم جنس اضيف فافاد العموم لكن خص
منه من حفظ من الشيطان للعصمة كالانبياء وللتفضل كالاولياء اوكونه

قراية الكرسي عند منامه فقد ثبت انه يحفظ من الشيطان حتى يصبح ويمكن ان
يقال بدخول من يقراها تحت افراد احدكم بان الحديث في اية الكرسي ورد بلفظ
لا يقربه شيطان وهذا الحديث يقتضي انه يعقد على قافية راسه اي بسحره
فيجوز ان يسحره ولا يقرب منه والمراد من العقد السحر والمعقود قيل هو شعر
النام وقيل غيره وهو الاقرب وفي كلام الملوي ان العقد يقع على خزانة
الالهيات من الحافظ وهي الكر المحصل من القوى ومنها يتناول القلب ما يريد
التذكر به وكان النبي صلى الله عليه وسلم قد اخذ من هذين الغذين اي النوعين وهما
قلة الاكل وقلة النام بالاقل عدي اخذ بالبا مع انه متعد بنفسه باعتبار
تضمينه معنى تلبس واتصف فكان اكله صلى الله عليه وسلم اقل من اكل غيره
ونومه كذلك اما الاول ففي الصحيحين بسندهما عن انس رضي الله عنه قال كان
النبي صلى الله عليه وسلم يصوم اذا صام حتى يقول القايل لا والله لا يفطر ويفطر حتى
يقول القايل لا والله لا يصوم وفيهما عن ابن عباس رضي الله عنهما قال كان رسول
الله صلى الله عليه وسلم يصوم حتى نقول لا يريد ان يفطر ويفطر حتى نقول ما يريد ان
يصوم وما صام شهرا متتابعا غير رمضان منذ قدم المدينة وفي صحيح
مسلم عن ابي هريرة رضي الله عنه قال نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن الوصال
فقال رجل من المسلمين يا رسول الله انك تواصل فقال صلى الله عليه وسلم وايكم
مثلي اني ابيت يطعمني ربي ويسقيني فلما ابوا عن الوصال واصل بهم يوما
ثم يوما ثم راوا الهلال فقال لو تاخر الشهر لزدتكم كالمنكل لهم حين ابوا ان
ينتهوا وفي صحيح مسلم ايضا عن عايشة رضي الله عنها قالت نهاهم النبي صلى الله عليه وسلم

عن

عن الوصال رحمة لهم قالوا انك تواصل قال اني لست كهيئتكم اني ابيت
يطعمني ربي ويسقيني وسياتي من المصنف ومنا في بحث زهده صلى الله
عليه وسلم من ذلك ما فيه كفاية ان شا الله عز وجل وكذا سياتي في فصل خوفه من ربه
عز وجل وشدة عبادته صلى الله عليه وسلم من ذلك شي كثير ان شا الله تعالى واما
الثاني فيعلم من قيامه بالليل وتهجده وتركه للنام مما يذكر في بحث شدة عبادته
منا ومن المصنف هذا مما لا يدفع من سيرته وهو الذي امر به وحض عليه
الحض على الشي بالضاد المعجمة وهو الحث على الشي يقال حضه وحضضه
والاسم الحضيضى بالكسر والتشديد والقصر وفي الحديث فاين الحضيضا
لا سيما بارتباط احدهما بالاخر قد استعمل المصنف لا سيما على خلاف ما جا في قوله
الا رب يوم صالح لك منهما ولا سيما يوم بدارة جلجل فان ثعلب
قال من استعمل كلمة لا سيما على خلاف ما جا في هذا البيت فهو مخطي ومشى على
ذلك صاحب التسهيل وذكر غيرهما انه قد تخفف وقد تحذف الواو كما فعل المصنف
وكقول الشاعر وبالعقود وبالايمان لا سيما عقد وفا به من اعظم القرب
ولا سيما منصوب على انه حال عند الفارسي ورد عليه بان الحال اذا كانت
مفردة لا تقارن الواو ولوجب فيها تكرار لا ولا سيما تقارن الواو ولا تجب
فيها تكرار لا وقال غيره هو اسم لا التبرئة فان قلت اذا كانت هنا حالا فما
العامل فيها قلت العامل فيها حض واما صاحب الحال فهو الضمير المجرور
في عليه والتقدير حض عليه حال كونه لا يماثل حضا بسبب ارتباط احدهما بالاخر
ومدخول لا سيما في عبارة المصنف محذوف والتقدير لا سيما حض بارتباط

من النهاية

ترسم بالياء هكذا الحضيضى لان الالف اذا وقعت رابعة فصاعدا ترسم ياء

مطلب في الكلام على لا سيما

احدهما بالاخر ومدخول وذلك الاسم الواقع بعدها يجوز فيه ثلاثة اوجه
جر ورفع مطلقا ونصبه اذا كان نكرة فالجر وهو الارجح على الاضافة
اي اضافة سي اليه وما زائدة مثلها في قوله عز وجل ايما الاجلين قضيت
والرفع على انه خبر مبتدا محذوف وما موصولة والمبتدا وخبره صلتها
والتقدير ولا مثل الذي هو يوم ونصبه على التمييز اذا كان نكرة وعلى الاستثنا
المنقطع اذا كان معرفة حدثنا ابو علي الصدفي الحافظ هو ابن سكرة
وهو منسوب الى الصدف قرية قرب القيروان بقراتي عليه انما نص على
كونه حدثه بقراته عليه لكون القراة دون السماع من لفظ الشيخ في المرتبة
وقد كان بعض السلف لا يعتدون الا بما سمعوه من الفاظ المشايخ دون
ما يقرا عليهم ولهذا بوب البخاري على جوازه واورد فيه قول الحسن البصري
لا باس بالقراة على العالم ثم اسنده اليه بعد ان علقه ولذا روى عن سفيان
الثوري ومالك انهما سويا بين السماع من العالم والقراة عليه وروى
الحاكم في علوم الحديث من طريق مطر قال سمعت مالكا سبع عشرة سنة
فما رايته قرا الموطا على احد بل يقرون عليه وقال سمعته يابى اشد الابا على من يقول
لا يجزيه الا السماع من لفظ الشيخ ويقول كيف لا يجزيك هذا في الحديث ويجزيك في
القران والقران اعظم لكن قال حافظ العصر شهاب الدين احمد بن حجر في شرح
البخاري قد انقرض الخلاف في كون القراة على الشيخ لا تجزي انما كان يقوله بعض
المتشددين من اهل العراق فروى الخطيب عن ابرهيم بن سعد قال الا تدعون
تنطعكم يا اهل العراق العرض مثل السماع وقد قال بعضهم ان القراة على الشيخ ارفع

من

من السماع من لفظه قال حدثنا ابو الفضل الاصبهاني هذا ابن خيرون والاصبهاني
بفتح الهمزة وكسرها والفتح اشهر وبالبا والفا قال ابن عرفول قيدناه بالفتح عن
جميع شيوخنا قال وقيدها ابو عبيد البكري بالكسر قال واهل المشرق يقولون
اصفهان بالفا واهل المغرب بالبا وهي مدينة عظيمة قال حدثنا ابو نعيم الحافظ
هذا هو الحافظ الكبير محدث العصر ابو نعيم احمد بن عبد الله بن احمد بن اسحق بن
موسى بن مهران الاصبهاني الصوفي الاحول سبط الزاهد محمد بن يوسف البنا
ولد سنة ست وثلاثين وثلثمائة له مصنفات كثيرة توفي في المحرم سنة ثلاثين
واربعمائة وله اربع وتسعون سنة قال حدثنا سليمان بن احمد هو الامام
الحافظ الكبير الثبت مسند الدنيا ابو القاسم سليمان بن احمد بن ايوب بن مطير
اللخمي الشامي ولد بعكا في صفر سنة ستين ومايتين واعتنى به ابوه فرحل به
في حداثته وسمع في سنة ثلاث وسبعين وبعدها بمداين الشام والحرمين
واليمن ومصر وبغداد والكوفة والبصرة واصبهان والجزيرة وغير ذلك وحدث
عن اكثر من الف شيخ وصنف المعجم الكبير ولم يذكر فيه مسند ابي هريرة
رضي الله عنه لانه افرده بالتاليف فاستغنى بذلك والمعجم الاوسط وهو
كتاب جليل تعب عليه وكان يقول هو روحي والمعجم الصغير يذكر فيه عن كل شيخ
حديثا وله مصنفات كثيرة مفيدة توفي لليلتين بقيتا من ذي القعدة سنة
ستين وثلثمائة وله مائة سنة وعشرة اشهر قال حدثنا بكر بن سهل هو بكر
ابن سهل الدمياطي ابو محمد مولى بني هاشم يروي عن عبد الله بن يوسف كاتب
الليث وطائفة ويروي عنه الطحاوي وغيره توفي سنة تسع وثمانين ومايتين

ترجمة الحافظ
ابي نعيم
ه

ترجمة
الحافظ الكبير
ابن مطير اللخمي
ه

عن نيف وتسعين سنة حمل عنه الناس قال حدثنا عبد الله بن صالح هو ابو صالح
الجهني مولاهم كاتب الليث على اقواله يروي عن معاوية بن صالح وموسى بن علي
ويروي عنه البخاري في التاريخ والاصح انه روى عنه في الصحيح كذا قاله الذهبي
في الكاشف وفي التهذيب وعنه البخاري والترمذي واستشهد به في الصحيح
وقيل انه روى عنه في الصحيح ايضا قال ابو زرعة في حقه كان حسن الحديث لم
يكن ممن يكذب توفي سنة ثلاث وعشرين ومائتين وعمره ست وثمانون سنة
قال حدثنا معوية بن صالح هو الحضرمي الحمصي قاضي الاندلس يروي عن مكحول
وعبد الرحمن بن جبير واسد بن سعد وهو امام صدوق مات سنة ثمان
وخمسين ومائة ان يحيى بن جابر حدثه هو يحيى بن جابر الطائي قاضي حمص
صدوق مات سنة ست وعشرين ومائة عن المقدام بن معدي كرب هو المقدام
ابن معدي كرب بن عمرو ابو كريمة الكندي صحابي نزل حمص مات سنة سبع
وثمانين ومائة ومعنى معدي كرب وجه الفلاح ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال ما ملا ابن ادم وعاء هو شيء يدخل فيه شيء اخر يقال اوعيت الشيء في
الوعاء اذا ادخلته فيه شرا من بطنه شرا اسم تفضيل ومن هي الداخلة بعد اسم
التفضيل على المفضل عليه فان قلت لا يلزم من نفي المفضل نفي المساوي
فيجوز ان يوجد ما يساوي البطن في الشر مع ان مراد النبي صلى الله عليه وسلم
نفي المساوي ايضا قلت هذه عبارة تستعمل عرفا في نفي المساوي ايضا كقول
ما احد اكرم على الله عز وجل من محمد صلى الله عليه وسلم اي لا احد يساوي محمدا في
الكرامة ولا يزيد عليه فيها حسب ابن ادم اي كفايته ويجوز ان يكون حسب مصدرا
المتكلم

بمعنى

اخر هذا التاريخ وكان مام زائد ه

بمعنى اسم الفاعل اي كافيه وفي بعض روايات هذا الحديث بحسب بزيادة الباء اكلات
جمع اكلة بضم الهمزة وسكون الكاف وفي القاموس الاكلة اي بفتح الهمزة المرة
وبالضم اللقمة والجمع كصرد انتهى ولم يجوز صاحب القاموس في هذا الجمع سوى جعله
كصرد فقول الجاني انه بضم الهمزة والكاف معا مردود وفي الحديث ما زالت اكلة
خيبر تعادني بضم الهمزة لانه صلى الله عليه وسلم اكل من الشاة المسمومة لقمة
واحدة يقمن صلبه اي يذهبن عن صلبه الخنا الضعف اي لا يبقى في صلبه
ضعف وانما خص الصلب بالذكر لانه عمود البدن وقوة استقامة البدن تظهر
منه فاذا قوي استقام البدن وكان بدن الانسان مستقيما ويكفي في قوام
الصلب لقم يسيرة فان كان لا محالة اسم كان ضمير يرجع الى ابن ادم ولا محالة هي
لا التبرئة ومحالة اسمها وخبرها محذوف اي موجودة اي فان كان ابن ادم لا بد
له من الاكل كانه يعجز عن الاقتصار على لقم قليلة ولفظة محالة قد وقعت في
قول قيس بن ساعدة • ايقنت اني لا محالة حيث صار القوم صائر ه
اي لا حيلة ويجوز ان يكون من الحول وهو القوة او الحركة وهي مفعلة منهما قال
في النهاية الاثيرية واكثر ما تستعمل لا محالة بمعنى اليقين والحقيقة او بمعنى
لا بد والميم زائدة انتهى وهي هنا بمعنى لا بد اي لا غنى له عن الاكل فثلث من
معدته لطعامه وثلث منها لشرابه وثلث لنفسه وفي رواية من هذا
الحديث للذكر لكن الظاهر انه قال في صدر الحديث حسب المسلم او يراد
بابن ادم صنف مخصوص منهم وهم المومنون لانهم ارباب الذكر المعتد به
وقد بين صلى الله عليه وسلم في هذا الحديث درجات تقليل الطعام وما ينبغي ان

من بحر الكامل ه المرفل ه

اي ثلث ... روي وثلث للذكر ه

لا يمنع المومن عن الاتصاف به وهي ثلاث درجات يوخذ من هذا المقال
الاولى ــــــــ وهي اقصى الدرجات ان ياكل قدر القوام الذي لا يبقى
دونه وهي عادة الصديقين وهو اختيار سهل بن عبد الله التستري رضي
الله عنه والثانية ان ياكل في اليوم والليلة مدا ونصف مد وهذا هو
مقدار ثلث البطن في حق الاكثر من الناس كما ذكره رسول الله صلى الله عليه وسلم
وهو فوق اللقيمات لان هذه الصيغة في الجمع للقلة فهي لما دون العشرة
وكان ذلك عادة عمر رضي الله عنه اذ كان ياكل سبع لقم تسع لقم الثالثة
ان ياكل رغيفين ونصفا وهذا يزيد على ثلث البطن ويبقى ثلثه للشراب
ولا يبقى شي للذكر فهذه المراتب الثلاث يحمد المتصف بها وادناها المرتبة
الثالثة وان خرج عن ذلك الى ان زاد على المد او وصل الى المن كان اسرافا
مخالفا لنهي الله عز وجل حيث قال سبحانه ولا تسرفوا ينبغي ههنا ان يتاخر لكنه
موضع غلط وهو ان ياكل اذا صدق جوعه ويقبض يديه وهو على شهوة
صادقة بعد لكن يحتاج الى معرفة الجوع الصادق ومن علاماته ان النفس لا
تطلب الادم بل تاكل الخبز وحده بشهوة اي خبز كان فمهما طلب خبزا معينا
او طلب ادما فليس ذلك بجوع ومنها ان يبزق فلا يجلس الذباب على بزاقه
لانه يكون حينئذ خاليا من الدسومة فيدل على خلو المعدة ولان كثرة النوم
التي هي مضيعة لحصة كبيرة من العمر في غير فائدة من كثرة الاكل والشرب
سياتي ان السبب القريب في كثرة النوم كثرة شرب الما وقد جعل المصنف
كلا من كثرة الاكل والشرب سببا في كثرة النوم لكن لا يخفى ان كثرة الاكل سبب

السبب

السبب فلها دخل في السببية ويمكن ان يكون كثرة الاكل سببا قريبا في كثرة
النوم بسبب تراحم الابخرة الغليظة في الدماغ فيودي ذلك الى ثقل الدماغ
فيكثر النوم قال سفيان الثوري انما استشهد المصنف بمقالة هذا
الامام لانه كان امام عصره الذي هو من العصور الفاضلة كيف وقد قال
عبد الله بن المبارك ما كتبت عن افضل منه وفضائل الثوري وهو من اقران
مالك وزهده وتقواه اشهر من ان يذكر مات في شعبان سنة احدى وستين
ومائة وعمره اربع وستون سنة بقلة الطعام يملك سهر الليل وقال بعض
السلف لا تاكلوا كثيرا فتشربوا كثيرا فترقدوا كثيرا قال حجة الاسلام
من فوائد قلة الاكل دفع النوم ودوام السهر فان من شبع شرب كثيرا ومن كثر شربه
كثر نومه ولذلك كان بعض الشيوخ يقول لاصحابه عند حضور الطعام معاشر
المريدين لا تاكلوا كثيرا فتشربوا كثيرا فترقدوا كثيرا فتخسروا كثيرا واجمع راي
سبعين صديقا على ان كثرة النوم من كثرة شرب الما وفي كثرة النوم ضياع
العمر وفوت التهجد وبلادة الطبع وقساوة القلب والعمر انفس الجواهر
وهو راس مال العبد فيه يتجر والنوم موت فتكثيره تنقيص من العمر ثم
فضيلة التهجد لا تخفى وفي النوم فواتها ومهما غلب النوم فان تهجد لم يجد
حلاوة العبادة ثم ان المتعزب اذا نام على الشبع احتلم ويمنعه ذلك
من التهجد ويحوجه الى الغسل اما بالما البارد فيتاذى به او يحتاج الى الحمام وربما
لا يقدر عليه بالليل فيفوته الوتر ان كان اخره للتهجد ثم يحتاج الى مونة الحمام وربما
تقع عينه على عورة في دخول الحمام وكل ذلك من اثار الشبع انتهى فان قلت

سفيان الثوري رضي الله عنه

لم كان شرب الماء مولدا للنوم قلت الماء للطف جوهره بمجرد ما يلاقيه
حرارة المعدة يتصاعد بخاره الى الدماغ فيترطب الدماغ ويكثر فيه الرطوبات
فيثقل باشتغاله بابخرة الماء ولا سيما وهو ايضا يلطف قوام الغذا
فيتصاعد معه الجزء الغذائي ايضا فيكثر النوم لذلك واذا قلت الابخرة
طلب البدن النوم الطبيعي وهو قدر يسير يكتفي به البدن فلا يفوت مناهج
السعادة التي اشار اليها حجة الاسلام **وقد روى عنه صلى الله عليه وسلم انه**
كان احب الطعام اليه ما كان على ضفف اي كثرة الايدي ذكروا للضفف
ثلاثة معان الاول ما ذكره المصنف وهو ما كان عن كثرة الايدي اي ما كان
باجتماع الناس يقال ضف القوم على الماء يضفون ضفا وضففا اي اجتمعوا
فمعناه حينئذ لم يكن صلى الله عليه وسلم ياكل وحده ولكن مع الناس وقد جا الحث
على ذلك في عدة احاديث منها ما اخرجه ابو داود وابن ماجه وابن حبان في
صحيحه عن وحشي بن حرب قال قالوا يا رسول الله انا ناكل ولا نشبع قال
تجتمعون على طعامكم او تتفرقون قالوا نتفرق قال اجتمعوا على طعامكم واذكروا
اسم الله عز وجل يبارك لكم فيه وفي سنن ابن ماجه عن عمر بن الخطاب رضي الله
عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كلوا جميعا ولا تتفرقوا فان البركة
مع الجماعة وفي الصحيحين بسندهما عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم طعام الاثنين كافي الثلاثة وطعام الثلاثة كافي الاربعة زاد
مسلم وطعام الاربعة يكفي الثمانية وفي معجم الطبراني الاوسط عن ابن عمر رضي الله
عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كلوا جميعا ولا تتفرقوا فان طعام الواحد

يكفي

يكفي الاثنين وطعام الاثنين يكفي الثمانية فان قلت لم لم يذكر البخاري في صدر
حديثه الذي رواه ان طعام الواحد يكفي الاثنين قلت لان ذلك روي في حديث
رواه مسلم لكنه ليس على شرط البخاري فمن ثم اسقطه لكنه ترجم الباب به وهكذا
عادته اذا كان الحديث صحيحا لم يبلغ شرطه يشير اليه في الترجمة ولا يذكره في معرض
الاحتجاج به على ان الجامع بين هذه الاحاديث قدر مشترك هو ان مطلق الطعام
القليل يكفي الكثير لكن   الضعف وكونه يكفي مثله لا ينبغي ان يكون
دونه نعم كون طعام الواحد يكفي الاثنين يوخذ منه ان طعام الاثنين يكفي الثلاثة
بطريق الاولى بخلاف عكسه يعني ان طعام الواحد الذي يشبعه يكفي اثنين قوتا
وشبع الاثنين قوت للاربعة وفي ذلك حض على الشبع وفي سنن ابن ماجه
من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه طعام الواحد يكفي الاثنين وان طعام
الاثنين يكفي الثلاثة والاربعة وان طعام الاربعة يكفي الخمسة والستة
ويوخذ من ذلك كله ان الكفاية تنشا عن بركة الاجتماع وان الجمع كلما كثر ازدادت
البركة ويدل على ذلك حديث اخرجه البزار تقول فيه ويد الله عز وجل على الجماعة
فان قلت اذا كانت البركة في الجمع فكلما كثر الجمع ازدادت البركة فما بال النبي صلى
الله عليه وسلم في قصة خطيفة ام سليم اي عصيدتها التي صنعتها من الشعير
المذكورة في المعجزات وان النبي صلى الله عليه وسلم جا اليها هو ومن معه من
اصحابه فقال لهم ادخلوا على عشرة عشرة ولم يدخلهم كلهم مع ان البركة في كلهم
اكثر من حصولها في عشرة عشرة قلت لان قصعة ام سليم كانت واحدة
ولا يمكن الجماعة الكثيرة ان يقدروا على التناول منها مع قلة الطعام فجعلهم عشرة

عشرة ليتمكنوا من الاكل ولا يزدحموا ولو كان يسهل اجتماع كلهم لفعل صلى الله
عليه وسلم وكان مزيد البركة في ذلك الثاني من معاني الضفف الضيق
والشدة اي لم يشبع منهما الا عن ضيق وشدة وقلة الثالث ان يكون الاكلة
اكثر من مقدار الطعام والحفف ان تكون الاكلة بمقدار الطعام هذا وان هذا
الحديث اخرجه ابو يعلى عن انس وجابر بسند جيد وعن عائشة رضي الله
عنها لم يمتلئ جوف النبي صلى الله عليه وسلم شبعا قط هذا الحديث مذكور في
الاحيا بغير تخريج وزاد فيه زيادة ففي الاحيا وكانت عائشة رضي الله عنها تقول
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يمتلئ قط شبعا وربما بكيت رحمة له مما
ارى به من الجوع وامسح بطنه الشريف بيدي واقول نفسي لك الفدا لو تبلغت من
الدنيا بقدر ما يقوتك منها ويمنعك من الجوع فيقول يا عائشة اخواني من
اولي العزم من الرسل قد صبروا على ما هو اشد من هذا فمضوا على حالهم فقدموا
على ربهم عز وجل فاكرم مآبهم واجزل ثوابهم واجدني استحيي ان ترفهت
في معيشتي ان يقصر بي دونهم فاصبر اياما يسيرة احب الي من ان ينقص حظي غدا في
الاخرة وما من شيء احب الي من اللحوق باخواني وخلاني قالت فوالله ما استكمل
بعد جمعة حتى قبضه الله عز وجل وقد ذكر المصنف صدره قال الزين العراقي
في تخريج احاديث الاحيا لم اجد هذا الحديث ومقصود المصنف باستشهاده
بهذا الحديث نفي ان يكون النبي صلى الله عليه وسلم شبع وهو معارض لما ثبت في
الاحاديث المتفق على صحتها من انه صلى الله عليه وسلم كان يشبع ويجوع ففي
صحيح البخاري بسنده عن عائشة رضي الله عنها قالت ما شبع آل محمد صلى

الله

قوله منهما الضمير راجع الى
الخبز واللحم المذكورين في الحديث
وهذه عبارة النهاية لانه
اورد الحديث في مادة ضفف
بلفظ فيه انه لم يشبع من
خبز ولحم الا على ضفف
لكنه اورد الحديث في مادة
حفف بلفظ لم يشبع
من طعام الا على حفف
وقال الحفف الضيق وقلة
المعيشة يقال اصابهم حفف
وحفوف وحفت الارض
اذا يبس نباتها اي لم يشبع الا
والحال عنده خلاف الرخاء
والخصب انتهى

الله عليه وسلم وفي رواية الاعمش ما شبع رسول الله صلى الله عليه وسلم منذ قدم
المدينة من طعام بر ثلاث ليال تباعا حتى قبض صلى الله عليه وسلم فخرج
بقولها منذ قدم المدينة ما كان قبل الهجرة وبقولها من طعام بر يخرج
ما عدا ذلك من انواع الماكولات وبقولها ثلاث ليال اي بايامها تباعا يخرج
التفاريق وقولها حتى قبض صريح في استمراره على ذلك مدة اقامته بالمدينة
وهي عشر سنين بما فيها من ايام اسفاره في الغزو والحج والعمرة وقد زاد
ابن سعد في رواية وما رفع من مائدته كسرة خبز حتى قبض وفي الصحيحين عن
عائشة رضي الله عنها ما شبع آل محمد صلى الله عليه وسلم من خبز الشعير يومين
متتابعين حتى قبض وفي صحيح مسلم عن عائشة رضي الله عنها ما شبع
رسول الله صلى الله عليه وسلم من خبز وزيت في يوم واحد مرتين وفي صحيح مسلم
عن عائشة رضي الله عنها ايضا والله ما شبع من خبز ولحم في يوم واحد مرتين
ومن طريق الشعبي عن عائشة رضي الله عنها ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان ياتي عليه اربعة
اشهر ما يشبع من خبز البر وفي صحيح البخاري عن ابي هريرة رضي الله عنه ما
شبع رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثة ايام تباعا من خبز حنطة حتى فارق
الدنيا وفي صحيح مسلم من حديث ابي هريرة رضي الله عنه خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم
من الدنيا ولم يشبع من خبز الشعير في اليوم الواحد غداء وعشاء واخرج ابن سعد
عن سهل بن سعد رضي الله عنه قال ما شبع رسول الله صلى الله عليه وسلم شبعتين
في يوم حتى فارق الدنيا قال الطبري استشكل بعض الناس كون النبي صلى الله
عليه وسلم واصحابه كانوا يطوون الايام جوعا مع ما ثبت من انه كان يرفع

لاهله قوت سنة وانه قسم بين اربعة انفس الف بعير مما افا الله عز وجل
عليه وانه ساق في عمرته مائة بدنة فنحرها واطعمها المساكين وانه امر لاعرابي بقطيع
من الغنم وغير ذلك مع ما كان معه من اصحاب الاموال كابي بكر وعمر رضي الله عنهما
وكعثمان وطلحة مع بذلهم انفسهم واموالهم بين يديه وقد امر بالصدقة فجا ابو بكر
بجميع ماله وعمر بنصف ماله وحث على تجهيز جيش العسرة فجهزهم عثمان رضي
الله عنه بالف بعير الى غير ذلك والجواب ان ذلك منهم في حالة دون حالة لا لعوز وضيق
بل تارة للارشاد وتارة لكراهية الشبع وكثرة الاكل انتهى قال حافظ عصره وعالم
وقته الشهاب احمد بن حجر العسقلاني في فتح الباري وما نفاه مطلقا فيه نظر لما
علم انه يجوع تارة ويشبع تارة وفي صحيح ابن حبان عن عائشة رضي الله عنها
قالت من حدثكم انا كنا نشبع من التمر فقد كذب فلما افتتحت قريظة اصبنا
شيا من التمر وفي حديث ابن عمر لما فتحت خيبر شبعنا من التمر وفي صحيح البخاري
عن عائشة رضي الله عنها قالت توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم حين شبعنا
من التمر قال والحق ان الكثير منهم كانوا في ضيق قبل الهجرة ثم لما هاجروا
الى المدينة كان اكثرهم كذلك فواساهم الانصار رضي الله عنهم بالمنازل والمنائح
فلما فتحت لهم النضير وما بعدها ردوا عليهم منائحهم قال نعم كان النبي صلى الله عليه
وسلم يختار ذلك مع امكان حصول التوسع والتبسط في الدنيا كما اخرج الترمذي
من حديث ابي امامة عرض علي ربي عز وجل ليجعل لي بطحا مكة ذهبا فقلت لا يا رب
اشبع يوما واجوع يوما فاذا جعت تضرعت اليك واذا شبعت شكرتك انتهى
فان قلت هذا الحديث الذي ذكره المصنف يقتضي نفي شبعه مطلقا وما ذكرتم من

الاحاديث

بلغ مع نسخة ابن الحنبلي

من الاحاديث يفهم منه انه كان قد يشبع وهما متناقضان ونقل شيخنا الرضي ابن الحنبلي
عن التجلي قال هذا اي حديث انه صلى الله عليه وسلم ما شبع ثلاثة ايام تباعا من خبز
بر حتى مضى لسبيله يقتضي بفحوى مفهومه انه قد شبع فيما دون ثلاثة ايام وذلك
نقض للحديث الاول وكلاهما صحيح قال فيمكن ان يجمع بينهما بان يقال ان دلالة المفهوم
دلالة ضعيفة لا حجة فيها واحسن من هذا عندي ان يحاول الجمع بينهما بالتفرقة بين
قولها في الحديث الاول لم يمتلئ جوفه شبعا وقولها في الحديث الثاني ما شبع
ثلاثة ايام لان الامتلا صفة زائدة على الشبع هذا كلامه قال شيخنا وتوضيح ما ذكره
من ثاني وجهي الجمع ان امتلا الجوف شبعا امر زائد على نفس الشبع والمثبت بدلالة
المفهوم على تقدير تسليم قوتها هو نفس الشبع والمنفي هو الزيادة عليه لانه مباح
واما هي فمحرمة الا لقصد التقوي على صوم الغد او لئلا يستحي الضيف فلا
ياكل كما ذكر في كتب فروعنا انتهى واقول ـــ قول عائشة رضي الله عنها ما
شبع ثلاثة ايام له فثلاثة ايام في ذلك ظرف والظرف مفهومه قسم من مفهوم
الصفة وان كان بعض الاصوليين جعله قسيما له لكن امام الحرمين من الشافعية
ارجعه اليه قال لان الشي المخصوص بالكون في زمان او مكان موصوف
بالاستقرار فيهما فقول القائل القتال يوم الجمعة اي كائن فيه وهو مفهوم
مخالفة ومفهوم المخالفة عند الاصوليين لا يسمى فحوى الخطاب فان ذلك اسم
لمفهوم الموافقة بل يسمى عندهم دليل الخطاب ثم ان قوله دلالة
المفهوم ضعيفة هي ضعيفة بالنسبة الى المنطوق فلو وجد منطوق يخالفها
لما عولنا عليها وقوله لا حجة فيها غير مسلم عند من يحتج بمفهوم المخالفة وهو

الثنافعي ومالك واحمد رضي الله عنهم وشرط الجواب ان يكون مقتضاه مسلما عند كل
احد والجواب الفارق بين الشبع والامتلا غير صحيح لانا على تقرير تسليمنا الفرق
فمقتضي ما ذكره ان الامتلا اخص من الشبع مطلقا وكل ممتلي شبعان وليس كل
شبعان ممتلئا والمنفي هنا انما هو الامتلا الحاصل من الشبع او المقارن له
والمقيد به لا سيما والنفي متوجه للقيد كما يدل عليه القاعدة الاكثرية فكانه قال
لم يشبع لان شبعا في قولها اما تمييز عن النسبة واما مفعول مطلق واما
مفعول لاجله وعلى كل حال فالنفي متوجه اليه على ان الحق ان بين الامتلا والشبع
عموما من وجه اذ رب شبعان لم يمتلي جوفه ورب ممتلي لم يشبع كما في من تغلب
عليه السوداء في معدته وكما يوجد ذلك في اكل الحشيشة الخبيثة فانه تمتلي معدته
ولا يشبع وقد يجتمعان واما جعل الزيادة على الشبع محرمة مطلقا فهذا ليس مذهبنا
معشر الحنفيين فان مذهبنا ان الزيادة على الشبع ان كانت من مال الغير فهي
محرمة لان نفس المضيف لم تسمح الا بقدر شبع الضيف وان كان من مال الاكل
نفسه فهي مكروهة كراهة تنزيه نعم ما ذكره شيخنا مذهب ابي حنيفة رضي الله عنه
ففي الاختيار شرح المختار الاكل الحرام هو الاكل فوق الشبع طبق ما ذكره فان
قلت حيث منعتم هذا الجمع فكيف تقرير هذين الحديثين على وجه الحق قلت الحق
ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يشبع كثيرا ولكن كان اغلب احواله عدم الشبع ويرشد
الى ذلك الاحاديث الصحيحة التي ذكرناها وحديث مسلم عن ابي هريرة رضي الله
عنه قال خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم او ليلة فاذا هو بابي بكر
وعمر رضي الله عنهما فقال ما اخرجكما من بيوتكما هذه الساعة قالا الجوع يا

رسول

رسول الله قال وانا والذي نفسي بيده لاخرجني الذي اخرجكما قوموا فقاموا
معه فاتى رجلا من الانصار فاذا هو ليس في بيته فلما راته المراة قالت مرحبا
واهلا فقال لها النبي صلى الله عليه وسلم اين فلان قالت ذهب يستعذب لنا من
الما اذ جا الانصاري فنظر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وصاحبيه ثم قال الحمد
لله ما احد اليوم اكرم اضيافا مني قال فانطلق فجاءهم بعذق فيه بسر وتمر ورطب
فقال كلوا من هذه واخذ المدية فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم اياك
والحلوب فذبح لهم فاكلوا من الشاة ومن ذلك العذق وشربوا فلما ان
شبعوا وروا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لابي بكر وعمر رضي الله عنهما
والذي نفسي بيده لتسالن عن هذا النعيم يوم القيمة اخرجكم من بيوتكم الجوع ثم
لم ترجعوا حتى اصابكم هذا النعيم قال النووي فيه دليل على جواز الشبع
وما جا في كراهة الشبع محمول على المداومة عليه لانه يقسي القلب وينسي
امر المحتاجين ومثل ذلك احاديث كثيرة صحيحة يصرح فيها بانه صلى الله
عليه وسلم اكل حتى شبع فلم يوخذ شبعه صلى الله عليه وسلم من مفهوم هذا الحديث
بل من صريح احاديث تكاد ان لا تحصى ثم ان قول المحشي وكلاهما صحيح غير صحيح
لان حديث ما شبع ثلاثة ايام تباعا من خبز بر الخ صحيح رواه الشيخان واما
الحديث الذي ذكره المصنف وهو قوله لم يمتلي جوفه شبعا قال العراقي لم اجده
وقال الجلال السيوطي في بحث زهده صلى الله عليه وسلم من تخريج احاديث هذا
الكتاب لم اقف عليه هكذا وسياتي كلامه بتمامه هناك وبالجملة فهذا حديث
غير معروف فلا ينبغي ان يجعل له مقاومة ولا نسبة مع احاديث ثبتت في

قال في النهاية
فيه كم من عذق مذلل في الجنة
العذق بالفتح النخلة وبالكسر العرجون بما
فيه من الشماريخ ويجمع
على عذاق

الصحيحين واشتهرت وكتبت في الدواوين المعتبرة وعلى تقدير الاعتداد
بهذا الحديث فيجعل نفيه المطلق محمولا على شبع مخصوص او يكون عبر عن المقيد
بالمطلق للاشارة الى ان عدم الشبع هو الغالب على احواله حتى صح لنا ان نقول
انه لم يشبع اصلا لانه من شان العرب ان يعبروا عن اغلب احوال الانسان
بالعموم كما قال النبي صلى الله عليه وسلم اما ابو جهم فكان لا يضع عصاه عن
عاتقه مع ان ابا جهم كان ينام وياكل ويتلبس بحالات يضع فيها عصاه عن
عاتقه وانه اي النبي صلى الله عليه وسلم كان في اهله لا يسالهم طعاما ولا يتشهاه
ان اطعموه اكل وما اطعموه قبل وما سقوه شرب فان قلت روى مسلم
في صحيحه عن عائشة رضي الله عنها انها قالت قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات
يوم يا عائشة هل عندكم شيء قالت فقلت يا رسول الله ما عندنا شيء قال فاني
صائم قالت فخرج صلى الله عليه وسلم فاهديت لنا هدية او جاءنا زور فلما رجع
رسول الله صلى الله عليه وسلم قلت يا رسول الله اهديت لنا هدية او جاءنا زور
وقد خبات لك شيا قال ما هو قلت حيس قال هاتيه فجئت به فاكل ثم
قال قد كنت اصبحت صائما فهذا الحديث يشعر بانه كان صلى الله عليه وسلم يسال
الطعام قلت الخبر الذي ذكره المصنف هو الغالب على احواله صلى الله عليه وسلم
وسواله الطعام كان نادرا وذلك عندما يضعف ويحتاج الى الاكل ولا يكون
اهله قد شعروا به والا فالذي كان ديدنه انه لا يسال الطعام ويمكن ان يريد
انه لا يسال طعاما مخصوصا كان يقول اريد الطعام الفلاني على طريق م ت
التشهي بل ياكل كلما حضر لان جوعه كان جوعا صادقا ومن شان من يجوع

جوعا

بلغ مقابلة
على نسخة المولف

جوعا صادقا ان ينقطع ميله الى طعام مخصوص بل كلما حضر التفت اليه
ولا يعترض على هذا بحديث بَرِيْرَة هي بفتح الموحدة بوزن فعيلة مشتقة
من البر بمعنى مفعولة كمبرورة او بمعنى فاعلة كرحيمة هكذا وجهه
القرطبي قيل والاول اولى لانه صلى الله عليه وسلم غير اسم جويرية كان اسمها
برة وقال لا تزكوا انفسكم فلو كانت بريرة من البر لشاركتها في ذلك وكانت
بريرة لاناس من الانصار كما ذكره ابو نعيم وقيل لناس من بني هلال قاله
ابن عبد البر ويمكن الجمع بانه كانت لقوم اولا ثم انتقلت لاخرين وكانت تخدم
عائشة رضي الله عنها قبل العتق كما يشعر به حديث الافك وعاشت الى
خلافة معاوية رضي الله عنه سمع منها امير المومنين عبد الملك بن مروان قال
عبد الملك كنت اجالس بريرة رضي الله عنها بالمدينة قبل ان أَلِيَ هذا الامر
فكانت تقول يا عبد الملك اني ارى فيك خصالا وانك لخليق بهذا الامر فان وليته
فاحذر الدماء فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الرجل ليدفع
عن باب الجنة على محجمة من دم يريقه من مسلم بغير حق وهي بريرة بنت
صفوان كانت قبطية وقيل حبشية اشترتها عائشة من بني كاهل
وذكر الذهبي انها كانت لعتبة بن ابي لهب واشترتها عائشة رضي الله عنها
وقوله صلى الله عليه وسلم الم ار البرمة فيها لحم في النهاية البرمة القدر مطلقا
وجمعها برام وهي في الاصل المتخذة من الحجر المعروف بالحجاز واليمن وحاصل
تقرير السوال انكم قلتم انه صلى الله عليه وسلم لم يكن يسال اهله طعاما ولا
يتشهاه وان عائشة رضي الله عنها اخبرت عنه انه لم يكن يفعل ذلك قط وهو

سلب كلي وقد ثبت في الصحيحين وهذا لفظ مسلم عن عائشة رضي الله
عنها زوج النبي صلى الله عليه وسلم انها قالت كانت في بريرة ثلاث سنن خيرت
على زوجها حين عتقت واهدي لها لحم فدخل علي رسول الله صلى الله عليه وسلم
والبرمة على النار فدعا بطعام فاتي بخبز وادم من ادم البيت فقال الم ار البرمة على
النار فيها لحم فقالوا بلى يا رسول الله ذلك لحم تصدق به على بريرة فكرهنا ان
نطعمك منه فقال هو عليها صدقة وهو منها لنا هدية وقال النبي صلى الله عليه وسلم
فيها انما الولاء لمن اعتق فقد ثبت بهذا الحديث الصحيح انه كان يشتهي الطعام
بعض الاحيان وهو ايجاب جزئي مناقض للسلب الكلي الذي ادعيتموه
وتقرير الجواب انا نمنع ان هذه المقالة صدرت منه صلى الله عليه وسلم لكونه
اشتهى اللحم الذي في البرمة وانما ظهر غلب على ظنه انهم اعتقدوا من تحريم
الصدقة عليه وان كلما كان صدقة حرم عليه تناوله وذلك اللحم الذي كان في البرمة
لحم اعطوه لبريرة صدقة فكانهم ظنوا بقاءه صدقة وانه لا يتحول عن اسم الصدقة
وعن حكمها فاراد ان يبين لهم حكم الله عز وجل فيه وهذا معنى قول المصنف
اذ لعل التي بصيغة الترجي لانه غير جازم بان هذا سبب سؤاله لجواز ان يكون
سبب سؤاله الاشتهاء ولا ينافي ما قالته عائشة لجواز ان تريد عائشة
رضي الله عنها ان ذلك اغلب احواله واكثر شؤونه وانت تعلم ان العرف جار على
ان يعبر عما كان غالبا على حال الانسان بما يشعر بالكلية وان جاز وقوع خلافه
في بعض الاحيان ولا يكون ذلك منافيا لما قالته الا اذا ادعينا السلب الكلي الحقيقي
لا الادعائي فلعل سبب سؤاله ظنه صلى الله عليه وسلم اعتقادهم انه اي ذلك

لايحل

لا يحل له لكونه كان تصدق على بريرة فظنوا ان كونه صدقة استمر فاراد بيان
سنته اي دينه وان كون اللحم الذي في البرمة صدقة انقضى امره وذهب حكمه
اذ راهم لم يقدموه اليه مع حاجته الى الطعام ومع علمه انهم لا يستاثرون به
عليه فتصدق عليهم ظنه حيث قالوا له في الجواب هذا لحم تصدق به على بريرة
وبين لهم ما جهلوه من امره بقوله هو لها صدقة ولنا هدية وقد
استفيد من هذا الحديث تحريم الصدقة على النبي صلى الله عليه وسلم فرضها وتطوعها
ونقل الخطابي الاجماع عليه لكن حكى غير واحد عن الشافعي رضي الله عنه في التطوع
قولا وكذا في رواية عن احمد رضي الله عنه ولفظه في رواية الميموني لا يحل للنبي
صلى الله عليه وسلم واهل بيته صدقة الفطر وزكاة الاموال والصدقة يصرفها
الرجل على محتاج يريد وجه الله عز وجل واما غير ذلك فلا اليس يقال كل معروف
صدقة قال ابن قدامة وليس ما نقل عنه من ذلك بواضح الدلالة وانما اراد بما
ليس من صدقة الاموال كالقرض والهدية وفعل المعروف كان غير محرم عليه
وقال غيره لا يحرم عليه الصدقة العامة كالابار والمساجد وهل كان تحريم
الصدقة عليه فقط دون الانبياء او كلهم سواء في ذلك فيه خلاف والاصح
اختصاص ذلك به صلى الله عليه وسلم كما يشهد به كثير من الاحاديث وهل يلتحق
به في ذلك آله قال ابن قدامة لا نعلم خلافا في ان بني هاشم لا تحل لهم الصدقة
المفروضة كذا قال لكن نقل الطبري الجواز ايضا عن ابي حنيفة رضي الله عنه وقيل عنه
يجوز لهم اذا حرموا سهم ذوي القربى حكاه الطحاوي ونقله بعض المالكية عن
الابهري منهم وهو وجه لبعض الشافعيين واما بنو المطلب فالارجح من اقوال

العلماء انهم كبني هاشم وقد اشركهم النبي صلى الله عليه وسلم في سهم ذوي القربى ولم
يعط احدا من قبايل قريش غيرهم وهو مذهب الشافعي والجمهور واما
ابو حنيفة ومالك فقالا ان ذلك خاص ببني هاشم وعن احمد رضي الله عنه
روايتان ارجحهما انهم كبني هاشم وفي صحيح البخاري عن ابي هريرة رضي الله عنه
قال اخذ الحسن بن علي رضي الله عنهما تمرة من تمر الصدقة فجعلها في فيه
فقال النبي صلى الله عليه وسلم كخ كخ ليطرحها ثم قال اما شعرت انا لا ناكل
الصدقة ويوخذ من هذا الحديث ان ازواج النبي صلى الله عليه وسلم لا يحرم عليهن
الصدقة لانهن لم يمتنعن من اكلها في البرمة الا النبي صلى الله عليه وسلم وقد قال
ابن قدامة الحنبلي ان الخلال اخرج عن عايشة رضي الله عنها قالت انا آل
محمد صلى الله عليه وسلم لا تحل لنا الصدقة قال وهذا يدل على تحريمها والصحيح ان
ازواجه لسن من جملة الآل. **ومن حكمة لقمن** انما استشهد بكلام لقمن لانه اما نبي
واما انه حكيم ويكفيه جلالة ثنا الله عز وجل عليه في كتابه العزيز والحكمة قيل
العلم والعمل به وقيل الاصابة في القول وقيل الخشية وقيل الفهم عن الله عز وجل
وقيل العقل وقيل نور يفرق به بين الالهام والوسواس وقيل الجواب مع الاصابة
واما لقمن فقيل كان حبشيا وقيل كان نوبيا واختلف فيه هل كان نبيا
قال السهيلي كان نوبيا من اهل ايلة واسم ابيه عنقا بن شيرون وقال غيره
هو ناعور بن ناحور بن تارح فهو ابن اخي ابرهيم عليه الصلاة والسلام وذكر
وهب في المبتدا انه كان ابن اخت ايوب عليه الصلاة والسلام وقيل ابن
خالته وروى الثوري في تفسيره عن اشعث عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله

عنهما

رضي الله عنها

مطلب في لقمن والاختلاف فيه

عنهما قال كان لقمن عبدا حبشيا نجارا وقيل مولى لقوم من الازد وقال سعيد بن
المسيب كان من سودان مصر وكان ذا مشافر اعطاه الله عز وجل الحكمة
ومنعه النبوة وفي المستدرك باسناد صحيح عن انس كان لقمن عند داود
وهو يسرد الدرع فجعل لقمن يتعجب ويريد ان يساله عن فايدته فيمنعه
حكمته ان يسال وهذا صريح في انه عاصر داود عليه السلام وقد ذكر ابن الجوزي
في التلقيح بعد ابرهيم قبل اسمعيل واسحق عليهما السلام والصحيح انه
كان في زمن داود وقيل انه عاش الف سنة نقله ابن اسحق وهذا
غلط من قايله وكانه اختلط عليه بلقمن بن عاد وقيل انه كان يفتي قبل
بعث داود واغرب الواقدي فزعم انه كان بين عيسى ونبينا صلى الله
عليهما وسلم ويشبهه ما حكاه ابو عبيد البكري انه كان عبدا لبني الحسحاس
ابن الازد والاكثر انه كان صالحا ولم يكن نبيا وقيل كان نبيا وروى
ابن ابي حاتم من طريق سعيد بن بشير عن قتادة ان لقمن خير بين الحكمة والنبوة
فاختار الحكمة فسيل عن ذلك فقال خفت ان اضعف عن حمل اعبا النبوة
والحكمة التي اوتيها التفقه في الدين وقيل كان خياطا **يا بني** ابنه باران
بموحدة وراء مهملة وقيل فيه بالدال في اوله وقيل اسمه انعم وقيل
مشكور وقيل مشكم بكسر الميم فمعجمة ساكنة فكاف مفتوحة يقال ان
ابنه انفطرت مرارته فمات من كثرة نصيحة ابيه له **اذا امتلات المعدة**
اي بالطعام بان يملا الاكل الاثلاث الثلاثة **نامت الفكرة** لان القوة
المفكرة في الدماغ عند منتهى الحواس الباطنة وهم الفلاسفة والمعتزلة

اذا امتلأت صعدت الابخرة الغليظة الى الدماغ فمنعت المفكرة من الفكر
الصواب واما عند المتكلمين الذين يقولون ان المفكر انما هو النفس الناطقة
والظاهر ان هذا هو ملحظ النبي عليه السلام لانه على سنن ما جاء به النبيون
عليهم الصلاة والسلام وليس فيما جاؤا به ما يقتضي القول بالحواس الباطنة
لابتناء القول بها على ما يقتضي ابطال كثير من القواعد الاسلامية كما هو
منصوص عليه في الكتب الكلامية فنومها لاشتغال النفس باللذة
الجسمانية معرضة عن الكمالات النفسانية وانت تعلم ان الفكر من اعظم
الكمالات النفسية كيف وقد اخرج ابن ابي الدنيا عن عامر بن عبد قيس
قال سمعت غير واحد ولا اثنين ولا ثلاثة من اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم
ان ضياء الايمان او نور الايمان التفكر واخرج احمد في الزهد عن عون قال سألت
ام الدرداء ما كان افضل عبادة ابي الدرداء رضي الله عنه قالت التفكر والاعتبار
واخرج ابو الشيخ في العظمة عن ابن عباس رضي الله عنهما قال التفكر ساعة خير
من قيام ليلة واخرجه الديلمي عن انس مرفوعا واخرج الديلمي من وجه احسن
عن انس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تفكر ساعة في اختلاف الليل
والنهار خير من عبادة ثمانين سنة واخرج ابو الشيخ في العظمة عن ابي هريرة رضي الله
عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فكرة ساعة خير من عبادة ستين سنة
واخرج ابو الشيخ والديلمي عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بينما
رجل مستلق ينظر الى النجوم والى السماء فقال والله اني لاعلم ان لك خالقا وربا
اللهم اغفر لي فنظر الله عز وجل اليه فغفر له ثم ان قوله نامت الفكرة ليس على
حقيقته

[illegible]

حقيقته لان النوم لا يسند الى الفكرة حقيقة فاما ان يكون المراد اذا امتلأت المعدة
ترتب على امتلائها نوم الآكل الذي هو ذو الفكرة لان كثرة الاكل تولد النوم [illegible]
وبين الاكل والنوم ارتباط كما تقرر فيكون النوم على حقيقته والفكرة على
حقيقتها لكن اسناد احدهما الى الآخر مجاز عقلي واما ان يشبه الفكرة برجل
غافل طرأ عليه امر اقتضى النوم فنام فتشبيهها به استعارة مكنية واثبات
النوم لها استعارة تخييلية ويجوز ان يشبه جمود الفكرة وعدم حركتها بسبب
[illegible] الاكل بالنوم فهما استعارة تصريحية تبعية لوقوعها في الفعل فان قلت
جاء في حديث آخر ذكره الغزالي في الاحياء وهو قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا
تميتوا القلوب بكثرة الطعام والشراب فان القلب كالزرع يموت اذا كثر عليه
الماء فكيف جعل النبي صلى الله عليه وسلم كثرة الاكل موجبة لموت القلب قلت المراد
بالقلب هذه اللطيفة المودعة في الانسان التي بها يمتاز الانسان عن سائر
الحيوانات ومعنى موتها ادبارها عن الله عز وجل وعدم قابليتها لان تقبل
على طاعته ويمكن ان يراد بموت القلوب عدم ادراكها لما فيه سعادتها لكثرة تعلقها
بالشهوات وميلها الى البطنة فتصير الشهوات غامرة لها كما يغمر الماء الزرع
اذا كثر ونظير ذلك قوله صلى الله عليه وسلم من احيا ليلتي العيدين احيا الله قلبه
يوم تموت القلوب فان المراد بموت القلوب يوم القيمة انغمارها في البلاء
وتراكم الاراجيف عليها وانغمارها في الاحزان والندامة والذي يحيي ليلة
العيد يكون فرحا مسرورا فلا يصيب قلبه ندامة فقد استعير الموت
لادبار القلب عن الادراك الادبار التام وعدم صلاح حاله بحيث يسو

حال القلب كما يسوحال الميت ونظير هذه الاستعارة قول الشاعر

وكنا حسبناهم فوارس كهمس ٭ حيوا بعدما ماتوا من الدهر اعصرا ٭ (من الطويل)

اي حسبت حالهم بعد ان ماتت وقوله **وخرست الحكمة** اما ان يراد بالحكمة

اللسان الذي ينطق بها فاسناد الخرس الى الحكمة اسناد مجازي فيكون مجازا

عقليا واما ان يشبه الحكمة بناطق عرض عليه ران فمنعه النطق فيكون

استعارة بالكناية وذكر الخرس استعارة تخييلية واما ان يشبه عدم فهم

الحكمة وعسر الاطلاع عليها بسبب امتلا المعدة بالخرس اللساني بجامع عدم

الظهور فهو استعارة تصريحية تبعية لوقوعها في الفعل ومثل هذا يقال في

قوله **وتعدت الاعضاء عن العبادة وقال سحنون** هو ابو سعيد (الامام سحنون المالكي) (ذو النون خ)

عبد السلام بن سعيد التنوخي الملقب سحنون وهو في الاصل اسم لطاير

شديد التيقظ والتحوفه على نفسه سريع الحركة فاستعير لابي سعيد هذا

الاسم لتيقظه وسرعة فهم المسايل وحدة ذهنه واقول ان سحنون

لقب بهذا اللقب من وقت ولادته ولم يكن اذ ذاك حاد الذهن ولا ظهر منه فهم

مسايل لكن يظهر لي ان سحنون ماخوذ من السحنة وهي الهيئة الحسنة

ومنه قولهم فرس مسحن اي حسن الهيئة والحال وقد جرى على السنة

الفقها استعماله مفتوح السين سحناه من فضلا المغرب المنتمين الى

مذهب عالم المدينة نجم السنن مالك بن انس رضي الله عنه وقرا شار

ابن الحاجب في ك فيه الى علوم صحة الفتح حيث قال وسحنون ان صح الفتح

ففعلون كحمدون وهو مختص بالعلم لندور فعلول وهو صعموق

وحروب

وحروب ضعيف وسحنون هو الامام الفقيه المالكي قرا على ابي القاسم بن

وهب ثم انتهت اليه رياسة العلم بالمغرب وولي القضا بالقيروان وادرك

مالكا رضي الله عنه ولم يقرا عليه وصنف كتاب المدونة في مذهب مالك وحصل

له ما لم يحصل لاحد من اصحاب مالك توفي يوم الثلاثا التسع خلون من

رجب سنة اربعين ومايتين ومولده في اول ليلة من رمضان سنة ستين

ومايه واتفق انه في سنة وفاته مات ايضا صاحب امامنا الشافعي رضي

الله عنه ابو ثور البغدادي وكان شيخا للجنيد سيد الطايفة الصوفية **لا يصلح العلم**

لمن ياكل حتى يشبع عبر بصيغة المضارع المفيده للاستمرار التجددي اي

انتفى صلاح العلم لمن يتجدد له الاكل مستمرا فان وقع منه ذلك قليلا فلا يضر

بالعلم وذلك لما يتولد من الجوع وعدم امتلا المعدة من صفا القلب

وايقاد القريحة ونفاد البصيرة فان الشبع يورث البلادة ويعمي القلب ويكثر

البخار في الدماغ شبه السكر حتى يحتوي على معادن الفكر فيثقل القلب بسببه

عن الجريان في الافكار وعن سرعة الادراك بل الصبي اذا اكثر الاكل بطل حفظه

وفسد ذهنه وصار بطي الفهم والادراك قال ابو سليمان الداراني عليكم بالجوع

فانه يورث العلم السني واشار ابو سليمان رضي الله عنه الى ست افات للتشبع

فقال من شبع دخلت عليه ست افات فقد حلاوة العبادة وتعذر عليه

حفظ الحكمة وحرم الشفقة على الخلق لانه اذا شبع ظن ان الناس كلهم

شباع وثقل عن العبادة وزيادة الشهوات وان سائر المومنين يدورون

حول المساجد والشباع يدورون حول المزابل انتهى ومعنى قوله والشباع

يرودون حول المزابل لشرههم على طلب المأكل يتوقعونها من ادنى الجهات
واقبح الاماكن لانهم يريدون اخذها من المزبلة فهو اشارة الى ان الشبع
يورث المذلة وان الميل الى الاكل صفة حيوانية بهيمية وليست صفة
اهل الايمان لان المؤمن يألف المساجد ومواطن الخير وفي صحيح الحديث
قوله صلى الله عليه وسلم اما انا فلا اكل متكئا والاتكاء هو التمكن للاكل والتقعود
في الجلوس له اي للاكل كالمتربع وشبهه من تمكن الجلسات التي يعتمد
فيها الجالس على ما تحته التقعود والاقتعاد التمكن في الجلوس والاقامة
بالمكان وحاصله انه يجلس جلسة الثابت المستريح الذي يريد الثبات في
موضعه هذا حديث صحيح متفق على صحته اخرجه الشيخان وللبخاري فيه
روايتان الاولى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اني لا اكل متكئا والثانية قال
ابو جحيفة كنت عند النبي صلى الله عليه وسلم فقال لرجل عنده لا اكل وانا متكئ
قال الكرماني في شرحه على البخاري اللفظ الثاني ابلغ من الاول في الاثبات واما
في النفي فالاول ابلغ انتهى فان قلت كيف تغاير الابلغية فيهما قلت المراد بالابلغ
الاكثر مبالغة وليس المراد به الاكثر بلاغة اما كون الثاني ابلغ في الاثبات فلان
متكئا اسم فاعل تحمل ضميرا مستترا راجعا الى ما يرجع اليه الضمير الذي تحمله اكل
وهو ضمير المتكلم وحده المعبر عنه بانا وذلك الضمير فاعله فهو متكئ ضمير متكلم ثم اتى
بضمير منفصل وهو انا فكانه صلى الله عليه وسلم اثبت لنفسه الاتكاء مرتين الاولى في
اسناد متكئ الى ضمير المتكلم المستتر والثانية في اسناد متكئ مع ضميره الى انا
فان قلت اسم الفاعل مع فاعله ليس جملة ويقتضي ما قلت ان يكون جملة قلت

تقرير كلام الكرماني رحمه الله

لا يلزم

لا يلزم لان الخبر المشتق يتحمل ضميرا كما قال ابن مالك في الخلاصة • والمفرد الجامد
فارغ وان يشتق فهو ذو ضمير مستكن • لكن لما كان دلالة اسم الفاعل
على ذلك الضمير تضمينية لانه جزء مفهوم اسم الفاعل لم يكن ذلك الضمير كلمة مستقلة
حكما فلم يوجد تركيب اسنادي في اسم الفاعل مع فاعله فلم يكن جملة بخلاف ما لو
كان فعلا فان دلالة الفعل على الفاعل التزامية فكان خارجا عن الفعل فيكون
الفعل كلمة وفاعله كلمة اخرى فوجد التركيب الاسنادي فيكون جملة وعلى كل حال اسم
الفاعل اسند مرتين فكان اثبات صفة الاتكاء للنبي صلى الله عليه وسلم وقع مرتين
بخلاف قوله متكئا في الرواية الاولى فان فيه اسناد الاتكاء الى الضمير المستكن مرة
واحدة ليس الا وانما كان ابلغ في النفي لانه صدر الكلام الذي ينفى فيه الاتكاء عن
نفسه باداة النفي تؤكد النسبة وجعلها كانها وقعت مرتين وعندي ان الرواية
المشتملة على المبالغة في الاثبات اوفى بالمقصود لان النفي اذا دخل على كلام
مثبت فيه امر زائد توجه النفي الى ذلك الزائد والنبي صلى الله عليه وسلم يريد انفي
لا اكل وانا متكئ اتكاء بليغا بل اذا اتكأ اتكاء في الجملة لا ينفي ذلك كيف وقد
كان يتمكن في قعدته للاكل لكن يقعد قعدة المستوفز الذي يريد القيام واما
تاكيد نسبة نفي الاتكاء اليه فلانه كلام القي الى اعرابي كان يظن ان النبي صلى
الله عليه وسلم لجلالته في عينه انه على هيئة الملوك وانه اذا قعد ليأكل يقعد
قعدتهم فالقى اليه الكلام مؤكدا لينفي ذلك الاعتقاد وقد كان سبب هذا الحديث
قصة الاعرابي المذكورة في حديث عبد الله بن بسر وقد اخرجه ابن ماجه بسند
حسن قال اهديت للنبي صلى الله عليه وسلم شاة فجثا على ركبتيه يأكل فقال

له اعرابي ماهذه الجلسة فقال ان الله عز وجل جعلني عبدا كريما ولم يجعلني
جبارا عنيدا وانما فعل ذلك تواضعا لله عز وجل واخرج ابن ماجة من
طريق ايوب باسناد حسن في الحديث للنبي صلى الله عليه وسلم شاة فجثت
على ركبتيه يأكل فقال له اعرابي ماهذه الجلسة فقال ان الله عز وجل جعلني
عبدا كريما ولم يجعلني جبارا عنيدا وانما فعل النبي صلى الله عليه وسلم ذلك تواضعا
لله عز وجل ثم ذكر ابن ماجة من طريق ايوب عن الزهري قال اتى النبي صلى الله
عليه وسلم ملك لم يأته قبلها فقال ان ربك عز وجل يخيرك بين ان تكون عبدا
نبيا او ملكا نبيا قال فنظر الى جبريل عليه السلام كالمستشير له فأومأ اليه ان
تواضع فقال بل عبدا نبيا قال فما اكل متكئا انتهى واختلف في صفة
الاتكاء فقيل هو ان يتمكن في الجلوس للاكل على اي صفة كان وقيل ان يميل على
احد شقيه وقيل هو ان يعتمد على يده اليسرى من الارض قال الخطابي يحسب
العامة ان المتكئ هو الاكل على احد شقيه وليس كذلك بل هو المعتمد على الوطاء
الذي تحته قال ومعنى الحديث اني لا اقعد متكئا على الوطاء عند الاكل فعل من
يستكثر من الطعام لاني لا اكل الا البلغة من الزاد فلذلك اقعد مستوفزا
وفي حديث انس انه صلى الله عليه وسلم اكل تمرا وهو مقع وفي رواية وهو محتفز
والمراد الجلوس على وركيه غير متمكن واخرج ابن عدي ان النبي صلى الله عليه وسلم زجر
ان يعتمد الرجل على يده اليسرى عند الاكل قال مالك رضي الله عنه هو نوع من الاتكاء
قال الحافظ الشهاب احمد بن حجر العسقلاني ثم المصري في شرح البخاري وفي هذا
اشارة من مالك الى كراهة كل ما يعد به الاكل متكئا ولا يختص بصفة بعينها

مطلب مهم في معنى الاتكاء

للمحتفز المستعجل المستوفز

وجزم

وجزم ابن الجوزي في تفسير الاتكاء بانه الميل على احد الشقين ولم يلتفت لانكار
الخطابي ذلك وحكى ابن الاثير في النهاية ان من فسر الاتكاء بالميل على احد الشقين
تأوله على مذهب الطب بانه لا ينحدر في مجاري الطعام سهلا ولا يسيغه هنيا
وربما تأذى به واختلفوا في حكم الاكل متكئا فقيل مكروه وكراهته من الخصائص
النبوية وقال البيهقي يكره لغيره ايضا لانه من فعل المتعظمين واصله مأخوذ من
ملوك العجم قال فان كان بالرجل مانع لا يتمكن معه من الاكل الا متكئا لم يكن في ذلك
كراهة وقد حكى عن جماعة من السلف انهم اكلوا متكئين واشار الى حمل ذلك منهم
على الضرورة وقيل انه جائز بلا كراهة وحيث قلنا بكراهة الاتكاء او بكونه خلاف
الاولى فالمستحب في الجلوس ان يكون جاثيا على ركبتيه وظهور قدميه
او ينصب الرجل اليمنى ويجلس على اليسرى وقيل العلة في الكراهة مخافة
ان يعظم بطن الآكل وفي الاحياء لحجة الاسلام ابي حامد الغزالي كان صلى الله
عليه وسلم ربما جثا للاكل على ركبتيه وجلس على ظهر قدميه وربما نصب رجله
اليمنى وجلس على اليسرى وكان يقول لا آكل متكئا انا عبد آكل كما يأكل العبد
واجلس كما يجلس العبد والشرب متكئا مكروه للمعدة ايضا ويكره الاكل
نائما ومتكئا الا ما يتنقل به من الحبوب روي عن علي رضي الله عنه انه اكل
كعكا على ترس وهو مضطجع ويقال بل منبطحا على بطنه والعرب قد تفعل
والجالس على هذه الهيئة يستدعي الاكل لكونه جلس جلسة المستريح
فتطلب النفس الاكل وتستكثر منه والنبي صلى الله عليه وسلم انما كان
جلوسه للاكل جلوس المستوفز هو مأخوذ من الوفز ومعناه العجلة

وفي القاموس استوفز في قعدته انتصب فيها غير مطمئن او وضع ركبتيه ورفع
اليتيه واستقل على رجليه ولما يستوى قائما وقد تهيأ للوثوب انتهى وجلوس
النبي صلى الله عليه وسلم للاكل يصدق عليه التفسير الاول وهو انه يجلس غير مطمئن
ولم يكن يرفع اليتيه عن قدميه بدليل قول المصنف بعد ذلك مقعيا والمراد
بالاقعاء هنا انه يجلس على اليتيه ويرفع ركبتيه كما قاله ابن حجر وقيل ان يجلس
ويضع اليتيه على عقبيه كما عزوناه الى كلام الغزالي وفي النهاية الاثيرية فسر
الاقعاء بتفسيرين ثانيهما ما ذكرناه والاول ان يلصق الرجل اليتيه بالارض
وينصب ساقيه وفخذيه ويضع يديه على الارض قال ومنه الحديث انه صلى
الله عليه وسلم اكل مقعيا اراد انه كان يجلس عند الاكل على وركيه مستوفزا غير
متمكن وقد ثبت كون النبي صلى الله عليه وسلم كان ياكل مقعيا في صحيح مسلم من
حديث انس رضي الله عنه قال رايت النبي صلى الله عليه وسلم مقعيا ياكل تمرا وفي
رواية له عن انس رضي الله عنه قال اتي رسول الله صلى الله عليه وسلم بتمر فجعل النبي
صلى الله عليه وسلم يقسمه وهو محتفز ياكل منه اكلا ذريعا وفي رواية زهير
اكلا حثيثا فسر والمقعي هنا بالجالس على اليتيه ناصبا ساقيه والمحتفز المستعجل
المستوفز غير متمكن في جلوسه وقوله فيه اكلا ذريعا وحثيثا اي مستعجلا
كان استعجاله صلى الله عليه وسلم لكونه مستوفزا لشغل اخر فاسرع في الاكل ليقضي
حاجته منه ويرد الجوع ثم يذهب في ذلك الشغل فان قلت لا يلزم من مقالة
انس هذه ان يكون ذلك اي الاكل مقعيا عادة له صلى الله عليه وسلم لجواز ان
يكون فعله ذلك مرة واحدة فراه انس او مرات ويكون له جلسة اخرى قلت

ثبت هذا واذا ثبت شيء اخر عمل به لان استصحاب الشيء يثبت ولو فعله النبي
صلى الله عليه وسلم مرة واحدة لاسيما اذا لم يثبت ما يخالفه نعم كان نبينا صلى الله
عليه وسلم يجلس على كيفيات متعددة لكن في حالة غير الاكل وقد بوب البخاري
في صحيحه فقال باب الجلوس كيف ما تيسر ثم استشهد على ذلك بحديث
ابي سعيد الخدري رضي الله عنه قال نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن
لبستين وعن بيعتين اشتمال الصماء والاحتباء في ثوب واحد ليس على
فرج الانسان منه شيء والملامسة والمنابذة فذكر النهي عن هاتين الجلستين
فقط ليعلم ان ما عداهما من الجلسات مباح فان قلت نهى صلى الله عليه وسلم عن
الاحتباء في ثوب واحد ففي صحيح مسلم عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم نهى ان ياكل الرجل بشماله او يمشي في نعل واحدة وان
يشتمل الصماء وان يحتبي في ثوب واحد كاشفا عن فرجه وفي رواية في صحيح
مسلم عن جابر ايضا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا تحتب بالثوب
الواحد ولا تلتحف الصماء ونهى ايضا عن الاستلقاء قال جابر نهى رسول الله صلى الله
عليه وسلم ان يرفع الرجل احدى رجليه على الاخرى وهو مستلق على ظهره قلت
اما اشتمال الصماء بالمد فهو ان يشتمل بالثوب حتى يجلل جسده لا يرفع منه
جانبا فلا يبقى ما يخرج منه يده هذا قول اكثر اللغويين قال ابن قتيبة سميت
صماء لانه سد المنافذ كلها كالصخرة الصماء التي ليس فيها خرق ولا صدع لكن قال
الفقهاء هو ان يشتمل بثوب واحد ليس عليه غيره ثم يرفعه من احد جانبيه فيضعه
على احد منكبيه قال العلماء فعلى تفسير اللغويين انما كرهها صلى الله عليه وسلم

لئلا يعرض له حاجة كدفع شي من الهوام ونحوه او غير ذلك فيعسر عليه او يتعذر
فيلحقه الضرر وعلى تفسير الفقها يحرم الاشتمال ان انكشف بعض العورة والا
فيكره واما الاحتبا فهو ان يقعد الانسان على اليتيه وينصب ساقيه ويحوي
عليهما بثوب او نحوه او بيده وهذه القعدة يقال لها الحبوة بضم الحا وكسرها
وكان هذا الاحتبا عادة العرب في مجالسهم فان انكشف منه شي من العورة
فهو حرام وكذا احاديث النهي عن الاستلقا على الظهر ووضع احدى رجليه على
الاخرى وهو مستلق محمولة على حال تظهر فيها العورة او شي منها فان لم يظهر
منها شي فلا كراهة وقد صح ورواه الشيخان ان النبي صلى الله عليه وسلم رئي
مستلقيا في المسجد واضعا احدى رجليه على الاخرى فحمل العلما احاديث
النهي عن الاستلقا رافعا احدى رجليه على الاخرى على حالة تظهر فيها العورة
او شي منها وحملوا فعله صلى الله عليه وسلم على وجه لا يظهر منها شي وهذا
لا باس به ولا كراهة فيه على هذه الصفة لكن قال المصنف في شرحه
على مسلم لعله صلى الله عليه وسلم فعل هذا لضرورة او حاجة من تعب وطلب
راحة او نحو ذلك قال والا فقد علم ان جلوسه صلى الله عليه وسلم في الجامع
على خلاف هذا بل كان يجلس متربعا او محتبيا وهو كان اكثر جلوسه
او القرفصا او مقعيا وشبهها من جلسات الوقار والتواضع قال
النووي ويحتمل ان يكون فعله لبيان الجواز وانكم اذا اردتم الاستلقاء
فليكن هكذا وان النهي الذي نهيتكم فيه عن الاستلقا ليس على الاطلاق بل
المراد به من تنكشف عورته او شي منها او يقارب انكشافها واما الاقعا

فهي

مع ابن الحنبلي

فهي جلسة مستحبة في غير الصلاة واما الصلاة فالاقعا مكروه فيها قال
شيخنا الرضي بن الحنبلي المعروف بابن التاذفي ثم لا يشكل ههنا ما ذكره
فقهاؤنا من كراهية الاقعا في الصلوة لان المكروه فيها غير ما نحن فيه اذ
هو عند الطحاوي ان يقعد على اليتيه وينصب فخذيه ويضم ركبتيه الى
صدره ويضع يديه على الارض وعند الكرخي ان ينصب قدميه ويقعد على
عقبيه واضعا يديه على الارض كالكلب الا ان الاول اشبه باقعائه ولذا كان
هو الاصح وما نحن فيه ليس واحدا منهما على ما ذكره صاحب التوبيب حيث
قال اقعى الكلب والسبع جلس على اليتيه ونصب فخذيه والرجل جلس
تلك الجلسة ومنه رايت النبي صلى الله عليه وسلم مقعيا ياكل تمرا انتهى
واقول الصلاة لما كانت غير شوون الانسان في ساير احواله فليجلس
فيها جلسة الادب بين يدي خالقه ومعبوده عز وجل والاقعا فيها ينافي ذلك
لانها ليست جلسة تناسب الصلاة فكونه مكروها في الصلاة لا ينافي
كونه مسنونا في غيرها على ان كراهة الاقعا في الصلاة قال بها الشافعية
ايضا لكن قالوا ان الاقعا مشترك بين قسمين احدهما مكروه والاخر
مسنون في الصلاة اما المكروه فهو ما فسره به ابو عبيدة ان يلصق اليتيه
بالارض وينصب ساقيه ويضع يديه بالارض فقوله ويضع يديه
بالارض تحقيق لمعنى الاقعا لغة والا فالمكروه مجرد هذه الجلسة
سوا وضع يديه بالارض ام لا وقد كره هذا الاقعا كما قال الخطابي
جماعة من الصحابة وكرهه النخعي ومالك والشافعي واحمد واسحق واهل

الثلاثين ه

الرأي وعامة أهل العلم واستدلوا على كراهته بحديث أبي هريرة رضي الله عنه
قال نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الإقعاء إقعاء القرد رواه البيهقي
بسند ضعيف وقد روى النهي عن الإقعاء جماعة من الصحابة عن النبي صلى
الله عليه وسلم منهم علي بن أبي طالب رضي الله عنه وسمرة بن جندب وقد رواها
البيهقي كلها بأسانيد ضعيفة وروى الترمذي حديث علي رضي الله عنه
بسند ضعيف وضعفه الترمذي والحاصل أنه ليس في النهي عن الإقعاء حديث
صحيح أي هذا الإقعاء الذي هو أن يلصق أليتيه بالأرض وينصب ساقيه
ضامهما إلى بطنه فإن قلت ما بال فقهائكم وهم متقيدون بالحديث الصحيح
أسوة إمامهم القائل حيث صح الحديث فهو مذهبي قالوا بكراهته واتفقوا
على ذلك مع قول أحمد مالك وأحمد وهما إماما السنة بكراهته ومع قول النخعي
وهو من أجلاء التابعين وإسحق وهو من أئمة السنة بكراهته قلت وردت
في النهي عنه أحاديث ضعيفة لكنها تعددت فقويت وصح للفقيه الاستدلال
بها وثانيهما مسنون لما ثبت عن طاوس قال قلنا لابن عباس رضي الله عنهما
في الإقعاء على القدمين قال هي السنة فقلنا له إنا لنراه جفاء بالرجل
فقال بل هي سنة نبيك صلى الله عليه وسلم رواه مسلم في صحيحه وفي رواية
البيهقي عن ابن عباس رضي الله عنهما قال من سنة الصلاة أن تمس أليتاك
عقبيك بين السجدتين وذكر البيهقي حديث ابن عباس هذا ثم روى عن ابن عمر
رضي الله عنهما أنه كان إذا رفع رأسه من السجود الأول يقعد على أطراف أصابعه
ويقول إنه من السنة ثم روى عن ابن عمر وابن عباس رضي الله عنهم أنهما كانا

يقعيان

يقعيان ثم روى عن طاوس أنه كان يقعي وقال رأيت العبادلة يفعلون ذلك
عبد الله بن عباس وعبد الله بن عمر وعبد الله بن الزبير قال البيهقي فهذا
الإقعاء المرخص فيه أو المسنون على ما روينا عن ابن عباس وابن عمر وهو
أن يضع أطراف أصابع رجليه على الأرض ويضع أليتيه على عقبيه ويضع
ركبتيه على الأرض ثم إن البيهقي روى الأحاديث الواردة في النهي عن الإقعاء
بأسانيدها ثم ضعفها كلها وبين ضعفها وقال حديث ابن عباس وابن عمر
صحيح ثم ذكر تفسير الإقعاء المنقول عن أبي عبيدة وهو أن يلصق أليتيه
بالأرض وينصب ساقيه ويضع يديه على الأرض قال وهذا النوع من الإقعاء
غير ما رويناه عن ابن عباس وابن عمر فهذا منهي عنه وما رويناه عن
ابن عباس وابن عمر مسنون قال وأما حديث عائشة رضي الله عنها عن النبي
صلى الله عليه وسلم أنه كان ينهى عن عقب الشيطان فيحتمل أن يكون
واردا في الجلوس للتشهد الأخير فلا يكون منافيا لما رواه ابن عباس
وابن عمر في الجلوس بين السجدتين هذا كلام البيهقي وتابعه على ذلك
ابن الصلاح وهو من محققي أصحابنا الشافعيين وقد استحب هذا
الإقعاء الشافعي في الجلوس بين السجدتين في الإملاء والبويطي قال
ابن الصلاح وقد خبط في الإقعاء من المصنفين من لم يعلم أنه نوعان انتهى
فإن قلت يكفينا في إطلاق النهي عنه حديث عائشة رضي الله عنها قلت
نعم حديث عائشة صحيح وحديث ابن عباس وابن عمر صحيح وقد حصل
في ظاهرهما التعارض والجمع ممكن بأن يحمل حديث عائشة رضي الله عنها

كما كان البيهقي على الجلوس في التشهد الاخير على ان عقب الشيطان ليس نصا
في هذا الاقعاء وانما هو محتمل له والجلوس في التشهد الاخير ولغسل القدمين
من غير ان يعمهما بالغسل كما قال صلى الله عليه وسلم ويل للاعقاب من النار
بخلاف قول ابن عباس انه من السنة فانه صريح في ان النبي صلى الله عليه وسلم
كان يفعل من غير احتمال لشيء اخر وحيث تاتى الجمع بين الاحاديث فقد
خلصنا من شبهة التعارض فان قلت فما بال الشافعية والحنفية قالوا
ان السنة في الجلوس بين السجدتين الافتراش وهو ان ينصب
رجله اليمنى ويعتمد بوركه على اليسرى وقد قلتم هنا ان الاقعاء سنة بين
السجدتين وتعلمونه عن ابن عباس وابن عمر وابن الزبير قلت
من المقرر ان نبينا صلى الله عليه وسلم كانت له في الصلاة احوال فتارة
يفعل هذا واخرى يفعل ذاك كما كانت له احوال في تطويل القراءة وتخفيفها
وغير ذلك من انواعها وكما توضا مرة مرة ومرتين مرتين وثلاثا ثلاثا وكما
طاف راكبا وطاف ماشيا وكما اوتر اول الليل واوسطه واخره والحاصل
فعل الاقعاء بالتفسير الذي ذكرناه وهو ان ينصب رجليه ويضع اليتيه
عليهما وفعل صلى الله عليه وسلم الافتراش فكلاهما سنة لكن احدى السنتين
افضل وهي الجلسة التي واظب عليها صلى الله عليه وسلم ورواها عشرة من
الصحابة ويقول اي النبي صلى الله عليه وسلم في جواب من قال له لما جلس مقعيا
ما هذه الجلسة يا رسول الله انما انا عبد اكل كما ياكل العبد واجلس
كما يجلس العبد هذا حديث رواه البزار عن ابن عمر رضي الله عنهما

بسند

بسند ضعيف ورواه ابو بكر ابن الخضر في فوائده من حديث البراء فقد الجملة
فقط اي بجملة انما انا عبد اكل كما ياكل العبد ولم يذكر زيادة واجلس الخ ورواه بهذه
الزيادة احمد في الزهد عن الحسن مرسلا وعبد الرزاق في مصنفه عن ايوب
مرسلا وعن يحيى بن ابي كثير مرسلا واخرج الديلمي عن ابي هريرة رضي الله
عنه بزيادة واشرب كما يشرب العبد واخرج بهذه الزيادة ابن ابي شيبة
في مسنده عن رجل من بني فهم والبغوي من حديث انس فان قلت انما في قوله
انما انا عبد اداة حصر يشتمل على جزء سلبي فالجزء السلبي هنا قلت هو حصر
اضافي والجزء السلبي كونه كملوك الدنيا فقصد بذلك دفع ما عسى ان يقع
في خيال بعض الاعراب انه على سنن ملوك الدنيا فدفع ذلك الوهم بقوله ما
انا ملكا وانما انا عبد الله كما يشعر به حديث ابن مسعود ان النبي صلى الله
عليه وسلم كلم رجلا فارعد فقال هون عليك فاني لست بملك انما انا
ابن امراة من قريش تاكل القديد وانما كان صلى الله عليه وسلم حريصا على
تقرير عبوديته وكونه عبد الله سبحانه خوفا على امته من الاطراء في شانه
فيصير لهم ما صار للنصارى كما ورد ذلك في حديث رواه البخاري في صحيحه
لا تطروني كما اطرت النصارى ابن مريم انما انا عبد فقولوا عبد الله
ورسوله فان قلت فما الجزء السلبي في هذا الحصر قلت هو توهم كونه
ابن الله اي لا تقولوا هو ابن الله او هو الله كما قالت الفرقة الضالة من
النصارى فان قلت توهم كونه ملكا وقع من بعض الاعراب كما وقع لذلك
الذي ارعد من هيبته صلى الله عليه وسلم فقال له ما قال واما توهم ما قاله

النصارى في المسيح لم يقع من احد من الناس فكيف يستقيم الاتيان بهذا الحصر
وليس هناك ما يدفع قلت قال ابن الجوزي لا يلزم من النهي عن الشيء وقوعه لانا
لا نعلم احدا ادعى في نبينا صلى الله عليه وسلم ما ادعته النصارى في عيسى عليه
الصلاة والسلام على انه يمكن ان يكون سبب النهي فيما يظهر ما وقع في حديث
معاذ بن جبل لما استاذن في السجود له صلى الله عليه وسلم فامتنع ونهاه فكانه خشي
ان يفعل غيره ما هو فوق ذلك فبادر الى النهي تاكيدا للامر وقال ابن التين معنى
قوله صلى الله عليه وسلم لا تطروني لا تمدحوني كمدح النصارى حتى غلا بعضهم في
عيسى عليه السلام فجعله الها مع الله عز وجل وبعضهم ادعى انه الله وبعضهم
انه ابن الله ثم اردف النهي بقوله انا عبد الله وبالجملة فهذه الجملة
التي اوردها المصنف معناها غير معنى الجملة التي اوردها البخاري في صحيحه
من حديث عمر بن الخطاب وان كان في كل منهما حصر الا ان الحصر في هذه غير
الحصر في تلك كما قررناه وليس معنى الحديث في الاتكاء الميل على شق عند
المحققين القائل بانه الميل على شق ابن الجوزي فانه جزم في تفسير الاتكاء بانه
الميل على احد الشقين قال الخطابي يحسب العامة ان المتكي هو الاكل على احد
الشقين وليس كذلك بل هو المعتمد على الوطاء الذي تحته قال ومعنى الحديث اني
لا اقعد متكئا على الوطاء عند الاكل فعل من يستكثر من الطعام فاني لا
اكل الا البلغة من الزاد وابن الجوزي مال الى انه الميل على احد الشقين
غير ملتفت لانكار الخطابي ذلك والخطابي من المسلم لهم في هذا الشان وهو
سابق على ابن الجوزي في الزمن وكذلك نومه كان قليلا شهدت بذلك الاثار

صح رد على الحافي كما نقله ابن الحنبلي عنه

قول الخطابي بعيد قريب ه

الصحيح

الصحيح كالاحاديث التي يصح فيها بطول صلاته في الليل كحديث مسلم انه صلى
الله عليه وسلم صلى حتى انتفخت قدماه فقيل له اتكلف هذا وقد غفر لك ما تقدم
من ذنبك وما تاخر قال افلا اكون عبدا شكورا وفي رواية حتى ورمت
قدماه واخرج النسائي عن حذيفة رضي الله عنه قال صليت مع النبي
صلى الله عليه وسلم ذات ليلة فافتتح البقرة فقرا فقلت يركع عند المائة فمضى
فقلت يركع عند المائتين فمضى فقلت يصلي بها في ركعة فافتتح النساء
فقراها ثم افتتح آل عمران فقراها مترسلا اذا مر باية فيها تسبيح سبح واذا
مر بسوال سال واذا مر بتعوذ تعوذ ثم ركع فقال سبحان ربي العظيم فكان
ركوعه نحوا من قيامه ثم رفع راسه فقال سمع الله لمن حمده فكان قيامه
قريبا من ركوعه خرجه مسلم وعن مسروق قال سالت عائشة ام المومنين
رضي الله عنها عن عمل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت كان يحب الدائم قال قلت
اي حين كان يقوم الى الصلاة فقالت كان اذا سمع الصارخ قام فصلى خرجه
مسلم في صحيحه قال محمد بن ناصر الصارخ الديك واول ما يصيح نصف
الليل ومع ذلك فقد قال ان عيني تنامان ولا ينام قلبي ففي صحيح
البخاري بسنده الى ابي سلمة بن عبد الرحمن انه سال عائشة ام المومنين رضي
الله عنها كيف كانت صلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم في رمضان فقالت
ما كان يزيد في رمضان ولا في غيره على احدى عشرة ركعة يصلي اربع
ركعات فلا تسال عن حسنهن وطولهن ثم يصلي اربعا فلا تسال عن حسنهن
وطولهن ثم يصلي ثلاثا فقلت يا رسول الله تنام قبل ان توتر قال تنام عيني

ولا ينام قلبي وبه ايضا عن انس بن مالك رضي الله عنه وهو يحدث على ليلة
الاسرا بالنبي صلى الله عليه وسلم من مسجد الكعبة جاءه ثلاثة نفر قبل ان يوحى
اليه وهو نائم في المسجد الحرام فقال اولهم ايهم هو فقال اوسطهم هو
خيرهم وقال اخرهم خذوا خيرهم فكانت تلك فلم يرهم حتى جاؤا ليلة اخرى
فيما يرى قلبه والنبي صلى الله عليه وسلم نائمة عيناه ولا ينام قلبه وكذلك
الانبيا تنام اعينهم ولا تنام قلوبهم فتولاه جبريل ثم عرج به الى السما فان
قلت كيف تنام عينه ولا ينام قلبه مع انه صلى الله عليه وسلم نام عن صلاة
الصبح هو واصحابه حتى ادركهم حر الشمس قلت اجيب عن ذلك باجوبة
منها ان القلب انما يدرك الحسيات المتعلقة به كالحدث والالم ولا يدرك ما
يتعلق بالعين لانها نائمة والقلب يقظان ومنها انه كان له حالان حال كان
قلبه ينام وحال كان قلبه لا ينام وهو الغالب عليه وصحح النووي الجواب
الاول وضعف الثاني ومنها ان عينيه نامت وانه تعالى اشغل قلبه بمشاهد
منعته من ان يدرك خروج الوقت ليشرع لامته ولا يضر ذلك لانه صدق
عليه انه نام وكان نومه على جانبه الايمن استظهارا على قلة النوم لانه
على الجانب الايسر اهنا لهدو القلب وما يتعلق به من الاعضاء
الباطنة حينئذ لميلها الى الجانب الايسر فيستدعي ذلك الاستثقال
فيه والطول واذا نام النائم على الايمن تعلق القلب وقلق فاسرع
الافاقة ولم يغمره الاستغراق كان صلى الله عليه وسلم حريصا على عدم الاستغراق
في النوم ويحث الناس على ذلك ويفعل امورا في نومه ينشا منها قلة النوم

الظهر ان الانبيا ايضا تنام قلوبهم ولا تنام عيونهم ه

عدم الايقاظ [illegible]

منها

منها اضطجاعه على شقه الايمن ففي صحيح البخاري عن عائشة قالت كان النبي
صلى الله عليه وسلم يصلي من الليل احدى عشرة ركعة فاذا طلع الفجر صلى
ركعتين خفيفتين ثم اضطجع على شقه الايمن حتى يجي المؤذن فيؤذنه
ومنها انه يبيت طاهرا وكان يحث الناس على ذلك لان الذي يبيت على طهارة
ليس للشيطان عليه سبيل فلا سبيل له اليه بالوسوسة ولهذا قال صلى الله
عليه وسلم للبرا ابن عازب اذا اتيت مضجعك فتوضا وضوك للصلاة ثم اضطجع
على شقك الايمن وقل اللهم اسلمت وجهي اليك وفوضت امري اليك الحديث
ثم بعد ان علمه كلمات قال واجعلهن اخر ما تقول واذا قال هذه الكلمات طرد
الشيطان فلا يقربه بوسوسة ولا بتنويم ومنها انه كان يضع يده اليمنى
تحت خده الايمن فقد روى البخاري بسنده الى ربعي عن حذيفة بن اليمان
رضي الله عنه قال كان النبي صلى الله عليه وسلم اذا اخذ مضجعه من الليل يضع يده
تحت خده ثم يقول اللهم باسمك اموت وباسمك احيا الحديث وانما كان ينام
على الشق الايمن لان من نام عليه يبقى قلبه معلقا غير مطمئن ولا راحة له
فيفيق سريعا ولا يحصل له الاستغراق في منامه لقلق قلبه وقيل كان يفعل
ذلك لحب التيامن وهو منتقد بان في النوم على الجانب الايمن استعمالا
لليمين واهانة لها لان اليمين تقدم في الامور الخيرية والشمال للامور الدنيوية
والنوم حالة غفلة على ان عصمة النبي صلى الله عليه وسلم وتيسير الطريق المرضية له
يدل على انه ما كان يفعله الا تعليما لامته صلى الله عليه وسلم والا فمن نحا نحو مقام سيد
المرسلين صلى الله عليه وسلم غني ان يحتاج الى الاستظهار على النوم الذي من كيف

فكيف

وانه خليل الله عز وجل وهل يتمكن النوم من احاد المحبين يتمكن ممن محبة الله عز وجل
وشوقه اليه سري في شعره وبشره **فصل**
والضرب الثاني ما يتعلق التمدح بكثرته والفخر بوفوره اي بالكثرة منه
كالنكاح اي الجماع **والجاه** وهو قيام المنزلة في قلوب الناس اي اعتقاد القلوب
لنعت من نعوت الكمال فيه فبقدر ما يعتقدون من كماله تذعن له قلوبهم وبقدر
اذعان القلوب تكون قدرته على ارباب القلوب وبقدر قدرته يكون فرحه وحبه
للجاه وللجاه ثمرات كالمدح والاطرا فان المعتقد لا يسكت عن ذكر ما يعتقده
فيثني وكالخدمة والاعانة فانه لا يبخل ببذل نفسه في طاعته بقدر اعتقاده
فيكون سخرة له كالعبد في اغراضه وكالايثار وترك المنازعة والتعظيم
والتوقير والمفاتحة بالسلام وتسليم الصدر في المحافل ومعنى قيام الجاه
اشتمال القلوب على اعتقاد صفات الكمال في الشخص اما بعلم او عبادة
او حسن خلق او نسب او ولاية او جمال في صورة او قوة في بدن او شي مما
يعتقده الناس كمالا فان هذه الاوصاف كلها يعظم محلها في القلوب فتكون
سبب القيام الجاه **اما النكاح فيتفق فيه** اي في كونه صفة كمال **شرعا وعادة**
فانه دليل الكمال وصحة الذكورية ولم يزل التفاخر بكثرته عادة معروفة
والتمادح به سيرة ماضية وذكر لما في النكاح من الفوائد وفوائده خمس الولد
وكسر الشهوة وتدبير المنزل وكثرة ومجاهدة النفس بالقيام بهن والله
عز وجل قد جعل المصاهرة من اسباب الالفة لانها اسبحات مواصلة وتمازج
مناسبه صدرا عن رغبة واختيار وانعقدا عن خبرة وايثار واجتمع في النكاح

اسباب

اسباب الالفة ومواد المصاهرة قال الله عز وجل ومن اياته ان خلق لكم من
انفسكم ازواجا لتسكنوا اليها وجعل بينكم مودة ورحمة يعني بالمودة المحبة وبالرحمة
الحنو والشفقة وهما من اوكد اسباب الالفة وقال الحسن البصري المودة النكاح
والرحمة الولد ولم تزل العرب تجتذب البعدا وتتالف الاعدا بالمصاهرة حتى يرجع
النافر موانسا ويصير العدو موالياً ويصير الصهر بين الاثنين الفة بين
القبيلتين وموالاة بين العشيرتين حكى عن خالد بن يزيد بن معاوية انه
قال كان ابغض خلق الله عز وجل الي آل الزبير حتى تزوجت فيهم رملة
فصاروا احب خلق الله عز وجل الي وفيها يقول

من الطويل

احب بني العوام طرا لاجلها ۝ ومن اجلها احببت اخوالها كلبا
فان تسلمي نسلم وان تتنصري ۝ يخط رجال بين اعينهم صليبا

ولذلك قيل المرء على دين زوجته لما يستنزله الميل اليها من المتابعة
ويجتذبه الحب لها من الموافقة فلا يجد الى المخالفة سبيلا **واما في الشرع**
فسنة اي فهو اي النكاح سنة **ماثورة** حتى بالغ بعض العلما في فضله
فزعم انه افضل من التخلي لعبادة الله عز وجل واعترف اخرون بفضله لكن
قدموا عليه التخلي للعبادة مهما لم تتق نفسه الى النكاح توقانا يشوش
الحال ويدعو الى الوقاع وقال اخرون الافضل تركه في زماننا هذا وقد
كان له فضيلة من قبل اذ لم تكن الاكساب محظورة واخلاق النساء
مذمومة وقد قال صلى الله عليه وسلم من رغب عن سنتي فليس مني وان من
سنتي النكاح ومن احبني فليستن بسنتي وقال صلى الله عليه وسلم من ترك

التزوج خيفة العيلة فليس مني وقال ابن عباس رضي الله عنهما لا يتم نسك
الناسك حتى يتزوج فيحتمل انه جعله من النسك وجعله تتمة له ولكن الظاهر
انه اراد به انه لا يسلم قلبه لغلبة الشهوة الا بالتزوج ولا يتم النسك الا بفراغ
القلب ولذلك كان ابن عباس يجمع غلمانه اذا ادركوا عكرمة وكريبا وغيرهما ويقول ان
اردتم النكاح انكحتكم فان العبد اذا زنى نزع الايمان من قلبه وقال بشر بن الحارث
الحافي رضي الله عنه فضل علي احمد بن حنبل بثلاث بطلب الحلال لنفسه ولغيره
وانا اطلب الحلال لنفسي فقط ولاتساعه في النكاح وضعفي عنه ولانه
نصب اماما للعامة وروي بعد موته في المنام قيل له ما فعل الله عز وجل بك
قال رفعت منازلي في الجنة واشرفت على مقامات الانبيا ولم ابلغ منازل
المتاهلين وفي رواية قال لي رب العزة عز وجل ما كنت احب ان تلقاني عزبا
قال فقلنا له ما فعل ابو نصر التمار قال رفع فوقي بسبعين درجة قلنا بماذا فقد
كنا نراك فوقه قال بصبره على بنياته والعيال وقال سفين بن عيينة كثرة النسا
ليس من الدنيا لان عليا رضي الله عنه كان ازهد اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم
وكان له اربع نسوة وسبع عشرة سرية فالنكاح سنة ماضية وخلق من اخلاق
الانبيا وقد قال ابن عباس رضي الله عنهما افضل هذه الامة اكثرها نساء
مشيرا اليه صلى الله عليه وسلم قيل لهذه الامة ليخرج مثل سليمن عليه الصلاة
والسلام فانه كان اكثر نسا من نبينا صلى الله عليه وسلم وكذلك ابوه داود وفي
رواية للطبراني عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما فان خيرنا كان اكثرنا
نسا قيل المعنى خير امة محمد صلى الله عليه وسلم من كان اكثر نسا من غيره ممن يساويه

جماعا

فيما عدا ذلك من الفضائل ثم ان المصنف مشى على ان المراد بالخير النبي صلى الله عليه وسلم
وبالامة اخصا اصحابه فان قلت كون المراد من الخير النبي صلى الله عليه وسلم امر لا
فائدة فيه ولا جدوى له لانه معلوم بديهي لا يحتاج الى التنبيه عليه قلت
ان الخيرية ثبتت له ولو كان كثرة النسا منقصة لعد المكثر منهن لما كان اعلى
الناس قدرا من يكثر منهن فدل على انه خلق بنفع ممن هو افضل الخلق واشار امرح
بذلك الى ان ترك التزوج مرجوح اذ لو كان راجحا ما اثره النبي صلى الله عليه وسلم
على غيره وكان صلى الله عليه وسلم مع كونه اخشى الناس لله عز وجل واعلمهم به
يكثر التزوج لمصلحة تبليغ الاحكام التي لا يطلع عليها الرجال ولاظهار المعجزة
البالغة في خرق العادة لكونه كان قليل الاكل جدا وصومه كثير ووصاله
كثير ومع ذلك كان يطوف على نسائه في الليلة الواحدة وذلك لا يطاق الا مع
الاكثار من مقويات الشهوة من الاكل والشرب وهي عنده صلى الله عليه وسلم
نادرة وانما اكثر من جمع النسا عنده لحكم منها تكثير من يشاهد احواله الباطنة
فينتفي عنه ما يظن به المشركون من انه ساحر او غير ذلك ومنها ان يتشرف
به قبائل العرب بسبب مصاهرته ومنها تاليفهم على الاسلام ومنها الزيادة في
التكليف حيث كلف ان لا يشغله ما حبب اليه منهن ومنها ان تكثر عشيرته
من اصهاره فيزداد اعوانه على الخير الذي كان بصدده ومنها نقل الاحكام
الشرعية التي لا يطلع عليها الرجال لان اكثر ما يقع مع الزوجة مما شانه ان
يختفي مثله ومنها الاطلاع على محاسن اخلاقه الباطنة فقد تزوج ام حبيبة
بنت ابي سفيان وابوها اذ ذاك يعاديه وصفية بنت حيي بعد قتل ابيها وعمها

وزوجها فلو لم يكن اكمل الخلق في خلقه لفعزن منه بل الذي وقع انه صلى الله عليه
وسلم كان احب اليهن من جميع اهلهن ثم ان هذا الاثر رواه البخاري في
صحيحه فيه بسنده الى سعيد بن جبير قال قال لي ابن عباس رضي الله عنهما
هل تزوجت قلت لا قال تزوج فان خير هذه الامة اكثرها نساء فان قلت
كيف اضاف اسم التفضيل في قوله خير هذه الامة الى الامة والنبي صلى الله عليه
وسلم ليس منهم لان الامة هم الذين بعث اليهم صلى الله عليه وسلم واسم التفضيل
اذا اضيف الى من ليس المفضل واحدا منهم يراد به مطلق الزيادة لا
التفضيل عليهم نحو يوسف احسن اخوته اذ ليس داخلا في اخوته
والاشج والناقص اعدلا بني مروان اذ ليس فيهم عادل غيرهما قلت لفظ
الامة له اطلاقان يطلق على من بعث اليهم النبي فيقال امة موسى وامة محمد صلى الله
عليهما وسلم وتطلق الامة على الجيل من الناس والحيوان وفي الحديث قال
صلى الله عليه وسلم لولا ان الكلاب امة تسبح لامرت بقتلها وتطلق على قوم
توافقوا على شيء فيقال انهم امة واحدة وفي الحديث ان يهود بني عوف امة
من المؤمنين يريد انهم بالصلح الذي وقع بينهم وبين المؤمنين كجماعة منهم
كلمتهم واحدة وقال صلى الله عليه وسلم انا امة امية لا نكتب ولا نحسب فادخل
نفسه في الامة باعتبار اتحاد الكلمة والالف والمصادقة وانه هو وامته جيل واحد
فبهذا الاعتبار صح اضافة اسم التفضيل اليهم ويكون هو واحدا ولا يكون على حد
يوسف احسن اخوته بل على حد يوسف احسن اولاد يعقوب عليهم السلام

يطلب

وقد قال صلى الله عليه وسلم تناكحوا تناسلوا فاني مباه بكم الامم يوم القيمة

تناكحوا

الصاحح

تناكحوا فعل امر والتاء فيه تاء التفاعل واما تناسلوا فيجوز ان يكون فعل امر
فان قلت كيف يامرنا بالتناسل وهو غير مقدور لنا لانه فعل الله عز وجل
وخلقه الذي ليس لمخلوق فيه حيلة قلت ليحرض على نكاح الولود وتعلم
الولود من نساء قراباتها فان عرفت بالعقم فلا ينبغي ان يتزوجها وفي
الحديث عليكم بالولود الودود فان لم يكن لها زوج ولم يعرف حالها فليسرع
صحتها وشبابها فانها تكون ولودا في الغالب من هذين الوصفين ويجوز ان
يكون فعلا مضارعا حذفت منه تاء المضارعة لانه اذا اجتمع تاءان في اول
مضارع تفاعل يجوز حذف احداهما ويكون حينئذ مجزوما على انه جواب الامر
والمباهاة المفاخرة وفي الحديث من اشراط الساعة ان يتباهى الناس في
المساجد هذا وان هذا الحديث اخرجه ابن مردويه في تفسيره عن ابن عمر رضي الله
عنهما بسند ضعيف وللطبراني في الاوسط من حديث سهل بن حنيف تزوجوا
فاني مكاثر بكم الامم وقد جاء معناه عن جماعة من الصحابة فاخرج ابو داود والنسائي
والبيهقي وغيرهم من حديث معقل بن يسار مرفوعا تزوجوا الولود الودود
فاني مكاثر بكم الامم ولاحمد وسعيد بن منصور والطبراني في الاوسط والبيهقي
واخرين من حديث حفص بن عمر ابن اخي انس عن عمه انس رضي الله عنه قال
كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يامر بالباه وينهى عن التبتل نهيا شديدا
ويقول تزوجوا الودود الولود فاني مكاثر بكم الامم يوم القيمة وصححه ابن حبان
والحاكم ولابن ماجه من حديث عطا بن ابي رباح عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم انكحوا فاني مكاثر بكم وقد جمع الحافظ ابو الخير السخاوي

طرق هذا الحديث في جزء مستقل ومعنى مباهاة النبي صلى الله عليه وسلم بامته
يوم القيمة افتخاره على جميع خلق الله عز وجل بكثرة الاتباع فانها دليل على قوة
النبوة وعلو مقام الرسالة وتمام الحيطة لان قوة النبي ودرجته في النبوة
انما تعلم من كثرة اتباعه وليس في الانبيا من له اتباع كنبينا صلى الله عليه وسلم
لعموم بعثته ورسالته وقد اخرج البزار بسنده عن ابي هريرة رضي الله عنه عن النبي
صلى الله عليه وسلم قال ياتي معي من امتي يوم القيمة مثل السيل والليل يحطم الناس
حطما فتقول الملائكة لما جا مع محمد صلى الله عليه وسلم اكثر مما جا مع سائر الامم
والانبيا ونهى اي النبي صلى الله عليه وسلم عن التبتل المراد به الانقطاع عن النكاح وما
يتبعه من الملاذ الى العبادة واما المامور به في قوله عز وجل وتبتل اليه تبتيلا
فقد فسره مجاهد فقال اخلص لله عز وجل اخلاصا وهو تفسير معنى والا فاصل
التبتل الانقطاع والمعنى انقطع اليه انقطاعا لكن لما كان حقيقة الانقطاع الى
الله عز وجل انما تقع باخلاص العبادة له فسرها بذلك ومنه صدقة بتلة اي
منقطعة عن الملك ومريم البتول لانقطاعها عن التزويج الى العبادة وقيل
لفاطمة بنت النبي صلى الله عليه وسلم البتول اما لانقطاعها عن الازواج غير
علي رضي الله عنه او لانقطاعها عن نظرايها في الحسن والشرف وفي صحيح البخاري
بسنده الى سعيد بن المسيب قال سمعت سعد بن ابي وقاص رضي الله عنه يقول
رد رسول الله صلى الله عليه وسلم على عثمان بن مظعون رضي الله عنه التبتل ولو اذن
لاختصينا والخصا هو الشق عن الانثيين وانتزاعهما ولا يكره من التبتل
الا القدر الذي يفضي الى التنطع وتحريم ما احل الله عز وجل واخرج الطبراني من حديث

عثمان

بلغ مقابلة على نسخة المولف

يطلب

عثمان بن مظعون انه قال يا رسول الله اني رجل تشق علي العزوبة فاذن لي في
الخصا قال لا ولكن عليك بالصيام وفي رواية له من طريق سعيد بن العاص ان
عثمان قال يا رسول الله ائذن لي في الاختصا فقال ان الله عز وجل قد ابدلنا
بالرهبانية الحنيفية السمحة فيحتمل ان يكون الذي طلبه عثمان هو الاختصا
حقيقة فعبر عنه الراوي بالتبتل لانه ينشا عنه فلذلك قال ولو اذن له لاختصينا
اي لفعلنا فعل من يختصي وهو الانقطاع عن النسا والطيب وكل ما يلتذ به
وقد اراد التبتل جماعة من الصحابة ارادوا الانقطاع الى العبادة فنهاهم النبي
صلى الله عليه وسلم عن ذلك ففي صحيح البخاري بسنده الى انس بن مالك قال جا ثلاثة
رهط الى بيوت ازواج النبي صلى الله عليه وسلم يسالون عن عبادة النبي صلى الله عليه وسلم
فلما اخبروا كانهم تقالوها فقالوا واين نحن من النبي صلى الله عليه وسلم قد غفر له
ما تقدم من ذنبه وما تاخر فقال احدهم اما انا فاني اصلي الليل ابدا وقال
الاخر وانا اصوم الدهر ولا افطر وقال الاخر انا اعتزل النسا فلا اتزوج ابدا
فجا النبي صلى الله عليه وسلم اليهم فقال انتم الذين قلتم كذا وكذا اما والله اني لاخشاكم
لله عز وجل واتقاكم له لكني اصوم وافطر واصلي وارقد واتزوج النسا فمن رغب
عن سنتي فليس مني والثلاثة المذكورون هم علي بن ابي طالب وعبد الله بن عمرو
ابن العاص وعثمان بن مظعون واخرج ابن مردويه من طريق الحسن البصري
قال كان علي بن ابي طالب رضي الله عنه ممن اراد ان يحرم الشهوات فنزلت الاية
في المائدة ووقع في اسباب النزول للواحدي بغير اسناد ان رسول الله صلى
الله عليه وسلم ذكر الناس وخوفهم فاجتمع عشرة من الصحابة وهم ابو بكر وعمر وعلي

تقالوها اي استقلوها وهو تفاعل من القلة نهاية

وابن مسعود وابو ذر وسالم مولى ابي حذيفة والمقداد وسلمان وعبد الله بن عمرو بن
العاص ومعقل بن مقرن في بيت عثمان بن مظعون فاتفقوا على ان يصوموا
النهار ويجبوا مذاكيرهم فان كان هو محفوظا احتمل ان يكون الرهط الثلاثة هم
الذين باشروا السوال فنسب ذلك اليهم لخصوصهم تارة ونسب الى الجميع
لاشتراكهم في طلبه ويويد انهم كانوا اكثر من ثلاثة في الجملة ما روى مسلم في صحيحه
من حديث سعد بن هشام انه قدم المدينة فاراد ان يبيع عقاره فيجعله في سبيل
الله عز وجل ويجاهد الروم حتى يموت فلقي ناسا بالمدينة فنهوه عن ذلك
واخبروه ان رهطا ستة ارادوا ذلك في حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم
فلما حدثوه بذلك راجع امراته وكان قد طلقها يعني بسبب ذلك وانما خص
الاختصا بالذكر لان التعبير به ابلغ من التعبير بالتبتل لان وجود الالة
يقتضي استمرار وجود الشهوة ووجود الشهوة ينافي المراد بالتبتل
فيتعين الخصا طريقا الى تحصيل المطلوب وغايته ان فيه الما عظيما في العاجل
يغتفر في جنب ما يندفع به في الاجل وهو كقطع الاصبع اذا وقعت في اليد
الاكلة صيانة لنفسه باليد وليس الهلاك بالخصا محققا بل هو نادر ويشهد
له كثرة وجوده في البهائم مع بقائها والحكمة في منعهم من الاختصا ارادة تكثير
النسل ليستمر جهاد الكفار والا لو اذن في ذلك لاوشك تواردهم عليه
فينقطع النسل فيقل المسلمون بانقطاعه ويكثر الكفار وهو خلاف المقصود
من البعثة المحمدية فنهى النبي صلى الله عليه وسلم عن الخصا نهي تحريم بلا خلاف في
بني ادم وفيه من المفاسد تعذيب النفس والتشويه مع ادخال الضرر الذي

مطلب في الخصا

قد

قد يودي الى الهلاك وفيه ابطال معنى الرجولية وتغيير خلق الله عز وجل وكفر
النعمة لان خلق الله الانسان رجلا نعمة عظيمة ممنوع منه في الحيوان الا
لمنفعة عظيمة حاصلة منه كطيب لحمه وقال النووي يحرم خصا الحيوان غير
الماكول مطلقا واما الماكول فيجوز في صغره دون كبره مع ما فيه اي في النكاح من
قمع الشهوة وغض البصر الذي نبه عليهما صلى الله عليه وسلم بقوله من كان ذا
طول بفتح الطا واسكان الواو الفضل والبسطة فليتزوج فانه اغض
للبصر واحصن للفرج والمراد بالطول هنا خصوص الجماع لقدرته على مؤن
وهي مؤن النكاح واقتصر المصنف على رواية الطبراني مع ان الحديث له ذكر في
الصحيحين لوضوح هذه الرواية فان عبارة ذلك الحديث المروي في الصحيحين
فيها نوع خفا ومع ذلك فانه خص بذلك الحديث الشباب وهذه الرواية صدرها
بصيغة العموم وهو من في قوله من كان ذا طول وعبارة الحديث المروي في
الصحيحين قال ابن مسعود كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم شبابا لا نجد شيا
فقال لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يا معشر الشباب من استطاع منكم
الباءة فليتزوج فانه اغض للبصر واحصن للفرج ومن لم يستطع فعليه
بالصوم فانه له وجا وانما خص الشباب بالخطاب لان الغالب وجود قوة
الداعي منهم الى النكاح بخلاف الشيوخ وان كان المعنى معتبرا اذا وجد
السبب في الكهول والشيوخ ايضا والحاصل ان الخطاب وان كان للشباب
لكن لذلك الحكم علة ومن المعلوم ان العلة تقتضي عموم الحكم والعلة هنا
ثوران الشهوة ووجود الداعي فاذا وجد الداعي استحب النكاح وان كانوا

في النهاية
وفيه عليكم بالباءة
يعني النكاح والتزويج
يقال فيه الباءة والباء
وقد يقصر وهو من المباءة
المنزل لان من تزوج
امراة بوأها منزلا وقيل
لان الرجل يتبوا من اهله
اي يستمكن كما يتبوا من
منزله ه وفي المجمل
والباءة النكاح قال ابن دريد
لان الما يصب ثم يعود ه

شيوخا او كهولا ففي الحقيقة لا فرق بين الروايتين حتى لم يره العلما مما يقدح في
الزهد يعني ربما يتبادر الى الذهن من لم يفهم الزهد انه النسا من الدنيا وان
الراغب فيهن كانه راغب في الدنيا وهذا ينافي الزهد فالمصنف رحمه الله
اشار الى دفع هذا الوهم وازالة هذه الشبهة بان النسا ليس من الدنيا وليس
كثرة النكاح من الاكثار من الدنيا وكيف وان الزاهد مطمح نظره تحصيل الاجور
وتكثير الثواب وفي التزوج ثواب جزيل واجر وافر وقد قال صلى الله عليه وسلم من
نكح لله عز وجل وانكح لمستحق ولاية الله عز وجل وقال صلى الله عليه وسلم من تزوج
لله عز وجل فقد احرز شطر دينه فليتق الله عز وجل في الشطر الثاني وهذا
اشارة الى فضله لاجل التحرز من المخافة تحصنا من الفساد وكان المفسد لدين
المرء في الاغلب فرجه وبطنه وقد كفى بالتزوج احدهما وقال صلى الله عليه وسلم
اذا مات ابن ادم انقطع عمله الا من ثلاث صدقة جارية او علم ينتفع او ولد صالح
يدعو له ولا يتوصل الى ذلك الا بالنكاح وقال سهل بن عبد الله اي التستري الزاهد
قد حببن اي النسا الى سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم انما كان حبه لهن لانهم
يلجون اليه في الشفاعة يوم القيمة ويعرفون بفضله وتقدمه وقد اعترفوا
بفضله وسيادته ليلة المعراج اذ راوا ما اكرمه الله عز وجل مما حير العقول والالباب
فكيف يزهد فيهن ولو علم الله عز وجل ان حبهن ليس مرضيا عنده لنزه عنه
نبيه وخليله محمدا صلى الله عليه وسلم وكذا خليله ابرهيم عليه الصلاة والسلام
كان محبته للنسا شايعة وكان عنده سارة اجمل نسا العالمين واحب هاجر
وتسرى بها وقيل كان الخليل عليه الصلوة والسلام يزور هاجر في كل يوم من الشام على

البراق

البراق شغفا بها وقلة صبر عنها ونحوه لابن عيينة الذي روى عن سفيان بن
عيينة في ذلك انه قال كثرة النسا ليست من الدنيا لان عليا رضي الله عنه كان ازهد
الصحابة وكان له اربع نسوة وسبع عشرة سرية وقد كان زهاد الصحابة كثيري الزوجات
والسراري كثيري النكاح وحكي في ذلك عن علي والحسن وابن عمر وغيرهم غير مثنى
قال سفيان الثوري كان عند علي بن ابي طالب اربع نسوة وتسع عشرة وليدة ويقول
والله اني لمشتاق الى العرس واول زوجة تزوجها علي رضي الله عنه فاطمة
بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يتزوج عليها غيرها حتى توفيت عنده
وولدت له الحسن والحسين ومحسنا توفي صغيرا في حياة رسول الله
صلى الله عليه وسلم وكان النبي صلى الله عليه وسلم هو الذي سماهم بهذه الاسما واما
الحسن فكان من اكثر الناس نسا وكان مطلاقا حتى قيل انه ارخى ستره على
مائتي حرة وكان ابن مسعود رضي الله عنه يقول لو لم يبق من عمري الا عشرة
ايام لاحببت ان اتزوج ولا القى الله عز وجل عزبا وماتت امراتان لمعاذ بن جبل
رضي الله عنه في الطاعون وكان هو ايضا مطعونا فقال زوجوني فاني اكره ان
القى الله عز وجل عزبا وهذا منهما يدل على انهما رايا في النكاح فضلا لا من حيث
التحرز من غائلة الشهوة وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يكثر النكاح
ويقول ما اتزوج الا لاجل تكثير الولد وكان بعض الصحابة قد انقطع الى
رسول الله صلى الله عليه وسلم يخدمه ويبيت عنده لحاجة ان طرقته فقال صلى الله
عليه وسلم الا تتزوج فقال له يا رسول الله اني فقير لا شي لي وانقطع عن خدمتك
فسكت ثم اعادها ثانيا فاعاد الجواب ثم تفكر الرجل في نفسه فقال والله

قال في النهاية الوليد هو الطفل
ثم قال ومنه الحديث
لا تقتلوا وليدا يعني في الغزو
والجمع ولدان والانثى وليدة
والجمع الولائد وقد تطلق
الوليدة على الجارية والامة
وان كانت كبيرة اه انتهى

لرسول الله اعلم بما يصلحني في دنياي واخرتي وما يقربني الى الله عز وجل مني ولئن قال
لي الثالثة لافعلن فقال له الثالثة الا تتزوج قال فقلت يا رسول الله زوجني قال اذهب
الى بني فلان فقل ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يامركم ان تزوجوني فاتم الحديث

السراري ٥

واما السراري فهو جمع سرية وفي القاموس والسرية بالضم الامة التي بوأتها بيتا
منسوب الى السر بالكسر للجماع وفي الصحاح السرية فعلية منسوبة الى السر وهو
الجماع والاخفاء لان الانسان كثيرا ما يسرها ويستترها عن حرته وانما ضمت
سينه اي سين سرية لان الابنية قد تغير في النسبة خاصة كما قالوا في النسبة
الى الدهر دهري والارض السهلة سهلي والجمع السراري وكان الاخفش يقول انها
مشتقة من السرور لانه يسر بها ويقال سررت جارية وتسريت ايضا كما قالوا
ظننت وتظنيت انتهى وفي النهاية الاثيرية يقال اتخاذ السراري الاستسرار وكان
القياس الاستسرار من تسريت اذا اتخذت سرية لكنها ردت الحرف الى الاصل
وهو تسررت من السر النكاح او من السرور فابدلت احدى الرائين يا وقيل
ان اصلها الياء من الشيء السري النفيس ٥ وقد حث النبي صلى الله عليه وسلم على اتخاذهن
فقد اخرج الطبراني من حديث ابي الدرداء رضي الله عنه قال عليكم بالسراري فانهن
مباركات الارحام واخرج احمد بن حنبل رضي الله عنه من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص
رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انكحوا امهات الاولاد فاني اباهي بكم
يوم القيمة وقد كان لنبينا صلى الله عليه وسلم اربع سراري يطاهن بمجرد ملك اليمين
احداهن مارية القبطية رضي الله عنها بنت شمعون اهداها المقوقس القبطي
صاحب مصر والاسكندرية واهدى اختها معها سيرين ووهب النبي صلى الله عليه وسلم

عبارة النهاية
وفي حديث عائشة رضي الله عنها
وذكر لها المتعة فقالت والله
ما نجد في كتاب الله الا النكاح
والاستسرار تريد اتخاذ
السراري وكان القياس
الاستسرار من تسريت
اذا اتخذت سرية لكنها ردت الحرف الى الاصل
السر النفيس انتهت

المقو

سيرين لحسان

سيرين لحسان رضي الله عنه وهي ام عبد الرحمن بن حسان وريحانة بنت شمعون من بني
قريظة وقيل من بني النضير والاول اظهر وكان له صلى الله عليه وسلم سرية وهبتها له
زينب بنت جحش رضي الله عنها وسرية اخرى اصابها من السبي **وقد كره غير واحد
ان يلقى الله عز وجل عزبا** في النهاية العزب البعيد عن النكاح ورجل عزب
وامراة عزبا ولا يقال فيه اعزب وفي القاموس العزب محركة من لا اهل له كالمعزابة
والعزيب ولا تقل اعزب او قليل والجمع اعزاب وهي عزبة وعزب والاسم العزبة
والعزوبة مضمومتين والفعل كنصر وتعزب ترك النكاح كان ابن مسعود رضي الله
عنه يقول لو لم يبق من عمري الا عشرة ايام لاحببت ان اتزوج ولا القى الله عز وجل
عزبا وماتت امرأتان لمعاذ بن جبل رضي الله عنه في الطاعون وكان هو ايضا
مطعونا فقال زوجوني فاني اكره ان القى الله عز وجل عزبا وهذا منهما يدل على
انهما رأيا في النكاح فضلا لا من حيث التحرز من غائلة الشهوة ويقال ان احمد
ابن حنبل تزوج في اليوم الثاني من وفاة ام ولده عبد الله وقال اكره ان ابيت
عزبا وقيل ان بشر بن الحارث الحافي رضي الله عنه رئي بعد موته في المنام
فقيل له ما فعل الله عز وجل بك قال قال لي ما كنت احب ان تلقاني عزبا
**فان قلت كيف يكون النكاح وكثرته من الفضائل وهذا يحيى بن زكريا عليهما
السلام** قال قتادة سمي يحيى لان الله عز وجل احياه بالايمان واخرج ابن عدي
عن ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم قال خلق الله عز وجل فرعون في بطن
امه كافرا وخلق يحيى بن زكريا في بطن امه مومنا واخرج احمد بسنده عن مجاهد
قال قالت امراة زكريا لمريم اني اجد الذي في بطني يتحرك للذي في بطنك فوضعت

حلو

امراة زكريا يحيى ومريم عيسى عليهم السلام وذلك قوله عز وجل مصدقا بكلمة من الله
قال يحيى مصدقا بعيسى وقال الضحاك كان يحيى اول من صدق بعيسى وعلى
مسلكه ومنهاجه وقال ابن عباس رضي الله عنهما كان يحيى وعيسى ابني خالة
وكانت ام يحيى تقول لمريم اني اجد الذي في بطني يسجد للذي في بطنك فذلك
تصديقه بعيسى عليهما السلام سجوده في بطن امه وهو اول من صدق بعيسى
ويحيى اكبر منه عيسى وقد ولد يحيى وكان عمر زكريا مائة وعشرين سنة وقيل تسعين
وقيل اثنتين وتسعين وقيل مائة الا سنتين واما زكريا فهو ابن ادن
ويقال ابن بشرى ويقال ابن بارخيا ويقال ابن اس بن برخيا وهو من ذرية
سليمان بن داود عليهما السلام وقال ابن اسحق كانت حنة عند عمران واختها
عند زكريا وقد قال الثعلبي ولد يحيى قبل عيسى بستة اشهر وقد قيل في قوله
عز وجل واتيناه الحكم صبيا قبل نبي وهو ابن سبع سنين وقيل اقل من ذلك
والمراد بالحكم الفهم في الدين وقال ابن اسحق كان زكريا وابنه اخر من بعث من
بني اسرائيل قبل عيسى وقال ايضا اراد بنوا اسرائيل قتل زكريا ففر منهم الى شجرة
فانفلقت له فدخل فيها فالتامت فاخذ الشيطان بهدبة ثوبه فراوها فوضعوا
المنشار على الشجرة فنشروها حتى قطعوه من وسطه في جوفها واما يحيى
فقتل بسبب امراة اراد ملكهم ان يتزوجها فقال له يحيى انها لا تحل لك
لكونها كانت بنت امراة الذي يريد ان يتزوجها فوصلت الى الملك حتى قتل
يحيى وكان ذلك قبل ان يرفع عيسى عليه السلام وروى الحاكم في المستدرك
من حديث عبد الله بن الزبير هذه القصة واخرج من حديث ابن عباس رضي الله عنهما

مقتل زكريا عليه السلام

ادم

ان دم يحيى كان يفور حتى قتل عليه بخت نصر من بني اسرائيل سبعين الفا فسكن
فان قلت قد قيل ان الذي يذبح الموت يحيى بن زكريا وذلك في حديث الصحيحين
فيهما واللفظ للبخاري بسنده الى ابن عمر رضي الله عنهما قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم اذا صار اهل الجنة الى الجنة واهل النار الى النار جيء بالموت
حتى يجعل بين الجنة والنار ثم يذبح الحديث فقد قيل ان الذابح للموت هو يحيى بن
زكريا عليه السلام فهل ذلك صحيح اولا قلت نقل ذلك عن بعض الصوفية فقال
ان الذي يذبحه يحيى بن زكريا عليه السلام بحضرة النبي صلى الله عليه وسلم اشارة
الى دوام الحياة وليس له في ذلك مستند من حديث لكن الذي ذكره في بعض
التصانيف انه جبريل وهو في تفسير اسمعيل بن ابي زياد الشامي احد
الضعفا في حديث الصور الطويل فقال فيه فيحيي الله عز وجل ملك الموت
وجبريل وميكائيل واسرافيل ويجعل الموت في صورة كبش املح فيذبح جبريل
الكبش وهو الموت قد اثنى الله عليه انه كان حصورا قد اثنى الله عز وجل عليه
في كتابه العزيز انه كان نبيا حصورا فالسيد قيل الحليم التقي وقيل الكريم على الله
عز وجل وقيل السيد الذي لا يغلبه الغضب وقيل السيد الفقيه العالم وقيل
السيد الحسن الخلق والحصور الذي حصر عن النسا اي الذي لا ياتيهن وقيل
الحصور الذي لا ينزل الما واخرج ابن جرير عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي
الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من عبد لله عز وجل يلقى الله عز
وجل الا ذا ذنب الا يحيى بن زكريا فان الله عز وجل يقول وسيدا وحصورا
قال وانما كان ذكره مثل هدبة الثوب واشار بانملته وسل ابن عباس رضي الله

كون الذابح للموت يحيى بن زكريا عليه السلام [illegible]

عنها عن قوله عز وجل وحصورا قال الحصور الذي لا ياتي النسا قال وهل
تعرف العرب ذلك قال نعم اما سمعت قول الشاعر

وحصور عن الخنا يامر النا . س بفعل الخيرات والتشمير

فكيف يثني الله عليه بالعجز عما تفعله فضيلة وهذا عيسى عليه السلام بن مريم
تبتل من النسا فلم يتزوج ولو كان كما قرئته كنتم اذ ثنا الله عز وجل على
يحيى بانه حصور ليس كما قال بعضهم انه كان هيوبا اي جبانا عن النكاح
وفي القاموس الهيبة المخافة وفي الصحاح الهيوب الجبان الذي يهاب الناس
وفي النهاية الاثيرية في الحديث الايمان هيوب اي يهاب اهله فعول بمعنى مفعول
فالناس يهابون اهل الايمان ويخافونه وقيل هو فعول بمعنى فاعل اي ان
المومن يهاب الذنوب فيتقيها يقال هاب الشي يهابه اذا خافه واذا وقره
وعظمه اولا ذكر له فقد قيل انه كان ذا ذكر صغير جدا قال سعيد بن المسيب
في قوله وحصورا قال لا يشتهي النسا ثم ضرب بيده الى الارض فاخذ نواة
فقال ما كان معه مثل هذه واخرج ابن ابي حاتم عن ابي هريرة رضي الله عنه
ان النبي صلى الله عليه وسلم قال كل ابن ادم يلقى الله عز وجل بذنب قد اذنبه
يعذبه عليه ان شا او يرحمه الا يحيى بن زكريا عليهما السلام فانه كان سيدا
وحصورا ونبيا من الصالحين ثم اهوى النبي صلى الله عليه وسلم الى قذاة من
الارض فاخذها وقال كان ذكره مثل هذه القذاة وفي حديث اخرجه ابن جرير
وانما كان معه مثل هدبة الثوب واشار بانملته وقال ابن المنذر كان يحيى عنينا
بل انكر هذا حذاق المفسرين جمع حذق بحاء ثم ذال معجمة وفي القاموس حذق

الصبي القران او العمل كضرب وعلم حذقا وحذاقا وحذاقة ويكسر الكل تعلمه كله
ومهر فيه انتهى فالمراد من الحذاق المهرة في التفسير ونقاد العلما اي
الماهرين في تحقيق العلم بحيث يميزون بهرجه من غيره وقالوا هذه نقيصة
وعيب ولا تليق بالانبياء عليهم السلام وانما معناه انه معصوم من الذنوب
اي لا ياتيها كانه حصر عنها وقيل مانعا نفسه من الشهوات وقيل
ليست له شهوة في النسا فقد بان لك من هذا ان عدم القدرة على
النكاح نقص وانما الفضل في كونها موجودة ثم قمعها اما بمجاهدة
كعيسى عليه السلام او بكفاية من الله عز وجل كيحيى عليه السلام فضيلة
زائدة لكونها تشغله في كثير من الاوقات حاطة الى الدنيا وحاصل
ما اجاب به المصنف عن هذه الشبهة اجوبة اولها انا لا نسلم ان معنى الحصور
الذي لا ذكر له ولا العنين ولا الهيوب وانما معناه انه معصوم من الذنوب
اي لا ياتيها كانه حصر عنها قال البيضاوي في تفسيره حصورا اي مبالغا في
حبس نفسه عن الشهوات والملاهي روى انه مر في صباه بصبيان
فدعوه الى اللعب فقال ما للعب خلقت انتهى وقد روى ابو صالح عن ابي هريرة
رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول كل ابن ادم يلقى
الله عز وجل بذنب قد اذنبه يعذبه عليه ان شا او يرحمه الا يحيى بن زكريا
فانه كان سيدا وحصورا ونبيا من الصالحين ثم اهوى النبي صلى الله عليه وسلم
بيده الى قذاة من الارض واخذها وقال كان ذكره مثل هذه القذاة فان
قلت اي ميزة ليحيى بن زكريا بهذه المنقبة وغيره من النبيين كذلك فالجواب

معصومون من الذنوب قلت جرى من غالبهم ما يتوهم انه ذنب وقد جرى ذلك
على ظواهرهم واسرارهم مستوفاة بمشاهدة الحق عز وجل وقد جرت منهم ايضا
على طريق السهو والغفلة واما يحيى فلم يصدر منه شي من ذلك وذلك لا ينقص
مقاماتهم العلية وثانيها ان معنى الحصور المانع نفسه من الشهوات
بل زهد في الدنيا ولبس مدرعات الصوف وكان يضع البرنس على راسه
وكان قد بكى حتى اكلت الدموع لحم خديه وبدا للناظرين اضراسه وكان كثير البكا
من خشية الله عز وجل ثالثها ان الحصور هو الذي لا ياتي النسا لا لعجز عن
اتيانهن بل تعففا منه ولشغل باله عنهن وكثرة حزنه وبكائه ولا يقال انه
كان عنينا لان العنة نقص في البشرية والنبي يجب ان يكون كامل الخلق حتى
انهم اعترضوا على هذا الاشتراط بان موسى عليه السلام كان في لسانه عقدة
ووجودها مناف لكمال الخلق وقد اجيب عن ذلك بان الله عز وجل قد حلها
بدعائه حيث قال واحلل عقدة من لساني يفقهوا قولي وكسر رباعية النبي صلى
الله عليه وسلم زاده حسنا وجمالا واجابوا عما وقع لايوب عليه السلام من البلا بانه
كان قبل البعثة فان قلت القول بانه كان عنينا قاله ابن المنذر وهو امام
جليل قلت اراد ذلك على طريق التشبيه اي يشبه العنين اي من كثرة تركه
للنكاح واعراضه عنه صار كانه عنين او من شغل باله بخوف الله عز وجل فان
يحيى عليه السلام كان يغلب عليه الخشية واخباره في ذلك مشهورة لم يات لم
انه اشتهى النكاح اصلا لان من المعلوم ان شهوة النكاح لا تحصل ممن
يغلب عليه الخوف والخشية وكذلك القول في ان ذكره كان مثل القذاة يراد به

انه لغلبة هيبة الله على قلبه تلاشى امر شهوته فلم يحصل لذكره امتداد ولا يلزم
من ذلك ان يخلق لا يشتهي فان من خلق لا يشتهي النسا لا فضيلة له في تركهن
انما الفضيلة في ترك امر يقدر عليه فقد بان من هذا ان عدم القدرة على النكاح
نقص وانما الفضل في كونها موجودة ثم قمعها فان قلت كيف يقول المصنف هذا
مع قوله في الجواب عن الشبهة في يحيى عليه السلام وقيل ليست له شهوة في
النسا قلت ليس مراده بكونه ليست له شهوة في النسا انه ناقص الخلقة
وشهوتهن لم توجد فيه من اصل خلقته على اسلوب العنين حاشاه من ذلك
وانما اراد ان شهوة النسا ذهبت منه لكثرة غمومه وترايد همومه وكثرة خوفه
من الله عز وجل وشغل باله بتصور احوال يوم القيمة كما قال صلى الله عليه وسلم
والله لو تعلمون ما اعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا ولما تمتم على الفراش ولخرجتم
الى الصعدات تجارون الى الله عز وجل الحديث فالذي لا يليق بالانبيا عدم
اتيان النسا اذا كان بسو مزاج او فقد آلة الجماع واما اذا كان تركهن لشاغل
قلبي كغلبة حب الله عز وجل والشوق اليه على قلب عبد او خوف الله عز وجل كيحيى
عليه السلام فذاك غير مضر ولا باس به وكذا اذا كان لمجاهدة نفسه كعيسى
عليه السلام فانه جاهد نفسه وتبتل لله عز وجل تبتيلا والتبتل في شان
عيسى عليه السلام غير مذموم لانه معصوم وانما هو مذموم في شان من لم
يكن معصوما وكذا اذا كان ترك النسا لكفاية من الله عز وجل كيحيى عليه
السلام فانه عليه السلام لما اشغل الله عز وجل قلبه بخوفه كفاه هم النساء
تصرف قلبه عن الميل اليهن قال حجة الاسلام ابو حامد الغزالي في الاحياء

فان قلت ان كان النكاح له فضل فلم تركه عيسى عليه السلام على نبينا وعليه الصلاة
والسلام مع فضله وان قلتم ان التخلي لعبادة الله عز وجل افضل فلم استكثر
النبي صلى الله عليه وسلم منه فاعلم ان الافضل الجمع بينهما في حق من قدر وقويت منته
وعظمت همته فلا يشغله عن الله عز وجل شاغل فرسول الله صلى الله عليه وسلم
اخذ بالقوة وجمع بين فضل العبادة والنكاح فلقد كان صلى الله عليه وسلم مع تسع
نسوة متخليا لعبادة الله عز وجل وكان قضاء الوطر بالنكاح في حقه غير مانع كما
لا يكون قضاء الحاجة في حق المشغولين بتدبيرات الدنيا مانعا لهم عن التدبير
حتى انهم يشتغلون بالظاهر بقضاء الحاجة وقلوبهم مشغولة بهممهم غير
غافلة عن مهماتهم وكان عليه الصلاة والسلام لعلو درجته لا يمنعه امر هذا
العالم عن حضور القلب مع الله عز وجل وكان ينزل عليه الوحي وهو في فراش
امراته ومتى يسلم مثل هذا المنصب لغيره فلا يبعد ان يغير السواقي والجداول
ما لا يغير البحر لكفضم فلا ينبغي ان يقاس عليه غيره واما عيسى عليه السلام فانه
اخذ بالحزم لا بالقوة واحتاط لنفسه ولعل حالته كانت حالة يوثر فيها
الاشتغال بالاهل او يعدم معها طلب الحلال او لا يتيسر فيها الجمع بين النكاح
والتخلي للعبادة فاثر التخلي للعبادة وهو اعلم باسرار احوالهم واحكام اعصارهم
في طيب المكسب واخلاق النسا ثم ما الذي كانت اعمال الانبيا على الافضل
في كل حال هـ انتهى وهذا هو معنى قول المصنف فضيلة زائدة لكونها شاغلة
في كثير من الاوقات حاطة الى الدنيا ثم هي في حق من اقدره عليها وملكه وقام
بالواجب فيها ولم تشغله عن ربه عز وجل درجة عليا وهي درجة نبينا محمد

جبرهي

صلى

صلى الله عليه وسلم الذي لم يشغله كثرتهن عن عبادة ربه عز وجل بل زاده ذلك
عبادة لتحصينهن وقيامه بحقوقهن واكتسابه لهن وهدايته
اياهن هذه من جملة الفوائد التي تترتب على كثرة نكاح النبي صلى الله عليه وسلم
وقد ذكر المصنف منها اربعة الاولى تحصينهن وهذه قد شارك النبي صلى
الله عليه وسلم فيها غيره الثانية القيام بحقوقهن ولا شك ان القيام بحقوق
الزوجات من الفروض العينية الثالثة انه كان يكتسب لهن والكسب
لهن عبادة عظيمة لان فيه اجتهادا في طلب الحلال لاجلهن وهذا عمل عظيم
الفضل لانه رعاية وولاية واهله رعية له وقد قال صلى الله عليه وسلم يوم من وال
عادل افضل من عبادة سبعين سنة ثم قال الا وكلكم راع وكلكم مسؤول عن
رعيته وليس من اشتغل باصلاح نفسه وغيره كمن اشتغل باصلاح
نفسه فقط ولا من صبر على الاذى كمن رفه نفسه واراحها فمقاساة
الاهل بمنزلة الجهاد في سبيل الله عز وجل ولذلك قال بشر بن الحارث فضل علي
احمد بن حنبل بثلاث احداها انه يطلب الحلال لنفسه ولغيره وقال صلى
الله عليه وسلم ما انفق الرجل على اهله فهو صدقة وان الرجل ليوجر في رفع
اللقمة الى في امراته الرابعة السعي هدايتهن فقد هدى الله عز وجل به
ام حبيبة بنت ابي سفيان بن حرب رضي الله عنهما مع كون ابيها كان يعاديه
وهدى صفية بنت حيي وكان ابوها وعمها عدوين له حتى انه قتل اباها
بل صرح انها اي هذه الخصلة وهي حب النسا ليست من حظوظ دنياه
هو وان كانت من حظوظ دنيا غيره فيكون اضافة دنيا الى ضمير المخاطبين للاحتراز

عن دنيا النبي صلى الله عليه وسلم بل اقول انما اضاف دنيا الى ضمير المخاطبين للاشارة
الى انه برى من الدنيا وان هذه الدنيا لا يليق ان يضيفها الى نفسه لانه ليس من
اهلها ولا من محبيها وكيف لا وهو حبيب الله وهي عدوة الله عز وجل فقال صلى
الله عليه وسلم حبب الي من دنياكم فدل على ان حبه لما ذكر من النساء والطيب
اللذين من امور دنيا غيره هذا وان هذا حديث تقول فيه حبب الي الطيب امر
والنساء وجعلت قرة عيني في الصلاة وقد رواه الطبراني في الاوسط من حديث
الاوزاعي عن اسحق بن عبد الله بن ابي طلحة عن انس به مرفوعا الى النبي صلى الله
عليه وسلم ورواه في الصغير والخطيب في تاريخ بغداد من هذا الوجه لكن مقتصرا
على جملة جعلت فقط واخرجه النسائي من جهة سلام بن المنذر عن ثابت عن
انس بلفظ حبب الي من الدنيا النساء والطيب وجعلت قرة عيني في الصلاة
ومن هذا الوجه اخرجه احمد وقد عزاه الديلمي بلفظ حبب الي كل شيء وحبب
الي النساء الراحة ورواه احمد في الزهد بزيادة لطيفة وهي اصبر على الطعام
والشراب ولا اصبر عليهن واما ما اشتهر في هذا الحديث من زيادة ثلاث
فلم اقف عليها الا في موضعين من الاحياء وفي تفسير آل عمران من الكشاف
وما رايتها في شيء من طرق هذا الحديث بعد التفتيش الزائد وقال الزركشي
انه لم يرد فيه لفظ ثلاث قال وزيادته محيلة للمعنى فان الصلاة ليست
من الدنيا قال وقد تكلم الامام ابو بكر بن فورك على معناه في جزء وجه ما ثبت
فيه الثلاث فانه على حد قول الشاعر

من الكامل

ان الاخامرة الثلاثة اهلكت مالي وكنت بهن قدما مولعا

الخمر

الخمر والماء القراح واطلى بالزعفران فلا ازال مولعا ۝ وهو المسمى عندهم
بالطي وهو ان يذكر جماعة ثم ياتي ببعض ويسكت عن بعض لغرض للمتكلم
وانشد الزمخشري عليه

من البسيط

كانت حنيفة اثلاثا فثلثهم من العبيد وثلث من مواليها ۝
وفائدة الطي تكثير الشيء لكن قال ابن القيم من رواه حبب الي من دنياكم ثلاث
فقد وهم ولم يقل صلى الله عليه وسلم ثلاث فالصلاة ليست من امور الدنيا
التي تضاف اليها نعم تضاف اليها لكونها ظرفا لوقوعها فقط فهي عبادة محضة
كما قال شيخ الاسلام والحافظ الشهاب بن حجر في تخريج احاديث الكشاف
ان لفظ ثلاث لم يقع في شيء من طرق هذا الحديث وزيادته تفسد المعنى
وكذا قال الولي العراقي في اماليه وعبارته ليست هذه اللفظة وهي ثلاث
في شيء من كتب الحديث وهي مفسدة للمعنى فان الصلاة ليست من امور الدنيا وكذا
صرح به الزركشي في تخريج احاديث الرافعي قال ابن الحاج في المدخل انظر الى
حكمة قوله صلى الله عليه وسلم حبب ولم يقل احببت وقال من دنياكم فاضافها اليهم
دونه صلى الله عليه وسلم فدل على ان حبه كان خاصا بمولاه عز وجل وجعلت قرة
عيني في الصلاة فكان صلى الله عليه وسلم بشري الظاهر ملكوتي الباطن وكان صلى
الله عليه وسلم لا ياتي الى شيء من احوال البشرية الا تانيسا لامته وتشريعا لها لا انه
محتاج الى شيء من ذلك الا ترى قوله تعالى قل لا اقول لكم عندي خزائن الله ولا اعلم
الغيب ولا اقول لكم اني ملك فقال لكم ولم يقل اني ملك فلم ينف الملكية عنه الا
بالنسبة اليهم ولهذا قال الشيخ ابو الحسن الشاذلي هو بشر ليس كالابشار
كما ان الياقوت حجر ليس كالاحجار ولكونه صلى الله عليه وسلم كان ملكي الباطن حكم

الجماعة من اهل العلم فيما كان يقع منه من السهو في الصلاة ان الذي يشغل عن
صلاته اعظم من الصلاة لقوله صلى الله عليه وسلم جعلت قرة عيني في الصلاة
فانه صلى الله عليه وسلم لما كان بظاهره مع الخلق لتكميلهم اقتضت الحكمة الالهية
ان يكون ظاهره مناسبا لهم من حيث البشرية ليتاتى لهم الانتفاع به والى ذلك
الاشارة بقوله ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا وبقوله تعالى قل لو كان في
الارض ملائكة يمشون مطمئنين لنزلنا عليهم من السما ملكا رسولا وجميع ما
وصف به من البشرية واحكامها كقوله عز وجل قل انما انا بشر مثلكم قل سبحان
ربي هل كنت الا بشرا رسولا وما ارسلنا قبلك من المرسلين الا انهم لياكلون
الطعام ويمشون في الاسواق الايه وغير ذلك من احوال البشر كالنوم واليقظة
والصحة والمرض والموت والحياة وجميع ما يطرا عليهم من الاعراض والتغيرات
انما كان يعتريه صلى الله عليه وسلم باعتبار ظاهره واما باطنه فقد كان متصفا
بصفات الملائكة واعلى منها سليما من التغيرات والافات ولهذا قال صلى الله
عليه وسلم اني لست كاحدكم او كهيئة احدكم اني ابيت عند ربي عز وجل يطعمني
ويسقيني وان كان من حيث الظاهر كهيئة احدهم وكذلك الانبيا كلهم
الا انه صلى الله عليه وسلم اكملهم وافضلهم وذلك لانهم وسائط بين الله عز
وجل وعباده فلا بد لهم من مناسبتين كما في سائر ما يتوسط بين امرين
كالعطوف بين اللحم والعظم والوزير بين الملك والرعية وكان نبينا صلى
الله عليه وسلم اذا دخل الى الصلاة اشتغل ظاهره عن الخلق وصار بظاهره
وباطنه بين يدي الخالق عز وجل فازداد قربا على قرب ومشاهدة على مشاهدة

كان م

للانه

ونورا

ونورا على نور لانخراق نور بصره الى نور بصيرته وتلك الزيادة التي هي غاية السعادة
هي المعبر عنها بقرة العين ولا شك ان تلك الحالة مغايرة لنفس الصلاة وهي
روحها والمقصود منها فتكون اعظم منها ونقل بعضهم انه صلى الله عليه وسلم
لما عرج به ونال ما نال من القرب والكرامة تمنى استمرار ذلك عليه وان لا
يعود الى ما كان قبل ذلك عليه بل يستقر في حضرة الرب عز وجل على ما كان
حصل له من كمال القرب فامر بالعود الى الخلق ليبلغ رسالات الله
ولتحصيل الكمالات لامته فوعد بانه كلما دخل في الصلاة فاز بما فاز به اذ
ذاك فضلا من الله عز وجل ونعمة فهو قرة عينه في الصلاة واستعماله لذلك
ليس لدنياه بل لاخرته للفوائد التي ذكرناها في الزوج وللقا الملائكة
في الطيب ولانه ايضا مما يحض على الجماع ويعين عليه ويحرك اسبابه
ولكونه كان محبوبا عنده كان اذا اتاه طيب لا يرده ففي صحيح البخاري بسنده
عن انس رضي الله عنه انه كان لا يرد الطيب وزعم ان النبي صلى الله عليه وسلم كان
لا يرد الطيب واخرج البزار عن انس قال ما عرض على النبي صلى الله عليه وسلم
طيب قط فرده وسنده حسن وزاد الاسماعيلي فقال اذا عرض الطيب على
احدكم فلا يرده واخرج ابو داود عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم من عرض عليه طيب فلا يرده فانه طيب الريح خفيف المحمل
واخرجه مسلم لكن وقع عنده ريحان بدل طيب والريحان كل نبات له رائحة طيبة
قال المنذري ويحتمل ان يريد بالريحان جميع انواع الطيب لكن الذين رووه
بلفظ الطيب اكثر عددا واحفظ واتهم اولى واخرج الترمذي من مرسل ابي عثمان

النهي واذا اعطي احدكم الريحان فلا يرده فانه خرج من الجنة قال ابن العربي القاضي
ابو بكر انما كان لا يرد الطيب لمحبته له ولحاجته اليه اكثر من غيره لانه يناجي من
لا نناجي غيره واما نهيه عن رد الطيب فهو محمول على ما يجوز اخذه دون ما لا
يجوز لانه مردود باصل الشرع وكان يحب من الطيب الذريرة على وزن عظيمه
وهي نوع من الطيب مركب قال الداودي تجمع مفرداته ثم تسحق وتنخل ثم تذر
في الشعر والطوق فلذلك سميت ذريرة وعلى هذا فكل نوع من الطيب مركب
ذريرة لكن الذريرة نوع من الطيب مخصوص يعرفه اهل الحجاز وغيرهم وجزم غير
واحد منهم النووي بانه فتات طيب يجاء به من الهند وكان حبه لهاتين الخصلتين
لاجل غيره وقمع شهوته وكان حبه الحقيقي المختص بذاته في مشاهدة
جبروت مولاه عز وجل ومناجاته ولذلك ميز بين الحبين وفصل بين
الحالين فقال وجعلت قرة عيني في الصلاة اي سرور عيني وفرحها
ماخوذ من القر وهو البرد لان دمع العين النازل من الفرح بارد فيتولد من
السرور دمعة باردة فتقر العين اي تبرد ومعنى ذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم
سرد محبوباته في الدنيا فذكر ثنتين منها بصيغة تخصهما وهو كونهما محبوبتين له
وذكر الثالثة بخصوصها باسلوب مغاير لاسلوب تينك الثنتين فذكر فيها ان
فرحي وسروري المتزايد الذي يصل الى حد تقر فيه عيني انما يحصل في الدنيا
في الصلاة لمشاهدتي فيها محبوبي الحقيقي الذي لا احب سواه ولا تقر
عيني في الدنيا الا في الصلاة فغير الاسلوب الذي ذكر فيه المحبوبين السابقين
للاشارة الى ان محبوبه هذا خلاف محبوبيه ذينك لان حبه هذا هو الحب

الحقيقي

الحقيقي ولو ذكره منسوقا على سنن ذينك بان يقول حبب الي من دنياكم ثلاث
الطيب والنسا والصلاة لما ميز المخاطب بين هذه المحبوبات ولما عرف المحبوب
الحقيقي من المحبوب المجازي فعبر عن محبوبيته للصلاة بذكر برهان ودليل لها
كانه قال انما احب الصلاة لان فرحي الزائد ومسرتي انما يحصل فيها حتى يحصل
فرحي الى حالة لو سالت مني دمعة لكانت باردة لان دمعة الفرحان باردة
وسبب فرحه الكشف الذي كان يتاتى له في الصلاة على اسلوب الكشف
الذي حصل له ليلة المعراج فقد ساوى يحيى وعيسى عليهما السلام في كفاية
فتنتهن وزاد فضيلة بالقيام بهن وكان صلى الله عليه وسلم ممن اقدر على
القوة في هذا واعطي الكثير منه ولهذا ابيح له من عدد الحرائر ما لم يبح لغيره
فابيح له صلى الله عليه وسلم تسع نسوة ومات عنهن وقد نظم اسماءهن بعضهم فقال

توفي رسول الله عن تسع نسوة   اليهن تعزى المكرمات وتنسب
فعائشة ميمونة وصفية   وحفصة تتلوهن هند وزينب
جويرية مع رملة ثم سودة   ثلاث وست ذكرهن مهذب

واراد هذا الناظم بهند ام سلمة فاسمها هند وقيل رملة والاول اصح واراد برملة
ام حبيبة بنت ابي سفيان رضي الله عنها فاسمها رملة وقيل هند والاول
اصح وقد اختلف العلما في عدة ازواجه وترتيبهن وعدة من مات
منهن قبله ومن مات عنهن ومن دخل بها ومن لم يدخل بها ومن خطبها ولم ينكحها
ومن عرضت نفسها عليه والمتفق عليه انهن احدى عشرة امراة ست من
قريش خديجة بنت خويلد وعائشة بنت ابي بكر الصديق وحفصة بنت

عمر بن الخطاب وام حبيبة بنت ابي سفيان اخت معاوية وسودة بنت زمعة
وام سلمة هند واربع عربيات زينب بنت جحش وميمونة بنت الحارث
الهلالية وجويرية بنت الحارث الخزاعية المصطلقية وواحدة اسرائيلية
من ذرية هارون نبي الله اخي موسى كليم الله عليهما الصلاة والسلام وهي صفية بنت
حيي من بني النضير وزينب بنت خزيمة الهلالية ام المساكين ومات في حياة
النبي صلى الله عليه وسلم منهن ثنتان خديجة وزينب ام المساكين وقد قال اهل
السير انه صلى الله عليه وسلم تزوج نسوة غير من ذكر وجملتهن ثنتا عشرة الاولى
الواهبة نفسها له صلى الله عليه وسلم قيل هي ام شريك القرشية العامرية وطلقها
صلى الله عليه وسلم وقيل هي خولة بنت حكيم السلمى الثانية خولة بنت الهذيل
ماتت قبل ان تصل اليه الثالثة عمرة بنت يزيد وهي التي تعوذت منه حين
دخلت عليه فقال لها عذت بمعاذ فطلقها وامر اسامة فمتعها ثلاثة اثواب
وقيل ان ذلك وقع لاسما بنت النعمان بن الجون الرابعة هند وهي اسما
بنت النعمان بن الجون الخامسة مليكة بنت كعب الليثية قيل انها هي
استعاذت منه صلى الله عليه وسلم السادسة فاطمة بنت الضحاك تزوجها وخيرها
حين نزلت اية التخيير فاختارت الدنيا ففارقها صلى الله عليه وسلم فكانت
تلقط البعر وتقول هي الشقية اختارت الدنيا وردّ بان الحجرات التسع
اللاتي مات عنهن ولم يكن غيرهن لكن يقال ان هذه وصفها ابوها بانها
لم تصدع قط فقال لا خير فيها ولا حاجة لي بها السابعة عالية بنت ظبيان
طلقها حين ادخلت عليه الثامنة قتيلة بضم القاف وفتح المثناة فوق

وسكون

وسكون التحتية زوجه بها اخوها ولم تاتِ فمات النبي صلى الله عليه وسلم قبل اتيانها
وقيل تزوجها صلى الله عليه وسلم قبل وفاته بشهرين وقال قائلون ان رسول الله صلى
الله عليه وسلم اوصى بان تخير فان شاءت ضرب عليها الحجاب وكانت من امهات
المومنين وان شاءت الفراق فلتنكح من شاءت فاختارت النكاح فتزوجها
عكرمة بن ابي جهل رضي الله عنه بحضرموت فبلغ ذلك ابا بكر رضي الله عنه فقال هممت
ان احرق عليهما بيتهما فقال عمر رضي الله عنه ما هي من امهات المومنين ما دخل بها
صلى الله عليه وسلم ولا ضرب عليها وقال بعضهم لم يوص عليها بشي ولكنها ارتدت
حين ارتد اخوها وبذلك احتج عمر رضي الله عنه على ابي بكر رضي الله عنه انها
ليست من امهات المومنين بارتدادها التاسعة سبا بنت اسما بنت
الصلت العاشرة شراف بفتح الشين وتخفيف الرا الحادية عشرة ليلى بنت
الحطيم بفتح الحا المهملة الثانية عشرة امراة غفارية ومات صلى الله عليه وسلم
عن النسوة اللاتي ذكرناهن وهن تسع وفي شرح الروض لشيخ اشياخنا
القاضي زكريا الانصاري والتخصيصات التي خص بها منها نكاح تسع لانه
مامون الجور وقد مات صلى الله عليه وسلم عن تسع ولان غرضه نشر باطن
الشريعة وظاهرها وكان اشد الناس حيا فابيح له تكثير النسا لينقلن ما
يرينه ويسمعنه من اقواله التي قد يستحيي من الافصاح بها بحضرة الرجال
وحرم عليه الزيادة على التسع بقوله لا يحل لك النسا من بعد اي بعد التسع اللاتي
اخترنك ثم نسخ فابيح له ان ينكح اكثر منهن باية انا احللنا لك ازواجك ومع ذلك لم
يتزوج عليهن ليكون له المنة عليهن بترك التزوج عليهن وقد روينا عن انس

رضي الله عنه انه صلى الله عليه وسلم كان يدور على نسائه في الساعة من
الليل والنهار وهن احدى عشرة قال ابن خزيمة تفرد بذلك معاذ بن هشام عن
ابيه ورواه سعيد بن ابي عروبة وغيره عن قتادة فقالوا تسع نسوة وقد وقع
ذكر هذا الحديث في صحيح البخاري مرات وفي اكثرها تعيين عدد النسوة بانهن
تسع وقد جمع ابن حبان في صحيحه بين الروايتين بان حمل ذلك على حالتين فقال انه
الاولى كانت في اول قدومه للمدينة حيث كانت تحته تسع نسوة والحالة الثانية
في اخر الامر حيث اجتمع عنده احدى عشرة امراة وما قاله ابن حبان وهم لانه
صلى الله عليه وسلم لما قدم المدينة لم يكن تحته امراة سوى سودة بنت زمعة
رضي الله عنها ثم دخل على عائشة بالمدينة ثم تزوج ام سلمة وحفصة وزينب
بنت خزيمة في الثالثة والرابعة ثم تزوج زينب بنت جحش في الخامسة ثم
جويرية في السادسة ثم صفية وام حبيبة وميمونة في السابعة هؤلاء جميع
من دخل بهن من الزوجات بعد الهجرة واختلف في ريحانة وكانت من
سبي قريظة فجزم ابن اسحق بانه عرض عليها ان يتزوجها ويضرب عليها الحجاب
فاختارت البقاء في ملكه والاكثر انها ماتت قبله صلى الله عليه وسلم في سنة عشر
وكذا ماتت زينب بنت خزيمة بعد دخوله عليها بقليل قال ابن عبد البر مكثت
عنده شهرين او ثلاثة فعلى هذا لم يجتمع عنده من الزوجات اكثر من تسع مع
ان سودة كانت وهبت يومها لعائشة ففي صحيح البخاري بسنده عن عائشة
رضي الله عنها ان سودة بنت زمعة وهبت يومها لعائشة وكان النبي صلى الله
عليه وسلم يقسم لعائشة رضي الله عنها يومها ويوم سودة فكان رواية سعيد

ترتيب تزوجه بنسائه رضي الله عنهن

هي

هي الراجحة لكن تحمل رواية هشام على انه ضم مارية وريحانة اليهن واطلق عليهن
لفظ نسائه تغليبا وقوله في الساعة دليل على انه كان يغتسل مرة واحدة
واشار هذا الحديث الى ان القسم لم يكن واجبا على النبي صلى الله عليه وسلم وهو
قول لطوائف من اهل العلم وبه جزم الاصطخري من الشافعية والمشهور عندهم
وعند الاكثرين الوجوب ويحتاج من قال به الى الجواب عن هذا الحديث فقيل كان
يرضي صاحبة النوبة كما استاذنهن في ان يمرض في بيت عائشة رضي الله عنها
ويحتمل ان ذلك كان يقع عند استيفاء القسمة ثم يستانف القسمة وقيل كان
ذلك عند اقباله من سفر لانه كان اذا سافر اقرع بينهن فيسافر بمن يخرج
سهمها فاذا انصرف استانف وهو اخص من الاحتمال الثاني والاول اليق
بحديث عائشة ويحتمل ان ذلك كان يقع قبل وجوب القسمة ثم ترك
بعدها واغرب القاضي ابو بكر بن العربي فقال ان الله عز وجل خص نبيه
صلى الله عليه وسلم باشياء منها انه اعطاه ساعة في كل يوم لا يكون لازواجه
فيها حق يدخل فيها على جميعهن فيفعل ما يريد ثم يستقر عند من لها النوبة
وكانت تلك الساعة بعد العصر فاذا اشتغل عنها كانت بعد المغرب
ويحتاج الى ثبوت ما ذكر مفصلا قال ابن حجر في شرح البخاري في كتاب
النكاح اني لم اجد لذلك اي لما قاله ابن العربي دليلا ثم وجدت حديث عائشة
رضي الله عنها الذي في الباب بعد هذا بلفظ كان اذا انصرف من العصر دخل
على نسائه فيدنو من احداهن الحديث وليس فيه بقية ما ذكر من ان تلك
الساعة هي التي لم يكن القسم فيها واجبا عليه وانه نزل اتيان نسائه كلهن

ترجمة النسائي

على تلك الساعة ويرد عليه قوله في الحديث الذي يرويه انس كان يطوف على نسائه في الليلة الواحدة قال انس رضي الله عنه وكنا نتحدث انه اعطي قوة ثلاثين رجلا اخرجه النسائي هو الامام الحافظ الحجة ابو عبد الرحمن احمد بن شعيب بن علي صاحب السنن سمع قتيبة وطبقته واصحاب مالك وحماد بن زيد وانتهى اليه علم الحديث وهو ثقة امام حافظ مات سنة ثلاث وثلاثمائة ومولده فيشبه ان يكون سنة مائتين وخمس عشرة ولم يتخلف احد من اصحاب الكتب الستة بعد الثلاثمائة الا النسائي وقد تاخر عن اصحاب السنن الستة اناس روى بعض اصحاب الكتب الستة عنهم منهم السراج محمد بن احمد اسحق بن ابرهيم روى عنه البخاري ومسلم خارج الصحيح قاله ابن عبد الهادي وقد توفي سنة اربع وثلثمائة ومنهم المنجنيقي اسحق بن ابرهيم روى عنه فيما قيل النسائي وقد توفي سنة اربع وثلثمائة ومنهم ابو بكر بن ابي داود روى عنه والده خارج السنن وقد توفي ابو بكر سنة ست عشرة وثلثمائة هذا وان هذا الحديث رواه البخاري ايضا في صحيحه في كتاب الغسل فقيه بسنده الى انس بن مالك رضي الله عنه قال كان النبي صلى الله عليه وسلم يدور على نسائه في الساعة الواحدة من الليل والنهار وهن احدى عشرة قال قتادة قلت لانس اوكان يطيقه قال كنا نتحدث انه اعطي قوة ثلاثين وقال سعيد عن قتادة انا نتحدث ان انسا حدثهم تسع نسوة فان قلت حيث رواه البخاري فما بال المصنف ترك عزوه اليه وعزاه الى النسائي مع ان الحديث اذا رواه البخاري كان مقطوعا

بصحته

بصحته او مظنونا قلت انما ترك عزوه اليه لشهرته وللعلم به كان عزوه اليه امر مسكوت عنه لكثرة تداول الايدي صحيح البخاري لكن ذكر النسائي لم ربما يخفى فعزاه اليه تقوية للحديث المذكور وروى نحوه عن ابي رافع حديث ابي رافع يشبه هذا الحديث في كونه طاف على نسائه في يوم او في ليلة واحدة الا انه صرح بانه ليس بغسل واحد بل كان يغتسل عند هذه وعند هذه فلهذا جعله نحوه لانه مشعر بمغايرة في الجملة وابو رافع مولى النبي صلى الله عليه وسلم اختلف في اسمه فقيل ابرهيم وقيل اسلم وقيل ثابت وقيل هرمز وقيل صالح كان قبطيا وكان للعباس اولا روى عنه اولاده وعن طاوس هو ابن كيسان الامام ابو عبد الرحمن اليماني من ابناء الفرس قال ابن حبان كان [illegible] واسط وقيل اسمه ذكوان فلقب بطاوس فقال ابن معين لانه كان طاوس القراء روى عن ابي هريرة وابن عباس وعائشة ام المؤمنين رضي الله عنهم وهو راسخ في العلم توفي بمكة سنة ست ومائة رحمه الله ان النبي صلى الله عليه وسلم اعطي قوة اربعين رجلا في الجماع وهذا من مراسيل طاوس لانه لم يذكر الصحابي الذي يسند اليه هذا الحديث وقد وقع في رواية الاسماعيلي من طريق ابي موسى عن معاذ بن هشام اربعين رجلا قال ابن حجر وهي شاذة من هذا الطريق لكنها اعتضدت بمرسل طاوس وفي صفة الجنة لابي نعيم من طريق مجاهد مثله وزاد من رجال اهل الجنة ومن حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اعطيت قوة اربعين في البطش والجماع واخرج احمد والنسائي

وصححه الحاكم من حديث زيد بن ارقم رضي الله عنه ان الرجل من اهل الجنة ليعطى قوة
مائة في الاكل والشرب والجماع والشهوة فعلى هذا يكون حساب نبينا صلى الله
عليه وسلم قوة اربعة الاف **ومثله عن صفوان بن سليم** بضم السين على صيغة
التصغير وصفوان هذا امام قدوة ممن يستشفى بحديثه وينزل القطر من
السما بذكره يروي عن جماعة منهم سعيد بن المسيب ويروي عنه مالك وغيره
يقال انه لم يضع جنبه بالارض اربعين سنة ويقال ان جبهته نقبت من
كثرة السجود مناقبه كثيرة **وقالت سلمى مولاته** اي ابنة عبد الرحمن خادم
النبي صلى الله عليه وسلم مولاة صفية بنت عبد المطلب وهي امراة ابي رافع
مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم وام بنيه وهي التي قبلت ابرهيم ابن رسول
الله صلى الله عليه وسلم وقبلت فاطمة ابنته رضي الله عنها وارضاها وحياها
وبياها وغسلتها مع علي واسما شهدت خيبر وكانت تخدم النبي صلى الله
عليه وسلم حديثها في الوصية بالهر وانما سماها مولاته مع انها مولاة عمته
اما لان له دخلا في عتقها واما ان يراد بالمولى المنعم لانها كانت تعيش في
نعم رسول الله صلى الله عليه وسلم لانها كانت تحت مولاه الذي هو ابو رافع والمولى
يطلق على المنعم **طاف النبي صلى الله عليه وسلم ليلة على نسائه التسع
ويتطهر من كل واحدة قبل ان ياتي الاخرى وقال هذا اطهر واطيب** اجمع العلماء
على ان الغسل بين الجماعين لا يجب سوا كانت مجامعته ثانيا للتي جامعها
اولا ام لغيرها وهذا الحديث دال على استحبابه واختلفوا في الوضوء بينهما فقال
ابو يوسف لا يستحب وقال الجمهور يستحب وقال ابن حبيب المالكي واهل

بلغ مقابلة
على نسخة المؤلف

الظاهر

الظاهر يجب واحتجوا بحديث ابي سعيد [illegible] قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
اذا اتى احدكم اهله ثم اراد ان يعود فليتوضا بينهما وضوا اخرجه مسلم من طريق
حفص عن عاصم عن ابي المتوكل عنه واشار ابن خزيمة الى ان بعض اهل العلم
حمله على الوضو اللغوي وقال المراد به غسل الفرج اذا اراد العود ثم استدل
ابن خزيمة على ان الامر بالوضو للندب لا للوجوب بما رواه من طريق شعبة
عن عاصم في حديث ابي سعيد المذكور كرواية ابن عيينة وزاد فانه انشط
للعود فدل على ان الامر للارشاد او للندب ويدل ايضا على انه لغير الوجوب ما
رواه الطحاوي من طريق موسى بن عقبة عن ابي اسحق عن الاسود عن عائشة
رضي الله عنها قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يجامع ثم يعود ولا يتوضا
واخرج احمد في مسنده عن سفيان عن ابي اسحق عن الاسود عن عائشة رضي
الله عنها قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصيب من اهله في اول
الليل ثم ينام ولا يمس ماء فاذا استيقظ من اخر الليل عاد الى اهله واغتسل
هذا وان الحديث الذي ذكره المصنف ورواه عن سلمى اخرجه ابو داود والنسائي
عن ابي رافع ولفظه انه صلى الله عليه وسلم طاف يوما على نسائه يغتسل عند
هذه وعند هذه قال فقلت يا رسول الله الا تجعله غسلا واحدا قال هذا ازكى
واطيب واطهر وهذا هو الذي اشار اليه المصنف بقوله **ونحوه عن ابي رافع**
ولعل الحديث روته سلمى عن النبي صلى الله عليه وسلم ورواه ابو رافع لكن المصنف
انما عزاه الى سلمى لانها امراة والنسا يطلعن على الاحوال المتعلقة بالنساء
اكثر من الرجال كما هو معلوم من العادة ولعل ابا رافع انما علم هذه القصة من سلمى

والا فالنبي صلى الله عليه وسلم لا يليق ان يخبر ابا رافع بذلك ولا بعض نسائه صلى
الله عليه وسلم يخبر بذلك لغلبة الحيا عليهن ثم لعل بعض نسائه اخبرت سلمى
وهي زوجة ابي رافع فاخبرت ابا رافع بذلك فنقله ابو رافع ويمكن ان ابا رافع
كان مولاه صلى الله عليه وسلم وفي خدمته فلعله راه يغتسل عند هذه وعند هذه
والغسل انما يكون ناشيا عن جماع و قد قال سليمن عليه السلام لاطوفن
الليلة على مائة امراة او تسع وتسعين وانه فعل ذلك قال ابن عباس
كان في ظهر سليمن ماية رجل وكانت له ثلثماية امراة وثلثماية سرية
وحكى النقاش وغيره سبعماية امراة وثلثماية سرية اما سليمن فهو نبي الله
ابن نبي الله داود بن ايشا بكسر الهمزة وسكون التحتانية بعدها معجمة ابن عوبد
بوزن جعفر بمهملة وموحدة ابن باعز بموحدة ومهملة مفتوحة ابن سلمون بن
يارب بتحتانية واخره باموحدة ابن رام بن حضرون بمهملة ثم معجمة ابن فارص
بفا واخره صاد مهملة ابن يهودا بن يعقوب وترجمته معلومة مذكورة في
التواريخ والتفاسير وقصص الانبيا للثعلبي وغيره وقد اختلفت
الروايات في كمية نسائه ففي بعض تراجم سليمن من صحيح البخاري كان له سبعون
امراة وفي الايمان والنذور تسعون امراة ورجح البخاري رواية تسعين على
سبعين ورواه مسلم سبعين بتقديم السين على التا واخرجه الاسماعيلي
والنسائي وابن حبان عن ابي الزناد فقال ماية امراة واخرج احمد تسعين
وفي البخاري في التوحيد عن ابي هريرة كان لسليمن ستون امراة وعن الاعرج
ماية امراة او تسع وتسعون على الشك فحصل الروايات ستون وسبعون

وتسعون

عبارة بارده

وتسعون وتسع وتسعون ومائة والجمع بينها ان الستين كن حرائر وما زاد
عليهن كن سراري او بالعكس واما السبعون فللمبالغة واما التسعون
والمائة فكن فوق التسعين ودون المائة فمن قال التسعون الغى الكسر ومن
قال مائة جبره واما قول بعض شارحي صحيح البخاري ليس في ذكر القليل نفي
الكثير وهو من مفهوم العدد وليس بحجة عند الاكثرين فليس بكاف في
هذا المقام وقد حكى وهب بن منبه في المبتدا انه كان لسليمان عليه السلام
الف امراة ثلثماية مهيرة وسبعماية سرية ونحوه ما اخرجه الحاكم في المستدرك
من طريق ابي معشر عن محمد بن كعب قال بلغنا انه كان لسليمان عليه السلام الف
بيت من قوارير على الخشب فيها ثلثماية صريحة وسبع ماية سرية وانا
اقول يظهر انه لا منافاة بين هذه الاعداد فالذي كان تحت سليمان
الف امراة سبعماية مهيرة وثلاثماية سرية وانه حلف مرة ليطوفن على ستين
منهن ومرة على سبعين ومرة على تسعين ومرة على تسع وتسعين ومرة
على مائة وما يلزم ان يكون طوافه على كل نسائه ولا ان يكون حلفه على ان يطوف
على كلهن هذا وان الحديث الذي ذكره المصنف رواه الشيخان في الصحيحين
واللفظ للبخاري عن ابي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال قال
سليمان عليه السلام ابن داود لاطوفن الليلة على سبعين امراة تحمل كل امراة
فارسا يجاهد في سبيل الله عز وجل فقال له صاحبه ان شا الله فلم يقل فلم تحمل
شيا الا واحدا ساقطا احد شقيه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو قالها
لجاهدوا في سبيل الله عز وجل وقال شعيب وابن ابي الزناد تسعين وهو اصح

وسليمان قال هذا على سبيل التمني للخير وجزم به لانه غلب عليه الرجا لكونه قصد به
امرا اخرويا ونبينا صلى الله عليه وسلم لهذا على انه التمني والاعراض عن تفويض
الامر الى الله عز وجل ولذلك نسي الاستثنا وصاحبه الحامل له على الاستثنا
ملك وقيل هو اصف بن برخيا الذي عنده علم من الكتاب وقد كان لداود
عليه السلام على زهده واكله من عمل يده الذي كان داود يعمله بيده هو نسج
الدروع والان الله عز وجل له الحديد فكان ينسج الدروع ويبيعها ولا ياكل
الا من ثمن ذلك مع كونه كان من كبار الملوك قال تعالى وشددنا ملكه بل في
روايات البخاري انه كان لا ياكل الا من عمل يده بصيغة الحصر وفيه دليل على ان
افضل المكاسب العمل بيده وقد اختلف العلما في افضل المكاسب قال
الماوردي اصول المكاسب الزراعة والتجارة والصنعة والاشبه بمذهب
الشافعي ان اطيبها التجارة قال والارجح عندي ان اطيبها الزراعة لانها اقرب
الى التوكل وتعقبه النووي بحديث رواه البخاري في صحيحه بسنده الى
المقدام عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ما اكل احد طعاما قط خيرا من ان ياكل
من عمل يده وان نبي الله داود عليه السلام كان ياكل من عمل يديه فالصواب ان
اطيب الكسب ما كان بعمل اليد قال فان كان زراعا فهو اطيب المكاسب
لما يشتمل عليه من كونه بعمل اليد ولما فيه من التوكل ولما فيه من النفع العام للادمي
والدواب ولانه لا بد في العادة من ان يوكل منه بغير عوض وافضل من ذلك ما
يكسب من اموال الكفار بالجهاد وهو مكسب نبينا صلى الله عليه وسلم وهو
اشرف المكاسب لما فيه من اعلا كلمة الله عز وجل وخذلان كلمة اعدائه والنفع

مبحث افضل المكاسب ه

محل قال

الاخروي

الاخروي ومن لم يعمل بيده فالزراعة له افضل قال ابن المنذر وانما يفضل عمل اليد
سائر المكاسب اذا نصح العامل وان لا يعتقد ان الرزق من الكسب بل من الله
عز وجل بهذه الواسطة ومن فضل العمل باليد الشغل بالامر المباح عن
البطالة واللهو وكسر النفس بذلك والتعفف عن ذل السوال والحاجة الى
الغير وزهده الذي اثبته له المصنف لا ينافيه ما كان فيه من قوة الملك قال
تعالى وشددنا ملكه حتى قيل كان يبيت حول محرابه اربعون الفا من المسلمين
وقيل ادعى رجل على اخر بقرة وعجز عن اقامة البينة فاوحى الله عز وجل اليه
في المنام ان اقتل المدعى عليه فتاخر فاعيد الوحي في اليقظة فاعلم الرجل
فقال ان الله عز وجل لم يواخذني بهذا الذنب ولكني قتلت اباه هذا غيلة فقال
الناس انه ان اذنب احد ذنبا اظهره الله عز وجل عليه فقتله فهابوه
وعظمت هيبته في القلوب وفي صحيح البخاري بسنده الى ابي هريرة رضي
الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال خفف على داود القران فكان يامر
بدوابه فتسرج فيقرا القران قبل ان تسرج دوابه ولا ياكل الا من عمل يده
والمراد بالقران الزبور وقيل التوراة فهذا يدل على سعة ملكه مع زهده
لان زهد العوام خلو الايدي من الاملاك والقلوب من الطمع واما زهد
الخواص فهو خلو القلوب عن الالتفات الى غير الله عز وجل قال بعضهم ليس
الزاهد من لا يملك الدنيا انما الزاهد من لا تملكه الدنيا فكم من مالك للدنيا
زاهد فيها وقد سئل الشبلي عن الزهد فقال ويلكم اي مقدار لاقل من
جناح بعوضة حتى يزهد فيها وقد اشار بذلك الى ما ورد في الخبر عن النبي صلى

الله عليه وسلم قال لو كانت الدنيا تزن عند الله عز وجل جناح بعوضة ما سقى منها
كافرا شربة ما وكان الشبلي قصد بذلك المنع من تعظيم الزهد لئلا يغتر
الزاهد به فيقف عنده ويصير ذلك حجابا له عن الترقي الى ما وراه فكان
لداود عليه السلام تسع وتسعون امراة وتمت بزوج اوريا مائة
وقد نبه على ذلك الله عز وجل في كتابه العزيز بقوله ان هذا اخي له تسع هذا خبر
وتسعون نعجة اما اوريا فهو بفتح الهمزة وسكون الواو وكسر الرا وبمثناة
تحتية اسم رجل من بني اسرائل اسم ابيه حنان يقال انه يدعى سيف الله
في ارضه في زمن داود وكان اذا ضرب ضربة او كبر تكبيرة كبر جبريل عن يمينه
وميكائيل عن شماله وكبرت الملائكة الذين في السما لتكبيره وكان سيوف الله
عز وجل ثلاثة كالب بن يوفنا في زمن موسى عليه السلام واوريا في زمن داود
عليه السلام وحمزة بن عبد المطلب في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم وزوجة اوريا
هذه هي ام سليمان عليه السلام ابنه وقد اخرج ابن ابي شيبة في المصنف
وابن ابي حاتم عن ابن عباس رضي الله عنهما ان داود حدث نفسه اذا ابتلي ان
يعتصم فقيل له انك ستبتلى وتعلم اليوم الذي تبتلى فيه فخذ حذرك فقيل
له هذا اليوم الذي تبتلى فيه فاخذ الزبور ودخل المحراب واغلق باب المحراب
واخذ الزبور في حجره واقعد منصفا على الباب وقال لا تاذن لاحد علي
اليوم فبينما هو يقرا الزبور اذ جا طائر مذهب كاحسن ما يكون الطير فيه
من كل لون فجعل يدرج بين يديه فدنا منه فامكن ان ياخذه فتناوله بيده
لياخذه فاستوفز من خلفه فاطبق الزبور وقام اليه فطار فوقع على كوة

المحراب

المحراب فدنا منه لياخذه فاقتص فوقع على خص فاشرف عليه لينظر اين وقع
فاذا هو بامراة عند بركتها تغتسل من الحيض فلما رات ظله حركت راسها
فغطت جسدها اجمع بشعرها وكان زوجها غازيا في سبيل الله عز وجل فكتب
داود الى راس الغزاة انظر اوريا فاجعله في حملة التابوت وكان حملة التابوت
اما ان يفتح عليهم واما ان يقتلوا فقدمه في حملة التابوت فقتل فلما انقضت
عدتها خطبها داود فاشترطت عليه ان ولدت غلاما ان يكون الخليفة من
بعدك واشهدت خمسين من بني اسرايل وكتبت عليه بذلك كتابا فما شعر
بفتنته حتى ولدت سليمان عليه السلام وشب فتسور عليه الملكان المحراب
وقيل انه ما اصاب ذلك الا لعجبه بنفسه اذ قال يا رب ما من ساعة من
ليل او نهار الا وعابد من آل داود يعبدك يصلي لك او يسبح فعوتب على ذلك
اذ لولا معونة الله عز وجل وتوفيقه لما عبد عابد قيل انه سجد بعد ما فتن
اربعين ليلة لا يرفع راسه حتى نبت الزرع من دموعه واكلت الارضة
جبينه فجاء جبريل بعد اربعين ليلة فقال يا داود ان الله عز وجل قد غفر
لك فقال قد علمت ان الله عز وجل عدل لا يميل فكيف بفلان اذا جاء يوم
القيمة فقال يا رب دمي الذي عند داود فعرج جبريل وسجد داود فمكث
ما شا الله عز وجل ثم نزل فقال قد سالت الله عز وجل عن الذي ارسلتني به
فقال قل لداود ان الله عز وجل يجمعكما يوم القيمة فيقول هب لي دمك الذي
عند داود فيقول هو لك يا رب فيقول فان لك في الجنة ما شئت وما اشتهيت
عوضا قيل المحراب الذي تسور اليه المسجد وقال ابو الاحوص دخل الخصمان

على داود وكل واحد منهما اخذ براس صاحبه وقال ابن جريج كان الخصوم يدخلون
من الباب ففزع من تسورهما والصحيح ان المراد من المحراب الغرفة ولما
تسور الخصمان عليه ما شعر وهو في الصلاة الا وهما بين يديه جالسين
ومعنى تسوروا المحراب علوا عليه ونزلوا من فوقه وانما فزع منهما لانهما
اتياه ليلا في غير وقت دخول الخصوم ومعنى قوله لا تشطط لا تسرف
وقال الفرا معناه لا تجر وقال قتادة لا تمل وقيل لا تحف والنعجة كناية عن
المراة يقال للمراة نعجة ويقال لها ايضا شاة قال ابو عبيدة في قوله
ولي نعجة واحدة اي امراة قال الاعشى • فرميت غفلة عينه عن شاته • من الكامل
فاصبت حبة قلبها وطحالها • ومعنى قوله اكفلنيها ضمها الي مثل قوله
وكفلها زكريا اي ضمها اليه وتقول كفلت بالنفس او بالمال اي ضمنته
وقال ابو عبيدة في قوله عز وجل وعزني في الخطاب اي صار اعز مني فيه وقال
ابن عباس رضي الله عنهما اذ دعا ودعوت كان اكثر مني وان بطشت وبطش
كان اشد مني وقيل معناه قهرني وظلمني ومعنى فتناه اختبرناه ولما
قال لقد ظلمك تبسما وقرا بمواجهته الى السما فعلم انه فتن ثم اعلم ان ما ذكرنا
في هذه القصة انما ذكرناه لننبه على كونه باطلا ومفترى افتراه اهل الكتاب وتبعهم
على ذلك القصاص وكان علي بن ابي طالب رضي الله عنه يقول من حدث بحديث
داود على ما يرويه القصاص جلدته مائة وستين جلدة وذلك حد القذف على
الانبيا عليهم السلام وما ذكر في هذه القصة امر لا يصدر من احاد الاتقيا
فكيف يصدر من نبي مرسل جليل القدر انزل عليه كتاب جليل والله عز وجل

مدحه في القران وامر نبينا صلى الله عليه وسلم ان يقتدي به وكان قلبه مملوا من
خوف الله عز وجل واجلاله ونزاهته وطهارته امر شايع ذايع حتى قيل انه من
اولي العزم والله عز وجل يقول في شانه وان له عندنا لزلفى وحسن ماب والله
عز وجل عظم شانه بقوله يا داود انا جعلناك خليفة في الارض فاحكم بين الناس
ونبينا صلى الله عليه وسلم طالما مدحه في سنته وذكر ماثره وحث الناس على
اتباعه بقوله صلى الله عليه وسلم خير الصيام صيام داود وخير القيام قيام داود
فان قلت القران ناطق بوقوع خطية منه لانه تعالى قال فغفرنا له وان له عندنا
لزلفى وحسن ماب فما القدر الصحيح من هذه الخطية قلت الذي نقله النقاد
وصح واعتمد عليه ثقات اهل العلم ان داود عليه السلام راى امراة رجل يقال
له اوريا فمال قلبه اليها فساله ان يطلقها فاستحى ان يرده ففعل فتزوجها
وهي ام سليمان ابنه عليه السلام وكان ذلك جايزا في شريعته معتادا فيما
بين امته غير مخل بالمروة كما انه غير مخل بالدين فكان يسال بعضهم بعضا
ان ينزل له عن امراته فيتزوجها اذا اعجبته وقد كان الانصار في صدر
الاسلام يواسون المهاجرين بمثل ذلك حتى قال بعضهم لعبد الرحمن بن عوف
انظر اي زوجتي هويت حتى انزل لك عنها فقال له بارك الله لك في اهلك
ومالك دلوني على السوق فكان يصدر منهم ذلك من غير نكير فان قلت
نزول اوريا عن زوجته لداود ان لم يكن خوفا من داود كان حيا منه والحيا
من جملة اسباب الاكراه حتى قال فقهاونا اذا قال لرجل طلق زوجتك فطلقها
حيا منه فهو اذا لم يطلقها اوقعه في ساحة الخجل وساءت حالته معه فلا

يقع عليه طلاق عند الشافعي رضي الله عنه قلت يحتمل ان تكون الشريعة الداودية
توقع الطلاق على المكره وان ذلك الفعل حلال فيها فلا ذنب لداود ولم يصدر منه
ما ينافي العصمة فان قلت القران ناطق بانه عوتب وانه فتن قلت لكونه
جليل القدر عالي المقام رفيع الدرجة لم يكن ينبغي له ان يتعاطى ما يتعاطاه
الناس على انه يجوز ان يكون لم يتزوج تلك المراة حتى اظهر له اوريا غاية الرضى
بذلك فقد قال ابن مسعود لم يزد داود مع اوريا على قوله اكفلنيها فاظهر
اوريا الرضى والميل الى ذلك وكان في الباطن غير راض والله عز وجل لما اراد
ان يبتلي داود لم يوقع في قلب اوريا الرضى بفراقها كما اوقع في قلب زيد بن
حارثة رضي الله عنه الرضى بفراق زينب بنت جحش رضي الله عنها حتى فارقها
محبا مختارا راضيا من غير ان يساله احد غير ان نبينا صلى الله عليه وسلم نظر اليها
فاعجبته فلم يزد على قوله سبحان مقلب القلوب فحينئذ اوقع الله عز وجل في
قلب زيد الرضى والمحبة والميل لفراقها ولما قال له النبي صلى الله عليه وسلم
امسك عليك زوجك واتق الله عاتبه ربه عز وجل على ذلك فقال له
تخفي في نفسك ما الله مبديه وتخشى الناس والله احق ان تخشاه فالله
عز وجل لم يرض لنبيه ورسوله داود ان يعمد الى رجل ليس له الا امراة
واحدة وهو ذو نساء كثيرات فيحمله على النزول وهب انه باختياره اليس
في هذا ركون الى الدنيا ان لم يكن بالقلب فبالظاهر بل كان اللائق بجلالة
قدره وعلو مقامه ان يغالب هواه ويعرض او انه يلتجي الى الله عز وجل كما التجا
اليه في هذا المعنى سيد العارفين وقدوة العالمين محمد بن عبد الله سيد المرسلين صلى الله
عليه وسلم

عليه وسلم وزاده رفعة وعلوا حيث قال سبحان مقلب القلوب فيسر الله الامر
عليه ولما قضى زيد منها وطرا زوجه الله عز وجل وسياتي هنا ومن المصنف
في بحث عصمة الانبيا اجوبة عديدة حسنة مفيدة متعلقة بهذه
القصة لتقف عليها ان شا الله عز وجل ثمة فان قلت قوله عز وجل وظن داود
انما فتناه كيف يعبر بالظن مع انه تيقن ذلك قلت كثيرا ما يعبر بالظن
ويراد به العلم الاستدلالي لما بينهما من المشابهة فانه قريب منه بسبب
عدم قوته لان العلم الضروري ارقى درجة منه فان قلت الحصر المستفاد
من انما يقتضي انه علم اننا فتناه ولم نفتن غيره مع ان كثيرا من الناس
وقع له الفتنة فالجزء السلبي المستفاد من انما الحصر ما ذا يكون قلت
هذا الحصر متوجه الى نفس الفعل لا الى مفعوله ولا الى قيد من قيوده اي
انه علم ان حاله مقصورة على الفتنة لا الى غير الفتنة من الافعال فان قلت
الحصر لا بد فيه من نفي واثبات فحيث وجهتموه الى الفعل فكيف تقررون الذي
انتفى عنه قلت الفتن فعل مخصوص وفي ضمنه الفعل المطلق ويثبت
له الفتن وينتفي عنه ما دل عليه الفعل المخصوص بطريق التضمن وهو مطلق
الفعل فكانه قال ظن انما فتناه اي انما فعلنا معه الفتنة لا غيرها من الافعال
وفي حديث انس رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال
فضلت على الناس باربع بالسخا والشجاعة وكثرة الجماع وقوة البطش
سياتي تعريف السخا والفرق بينه وبين ما يقاربه ويشتبه به من
الصفات وكذا تعريف الشجاعة وهذا الحديث رواه الطبراني في الاوسط

بسند جيد واما الجاه هو عبارة عن ملك القلوب المطلوب تعظيمها وطاعتها
فذو الجاه يملك قلوب الناس اي يقدر ان يتصرف فيها ليستعمل بواسطتها
اربابها في اغراضه ومقاصده ومآربه ونيل الجاه مفتقر الى اسباب كما ان نيل
الاموال انما يكون باسباب فكذلك اكتساب قلوب الناس بانواع من المعاملة
ولا تصير القلوب مسخرة الا بالمعارف والاعتقادات فكل من اعتقد القلب
فيه وصفا من اوصاف الكمال انقاد له وتسخر له بحسب قوة اعتقاده وبحسب
درجة الكمال عنده وليس بشرط ان يكون الوصف كمالا في نفسه بل يكفي ان
يكون كمالا عنده وفي اعتقاده فقد يعتقد ما ليس كمالا كمالا ويذعن قلبه
للموصوف به انقيادا ضروريا بحسب اعتقاده فان انقياد القلب حال
القلب واحوال القلوب تابعة لاعتقادات القلوب وعلومها وتخيلاتها
والحاصل ان طالب الجاه يطلب ان يسترق الاحرار ويستعبدهم ويملك
رقابهم ويملك قلوبهم بل الرق الذي يطلبه صاحب الجاه اعظم من الرق الذي
يطلبه صاحب المال او يشتري بماله الارقاء والعبيد فمحمود عند العقلاء عادة
بل هو محمود اكثر من المال لان لملك القلوب ترجيحا على ملك المال من ثلاثة اوجه
الاول ان التوصل بالجاه الى المال ايسر من التوصل بالمال الى الجاه الثاني
ان المال معرض لان يسرق ويغصب ويطمع فيه الملوك والظلمة ويحتاج
الى الحراس الثالث ان ملك القلوب يسري وينمو ويتزايد والمال يذهب
وينقص ويقدر جاهه عظمته في القلوب لان الجاه متفرع عن اعتقاد
الكمال وبها كثرت كمالاته واعتقد فيه الكمال عظم شأنه في القلوب وقد قال الله

عز وجل

عز وجل في صفة عيسى عليه الصلاة والسلام وجيها في الدنيا والاخرة
منصوب على انه حال مقدرة من كلمة في قوله عز وجل ان الله يبشرك بيحيى مصدقا بكلمة
منه وكلمة وان كانت نكرة لكنها موصوفة وتذكيره وتذكير الضمير في قوله اسمه
لمراعاة المعنى والوجاهة في الدنيا النبوة وفي الاخرة الشفاعة التي يقع له
اسوة باقي الانبياء لا الشفاعة العظمى وفي القاموس الوجيه ذو الجاه كالوجه
كقدس فالجاه ماخوذ من الوجه فهو على وزنه عفل وذكر انا قلبناه قلبا
مكانيا بجعل الفاء عينا والعين فاء فصار جوه قلبت الواو الفا لتحركها وانفتاح
ما قبلها فانه ملك لهي الوجاهة العظمى لكن آفاته كثيرة فهو مضر لبعض الناس
لعقبى الاخرة فلذلك ذم من ذم الجاه وقد يحمد طلبه والسعي في تحصيله
وقد يذم طلبه والسعي في تحصيله اما الاول فهو الذي يمكن ان يجعل زادا
للاخرة فان الدنيا مزرعة الاخرة وكل ما فيها يمكن ان يجعل زاد الاخرة فلا بد
للانسان في الدنيا من ادنى شيء يستعين به على طلب الاخرة كما انه لا بد له من ادنى
مال لضرورة المطعم والملبس لان الانسان لا يخلو عن الحاجة الى خادم يخدمه
ورفيق يعينه وسلطان يحرسه ويدفع عنه ظلم الاشرار فحبه لان يكون له في
قلب خادمه من المحل ما يدعوه الى خدمته ليس بمذموم وحبه لان يكون له في
قلب استاذه من المحل ما يحسن به ارشاده وتعليمه ليس بمذموم وحبه
لان يكون له من المحل في قلب السلطان ما يحثه على دفع الشر عنه ليس بمذموم
الا ان التحقيق في هذا يفضي الى انه لا يكون المال والجاه في اعيانهما محبوبين
بل ينزل ذلك منزلة حب الانسان ان يكون في داره بيت ماء لانه مضطر اليه

لقضاء الحاجة وبرده لو استغنى عن قضاء الحاجة حتى يستغني عن بيت
الماء نعم حب الجاه فيما يجاوز ضرورة البدن وحاجته مذموم لكن لا يكون ذلك
بمجرده معصية حتى يتوصل الى اكتسابه بكذب او خداع وارتكاب محظور وما
لم يتوصل الى اكتسابه بعبادة فان التوصل الى الجاه بالعبادة جناية على الدين
وهو حرام واليه يرجع معنى الريا المحظور فان قلت طلب الجاه والمنزلة عند
السلطان او عند ذي امر او ذي مال او ذي تصرف او عند الناس عامة هل
هو مباح على الاطلاق او مباح الى حد مخصوص وعلى وجه مخصوص قلت
قال حجة الاسلام ابو حامد الغزالي في الاحياء ان ذلك يطلب على ثلاثة اوجه
وجهان منه مباح ووجه منه محظور اما المحظور فهو ان يطلب قيام المنزلة
في قلوبهم باعتقادهم فيه صفة هو منفك عنها مثل العلم والورع والنسب
فيظهر لهم انه علوي او عالم او ورع ولا يكون كذلك فهذا حرام لانه تلبيس وكذب
اما بالقول واما بالفعل واما المباح فهو ان يطلب المنزلة بصفة هو متصف
بها كقول يوسف عليه السلام اجعلني على خزائن الارض اني حفيظ عليم فانه
طلب المنزلة في قلبه بكونه حفيظا عليما وكان محتاجا اليه وكان صادقا
فيه واما ان يطلب اخفاء عيب من عيوبه ومعصية من معاصيه حتى لا يعلمه
فلا تزول منزلته به فهذا ايضا مباح لان حفظ الستر على القبائح جائز ولا يجوز
هتك الستر واظهار القبيح وهذا ليس فيه تلبيس بل هو سد لطريق العلم بما لا
فائدة في العلم به كالذي يخفي عن السلطان انه يشرب الخمر ولا يلقي اليه انه
ورع فان قوله اني ورع تلبيس وعدم اقراره بالشرب لا يوجب اعتقاده الورع

بل

بل يمنع العلم بالشرب ومن جملة المحظور ان يحسن الصلاة بين يديه ليحسن فيه
اعتقاده فان ذلك رياء وهو ملبس اذ يخيل اليه انه من المخلصين الخاشعين
لله عز وجل وهو مراء بما يفعله فكيف يكون مخلصا فطلب الجاه بهذا الطريق
حرام وكذا بكل معصية ثم اعلم ان اصل الجاه انتشار الصيت والشهرة
وهو مذموم بل المحمود الخمول الا من شهره الله عز وجل لنشر دينه من غير تكلف
طلب للشهرة قال انس رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حسب امرئ
من الشر الا من عصمه الله عز وجل من السوء ان يشير الناس اليه بالاصابع في
دينه او دنياه رواه البيهقي في الشعب ولقد ذكر الحسن للحديث تاويلا لا
باس به اذ روى هذا الحديث فقيل له يا ابا سعيد ان الناس اذا راوك اشاروا
اليك بالاصابع قال انه لم يعن هذا انما عنى به المبتدع في دينه والفاسق
في دنياه وخرج ايوب في سفر فشيعه ناس كثيرون فقال لولا اني اعلم
ان الله عز وجل يعلم من قلبي اني لهذا كاره لخشيت المقت من الله عز وجل
وورد في الشرع مدح الخمول فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم رب
اشعث اغبر ذي طمرين لا يؤبه له لو اقسم على الله عز وجل لابره منهم البراء
ابن مالك رواه مسلم من حديث ابي هريرة بدون قوله منهم البراء بن مالك
ولفظ مسلم رب اشعث مدفوع بالابواب لو اقسم على الله عز وجل لابره
وللحاكم رب اشعث اغبر ذي طمرين تنبو عنه اعين الناس لو اقسم على
الله لابره وقال صحيح الاسناد واخرج الديلمي في مسند الفردوس عن
ابن مسعود رب ذي طمرين لا يؤبه له لو اقسم على الله عز وجل لابره لو قال

اللهم اني اسالك الجنة لاعطاه الجنة ولم يعطه من الدنيا شيا ورواه ايضا ابن
ابي الدنيا وقال صلى الله عليه وسلم الا ادلكم على اهل الجنة كل ضعيف متضعف لو
اقسم على الله عز وجل لابره ثم قال في اهل النار كل عتل جواظ متكبر مستكبر قال
حجة الاسلام في الاحيا فان قلت فاي شهرة تزيد على شهرة الانبيا والخلفا
الراشدين وائمة العلما فكيف فاتهم فضيلة الخمول فاعلم ان المذموم هو طلب
الشهرة فاما وجودها من جهة الله سبحانه من غير تكلف من العبد فليس
بمذموم نعم فيه فتنة على الضعفا دون الاقويا وهو كالغريق الضعيف يعوم
اذا كان معه جماعة من الغرقى فالاولى ان لا يعرفه احد منهم فانهم يتعلقون
به فيضعف عنهم فيهلك معهم واما القوي العوم فالاولى ان يعرفه الغرقى
ليتعلقوا به فينجيهم ويثاب عليهم ودم العلو في الارض قال الله عز وجل
تلك الدار الاخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا في الارض ولا فسادا والعاقبة
للمتقين وقال تعالى من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها نوف اليهم اعمالهم فيها
وهم فيها لا يبخسون اولئك الذين ليس لهم في الاخرة الا النار وحبط ما صنعوا
فيها وباطل ما كانوا يعملون فهذا متناول بعمومه لحب الجاه لانه اعظم لذات
الحياة الدنيا واكثر زينة من زينتها وقال صلى الله عليه وسلم حب المال والجاه
ينبتان النفاق في القلب كما ينبت الما البقل وقال صلى الله عليه وسلم
ما ذئبان ضاريان ارسلا في زريبة غنم باكثر فسادا من حب الشرف
والمال في دين الرجل المسلم وقال صلى الله عليه وسلم لعلي رضي الله عنه انما
هلاك الناس باتباع الهوى وحب الثنا وكان صلى الله عليه وسلم قد

انظر هذا الحديث في دم الجاه والمال

رزق

من
رزق في الحشمة والمكانة في القلوب والعظمة قبل النبوة عند الجاهلية
وبعدها المراد بالجاهلية ما كان بين المولد النبوي والمبعث هذا هو المراد
هنا ويطلق غالبا على ما كان قبل البعثة ومنه قوله تظنون بالله غير الحق ظن
الجاهلية وقوله ولا تبرجن تبرج الجاهلية الاولى واما جزم النووي
في عدة مواضع من شرح مسلم ان هذا هو المراد حيث اتى ففيه نظر فان هذا
اللفظ وهو الجاهلية يطلق مضافا للشخص فالمراد بها حينئذ ما قبل
اسلامه وضابط اخره غالبا فتح مكة ومنه قول مسلم في مقدمة صحيحه ان
ابا عثمان وابا رافع ادركا الجاهلية وقول ابي رجا العطاردي رايت في الجاهلية
قردة زنت وقول ابن عباس رضي الله عنهما سمعت ابي في الجاهلية يقول اسقنا
كاسا دهاقا وابن عباس انما ولد بعد البعثة واما قول عمر رضي الله عنه نذرت
في الجاهلية فيحتمل وهم يكذبونه ويوذون اصحابه ويقصدون اذاه حتى
اذا واجهوهم اعظموا امره وقضوا حاجته واخباره في ذلك معروفة
سياتي بعضها منها قصته مع ابي جهل التي رواها البيهقي في الدلائل
بسنده الى ابي هريرة رضي الله عنه قال قال ابو جهل هل يعفر محمد صلى الله
عليه وسلم وجهه بين اظهركم فقيل نعم فقال واللات والعزى لئن رايته يفعل
ذلك لاطان على رقبته ولاعفرن وجهه في التراب فاتى رسول الله صلى
الله عليه وسلم وهو يصلي ليطا على رقبته فما فجئهم منه الا وهو ينكص على
عقبيه ويتقي بيديه فقيل له ما لك قال ان بيني وبينه لخندقا من نار
زاد ابو عبد الله وهولا واجنحة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو دنا مني

في نفسه

لاختطفته الملائكة عضوا عضوا قال وانزل الله عز وجل كلا ان الانسان
ليطغى ان راه استغنى الى قوله كذب وتولى يعني ابا جهل فليدع ناديه
سندع الزبانية الملائكة ومما جرى له مع النبي صلى الله عليه وسلم ما حدث
به عبد الملك بن ابي سفيان الثقفي قال قدم رجل من اراش بابل له مكة فابتاعها
منه ابو جهل بن هشام فمطله باثمانها واقبل الاراشي حتى وقف على نادي
قريش ورسول الله صلى الله عليه وسلم جالس في ناحية المسجد فقال يا
معشر قريش من رجل يؤديني وفي رواية يعدوني من ابي الحكم بن هشام
فاني غريب وابن سبيل وقد غلبني على حقي فقال اهل ذلك المجلس ترى ذلك
الرجل وهم يهزؤن له الى رسول الله صلى الله عليه وسلم لما يعلمون بينه وبين
ابي جهل بن هشام من العداوة اذهب فهو موديك عليه فاقبل الاراشي
حتى وقف على رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر له ذلك له فقام معه
فلما راوه قام معه رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا الرجل اتبعه فانظر ما يصنع
فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى جاءه فضرب عليه بابه فقال من هذا
قال محمد قال فاخرج اليه فخرج وما في وجهه رائحة وقد انتقع لونه قال
اعط هذا الرجل حقه قال لا تبرح حتى اعطيه الحق الذي له فدخل فخرج اليه
بحقه فدفعه اليه ثم انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال للاراشي الحق
بشانك فاقبل الاراشي حتى وقف على ذلك المجلس فقال جزاه الله عز
وجل خيرا فقد والله اخذ لي بحقي وجاء الرجل الذي بعثوا معه فقالوا ويحك
ما رايت قال عجبا من العجب والله ما هو الا ان ضرب عليه بابه فخرج وما

معه

وقال ايضا في صدر الكتاب
ومن العماليق ملوك مصر الفراعنة
منهم الوليد بن مصعب صاحب
موسى وقابوس بن مصعب
ابن عمرو بن معويه بن اراشه
ابن معويه بن عمليق اخو الاول
الاخر قال
هذا وكان شيخنا الشارح
لم تحضره حين تاليفه
هذا المحل ما افاده
السهيلي والكمال لله
والله الموفق

معه روحه فقال اعط هذا الرجل حقه فقال نعم لا تبرح حتى اخرج اليه حقه
فدخل فاخرج اليه حقه فاعطاه اياه ثم لم يلبث ان جاء ابو جهل فقالوا
له ويلك ما لك فوالله ما راينا مثل ما صنعت فقال ويحكم ما هو الا ان
ضرب على بابي وسمعت صوته فملئت رعبا ثم خرجت وان فوق راسي
لفحلا من الابل ما رايت مثل هامته ولا قصرته ولا انيابه لفحل قط فوالله
لو ابيت لاكلني رواه البيهقي في الدلائل وابن اسحق في السيرة كما روي
عن قيلة قيلة بفتح القاف ثم مثناة تحت ساكنة وفي الصحابيات ثلاث
كل واحدة منهن يقال لها قيلة الاولى قيلة ام بني انمار ويقال اخت
بني انمار روى عنها عبد الله بن عثمان بن خثيم قال المزي في سماع
ابن خثيم منها نظر وقال الذهبي انه ارسل عنها ومعنى ارسل عنها ان بينها
وبينه واسطة حذفها وروى عنها والمحدثون عندهم المرسل الذي
سقط منه الصحابي بان يقول التابعي قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
لكنهم قد يستعملونه في كل ساقط لكن بصيغة الفعل فيقولون مثلا
البخاري ارسل هذا عن مالك والبخاري بينه وبين مالك واسطة فيسقطون
الواسطة ويرتقون الى ما فوقها وقد اخرج لها الدارقطني الثانية قيلة
الخزاعية ام سباع لها ذكر الثالثة قيلة بنت مخرمة العنبرية وقيل العنزية
والمراد هنا قيلة بنت مخرمة وهذا الحديث الذي ذكره المصنف رواه
الترمذي في الشمائل ولفظه انها راته صلى الله عليه وسلم في المسجد وهو قاعد
القرفصاء قالت فلما رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو المتخشع في الجلسة

القصرة اصل العنق والتحريك بالفتح واصل الرقبة
نهاية

وقد كان يبهت ولفرق لرؤيته من لم يره

انها لما راته ارعدت من الفرق فقال يا مسكينة عليك السكينة

ارعدت من الفرق بدون قوله لها يا مسكينة الى اخره وكذا اخرجه ابو داود في السنن
بدونه لكن اخرجه ابن سعد في الطبقات بتمامه **وفي حديث ابي مسعود**
هو عقبة بن عمرو بن ابي ثعلبة بن سبرة بن عسيرة بن عطية بن حدارة البدري
وقد ذكره البخاري فيمن شهد بدرا في صحيحه وقال ابو عمر بن عبد البر قالت طائفة
شهد بدرا ولا يصح وقال ابو الفتح اليعمري انه لم يشهد بدرا وانما هو منسوب
الى الماء شهد العقبة الثانية توفي بعيد علي رضي الله عنه قبل مات سنة اربعين
وقيل سنة احدى واربعين قال ابو عمر بن عبد البر عقبة بن عمرو بن ثعلبة ابو مسعود
الانصاري كان يسكن بدرا ولم يشهدها وهو الراجح وشهد احدا وما بعدها
مات بالمدينة ايام علي وقيل ايام معوية واستخلفه علي على الكوفة في خروجه
الى صفين اقول في صحيح البخاري بسنده الى عروة بن الزبير قال
لعمر بن عبد العزيز في امارته اخر المغيرة بن شعبة العصر وهو امير الكوفة
فدخل عليه ابو مسعود عقبة بن عمرو الانصاري جد زيد بن حسن شهد بدرا
الحديث فهذا صريح في انه شهد بدرا وليس بعد مقالة هذا الامام مقالة قال
شيخ الاسلام ابو الفضل احمد بن حجر في شرح البخاري واختلف في شهوده بدرا
فالاكثر على انه لم يشهدها ولم يذكره محمد بن اسحق ومن تبعه من اصحاب المغازي
في البدريين وقال الواقدي وابرهيم الحربي لم يشهد بدرا وانما نزل بها فنسب
اليها وكذا قال الاسماعيلي لم يصح شهود ابي مسعود بدرا وانما كانت مسكنه
فقيل البدري فاشار الى ان الاستدلال بانه شهدها بما يقع في الروايات انه
البدري ليس بقوي لانه يستلزم ان يقال لكل من شهد بدرا انه البدري وليس ذلك

مطردا

مطردا قلت لم يكتف البخاري في جزمه بانه شهد بدرا بذلك بل بقوله في
الحديث المروي عن عروة انه شهد بدرا فان الظاهر ان قوله انه شهد بدرا من
كلام عروة بن الزبير وهو حجة في ذلك لكونه ادرك ابا مسعود وان كان
روى عنه هذا الحديث بواسطة ويترجح اختيار البخاري ذلك بقول نافع حتى حدثه
ابو لبابة البدري فانه نسبه الى شهود بدر لا الى نزولها وقد اختار ابو عبيد
القاسم بن سلام انه شهدها ذكره البغوي في معجمه عن عمه علي بن عبد العزيز عنه
وبذلك جزم ابن الكلبي ومسلم في الكنى قال الطبري وابو احمد الحاكم انه شهدها
انتهى والقاعدة ان المثبت مقدم على النافي انتهى هذا وان هذا الحديث
اخرجه البيهقي من طريق قيس عنه موصولا وعن قيس مرسلا قال البيهقي
انه المحفوظ واخرجه الحاكم مثله عن قيس عن جرير موصولا وصححه **ان رجلا**
قام بين يديه قال البرهان الحلبي هذا الرجل لا اعرفه **فارعد** يقال ارعد
الرجل اذا اخذته الرعدة وارعدت فرائصه من الفزع وفي الحديث جيء بهما
ترعد فرائصهما اي ترجف وتضطرب من الخوف وقال كعب بن زهير

لقد اقوم مقاما لو يقوم به ... ارى واسمع ما لو يسمع الفيل
لظل يرعد الا ان يكون له ... من الرسول باذن الله تنويل

فقال هون عليك اي اقتصر في الخشية ولا تبالغ في التعظيم بحيث تعظمني
كتعظيم الملوك **فاني لست بملك** قال شيخنا الرضي ابن التاذفي المعروف
بابن الحنبلي ثم لا خفا ان هذا الحديث لا ينافي قول هرقل هذا ملك الختان
قد ظهر فيمن رواه بفتح الميم وكسر اللام من ملك يعني به محمدا صلى الله عليه وسلم

لاختلاف قائل النفي والاثبات ولئن كان صلى الله عليه وسلم ملكا ملك بنبوة فهو
لم يرد الا نفي انه ملك كسائر الملوك المتعارفة عند المخاطب واضرابه واقول
لا يخفى ان النبي صلى الله عليه وسلم نبي ونبوته دعت الى ان ملك البسيطة فكانت
الارض ملكا له لا لانه ملك بل لانه نبي ورب نبي نبوته داعية الى ان يكون
مالكا الا ترى ان موسى عليه السلام مع نبوته ملك ارض الشام وكذلك نبينا
صلى الله عليه وسلم انما كان نبيا لكن نبوته دعت الى انه ملك فهو مالك من حيث
انه نبي لا من حيث انه ملك والخلفا الراشدون ملكوا من حيث انهم خلفا لا
من حيث انهم ملوك ثم بعد الثلاثين صارت المالكية ملكا عضوضا فعلى
هذا يكون قول هرقل هذا ملك الختان ظهر وقوله هذا ملك هذه الامة ظهر مبني على
ذلك فهو قد ظهر له في تنجيمه ما هو لازم نبوته وهو الاستيلا على الارض
وان امته يملكون الارض من بعده وان هرقل ظهر له في تنجيمه انه صلى الله عليه
وسلم نبي يملك الارض بنبوته ولكنه لم يذكر لسائله حين راه خبيث النفس فقالوا
له قد استنكرنا هيئتك فقال لهم حين سالوه اني رايت الليلة حين نظرت
في النجوم ملك الختان قد ظهر اي قد غلب فهو لم يبرز الا انه نبي ذو نبوة عامة
يملك الارض بنبوته وانه مختص بدليل قوله حتى اتاه كتاب من صاحبه يوافق
راي هرقل على خروج النبي صلى الله عليه وسلم وانه نبي فهذا صريح في ان هرقل كان قد
اطلع في تنجيمه على ان النبي صلى الله عليه وسلم نبي وانه يملك الارض بنبوته وملكيته
تابعة لنبوته وانما لم يقل هذا نبي هذه الامة فقد ظهر لامرين الاول خوفا على تكدير
خاطر رعيته اذ كانوا لا يعتقدون نبيا بعد عيسى عليه السلام يكون مبعوثا اليهم

بدليل

بدليل ما وقع منهم لما اخبرهم بذلك ودعاهم الى اتباعه فحاصوا حيصة حمر
الوحش والثاني ان هرقل لا تخبث نفسه بظهور نبي لانه لا يضره من
ظهوره شي بخلاف الملك فانه يضره منه اخذه لملكه واستحواذه عليه وقد
جا في تكملة هذا الحديث قوله صلى الله عليه وسلم انما انا ابن امراة من قريش
تاكل القديد اي ان امي كسائر نسا العرب وليست من نسا الملوك اللاتي
لا ياكلن القديد وهو اللحم المملح المخلف المجفف في الشمس وانما خص
القديد بالذكر لانه لا ياكله الا من لم يقدر على اللحم الطري فاما عظيم قدره بالنبوة
وشريف منزلته بالرسالة وانافة رتبته بالاصطفا اي شرفه
والكرامة في الدنيا فامر هو مبلغ النهاية ثم هو في الاخرة سيد ولد ادم والاخر
قال صلى الله عليه وسلم انا سيد ولد ادم ولا فخر وادم ومن دونه تحت لوائي
وقال تعالى كنتم خير امة اخرجت للناس فلما كانت امته خير الامم وجب ان
يكون نبيها خير الانبيا وسائر ما في القران من الدلائل على فضله وكرامته على
سائر النبيين قيل معنى قوله صلى الله عليه وسلم ولا فخر اي لا اقوله من تلقا
نفسي فيكون افتخارا وانما اقوله بامر الله عز وجل ليكون عبودية وائتمارا
وقيل بل معناه ولا فخر لي بهذه الاشيا بل انما فخري بربي عز وجل
فانا افتخر به لا بغيره وقيل لا فخر لان من افتخر بشي كان ابتدا افتخاره
النظر اليه وهو صلى الله عليه وسلم كان منهيا عن النظر الى ما دون الحق عز وجل
لان من نظر الى شي سكن اليه والركون الى الامر محجوب به عن غيره فاما الاستدلال
بكون امته خير الامم على كونه خير الانبيا فلان الافضل احق بالافضل وعلى معنى

بلغ مقابلته
على خط المولف

هذا الفصل نظمنا هذا القسم باسره اي جميعه فصل
واما الضرب الثالث فهو ما يختلف الحالات في التمدح به والتفاخر
بسببه والتفضيل لاجل كثرة المال فصاحبه على الجملة معظم
عند العامة لاعتقادها توصله به الى حاجاتهم وتمكن اغراضهم بسببه
والا فهو ليس فضيلة في نفسه وذلك انه وردت نصوص بمدح المال فقد
سماه الله عز وجل في القران خيرا فقال ان ترك خيرا وقال صلى الله عليه وسلم نعم المال
الصالح للرجل الصالح وقال تعالى وسيتمنى جاكثرها رحمة من ربك فالمال خير من
وجه شر من وجه ليس خيرا محضا ولا شرا محضا بل هو سبب للامرين
جميعا وذلك ان مقصد الاكياس وارباب البصائر سعادة الاخرة
التي هي النعيم الدائم والملك المقيم والقصد الى هذا داب الاكياس من الناس
والكرام اذ قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم من اكرم الناس واكيسهم قال
اكثرهم ذكرا للموت واشدهم استعدادا له وهذه السعادة لا تنال الا
بثلاث وسائل في الدنيا وهي الفضائل النفسية كالعلم وحسن الخلق
والفضائل البدنية كالصحة والسلامة والفضائل الخارجة عن البدن
كالمال وسائر الاسباب واعلاها النفسية ثم البدنية ثم الخارجة
فاخسها الخارجة والمال من جملة الخارجات وادناها الدراهم والدنانير
فانهما خادمان ولا خادم لهما ومرادان لغيرهما ولا يرادان لذاتهما اذ
النفس هي الجوهر الشريف المطلوب سعادتها فانها تخدم العلم والمعرفة
ومكارم الاخلاق لتحصيلها صفة في ذاتها والبدن يخدم النفس والمقصود

من

من المطاعم ابقا البدن ومن المناكح ابقا النسل ومن البدن تكمل النفس
وتزكيتها وزينتها بالعلم وحسن الخلق ومن عرف هذا الترتيب فقد عرف
قدر المال ووجه شرفه وانه من حيث هو ضرورة المطاعم والملابس
التي هي ضرورة بقا البدن الذي هو ضرورة كمال النفس وكمال النفس خير
ومن عرف فائدة الشي وغايته ومقصده واستعمله لتلك الغاية ملتفتا اليها
غير ناس لها فقد احسن وانتفع وكان كلما حصل له الغرض محمودا في حقه
فاذا المال آلة ووسيلة الى مقاصد فاسدة وهي المقاصد الصارفة عن
سعادة الاخرة وسد سبيل العلم والعمل فهو اذا محمود ومذموم محمود
بالاضافة الى المقصود المحمود ومذموم بالاضافة الى المقصود المذموم
والا فهو ليس فضيلة في نفسه فمتى كان المال بهذه الصورة وصاحبه
منفقا له في بهاته ومهمات من اعتراه واهله وتصريفه فان قلت علام
تعطف قوله وتصريفه قلت احسن ما يقال فيه انه مرفوع عطفا على المال
اي فمتى كان تصريفه في مواضعه الخ ويصح ان يكون معطوفا على صاحبه وعلى
كل تقدير هو مصدر مضاف اما للفاعل اي تصريف ذي المال المال او الى
المفعول اي ان يصرف المال مالكه والارجح ان يكون مضافا الى الفاعل لان
قوله مشتريا حال من الضمير المجرور في قوله تصريفه ولو جعلته مصدرا
مضافا الى المفعول لكان ذو الحال محذوفا لان مشتريا ليس هيئة للمال
وانما هو هيئة لذي المال وقد وجد في بعض نسخ الشفا تصريفه مضبوطا
بالقلم بالجر فيكون معطوفا على بهاته فيصير التقدير وصاحبه منفقا له في

مهانة ومنفقا له في تصريفه في مواضعه ولا يخفى انه ركيك لانه لا معنى لكون
التصريف ظرفا للانفاق اذ التصريف هو الانفاق واقول لا ركة فيه لان
الانفاق اعم من التصريف في مواضعه اذ رب انفاق لا يكون تصريفا في
موضعه كالانفاق في المعاصي فاذا جعل التصريف في مواضعه ظرفا
للانفاق كان من قبيل جعل الخاص ظرفا للعام كما تقول عبدت الله في صلاتي
له ومثل هذا لا ركة فيه ووجد في بعض النسخ بالنصب قيل وهو بعيد
لانه لا يتحمل كون تصريفه مصدرا بمعنى الفاعل معطوفا على منفقا ومجيء
فعل بمعنى مفعل غير مسموع واقول لا ضير في ان يكون الواو في وتصريفه بمعنى
مع وتصريفه منصوبا على انه مفعول معه فتدبر **في مواضعه مشتريا به
المعالي والثناء الحسن والمنزلة من القلوب كان فضيلة في صاحبه عند
اهل الدنيا** اشار المصنف بذلك الى ان فوائد المال قسمان اما دنيوية واما
دينية اما الدنيوية فلا حاجة الى ذكرها فان معرفتها مشتركة بين اصناف
الخلق ولولا ذلك لم يتهالكوا على طلبها واما الدينية فبين المصنف انها خمسة
انواع الاول منها ان يصرف المال في مهانة وذلك بان يصرفه اما في عبادة او في
استعانة على عبادة اما في العبادة فكالاستعانة على الحج والجهاد فانه لا يتوصل
اليها الا بالمال وهما من امهات القربات والفقير محروم من فضلها واما ما يتقوى به
على العبادة فكالمطعم والملبس والمنكح وضرورات المعيشة فان هذه الحاجات
اذا لم تتيسر كان القلب منصرفا الى تدبيرها فلا يتفرغ للدين وما لا يتوصل الى
العبادة الا به فهو عبادة فاخذ الكفاية من الدنيا لاجل الاستعانة على الدين من

الفوائد

الفوائد الدينية النوع الثاني ما اشار اليه المصنف بقوله ومهانة من اعتراه
وهو ما يصرفه الى الناس كالصدقة والمروة ووقاية العرض والاستخدام
اما الصدقة فهي معلومة كيف وهي تطفي غضب الرب عز وجل واما المروة فهي
صرفها الى الاغنياء والاشراف في مثل ضيافة وهدية واعانة فيه يكتسب صفة
السخاء ويلتحق بزمرة الاسخياء فلا يكتسب النعت بالجود الا من صنع المعروف
وسلك سبيل الفتوة وهذا ايضا مما يعظم الثواب فيه وهذا معنى قول المصنف
مشتريا به المعالي والثناء الحسن النوع الثالث داخل في قول المصنف ومهانة
من اعتراه وتصريفه في مواضعه كوقاية العرض كان يبذل مالا لدفع هجو
الشعراء وثلب السفهاء وقطع السنتهم ودفع شرهم وذلك ايضا يجري فائدة
في العاجلة وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم ما وقى به المرء عرضه فهو له
صدقة وكيف لا يكون كذلك وفيه منع المغتاب عن معصية الغيبة واحتراز
عما يثور من كلامه من العداوة التي تحمل على المكافاة والانتقام على مجاوزة
الشريعة النوع الرابع ايضا شمله قوله وتصريفه في مواضعه الاستخدام
وذلك لان الاعمال التي يحتاج اليها الانسان لتهيئة اسبابه كثيرة ولو تولاها
بنفسه ضاعت اوقاته وتعذر عليه سلوك طريق الاخرة بالفكر والذكر
اللذين هما اعلى مقامات السالكين ومن لا مال له افتقر الى ان يتولى
بنفسه خدمة نفسه من شراء الطعام وطحنه وطبخه وكنس البيت حتى
نسخ الكتاب الذي يحتاج اليه وكلما يتصور ان يقوم به غيرك ويحصل به
غرضك فانت مغبون اذا اشتغلت به اذ عليك من العلم والعمل والفكر والذكر

وما لا يتصور ان تقوم به غيرك فتضييع الوقت في غيره خسران النوع الخامس
صرفه في تحصيل خير عام كبناء المساجد والقناطر والرباطات ودار المرضى ونصب
الجباب في الطرق وغير ذلك من الاوقاف المرصدة للخيرات وهي من الخيرات
المؤبدة الدائمة بعد الموت المستجلبة ادعية الصالحين الى اوقات متمادية
وناهيك بها خيرا وقول المصنف عند اهل الدنيا لم يرد به ان ذلك فضيلة دنيوية
وانها ليست فائدة دينية فان الانفاق على الناس في طريق المروة كالضيافات
والهدايا كما يكون دنيوية دينية لان الانسان يكتسب بذلك الاخوان يكون م
والاصدقاء وصفة السخاء وقد نص حجة الاسلام الغزالي على ان ذلك فضيلة
دينية واذا صرف في وجوه البر وانفقه في سبل الخير وقصد بذلك
الله عز وجل والدار الاخرة كان فضيلة عند الكل بكل حال ومتى كان ع
صاحبه ممسكا له غير موجهه وجوهه حريصا على جمعه عاد كثره كالعدم عادت كثرته
الكثر في النهاية بالضم الكثير كالقل القليل وفي القاموس الكثرة بفتح الكاف
نقيض القلة كالكثرة بالضم كالعدم وكان منقصة في صاحبه ولم يقف به
على جدد السلامة الصواب انه بضم الجيم جمع جدة وهي معظم الطريق ووهم
من قال انه بفتح الجيم الارض الصلبة فالمعنى ان المال اذا كان صاحبه بهذه
الاوصاف ادى به الى طريق الهلاك ولم يقف به على طريق السلامة بل اوقعه
في هوة رذيلة البخل وهي بها مضمومة ثم واو مفتوحة مشددة الوهدة
العميقة والاهوية مثلها ومزلة النزال قد اشار المصنف بهذا الى ذكر
بعض افات المال فذكر له افتين الاولى امساكه وانما كان افة لانه يدخل

صاحبه

صاحبه في حيز البخلاء فان قلت ما حقيقة البخل المذموم فان مجرد امساك
المال لا يعد بخلا وانفاقه كله لا تسمح نفس به بل لا بد من امساك ومن انفاق
فما القدر الذي يعد امساكه بخلا ويعد انفاقه سخاء قلت السخي الذي هو
لا يمنع واجب الشرع ولا واجب المروة فان منع واحدا منهما فهو بخيل
والذي يمنع واجب الشرع ابخل كالذي يمنع اداء الزكاة ويمنع عياله واهله
النفقة او يؤديها ولكن يشق عليه فانه بخيل بالطبع وانما يتسخى بالتكلف
والذي يتيمم الخبيث من ماله ولا يطيب قلبه ان يعطي من اطيب ماله
او من وسطه فهذا كله بخل واما واجب المروة فهو ترك المضايقة
والاستقصاء في المحقرات فان ذلك مستقبح واستقباح ذلك يختلف
بالاحوال والاشخاص فالذي يكثر ماله يستقبح منه ما لا يستقبح من الفقير
من المضايقة فالبخيل هو الذي يمنع حيث لا ينبغي ان يمنع اما بحكم الشرع
او بحكم المروة الافة الثانية صرفه في المحرمات وهو معنى قوله غير موجهه
وجوهه فانه يحتمل امرين الاول ان يصرفه في معاصي الله عز وجل الثاني ان
يجر المال الى التنعم بالمباحات وهذا اقل الدرجات ولو لم يكن من افاته
الا انه يشغل العبد عن ذكر الله عز وجل [illegible] وكل ما شغل العبد عن ذكر
الله عز وجل فهو خسران وهذه الافات سوى ما يقاسيه ارباب الاموال
في الدنيا من الخوف والحزن والغم والهم والتعب في دفع المضار عن المال
وتجشم الصعب في حفظ الاموال وكسبها فاذا ترياق المال اخذ القوت
وصرف الباقي الى الخيرات وما عداه سموم وافات فاذن التمدح بالمال

وفضيلته عند مفضل ليست لنفسه وانما هي للتوصل به الى غيره
وتصريفه في متصرفاته في معه اذا لم يضعه مواضعه ولا وجهه
وجوهه غير ملي بالحقيقة ولا غنى بالمعنى ولا ممتدح به عند احد
من العقلاء بل هو فقير ابدا غير واصل الى غرض من اغراضه اذ ما بيده
من المال الموصل لها لم يسلط عليه قال بعض الفصحاء خير الاموال
ما استرق حرا وخير الاعمال ما استحق شكرا وقال صالح بن عبد القدوس

من الطويل

ويظهر عيب المرء في الناس بخله • ويستره عنهم جميعا سخاؤه
تغط باثواب السخاء فانني • ارى كل عيب فالسخاء غطاؤه

وقد في الكتاب الحماسة
اذا المرء لم يدنس من اللؤم عرضه
فكل رداء يرتديه جميل
والقطعة للسموأل بن عاديا
من الطويل

فالممسك يشبه خازن مال غيره ولا مال له فكانه ليس في يده شي ولهذا قال
بعض الحكما البخيل خازن نعمته وحارس ورثته وقال بعض الشعراء

اذا كنت جماعا للمال ممسكا • فانت عليه خازن وامين
تؤديه مذموما الى غير حامد • فياكله عفوا وانت دفين

ويتظاهر بعض ذوي النباهة بحب الثناء مع امساكه فيه فقال فيه بعض الشعراء

من المتقارب

اراك تؤمل حسن الثناء • ولم يرزق الله ذاك البخيلا
وكيف يسود اخو بطنة • يمن كثيرا ويعطي قليلا

وقد قيل ان حب الثنا يبعث على البذل وحب المال يمنع منه فان ظهرا
كان حب الثنا كاذبا قال المصنف فالممسك خازن مال غيره ولا مال له
فكانه ليس في يده منه شي قال محمود الوراق

[illegible]

من المتقارب

تمتع بمالك قبل الممات • والا فلا مال ان انت مت

شقيت

شقيت به ثم خلفته • لغيرك بعدا وسحقا ومقتا
فجادوا عليك بزور البكا • وجدت عليهم بما قد جمعتا
وارهنتهم كل ما في يديك • وخلوك رهنا بما قد كسبتا

ويكفي في ذم الممسك قوله عز وجل والذين يكنزون الذهب والفضة ولا
ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعذاب اليم فقال النبي صلى الله عليه وسلم
تبا للذهب تبا للفضة فشق ذلك على اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا
فاي مال نتخذ قال عمر انا اعلم لكم ذلك فقال يا رسول الله ان اصحابك قد شق
عليهم وقالوا فاي مال نتخذ فقال لسانا ذاكرا وقلبا شاكرا وزوجة
مومنة تعين احدكم على دينه وقد قال الشاعر

من الطويل

اذا كنت ذا مال ولم تك ذا ندى • فانت اذا والمقترون سواء
على ان في الاموال يوما تباعة • على اهلها والمقترون براء

وقال الربيع انشدني الشافعي رضي الله عنه لنفسه

من الكامل

ان الذي رزق اليسار ولم يصب • حمدا ولا شكرا لغير موفق

نخ

فانظر سيرة نبينا صلى الله عليه وسلم وخلقه في المال بجملته وقد اوتي خزائن
الارض ومفاتيح البلاد واحلت له الغنائم ولم تحل لنبي قبله اما كونه
اوتي خزائن الارض فمعناه ان الله تعالى ملكه ما حوت الارض وجعل ذلك
في قبضته يفعل به ما شاء وصارت الكنوز المدفونة والمعادن المخلوقة كلها
في تصريفه يفعل بها ما شاء وقال بعضهم هي خزائن اجناس العالم ليخرج لهم بقدر
ما يطلبونه بذاته فكل ما ظهر من رزق العالم فان الاسم الالهي لا يعطيه الا عن

مطلب

محمد صلى الله عليه وسلم الذي بيده المفاتيح كما اختص تعالى بمفاتيح الغيب فلا
يعلمها الا هو واعطى هذا السيد الكريم منزلة الاختصاص باعطائه
مفاتيح الخزائن والذي فهمناه من كلام الصرصري ان مفاتيح الخزائن
هي الكنوز المدفونة في الارض حيث قال

بعثت مقاليد الكنوز جميعها * تهدى اليه على سراة حصان *
جعلت عليه قطيفة من سندس * قلاه استعظام الزهد عن امكان *

واشار بذلك الى حديث رواه ابن الجوزي في كتاب الوفا بسنده عن جابر بن
عبد الله رضي الله عنهما قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول
اتيت بمقاليد الدنيا على فرس ابلق عليه قطيفة من سندس وفي صحيح
مسلم عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
نصرت بالرعب واعطيت جوامع الكلم وبينا انا نائم اذ جي بمفاتيح
خزائن الارض فوضعت بين يدي قال ابو هريرة فقد ذهب رسول
الله صلى الله عليه وسلم وانتم تنتثلونها وقد تكرر رواية البخاري لهذا الحديث
في مواضع من صحيحه وفي رواية للبخاري وانتم تنتقلونها وقال بعضهم
ان مفاتيح خزائن الارض التي اوتيها هي ما يفتح على امته من البلاد والاقاليم
المشار اليه في قوله صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح الذي رواه مسلم
في صحيحه عن ثوبان ان نبي الله صلى الله عليه وسلم قال ان الله عز وجل زوى لي
الارض فرايت مشارقها ومغاربها وسيبلغ ملك امتي ما زوي لي منها وصدق
الله قوله وما اطلعه الله عليه بان ملك امته بلغ اقصى المشرق والمغرب ولم

ينتشر

ينتشر في الجنوب والشمال واخرج الشيخان في صحيحيهما عن ابي هريرة
وجابر بن سمرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا هلك كسرى فلا
كسرى بعده واذا هلك قيصر فلا قيصر بعده والذي نفس محمد بيده لتنفقن
كنوزهما في سبيل الله عز وجل ورواه البيهقي ايضا في الدلائل ثم قال البيهقي انما
اراد هلاك قيصر الذي كان ملك الشام وتنحيته ملك الاقاصرة عنها فصدق
الله عز وجل قول رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحي عن الشام ملك الاقاصرة
ونحي عن الدنيا ملك الاكاسرة وبقي للاقاصرة ملك الروم لقوله صلى الله عليه وسلم
ثبت ملكه حين اكرم كتاب النبي صلى الله عليه وسلم الى ان نقضي الله عز وجل فتح
القسطنطينيه ولم يبق للاكاسرة ملك وسياتي لذلك مزيد تفصيل في بحث
المعجزات واما احلال الغنائم له والمراد بالغنائم ما يشمل الفي وهو ما حصل
من الكفار على سبيل الغلبة بخلاف ما اخذ منهم سرقة او هبة او نحوها فانه
يعد غنيمة لا فيا والفي لا يسمى فيا حتى يحصل منهم بلا قتال ولا ايجاف
خيل او ركاب من جزية وعشور وتركة مرتد وذمي لا وارث له او ما هربوا
عنه لخوف او صولحوا عليه واما الغنيمة فهي ما حصل من الكفار الحربيين
بقتال او ايجاف لخيل او ركاب ولو بعد فرارهم ولو قبل شهر السلاح
حين التقى الصفان ومن الغنيمة ما اخذ من دارهم اختلاسا او سرقة
او لقطة والمراد بالغنائم كل ما حصل من الكفار سواء كان فيا ام غنيمة بالمعنى
الذي ذكره الفقهاء فان كلا من الفي والغنيمة يطلق على الاخر اذا ذكرا منفردين
فان جمع بينهما كان معناهما ما ذكرنا فان قلت مقتضى الحديث بل صريحه وهو

قوله صلى الله عليه وسلم احلت لي الغنائم ولم تحل لاحد قبلي انها لم تكن حلا لا
لنبي قبله مع ان سليمان بن داود نبي الله عليه السلام كانت له سراري والسراري ∴
اما والاما والعبيد لا يكونون الا من الغنائم فما وجه قوله صلى الله عليه وسلم ولم تحل لنبي
قبلي قلت كان الانبيا عليهم السلام اذا جاهدوا واقدموا الغنيمة التي هي امتعة
والمعة واموال فتنزل نار من السما فتاكل خمس ذلك النبي وسهام الامة ∴
دليله ما في الصحيحين عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم غزا نبي فجمعوا ما غنموا فاقبلت النار لتاكله فابت ان تطعمه فقال النبي
فيكم غلول فاخرجوا مثل راس البقرة فوضعوه في المال فاقبلت فاكلته فلم
تحل الغنائم لاحد قبلنا ذلك بان الله عز وجل راى ضعفنا وعجزنا فطيبها
لنا واما العبيد والاما والحيوانات فانها تكون حلالا للغانمين دون الانبيا
عليهم السلام فلا يجوز للانبيا اخذ شي من ذلك بسبب الغنيمة بل بالابتياع او
الهدية او نحو ذلك ومن هذا تسرى سليمان عليه السلام وكان يجوز ذلك لنبينا صلى
الله عليه وسلم فكان ياخذ الخمس والصفي ويتصرف فيه وهذا من خصائصه
دون الانبيا فان قلت فالعبيد والاما غنيمة ايضا قلت نعم ولكن حرم
ذلك على الانبيا خاصة واحلت الغنيمة باسرها لنبينا صلى الله عليه وسلم
وامته فانفرد عن الانبيا ذكره ابن الجوزي في الوفا وفتح عليه في حياته
بلاد الحجاز وهو مكة والمدينة واليمامة ومخاليفها اي قراها كالطائف ووج
وخيبر وكذا الطرق الممتدة من الحجاز وانما سمي حجازا لانه حجز بين نجد وتهامة
واليمن سمي يمنا لانه عن يمين الكعبة وهو التيمن وسمي الشام شاما لانه عن
شمال الكعبة

شمال الكعبة وسمي الحجاز حجازا لانه حاجز بين اليمن والشام وسمي العراق عراقا
لمصب المياه كالدجلة والفرات وغيرهما من الانهار وانه ماخوذ من عرق الدلو
وعرق القربة ومنهم من زعم انه انما سمي يمنا ليمنه والشام شاما لشومه
وهو قول يعزى الى قطرب النحوي في اخرين من الناس ومنهم من قال انما سمي
يمنا لان الناس حين تفرقوا لغتهم سابل تيامن بعضهم يمين الشمس وهو
اليمن وبعضهم تشام وقيل سمي شاما لشامات في الارض بيض وسود
وذلك في الترب والبقاع وانواع النبات والاشجار وهذا قول ابن الكلبي
وقيل انما سمي شاما لسام بن نوح لانه اول من نزله وقطن به ولما سكنته
العرب تطيرت من ان تقول ساما فقالت شاما اي بالشين المعجمة وجميع
جزيرة العرب في النهاية الاثيرية قال ابو عبيد هو اسم صقع من الارض
وهو ما بين حفر ابي موسى الاشعري رضي الله عنه الى اقصى اليمن في
الطول وما بين رمل يبرين الى منقطع السماوة في العرض وقيل هو من اقصى
عدن الى ريف العراق طولا ومن جدة وساحل البحر الى اطراف الشام عرضا
وقال الازهري سميت جزيرة لان بحر فارس وبحر السودان احاطا بجانبيها
واحاط بالجانب الشمالي دجلة والفرات وقال مالك بن انس اراد بجزيرة العرب
في قوله صلى الله عليه وسلم ان الشيطان ايس ان يعبد في جزيرة العرب المدينة
نفسها واذا اطلقت الجزيرة في الحديث ولم تضف الى العرب فانما يراد بها ما
بين دجلة والفرات والشام وما والاها في القاموس الشام بلاد عن
مشامة القبلة وسميت لذلك او لان قوما من بني كنعان تشاموا اليها اي

تناشروا او سمي بسام بن نوح فانه بالشين بالسريانيه او لان ارضها شامات
بيض وسود وحمر وسود وعلى هذا الاكثر وحده طولا من العريش الى
الفرات وقيل الى بالس واما العرض فمن جبلي طي وهما اجا وسلمى من
نحو القبلة الى بحر الروم وما يسامت ذلك من البلاد وقيل كان بالشام
مدينة يقال لها شامرى من ارض فلسطين كان اليها متجر العرب في
الدهر القديم ومنها كانت ميرتهم فخففوا من اسمها وسموها الشام
وكانت الشام يقال لها ارض بني كنعان بن حام بالشام فسميت الشام
حيث تشاموا اليها فكانت ارض بني كنعان ثم جاءت بنو اسرائيل فقتلوهم
بها ونفوهم عنها فكانت الشام لبني اسرائيل ووثبت الروم على بني اسرائيل
فقتلوهم واجلوهم الى العراق الا قليلا منهم وجاءت العرب فغلبوا على الشام
واما حدود الشام فقد قال الشافعي رضي الله عنه اخبرني عمي محمد بن
عباس عن حسن بن القاسم الازرقي قال وقف رسول الله صلى الله عليه وسلم
على ثنية تبوك فقال ما هاهنا شام واشار بيده الى جهة الشام وما
هاهنا يمن واشار بيده الى جهة المدينة وقال سالم بن عبد الاعلى حدثنا
ابو العبس القرشي وكان قد ادرك اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم قال سئل
عن البركة التي تدرك في الشام اين مبلغ حده قال اول حدوده عريش مصر
والحد الاخر طرف الثنية والحد الاخر الفرات والحد الاخر جبل فيه قبر هود
النبي عليه السلام قال ابو حاتم محمد بن حبان البستي اول الشام بالس واخره
عريش مصر قال هشام بن عمار حدثنا الوليد بن مسلم قال حدثنا زهير بن

بلغ مقابلته على خط المولف

حدود الشام ه

محمد

محمد قال حدثت ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الله عز وجل بارك ما
بين العريش والفرات وخص فلسطين بالتقديس يعني التطهير وعن معاوية
ابن ابي سفيان رضي الله عنهما قال ان ربك عز وجل قال لابرهيم اعمر من العريش
الى الفرات الارض المباركة وقد اشتهر من اقوال المفسرين ان الحجر منازل
ثمود فاصل بين الحجاز والشام وروى الحافظ البيهقي في كتاب السنن
ودلائل النبوة بسنده الى الواقدي قال حدثني عبد الرحمن بن عبد العزيز عن
الزهري عن ابي سلمة عن ابي هريرة رضي الله عنه في حديث ذكره قال فلما كان
عمر بن الخطاب اخرج يهود خيبر وفدك ولم يخرج اهل تيما ووادي القرى
لانهما داخلتان في ارض الشام ونرى ان ما دون وادي القرى الى المدينة
حجاز وان ما وراء ذلك من الشام ذكر ذلك كله ابو شامة في تاريخه وقد ذكر
ابن عساكر في تاريخه قال دخل الشام عشرة الاف عين رات رسول الله صلى
الله عليه وسلم وقد دخلها نبينا صلى الله عليه وسلم مرتين مرة مع عمه ابي طالب
واجتمع به بحيرا ومرة مع غلام خديجة ميسرة واجتمع به نسطورا
الراهب ودخلها مع جبريل والبراق ليلة الاسرا ومرة رابعة الى تبوك وكل
ذلك لم يدخل دمشق والعراق سمي عراقا لاستوا ارضه حين خلت من
جبال تعلو واودية تنخفض والعراق في كلام العرب هو الاستوا قال بعضهم
سقتم الى الحق معا وساقوا ۰ سياق من ليس له عراق ۰ اي ليس له
استوا وقال الازهري سمي العراق لقربه من البحر واهل الحجاز يسمون ما كان
قريبا من البحر عراقا وقال الليث العراق شاطئ البحر على طوله وقيل لبلاد

العراق عراق لانه على شاطي دجلة والفرات حتى يتصل بالبحر قال شيخنا
الرضي بن الشادي المعروف بابن الحنبلي وطوله من تكريت الى عبادان
وعرضه من القادسية الى حلوان واقول ما ذكره حد السواد
العراق والمذكور من كتب التاريخ ان حد السواد من عبادان الى حديثه
الموصل طولا ومن القادسية الى حلوان عرضا هذا باجماع اهل التاريخ
ومصنفي الفتوح ومن عرف اسما البلدان والبصره داخله في حد سواد
العراق لكن ليس لها حكمه الا في موضع غربي دجلتها وموضع شرقي
دجلتها فالموضع الذي هو شرقي الدجلة يسمى الفرات والموضع الغربي
يسمى نهر المراه والعراق انقص من سواد العراق لان مساحة العراق
مائة وخمسة وستون فرسخا وعرضه ثمانون فرسخا واما السواد فهو مائة
وستون فرسخا طولا وعرضه ثمانون فالعراق في العرض مستوعب لعرض
السواد عرفا وينقص عن طوله واول العراق في شرقي دجلة العلث وفي
غربيها حربى ثم يمتد الى اخر اعمال البصرة من جزيرة عبادان فيكون طوله
مائة وخمسة وعشرين فرسخا ينقص عن طول السواد بخمسة وثلاثين فرسخا
وعرضه ثمانون فرسخا كالسواد فان قلت كيف فتحت اليمن للنبي صلى
الله عليه وسلم قلت نقل في كتب السير ان النبي صلى الله عليه وسلم ارسل علي بن
ابي طالب اليهم مرتين احداهما في شهر رمضان سنة عشر من الهجرة
وعقد له لوا وعممه بيده وقال له امض ولا تلتفت فاذا نزلت
بساحتهم فلا تقاتلهم حتى يقاتلوك فخرج في ثلاثمائه فارس وكانت
اول

اول خيل دخلت تلك البلاد وهي بلاد مذحج ففرق اصحابه فاتوا بنهب غنائم
واطفال ونسا ونعم وشا وجعل على الغنائم بريده بن الحصيب ثم لقيهم
فدعاهم الى الاسلام فابوا ورموه بالنبل والحجارة ثم انه حمل عليهم فقتل منهم
عشرين رجلا ثم دعاهم الى الاسلام فاسرعوا واجابوا وبايعه نفر من روسائهم
على الاسلام وقالوا نحن على من ورانا من قومنا وهذه صدقاتها فخذ منها حق
الله عز وجل قال الرشاطي وفي الحديث ان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث
علي بن ابي طالب في سريه الى اليمن وذلك في شهر رمضان سنة عشر من الهجرة
فاسلمت همدان كلها في يوم واحد فكتب بذلك علي الى رسول الله صلى الله عليه
وسلم فلما قرا الكتاب خر ساجدا ثم جلس فقال السلام على همدان وتتابع
اهل اليمن على الاسلام فهذا من جملة فتح بلاد اليمن للنبي صلى الله عليه وسلم
واما بلاد الحجاز وجزيرة العرب فقد تملكها صلى الله عليه وسلم في حياته وجبيت
اليه اموالها وصدقاتها وذلك معلوم واما قولي وما داني ذلك من بلاد
الشام والعراق فمن جملة ما فتح عليه من بلاد الشام دومة الجندل وهو
من بلاد الشام قريب تبوك وذلك في شعبان في سنه ست ارسل اليها سرية
كان اميرها عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه دعاه رسول الله صلى الله عليه
وسلم فاقعده بين يديه وعممه بيده وقال اغز بسم الله وفي سبيل الله
فقاتل من كفر بالله عز وجل ولا تغل ولا تغدر ولا تقتل وليدا وبعثه
الى كلب بدومة الجندل وقال ان استجابوا لك فتزوج ابنة ملكهم فسار
عبد الرحمن بن عوف حتى قدم دومة الجندل فمكث ثلاثة ايام يدعوهم الى

الاسلام فاسلم الاصبغ بن عمرو الكلبي وكان نصرانيا وكان راسهم واسلم
معه ناس كثيرون من قومه واقام من اقام على اعطا الجزية وتزوج عبد الرحمن
ابن عوف تماضر بنت الاصبغ وقدم الى المدينة وهي ام ابي سلمة بن
عبد الرحمن واما العراق فقال بعضهم لا نعلم بلدة فتحت في زمن رسول
الله صلى الله عليه وسلم من العراق نعم نقلت بعض اموال العراق الى المدينة في
زمن ابي بكر الصديق واكثرها في زمن عمر بن الخطاب رضي الله عنه فان اراد
بالفتح ما يكون بالوعد الصادق فقد قال ابو هريرة رضي الله عنه حين فتحت
الامصار في زمن عمر بن الخطاب رضي الله عنه وزمان عثمان رضي الله عنه وما
بعده افتتحوا اما بدا لكم والذي نفس ابي هريرة بيده ما افتتحتم من مدينة
ولا تفتحونها الى يوم القيمة الا وقد اعطى الله محمدا صلى الله عليه وسلم مفاتيحها قبل
ذلك فقد فتح عليه العراق وغيرها لكن لا يلائم المقام ارادة ذلك لان المراد
بلاد اداء منها جزية او خراج واقول يغفر الله عز وجل لهذا القائل اما علم ان قال ع
البحرين من العراق وقد فتحت في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقدم اهلها
عليه وهم عبد القيس زادهم الله فضلا وشرفا لديه وهي قبيلة كبيرة يسكنون
البحرين بالعراق وفي الصحيحين عن ابن عباس رضي الله عنهما قدم وفد عبد القيس
على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال من القوم قالوا ربيعة قال مرحبا بالوفد
غير خزايا ولا ندامى الحديث وقد كانت لهم على رسول الله صلى الله عليه وسلم وفدتان
احداهما قبل الفتح ولهذا قالوا ان الحال بيننا وبينك كفار مضر وكان ذلك
قديما اما في سنة خمس او قبلها وكانت دارهم بالبحرين وكان عدد الوفد

الاول

الاول ثلاثة عشر رجلا وفيها سالوه عن الايمان وعن الاشربة وكان فيهم
الاشج وقد قال له النبي صلى الله عليه وسلم ان فيك خصلتين يحبهما الله عز وجل
الحلم والاناة رواه مسلم من حديث ابي سعيد وبالجملة فقد انقاد اهل
البحرين لنبينا صلى الله عليه وسلم مسلمهم وكافرهم واعطى كفارهم الجزية
وجلبت اليه من اخماسها وجزيتها وصدقاتها ما لا يجبى للملوك الا
لبعضهم اما الاخماس فهو جمع خمس وهو المال الذي هو خمس الفي
والغنيمة فاذا غنموا شيئا سوا كان بايجاف خيل او ركاب او لا
تخمس خمسة اخماس فيدفع خمسه الى الامام ليصرفه الى مصارفه
والاخماس الاربعة تكون للجند وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم لوفد
عبد القيس وان تؤدوا خمس ما غنمتم واما الجزية فهي ماخوذة من
جزات الشي اذا قسمته ثم سهلت الهمزة وقيل من الجزاء اي لانها جزاء
تركهم ببلاد الاسلام او من الاجزاء اي الكفاية لانها تكفي من توضع
عليه في عصمة دمه وماله وقيل هي ماخوذة من المجازاة لكفنا عنهم وقيل
من الجزاء بمعنى القضاء قال تعالى واتقوا يوما لا تجزي نفس عن نفس شيئا
اي لا تقضي ويقال جزيت ديني اي قضيته وجمعها جزى كقرية وقرى
وهي من العقود التي تفيد الكفار امنا فان العقود التي تفيد الكفار
الامن ثلاثة امان وهدنة وجزية لان التامين ان تعلق بمحصور فهو
الامان او لا بمحصور كاهل اقليم او بلد فان كان الى غاية فهو الهدنة
او لا الى غاية فهو الجزية هذا التعريف عن الجزية والمراد هنا المال الماخوذ

الملتزم بذلك العقد وقد اخذ النبي صلى الله عليه وسلم الجزية من المجوس حتى شهد
عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اخذها من مجوس
هجر وروى ابو عبيد باسناد صحيح عن حذيفة بن اليمان قال لولا اني رايت
اصحابي اخذوا الجزية من المجوس ما اخذتها منهم وفي الموطا عن جعفر بن محمد
عن ابيه ان عمر رضي الله عنه قال لا ادري ما اصنع بالمجوس فقال عبد الرحمن
ابن عوف رضي الله عنه اشهد اني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول
سنوا بهم سنة اهل الكتاب وفي صحيح البخاري بسنده ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم بعث ابا عبيدة بن الجراح الى البحرين ياتي بجزيتها وكان رسول
الله صلى الله عليه وسلم هو صالح اهل البحرين وامر عليهم العلا بن الحضرمي فقدم
ابو عبيدة بمال من البحرين فسمعت الانصار بقدوم ابي عبيدة رضي الله عنه
فوافت صلاة الصبح مع النبي صلى الله عليه وسلم فلما صلى بهم الفجر انصرف فتعرضوا
له فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم حين راهم وقال اظنكم قد سمعتم ان
ابا عبيدة قد جاء بشي من البحرين قالوا اجل يا رسول الله قال فابشروا
واملوا ما يسركم فو الله لا الفقر اخشى عليكم ولكن اخشى عليكم ان تبسط
عليكم الدنيا كما بسطت على من كان قبلكم فتنافسوها كما تنافسوها وتهلككم
كما اهلكتهم وفي صحيح البخاري عن انس قال اتي النبي صلى الله عليه وسلم بمال من
البحرين فقال انثروه في المسجد وكان اكثر مال اتي به رسول الله صلى الله عليه
وسلم اذ جاءه العباس رضي الله عنه فقال يا رسول الله اعطني فاني فاديت
نفسي وفاديت عقيلا فقال خذ فحثا في ثوبه ثم ذهب يقله فلم يستطع

فقال

انظر هذا الحديث

فقال امر بعضهم يرفعه الي قال لا قال فارفعه انت علي قال لا فنثر منه ثم
ذهب يقله فلم يستطع فقال امر بعضهم يرفعه الي قال لا قال فارفعه
انت علي قال لا فنثر منه ثم احتمله على كاهله ثم انطلق فما زال يتبعه بصره
حتى خفي علينا عجبا فما قام رسول الله صلى الله عليه وسلم وثم منها درهم واخذ
الجزية رسول الله صلى الله عليه وسلم من اهل نجران قدموا وفدا على النبي صلى الله عليه
وسلم فتلا عليهم القران ودعاهم الى الاسلام فابوا وعلم ابي حارثة بن علقمة وكان
قد شرف فيهم ودرس كتبهم وكانت ملوك الروم من النصارى قد شرفوه
ومولوه وكان عارفا بامر النبي صلى الله عليه وسلم ولكن حمله جهله على الاستمرار
على نصرانيته لما يرى من الرياسة عند اهلها فطلبهم النبي صلى الله عليه وسلم
المباهلة اذا انكروا مقالته ومدعاه وفي صحيح البخاري جا السيد والعاقب
صاحبا نجران الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يريدان ان يلاعناه يعني يباهلاه
فقال احدهما لصاحبه لا تفعل انتهى وروى الحاكم انهما قالا له انا نعطيك ما
سالتنا وابعث معنا رجلا امينا ولا تبعث معنا الا امينا فقال لابعثن
معكم رجلا امينا حق امين فاستشرف لها اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فقال
قم يا ابا عبيدة بن الجراح فلما قام قال رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا امين
هذه الامة وفي رواية يونس بن بكير انه صالحهم على الفي حلة الف في رجب
والف في صفر ومع كل حلة اوقية واخذها صلى الله عليه وسلم من اهل ايلة كما رواه
البيهقي وهادنه جماعة من ملوك الاقاليم الاقاليم انما وضعت للاقاليم
السبعة لكن تجوز المصنف فاطلقها على البلدان والنواحي وان كانت من

اقليم واحد او اقليمين من الاقاليم السبعة اي ملوك النواحي والبلدان فما
استأثر بشيء منه اي مما اهدي اليه ولا امسك منه اي مما اهدي اليه
درهما بل صرفه مصارفه اي وضعه في بيت المال واغنى به غيره وقوى
به المسلمين الهدية تمليك ما يبعث غالبا بلا عوض الى المهدى اليه اكراما
قال السبكي والظاهر ان الاكرام ليس شرطا والشرط هو النقل ومنه الهدي
المنقول الى الحرم فلا تقع اسم الهدية على العقارات لامتناع النقل فيها فلا
يقال اهدى اليه دارا ولا ارضا بل على المنقولات كالثياب والعبيد وهي
اخص من الهبة فكل هدية هبة ولا عكس فمن الذين هادوا رسول الله صلى

ذكر جماعة هادوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ه

الله عليه وسلم المقوقس عظيم القبط لما كاتبه رسول الله صلى الله عليه وسلم ودعاه
الى الاسلام فاخذ كتاب النبي صلى الله عليه وسلم فجعله في حق من عاج وختم عليه
ودفعه الى جارية له ثم دعا كاتبا يكتب له بالعربية فرد جواب الكتاب الى
نبي الله صلى الله عليه وسلم وبعث اليه بجاريتين لهما مكان في القبط عظيم
وبكسوة وقال له اهديت لك بغلة لتركبها والجاريتان احداهما مارية القبطية
مولاة رسول الله صلى الله عليه وسلم وام ولده ابرهيم عليه السلام ماتت في خلافة
عمر رضي الله عنه سنة ست عشرة وكان عمر يحسن اليها وحشر الناس لشهود
جنازتها وصلى عليها ودفنت بالبقيع والثانية سيرين وهبها النبي صلى
الله عليه وسلم لحسان بن ثابت فولدت له عبد الرحمن بن حسان وروى عنها
ابنها عبد الرحمن والبغلة هي الدلدل وكانت شهباء وكان له صلى الله عليه وسلم
بغلة اخرى اسمها فضة اهداها فروة بن عمرو الجذامي واخرى اهداها

بغال النبي صلى الله عليه وسلم ه

له ابن العلما صاحب ايلة واخرى من دومة الجندل واخرى من عند النجاشي قيل
واهدى له كسرى بغلة اخرى وفيه نظر لان كسرى مزق كتابه صلى الله عليه وسلم
فيبعد ان يهدي اليه شيئا ودلدل هذه بقيت الى زمن معوية لكن روى
الحاكم في المستدرك باسناد الى ابن عباس رضي الله عنهما قال اهدى الى النبي صلى
الله عليه وسلم بغلة اهداها له كسرى فركبها بحبل من شعر ثم اردفني خلفه الحديث
وعن ابن عباس رضي الله عنهما اهدى النجاشي الى رسول الله صلى الله عليه وسلم بغلة
فكان يركبها فهذه ست بغلات وقال مغلطاي في سيرته الصغرى ومن البغال
دلدل وفضة والتي اهداها له ابن العلما الايلي وبغلة اهداها له كسرى واخرى
من دومة الجندل واخرى من عند النجاشي فهن سبع وذكر الواقدي في هذا
الخبر ان المقوقس قال لحاطب بعد ان وصف له صفات النبي صلى الله عليه وسلم
معترفا بانه رسول الله صدقا القبط لا تطاوعني في اتباعه ولا احب ان تعلم
بمحاورتي اياك وانا اضن بملكي ان افارقه وسيظهر على البلاد وينزل بساحتنا
هذه اصحابه من بعده حتى يظهر على من هاهنا فارجع الى صاحبك فقد امرت
له بهدايا وجاريتين اختين وبغلة من مراكبي والف مثقال ذهبا
وعشرين ثوبا وغير ذلك وامرت لك بمائة دينار وخمسة اثواب فارحل من
عندي ولا تسمع منك القبط كلمة واهدى له المقوقس ايضا قدحا من
قوارير فكان يشرب فيه وممن هادى رسول الله صلى الله عليه وسلم فروة بن
عمرو وهو الذي بعث رسولا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم باسلامه
واهدى له بغلة بيضاء وكان فروة عاملا للروم على من يليهم من العرب وكان منزله

معان وماحولها من ارض الشام فلما بلغ الروم ذلك من اسلامه اخذوه
فحبسوه عندهم ثم ضربوا عنقه وصلبوه على ماء لهم يقال له عفرا
بفلسطين قال ابن شهاب الزهري انهم لما قدموه ليقتلوه قال

من الكامل

ابلغ سراة المسلمين بانني ۰ سلم لربي اعظمي ومقامي ۰

ثم ضربوا عنقه وصلبوه على ذلك الما بعد ان امروه بالرجوع الى دين النصرانية
فابى الا الثبات على دين الاسلام فرحمه الله ورضي عنه فان قلت قال السهيلي
ان فضة اسم لدرع كانت للنبي صلى الله عليه وسلم فكيف تقولون انها اسم للبغلة
قلت هي اسم لهما كان له صلى الله عليه وسلم بغلة اسمها فضة ودرع اسمها فضة
فقد روى صاحب الوفا عن محمد بن مسلمة قال رايت على رسول الله صلى الله عليه وسلم
يوم احد درعين درعه ذات الفضول ودرعه فضة وقد قيل ان درعه فضة اصابها
من سلاح بني قينقاع ونقل شيخنا الرضي بن الحنبلي عن التجاني ان فروة بن عمرو
اهدى له حمارا وهو الذي يسمى يعفورا خلافا لما ذكره ابن فورك من ان المسمى
يعفورا كان من مغانم خيبر وفرسا وهو الذي يقال له الظرب بفتح الظاء
وكسر الرا واثوابا من لين وقبا من سندس واقول اما يعفور فكونه من مغانم
خيبر صرح به المصنف فيما بعد وروى حديثه الحافظ ابو القسم بن عساكر في
تاريخه وان الحمار كلم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له ما اسمك فقال يزيد بن
شهاب اخرج الله عز وجل من نسل جدي ستين حمارا كلهم لم يركبهم الا نبي فلا ينبغي
ان يعزى اخراج هذا الحديث الى ابن فورك وابن فورك من العلما المتكلمين
الفقها المحققين وليس من المخرجين ولا المحدثين وابن عساكر ابو عذرة هذا

الفن

الفن وقد ذكر هذا الحديث في صحيح البخاري وسماه عفيرا ولعل عفيرا ويعفورا
حمار واحد وفي المواهب اللدنية لشيخ اشياخنا الشهاب القسطلاني
وكان له صلى الله عليه وسلم من الحمير عفير اهداه له المقوقس ويعفور اهداه
له فروة بن عمرو ويقال هما واحد وذكر ان سعد بن عبادة اعطى النبي صلى الله
عليه وسلم حمارا فركبه انتهى واما يعفور فانه طرح نفسه في بير يوم مات
النبي صلى الله عليه وسلم وممن هادى رسول الله صلى الله عليه وسلم اكيدر دومة وهو
تصغير اكدر ودومة بضم الدال وسكون الواو بلد بين الحجاز والشام وهي
دومة الجندل مدينة بقرب تبوك بها نخل وزرع وحصن على عشر مراحل
من المدينة وثمان من دمشق وكان اكيدر ملكها وهو اكيدر بن عبد الملك
ابن عبد الجن بالجيم والنون كان نصرانيا وكان النبي صلى الله عليه وسلم ارسل
اليه خالد بن الوليد رضي الله عنه في سرية فاسره وقتل اخاه حسان وقدم
به المدينة فصالحه النبي صلى الله عليه وسلم على الجزية روى ابو يعلى باسناد
قوي من حديث قيس بن النعمان انه لما قدم المدينة اخرج قبا من ديباج
منسوجا بالذهب فرده النبي صلى الله عليه وسلم ثم انه وجد في نفسه من
رد هديته فرجع به فقال له النبي صلى الله عليه وسلم ادفعه الى عمر وفي صحيح
مسلم من حديث علي بن ابي طالب رضي الله عنه ان اكيدر دومة اهدى للنبي
صلى الله عليه وسلم ثوب حرير فاعطاه عليا رضي الله عنه وقال شققه خمرا بين
الفواطم وفي صحيح البخاري بسنده الى انس رضي الله عنه قال اهدي للنبي
صلى الله عليه وسلم جبة سندس وكان ينهى عن الحرير فعجب الناس منها فقال

وبات عفير حمار النبي صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع كذا قال الشيخ محيي الدين النووي عن ابن الصلاح

[illegible]

والذي نفس محمد صلى الله عليه وسلم بيده لمناديل سعد بن معاذ في الجنة احسن من
هذا ثم نقل عن انس رضي الله عنه ان المهدي له ذلك اكيدر دومة فان قلت
ما المراد بالفواطم مع ان عليا رضي الله عنه لم يكن له الا امراة واحدة اسمها — الفواطم
فاطمة وهي بنت نبينا صلى الله عليه وسلم قلت المراد بهن فاطمة بنت رسول
الله صلى الله عليه وسلم زوجته وفاطمة بنت اسد ام علي رضي الله عنه اسلمت
وصحبت رضي الله عنها وفاطمة بنت حمزة بن عبد المطلب وذكر عبد الغني بن
سعيد وابو عمر بن عبد البر باسنادها ان عليا رضي الله عنه قسمه بين الفواطم
الاربع فذكر الثلاث المذكورات قال المصنف في شرح مسلم يشبه ان تكون
الرابعة فاطمة بنت شيبة بن ربيعة امراة عقيل بن ابي طالب لاختصاصها
بعلي بالمصاهرة وهي من المبايعات شهدت معه صلى الله عليه وسلم حنينا
وانكر ان تكون فاطمة بنت شيبة زوج عقيل انما زوجته فاطمة بنت عتبة
ابن ربيعة كذا قال ابن ابي ليلى وذكر الاول الذهبي لكن قال ابن الملقن
في شرح البخاري المراد بالفواطم نساؤه لانه لم يتزوج في حياة النبي صلى
الله عليه وسلم غير فاطمة وما قلناه هو الصحيح ويؤيده ما رواه ابن ابي الدنيا
في كتاب الهدايا عن علي رضي الله عنه قال فشققت اربعة خمر لفاطمة
بنت اسد ولفاطمة زوجتي ولفاطمة بنت حمزة قال ونسي الراوي الرابعة
وعند ابن العلا بن سليمان هي فاطمة بنت ابي طالب المكناة بام هاني
قال وهذا الثوب كان اهداه له اكيدر دومة ومن هو اباه النجاشي له الخف
ففي الترمذي عن بريدة رضي الله عنه ان النجاشي اهدى للنبي صلى الله عليه وسلم

خفين

٨٩

خفين اسودين ساذجين فلبسهما وقال اسرائيل عن جابر عن عامر واهدى له
النجاشي جبة فلبسها حتى تخرقا لا ندري اذكيان هما ام لا رواه الطبراني
واهدى له رفاعة بن زيد بن وهب الجذامي ثم الضبيبي بضم الضاد
المعجمة وفتح الباء الموحدة على صيغة التصغير ورفاعة من رؤسا العرب
ولم يكن ملكا قدم على نبينا صلى الله عليه وسلم في هدنة الحديبية فعقد لقومه
وكتب معه كتابا فاسلموا واهدى في قدومه الى النبي صلى الله عليه وسلم الغلام
الاسود المسمى مدعما قتل بخيبر واهدى له عطارد بن حاجب بن زرارة
التميمي قدم على النبي صلى الله عليه وسلم مع قوم بني تميم واهدى هو للنبي صلى
الله عليه وسلم حلة فقبلها منه وكانت تلك الحلة من ديباج وقال في شانها النبي
صلى الله عليه وسلم انما يلبس هذه من لا خلاق له وكان سبب تلك الحلة ان
حاجب بن زرارة ابا عطارد كان قد وفد على كسرى لياخذ منه امانا لقومه — قوس
ليقعوا بريف العراق لجدب اصابهم ببلادهم فسال كسرى رهنا ليستوثق — حاجب
به منهم فدفع اليه قوسه رهينة فاستحمقه الملك وضحك منه فقيل له ايها
الملك انهم العرب لو رهنك احدهم تبنة ما اسلمها غدرا فقبلها منه كسرى فلما
اخصبت بلادهم انتشروا راجعين اليها وجا حاجب يطلب قوسه فعند
ذلك كساه كسرى تلك الحلة التي كانت عند عطارد المذكورة في جامع الموطا
ذكره ابن قتيبة في المعارف او معناه وفي صحيح البخاري بسنده الى
ابن عمر رضي الله عنهما قال راى عمر رضي الله عنه حلة سيرا عند باب — بلغ
المسجد فقال يا رسول الله لو اشتريتها فلبستها يوم الجمعة وللوفد قال انما

يلبسها من اخلاق له في الآخرة ثم جاءت حلل فاعطى رسول الله صلى الله عليه وسلم
عمر منها حلة وقال اكسوتنيها وقلت في حلة عطارد ما قلت فقال اني لم
اكسكها لتلبسها فكساها عمر رضي الله عنه اخا له بمكة مشركا وهذا الذي
اهدى له عمر الحلة ليس اخا لعمر لامه لان اخا عمر زيد بن الخطاب وهو
اخوه لابيه اسلم قبل عمر وهو اسن منه وقتل باليمامة شهيدا سنة
اثنتي عشرة في خلافة الصديق رضي الله عنه سبقه الى الاسلام والى الشهادة
ومع ذلك عمر افضل منه لانه من العشرة المشهود لهم بالجنة وثاني الخلفاء
وافضل الامة بعد الصديق اتفاقا وانما هذا اخوه اخيه زيد بن الخطاب
لامه واسمه عثمان بن حكيم امها اسما بنت وهب ومما اهدى له
المقوقس ربعة اسكندرانية يجعل فيها المشط والمراة والمكحلة يكتحل
بها عند النوم وكان يجمع فيها المقراض والسواك اهداها المقوقس مع مارية
واهدى له فروة بن عمرو الجذامي فرسا يقال له الظرب بظا معجمة آخره باء
موحدة سمي به لكبره وسمنه واهدى له ربيعة بن ابي البرا فرسا يقال
له اللحيف بالمهملة سمي به لكبره وسمنه كانه يلحف الارض اي يغطيها
بذنبه لطوله فعيل بمعنى فاعل واهدى له المقوقس ايضا فرسا يقال
له اللزاز باللام المعجمة سمي به لشدة تلززه واهدى له تميم الداري
فرسا يقال له الورد واهدى له قوم من مذحج فرسا يقال له المرواح
واهدى له دحية الكلبي خفين فلبسهما رواه الترمذي عن المغيرة بن شعبة
وفي رواية له وجبة فلبسهما حتى تخرقا وروى الترمذي عن بريدة ان النجاشي

غيره الاصل الظريب خ ر

اهدى

اهدى له صلى الله عليه وسلم خفين اسودين ساذجين فلبسهما ثم توضا
ومسح عليهما وروى ابن الجوزي في الوفا عن بريدة ان النجاشي كتب
للنبي صلى الله عليه وسلم اني قد زوجتك امراة من قومك وهي على دينك ام حبيبة
بنت ابي سفيان واهديت لك هدية جامعة قميصا وسراويل وعطافا وخفين
ساذجين فتوضا النبي صلى الله عليه وسلم ومسح عليهما والعطاف الطيلسان
واهدى له رجل ترسا عليه تمثال عقاب فوضع يده عليه فاذهبه الله عز
وجل ذلك التمثال ذكره ابن فارس وقال الحافظ عبد الغني انه كان له
ترس فيه تمثال راس كبش فكرهه صلى الله عليه وسلم مكانه فاصبح وقد
اذهبه الله عز وجل واهدى له راهب في نجران قضيبا وبردا وهو
الذي تتوارثه الخلفا العباسيون وقد نقل شيخنا الرضي بن الباذفي عن النجاني
قال واعلم انه لا تعارض بين قبوله صلى الله عليه وسلم في هذه الاحاديث هدية
المقوقس وراهب نجران وهالم لو هنا به صلى الله عليه وسلم وبين ما ورد في
الحديث الاخر انه صلى الله عليه وسلم كان يرد هدايا المشركين ويقول انا لا نقبل
زبد المشركين بفتح الزاي وسكون البا اي رفدهم لانه صلى الله عليه وسلم قبل
بعض هدايا من طمع في اسلام واستيلافه بقبول هديته وكافى عليها
بعضهم كل ذلك تماما للاستيلاف وقصدا في مصالح راها للمسلمين في
ذلك ورد هدية من لم يطمع في اسلام ولم يكن في قبول هديته منفعة
للمسلمين وقال فيها انا لا نقبل زبد المشركين وهذا ظاهر والاوجه لقول من
يقول ان قبوله لما قبل من هداياهم منسوخ بهذا الحديث ووجه ثان في

الجمع بينهما وهو ان يكون قوله صلى الله عليه وسلم انا لا نقبل زبد المشركين مخصوصا
بالمشركين الذين ليسوا اهل كتاب فيكون قبوله لتلك الهدايا من اهل الكتاب
غير معارض له وقد ابيحت لنا ذبائح اهل الكتاب ومناكحتهم واطعمتهم
بخلاف غيرهم وهذا هو الوجه الحسن في الجمع بينهما انتهى واقول
من خواص نبينا صلى الله عليه وسلم انه يجوز له قبول الهدية مطلقا
بخلاف غيره من الحكام لانتفاء التهمة في حقه لكن اخرج موسى بن عقبة في
المغازي عن ابن شهاب عن عبد الرحمن بن كعب بن مالك ورجال من اهل العلم
ان عامر بن مالك الذي يدعى ملاعب الاسنة قدم على النبي صلى الله عليه وسلم وهو
مشرك فاهدى له فقال اني لا اقبل هدية مشرك الحديث رجاله ثقات الا انه مرسل
وقد وصله بعضهم عن الزهري ولا يصح واخرج ابو داود والترمذي من
طريق قتادة عن يزيد بن عبد الله عن عياض قال اهديت للنبي صلى الله عليه
وسلم ناقة فقال اسلمت قلت لا قال اني نهيت عن زبد المشركين والزبد
بفتح الزاي وسكون الموحدة الرفد وفي معالم السنن للخطابي الزبد العطا
قال وفي رد هديته وجهان احدهما انه ليغيظه برد هديته فيمتعض منه
فيحمله ذلك على الاسلام والاخر ان للهدية موضعا من القلب وقد روى
تهادوا تحابوا ولا يجوز له عليه السلام ان يميل بقلبه الى مشرك فرد الهدية
قطعا لسبب الميل واقول اما الوجه الاول فمقبول واما الثاني
فما شان رسول الله صلى الله عليه وسلم والدنيا عنده بحذافيرها لا تزن جناح
بعوضة كما هي عند الله عز وجل ان يميل الى مشرك لهدية او غيرها والله عز وجل

يقول

يقول لا تتولوا قوما غضب الله عليهم على ان الحق انه صلى الله عليه وسلم ان يقبل
الهدية مطلقا وغيره ممن له ولاية او حكم ليس مثله ونفسه الطاهرة التي لا
يعادلها نفس معصومة من موجبات قبول المشرك الهدية وقد استدل
البخاري على جواز قبول النبي صلى الله عليه وسلم هدية المشرك بقوله وقال ابو هريرة
عن النبي صلى الله عليه وسلم هاجر ابرهيم عليه السلام بسارة فدخل قرية فيها ملك
او جبار فقال اعطوها آجر واهديت للنبي صلى الله عليه وسلم شاة فيها سم
وقال ابن حميد اهدى ملك ايلة النبي صلى الله عليه وسلم بغلة بيضا وكساه
بردا وكتب له ببحرهم واخرج البخاري بسنده عن انس قال اهدي للنبي
صلى الله عليه وسلم جبة سندس وكان ينهى عن الحرير فعجب الناس منها
فقال والذي نفس محمد صلى الله عليه وسلم بيده لمناديل سعد بن معاذ في الجنة
احسن من هذا وروى ايضا بسنده عن عبد الرحمن بن ابي بكر قال كنا مع
النبي صلى الله عليه وسلم ثلاثين ومائة فقال النبي صلى الله عليه وسلم هل مع احد
منكم طعام فاذا مع رجل صاع من طعام او نحوه فعجن ثم جاء رجل مشرك
مشعان طويل بغنم يسوقها فقال النبي صلى الله عليه وسلم بيعا ام عطية
او قال ام هبة قال لا بل بيع فاشترى منه شاة فصنعت وامر النبي
صلى الله عليه وسلم بسواد البطن ان يشوى وايم الله ما في الثلاثين
والمائة الا قد حز النبي صلى الله عليه وسلم له حزة من سواد بطنها ان كان
شاهدا اعطاه اياه وان كان غائبا خبا له فجعل منها قصعتين فاكلوا
اجمعون وشبعنا ففضلت القصعتان فحملناه على البعير او كما قال

تقدم هذا الحديث قبل هذه الورقة بورقتين

فان قلت ما وجه الاستدلال بهذا الحديث على قبول هدية المشرك مع ان
الشاة اشتراها قلت لانه سأله هل بيع او هدية فردد امره بين البيع
والهدية فلو انه قال له هدية لقبلها منه والا لما كان للترديد فائدة وفي
هذا الحديث دلالة على فساد قول من حمل رد النبي صلى الله عليه وسلم الهدية على
الوثني دون الكتابي فان هذا الاعرابي كان وثنيا ثم انه قد جمع بين هذه الاحاديث
واحاديث الرد الطبري بان الامتناع فيما اهدي له خاصة والقبول فيما اهدي
للمسلمين وفيه نظر لان من جملة ادلة الجواز ما وقعت الهدية له خاصة
وجمع غيره بان الامتناع في حق من يريد بهديته التودد والموالاة والقبول
في حق من يرجى بذلك تأنيسه وتأليفه على الاسلام وهذا اقوى من الاول
وقيل يحمل القبول على من كان من اهل الكتاب والرد على من كان من اهل
الاوثان ومنهم من ادعى نسخ المنع باحاديث القبول ومنهم من عكس وكل هذه
الاجوبة ضعيفة فالنسخ لا يثبت بالاحتمال وقد مشى البخاري على الجواز
واحاديث المنع بالنسبة الى احاديث الجواز مرجوحة والقول ما قالت حذام
وقال اي النبي صلى الله عليه وسلم ما يسرني في القاموس سره سرورا وسرا
بالضم افرحه اي ما يفرحني ان لي احدا هو الجبل المعروف بالمدينة على نحو
ميلين منها سمي احدا لتوحده وانقطاعه عن جبال اخر هنالك وقد قال فيه
رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا جبل يحبنا ونحبه وللعلماء في معنى هذا الحديث
اقوال قيل اراد اهله وهم الانصار وقيل اراد انه كان يبشره اذا راه عند
القدوم من اسفاره بالقرب من اهله ولقائهم وكذلك فعل المحب وقيل احب

حقيقة

حقيقة وضع الحب فيه كما وضع التسبيح في الجبال المسبحة مع داود وكما وضعت
الخشية في الحجارة التي قال الله عز وجل فيها وان منها لما يهبط من خشية الله
لكن قال النووي في تهذيب اللغات هذا الحديث على ظاهره ولا يلتفت الى
تأويل من تأوله لعدم استحالة ذلك وقد جاء تمثيل النبي صلى الله عليه وسلم في هذا
الحديث بالفاظ ففي رواية ما يسرني ان عندي مثل احد ذهبا يمضي عليه ثالثة
وعندي منه دينار وفي رواية لاحمد ما احب ان لي احدا ذاك ذهبا وفي رواية
للبخاري فلما ابصر احدا قال ما احب ان يحول لي ذهبا الا دينارا ارصده لدين
(ذهبا يبيت عندي منه دينار صح)
اي اعده واحفظه وفي النهاية الاثيرية يقال رصدته اذا قعدت له على طريقه
تترقبه وارصدت له العقوبة اذا اعددتها له اي جعلتها على طريقه كالمترقبة
له وفي الحديث فارصد الله عز وجل على مدرجته ملكا اي وكله بحفظ المدرجة
وهي الطريق وجعله رصدا اي حافظا معدا وفي الغريبين يقال رصدت
(للهروي)
فلانا ارصده اذا ترقبته وارصدت الشيء اذا اعددته ومنه قوله عز وجل
وارصادا لمن حارب الله ورسوله انتهى وهذا الارصاد اعم من ان يكون
لصاحب دين غائب حتى يحضر فياخذه او لاجل وفاء دين مؤجل حتى يحل
فيوفى وهذا يدل على جواز الاستقراض وقيده ابن بطال باليسير اخذا من
قوله صلى الله عليه وسلم الا دينارا ولو كان عليه اكثر من ذلك لم يرصد لادائه
دينارا واحدا لانه صلى الله عليه وسلم كان احسن الناس قضاء قال ويؤخذ
من هذا انه لا ينبغي الاستغراق في الدين بحيث لا يجد له وفاء فيعجز عن
ادائه ورد بان الذي فهم من لفظ الدينار ليس الوحدة وانما هو الجنس

فيه
واما قوله في الرواية الاخرى ثلاثة دنانير فليست الثلاثة للتقليل بل للتمثيل
ومما يؤيد ارادة الجنس التعبير في بعض الروايات بشي وهو شامل
للقليل والكثير وهذا جزء من حديث طويل رواه الشيخان واللفظ للبخاري
بسنده الى ابي ذر رضي الله عنه قال كنت امشي مع النبي صلى الله عليه وسلم في حرة
المدينة فاستقبلنا احد فقال يا اباذر فقلت لبيك يا رسول الله قال
ما يسرني ان عندي مثل احد ذهبا يمضي على ثالثة وعندي منه دينار الا شي
ارصده لدين الا ان اقول به في عباد الله هكذا وهكذا وهكذا عن يمينه وعن
شماله ومن خلفه ثم مشى ثم قال الا ان الاكثرين هم الاقلون يوم القيمة
الا من قال هكذا وهكذا وهكذا عن يمينه وعن شماله ومن خلفه وقليل ما هم
ثم قال لي مكانك لا تبرح حتى اتيك ثم انطلق في سواد الليل حتى توارى فسمعت
صوتا قد ارتفع فتخوفت ان يكون احد عرض للنبي صلى الله عليه وسلم فاردت ان
اتيه فذكرت قوله لي لا تبرح حتى اتيك فلم ابرح حتى اتاني قلت يا رسول الله
لقد سمعت صوتا تخوفت فذكرت له فقال وقد سمعته قلت نعم قال ذاك
جبريل اتاني فقال من مات من امتك لا يشرك بالله عز وجل شيئا دخل الجنة
قلت وان زنى وان سرق قال وان زنى وان سرق وفي صحيح البخاري من حديث
ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو كان لي مثل احد ذهبا
لسرني ان لا يمر على ثلاث ليال وعندي منه شي الا شي ارصده لدين وهذه الجملة
التي ذكرها المصنف من الحديث تدل على تفضيل الغني على الفقر لان فيه
الحث على الانفاق لكن قال المصنف في شرح مسلم قد يحتج بحديث ابي ذر من
يفضل

يفضل الفقر على الغنى وقد يحتج به من يفضل الغنى على الفقر وماخذ كل منهما
واضح انتهى وذلك ان من فضل الفقر على الغنى احتج بقوله صلى الله عليه وسلم
الاكثرون هم الاقلون يوم القيمة ومن فضل الغنى على الفقر استدل بقوله
الا ان اقول به في عباد الله هكذا وهكذا اي فاذا فعلت ذلك سرني
واحببته فيكون تفضيلا للغنى على الفقر
هذا الحديث لم اقف عليه بهذا اللفظ لكن وردت احاديث بمعناه منها
حديث اخرجه ابن الجوزي في الوفا وهو حديث طويل ذكر وفاء دين كان على
رسول الله صلى الله عليه وسلم تعاطى وفاه بلال رضي الله عنه فلما فرغ من وفاء دينه
قال فجعلت اصبعي في اذني فناديت وقلت من كان يطلب من رسول الله
صلى الله عليه وسلم دينا فليحضر فما زلت ابيع واقضي دينه حتى لم يبق على رسول
الله صلى الله عليه وسلم دين في الارض حتى فضل عندي اوقيتان او اوقية ونصف
ثم انطلقت الى المسجد وقد ذهب عامة النهار فاذا رسول الله صلى الله عليه وسلم
قاعد في المسجد وحده فسلمت عليه فقال لي ما فعل ما قبلك فقلت قد قضى الله
عز وجل كل شي كان على رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يبق شي فقال فضل شي
قلت نعم ديناران قال انظر من يريحني منهما فلست بداخل على احد من اهلي
حتى تريحني منهما فلم يأتنا احد فبات في المسجد حتى اصبح وظل في المسجد
اليوم الثاني حتى كان من اخر النهار جاء راكبان فانطلقت بهما فكسوتهما
واطعمتهما حتى اذا صلى العتمة فدعاني فقال ما فعل الذي قبلك قلت يا
رسول الله قد اراحك الله عز وجل منه فكبر وحمد الله عز وجل شفقا من ان

سنة ٢ وانه دنانير مرة فقسمها فبقيت منها بقية فدفعها لبعض نسائه فلم ياخذه نوم حتى قام وقسمها وقال الان استرحت و

يدركه الموت وعنده ذلك ثم اتبعته حتى جاء ازواجه فسلم على امراة امراة حتى
اتى مبيته واخرج البيهقي في الدلائل عن ام سلمة رضي الله عنها قالت
دخل علي رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو ساهم الوجه قالت فحسبت ذلك من
وجع قالت قلت يا رسول الله مالي اراك ساهم الوجه قال من اجل الدنانير
السبعة التي اتتنا امس وامسينا ولم ننفقهن لكن في خمل الفراش
واخرج البيهقي ايضا في الدلائل عن ابي امامة سهل بن حنيف قال
دخلت انا وعروة بن الزبير على عايشة ام المومنين رضي الله عنها فقالت
لو رايتما رسول الله صلى الله عليه وسلم في مرض له قالت وكانت عندي ستة
دنانير قال الراوي او سبعة قالت فامرني نبي الله صلى الله عليه وسلم ان افرقها
قالت فشغلني وجع النبي صلى الله عليه وسلم حتى عافاه الله عز وجل قالت ثم
سالني عنها فقال ما فعلت اكنت فرقت الستة دنانير او السبعة قالت
فقلت لا والله لقد كان شغلني وجعك قال فدعا بها فوضعها في كفه فقال
ما ظن نبي الله صلى الله عليه وسلم لو لقي الله عز وجل وهذه عنده وفي صحيح
البخاري بسنده الى عقبة بن عامر الحارثي قال صليت مع النبي صلى الله عليه وسلم
فلما سلم قام سريعا حتى دخل على بعض نسائه ثم خرج وراى ما في وجوه القوم
من تعجبهم لسرعته فقال ذكرت وانا في الصلاة تبرا عندنا فكرهت ان يمسي
او يبيت عندنا فامرت بقسمته والتبر هو الذهب والفضة قبل ان
يصيرا دنانير ودراهم فاذا صيرا كانا عينا وقد يطلق التبر على غيرهما من
المعدنيات كالنحاس والحديد والرصاص واكثر اختصاصه بالذهب

ومنهم

لعله يحبسني
لا ادري هل هو حديث
وقعت فيه

ومنهم من جعله في الذهب اصلا وفي غيره فرعا ومجازا ومعنى قوله يحبسني اي
يشغل ضميري فيحبسه عن الجولان في المعارف والافكار الالهية وانما
عجب القوم من سرعة قيام النبي صلى الله عليه وسلم لان ذلك مخالف لما عهدوه
من عادته فانه كان صلى الله عليه وسلم يمكث عقب الصلاة وكان من عادتهم
اذا راوا منه ما يخالف ما ثم المعتاد خافوا ان يكون نزل فيهم شي فلهذا
عجبوا ولهذا تدارك تطمين خواطرهم وامن قلوبهم من مخافة ان يكون ذلك
لامر نزل من الله عز وجل فان قلت قد قال ابن بطال ان معنى قوله صلى الله
عليه وسلم يحبسني ان تاخير الصدقة يحبس صاحبها يوم القيمة قلت
هذا الحبس ليس ذنبا ولا يعد معصية لكن لعل هذه الدنانير كانت من
الصدقات التي يستحقها غيره ولا يستحق هو فيها شيا ونبينا صلى الله
عليه وسلم كان يخشى جلال الله وحق له ذلك وهو اعرف خلق الله بربه عز
وجل وان لم يكن مواخذا بهذا الحبس فقد فعل ذلك فعل المعظمين لجناب
الله عز وجل المبادرين لامتثال امر الله تعالى وهو وان لم يخش من ان
يحبس يوم القيمة لكنه علم ان الله عز وجل لا يرضيه ذلك فبادر الى اغتنام
رضى ربه عز وجل مع ان الله عز وجل غفر له ما تقدم من ذنبه وما تاخر وقد
اشار الى قريب من ذلك الصرصري في نونيته فقال

وقضى بلال دينه ثم انثنى ... ولديه بعد الدين دينا ران
فثوى بمسجده الى ان فرقا ... يومين لا ياوي الى نسوان

الدرع بالدال المهملة

ومات ابي النبي صلى الله عليه وسلم ودرعه مرهونة في نفقة عياله ايمن اجلها

على حد قوله صلى الله عليه وسلم ان امراة دخلت النار في هرة اي من اجلها والدرع الزرديه
جمعها دروع وهي مونثه والجمع القليل ادرع وادراع فاذا كثرت فهي الدروع
وتصغيرها دريع على غير قياس لان قياسه بالها وحكى ابو عبيد انها تذكر
وتونث وكان له صلى الله عليه وسلم ثلاثة ادرع ذات الفضول وفضه والسُّغديه
فاما ذات الفضول ويقال لها ذو الفضول سميت بذلك لفضلة كانت فيها
وسعة اخرج صاحب الوفا بسنده عن علي رضي الله عنه قال كان اسم
درع النبي صلى الله عليه وسلم ذات الفضول وروى عن عامر قال اخرج لنا
علي بن الحسين درع رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا هي يمانيه رقيقه
ذات زرافين فاذا علقت بزرامها شمرت واذا ارسلت مست الارض
واما فضه والسُّغديه فاصابهما رسول الله صلى الله عليه وسلم من سلاح
بني قينقاع واخرج صاحب الوفا عن جعفر بن محمد عن ابيه قال كانت
في درع النبي صلى الله عليه وسلم حلقتان من فضة عند موضع الثدي وفي ظهره
حلقتان من فضة ايضا وعن محمد بن مسلمة قال رايت على رسول الله
صلى الله عليه وسلم يوم احد درعين درعه ذات الفضول ودرعه فضة ورايت
عليه يوم حنين درعين ذات الفضول والسُّغدية وكانت درع داود
عليه السلام وفي شرح البرهان الحلبي على البخاري كان له صلى الله عليه وسلم سبع
ادرع ذات الفضول وذات الوشاح وذات الحواشي والسُّغديه بالاعجام
في الغين وضم السين المهملة قال شيخنا ويعني بشيخه السراج بن الملقن
في شرحه على البخاري نسبة الى سُغْد سمرقند فيما احسب ويقال لها السُّعْديه

بالسين

بالسين المفتوحة والعين المهملتين ويقال انها كانت درع داود عليه السلام
التي لبسها لقتال جالوت كما افاده النيسابوري في شرف المصطفى صلى الله عليه
وسلم كذا قاله ابو الفتح اليعمري ابن سيد الناس في سيرته والبترا والخِرنِق بكسر
الخا المعجمة واسكان الرا وبالنون المكسورة وبالقاف وفضه والدرع التي
مات وهي مرهونة بها هي ذات الفضول قاله غير واحد من الحفاظ وكان
صلى الله عليه وسلم قد رهنها عند يهودي يقال له ابو الشحم قاله غير واحد
وهو رجل من بني ظفر ووقع في نهاية امام الحرمين تسميته بابن شحمة
والمعروف الاول والطعام الذي اشتراه منه لنفقة عياله كان ثلاثين
صاعا كذا في صحيح البخاري وفي رواية عشرين وفي رواية عبد الرزاق
بوسق شعير والوسق ستون صاعا وللبزار من طريق ابن عباس
اربعين صاعا فان صحت هذه الرواية فالثلاثون داخلة فيها وتبقى
روايتان رواية وسق ورواية الصحيح ثلاثون صاعا فان صح الوسق
فرواية الصحيح داخلة فيها والا فالاعتبار برواية الصحيح وقد اخذه النبي
صلى الله عليه وسلم الى الاجل وهو سنة وقد اخذ من هذا الحديث جواز الرهن
وان لم يتعذر الكاتب وان ظاهر الاية يدل على انه لا رهن الا عند تعذر
الكاتب اذ قال الله عز وجل وان كنتم على سفر ولم تجدوا كاتبا فرهان
مقبوضة لانه يدخل في تعذر الكاتب كل عذر خيف منه خراب ذمة الغريم
وقد استدلوا على ذلك بهذا الحديث ودل ايضا على جواز الرهن في الحضر
فقد قال جمهور العلما الرهن في السفر ثبت بالنص وفي الحضر بالسنة ولانه

قد يترتب الاعذار في الحضر ولم يرو عن احد منعه في الحضر سوى مجاهد و الضحاك
وداود متمسكين بالاية ولا حجة فيها لان الكلام وان كان خرج مخرج الشرط
فالمراد به غالب الاحوال وهذا الحديث يبين ان التقييد في الاية بالسفر
لانه خرج مخرج الغالب وفيه رد على من قال الرهن في السلم لا يجوز
وقد اخرج الاسماعيلي من طريق ابن نمير عن الاعمش ان رجلا قال لابرهيم
النخعي ان سعيد بن جبير يقول ان الرهن في السلم هو الربا المضمون
فرد عليه ابرهيم بهذا الحديث وقد رويت كراهة الرهن بالسلم عن
ابن عمر والحسن والاوزاعي واحدى الروايتين عن احمد ورخص فيه
الباقون والحجة فيه الاية ايضا فان لفظها عام فيدخل السلم في عمومه
واستدل لاحمد بما رواه ابو داود من حديث ابي سعيد من اسلم في شيء فلا
يصرفه الى غيره ووجه الدلالة منه انه لا يامن من هلاك الرهن في يده
بعدوان فيصير مستوفيا لحقه من غير المسلم فيه وروى الدارقطني من
حديث ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من اسلم في شيء فلا
يشترط على صاحبه غير قضائه واسناده ضعيف ولو صح فهو محمول على
شرط ينافي العقد ودل على جواز معاملة الكفار فهي جائزة الا بيع ما يستعين
به اهل الحرب على المسلمين ودل على جواز ان يرهن المسلم عند الذمي السلاح
ونعني بالسلاح هنا كل ما هو معد للقتال كالدرع والبيضة ونحوهما وان
كان السلاح فسر في باب صلاة الخوف بالسكين والسيف والرمح والنشاب
ونحوها مما يجرح او يقتل وكذا يجوز بيع السلاح مطلقا للذمي واليهودي

المذكور

المذكور كان ذميا فان القضية كانت في اخر حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم
ولم يكن اذ ذاك في المدينة يهودي حربي وقد صرح بكون هذا اليهودي الذمي
رهن النبي صلى الله عليه وسلم درعه عنده كان ذميا امام الحرمين في النهاية
وتبعه الاسنوي في شرح المنهاج واما رهن السلاح من الحربي فجائز ايضا
لكن مع الكراهة لان فيه نوع تسليط للكافر الحربي على المسلمين **واقتصر**
من نفقته وملبسه ومسكنه على ما تدعوه ضرورته اليه وزهد فيما سواه
فكان يلبس ما وجده فيلبس في الغالب الشملة هو كساء يؤتزر به
والكساء الخشن والبرد الغليظ اما نفقته فقد قالت عائشة رضي الله عنها كما في صحيح
البخاري كان ياتي علينا الشهر ما نوقد فيه نارا انما هو التمر والماء الا ان نؤتى
باللحيم وفي رواية باللحيمة بالتصغير في الروايتين اشارة الى قلته وفي الصحيح ان
كنا لننظر الهلال الى الهلال الى الهلال ثلاثة اهلة لا يوقد في شيء من بيوت
النبي صلى الله عليه وسلم نار لا الخبز ولا الطبخ فقلت ما كان يعيشكم قال الاسودان
التمر والماء وفي حديث ابي هريرة فاي شيء كنتم تعيشون واخرج الترمذي
من حديث الزبير قال لما نزلت ثم لتسالن يومئذ عن النعيم قلت واي نعيم
نسال عنه وانما هو الاسودان التمر والماء قال اما انه سيكون وعند الترمذي
وصححه من حديث ابن عباس رضي الله عنهما كان النبي صلى الله عليه وسلم يبيت
الليالي المتتابعة واهله طاوين لا يجدون عشاء وفي الصحيح عن ابي هريرة
رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم ارزق آل محمد قوتا
وفي صحيح مسلم بلفظ اللهم ارزق آل محمد قوتا وهي الرواية المعتمدة فان اللفظ

اجعل

الاول صالح لان يكون دعا بطلب القوت في ذلك اليوم وان يكون طلب لهم القوت
دايما بخلاف اللفظ الثاني فيتعين فيه الوجه الاول وهو دال على طلب الكفاف
واخذ البلغة من الدنيا والزهد فيما فوق ذلك ليتوفر له نعيم الجنة والايثار بما
يبقى على ما يفنى لان المراد بالقوت ما يقوت البدن ويكف عن الحاجة وفي هذه
الحالة سلامة من افات الغنى والفقر جميعا واما الملبس فقد اخرج في
الوفا عن حليس بن ايوب قال دخل الصلت على محمد بن سيرين وعليه جبة صوف
وازار صوف وعمامة صوف فاشمأز منه محمد وقال اظن ان اقواما يلبسون
الصوف يقولون قد لبسه عيسى بن مريم وقد حدثني من لا اتهم ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم قد لبس الكتان والقطن واليمنية وسنة نبينا احق ان تتبع وفي
صحيح مسلم عن عائشة رضي الله عنها قالت قام رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي
في خميصة ذات اعلام فنظر الى علمها فلما قضى صلاته قال اذهبوا بهذه الخميصة
الى ابي جهم بن حذيفة واتوني بانبجانيته فانها الهتني انفا عن صلاتي
والخميصة كسا اسود معلم وقيل انها ثوب يخالطه شي من الحرير والانبجانية
كسا غليظ من صوف له خمل وليس له علم وقيل الانبجانية من ادون الثياب
الغليظة تتخذ من الصوف وفي كتاب الوفا عن ابي بردة قال اخرجت
الينا عائشة رضي الله كسا ملبدا وازارا غليظا فقالت قبض رسول الله
صلى الله عليه وسلم في هذين واخرج الترمذي عن عائشة رضي الله عنها قالت
خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات غداة الى المسجد وعليه مرط مرجل
من شعر اسود وفي كتاب الوفا عن جابر رضي الله عنه قال اتيت النبي صلى

الله

قوله وعليه جبة صوف ابو علي الصلت ...

الله عليه وسلم وهو جالس بين اصحابه واذا هو محتب ببردة قد وقع هدبها
على قدميه وفيه عن عائشة ان النبي صلى الله عليه وسلم لبس بردة سوداء
فقالت عائشة ما احسنها عليك تشرب ~~...~~ بياضك سوادها
وسوادها بياضك وفيه عن انس رضي الله عنه قال رأيت رسول الله
صلى الله عليه وسلم وعليه برد نجراني غليظ الحاشية وفيه عن ابي ايوب رضي
الله عنه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يلبس الصوف ويخصف النعل
ويرقع القميص ويركب الحمار ويقول من رغب عن سنتي فليس مني وكان له صلى
الله عليه وسلم حلة حمرا وكان له برد احمر يلبسه في العيدين وكان له بردان
اخضران رواه الترمذي وكان له ثوبان صبغا بزعفران وكان احب
الثياب اليه الحبرة وهو من البرود ما كان موشيا مخططا وكانت له
جبة مزرورة بالديباج فيها كان يلقى العدو وكانت له جبة شامية ضيقة
الكمين وسماها الترمذي رومية وخيطت له صلى الله عليه وسلم جبة من
صوف انمار فلبسها فما اعجب بثوب ما اعجب بها فجعل يمسها بيده ويقول
انظروا ما احسنها وفي القوم اعرابي فقال يا رسول الله هبها لي فخلعها فدفعها
في يده ولبس صلى الله عليه وسلم جبة من صوف ثلاثة ايام فلما عرق وجد منها
ريحا فكرهها فرمى بها رواه في الوفا وكان احب الثياب اليه القميص وكان
له قميص قطني قصير الطول قصير الكمين وقال ابن عباس كان النبي صلى
الله عليه وسلم يلبس قميصا فوق الكعبين مستوي الكمين باطراف اصابعه
وقالت اسما بنت يزيد كان كم قميص النبي صلى الله عليه وسلم الى الرسغ

كنت امشي مع ...

... هذا الكلام ...

وخرج ذات يوم وهو متوكئ على اسامة بن زيد عليه ثوب قطري قد توشح به فصلى
بهم به والقطر ضرب من البرود يقال ثوب قطري وعمامة قطرية وهو بكسر
القاف وسكون الطا وكان له رداء اربع اذرع وعرضه ذراعان ونصف
وكان له ثوب اخضر طوله اربعة اذرع وعرضه ذراعان وشبر وكان له
عمامة سودا قد ارخى طرفيها بين كتفيه وفي الترمذي عصابة دسما والدسما
السودا وفي الوفا عن ابن عبد السلام قال قلت لابن عمر رضي الله عنهما كيف
كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعتم قال يدير كور العمامة على راسه ويغرسها
من ورائه ويرخي لها ذوابة بين كتفيه وقال ابن عمر رضي الله عنهما كان
النبي صلى الله عليه وسلم اذا اعتم سدل عمامته بين كتفيه وقال ابن عمر رضي الله
عنهما قال نافع وكان ابن عمر يفعل ذلك روى ذلك الترمذي وكان له قلنسوة
بيضا شامية وهي التي ذات اذان وفي الوفا عن ابن عباس قال كان
لرسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث قلانس قلنسوة بيضا مصرية وقلنسوة
بردحبرة وقلنسوة ذات اذان وايضا كان له قلنسوة طويلة وقلنسوة
لاطية وكان يلبس النعال السبتية وعن اسما بنت ابي بكر رضي الله عنهما
انها اخرجت جبة طيالسة كسروانية لها لبنة ديباج وفرجاها مكفوفان
بالديباج واما الطيلسان فقد قال ابن القيم لم ينقل عنه صلى الله عليه وسلم انه
لبسه ولا احد من اصحابه بل ثبت في صحيح مسلم من حديث النواس بن
سمعان عن النبي صلى الله عليه وسلم انه ذكر الدجال فقال يخرج معه سبعون
الفا من يهود اصبهان عليهم الطيالسة **ويقسم على من حضره اقبية**

الديباج المخوصة بالذهب الاقبية جمع قبا اخذا له من القبوة وهي انضمام
الشفتين وفي القاموس والقبوة انضمام ما بين الشفتين ومنه القبا من
الثياب وجمعه اقبية والديباج هو الثياب المتخذة من الابريسم فارسي معرب
وقد تفتح داله ويجمع على ديابج ودبابيج اي باليا والبا لان اصله دباج ومنه
حديث النخعي كان له طيلسان مدبج وهو الذي زينت اطرافه بالديباج والمخوصة
معناه الذي عليه صفائح الذهب مثل خوص النخل ومنه الحديث مثل المراة
الصالحة مثل التاج المخوص بالذهب ويمكن ان يراد بالمخوص هنا المنسوج
بالذهب كخوص النخل وهو ورقه **ويرفع لمن لم يحضره** اي القسم يشير
بذلك الى ما وقع في الصحيحين ولفظ البخاري وقال الليث حدثني ابن ابي مليكة
عن المسور بن مخرمة ان اباه مخرمة رضي الله عنهما قال يا بني انه بلغني ان
النبي صلى الله عليه وسلم قدمت عليه اقبية فهو يقسمها فاذهب بنا اليه فذهبنا
فوجدنا النبي صلى الله عليه وسلم في منزله فقال لي اي بني ادع لي النبي صلى الله عليه
وسلم فاعظمت ذلك وقلت ادعو لك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا بني
انه ليس بجبار فدعوته فخرج وعليه قبا من ديباج مزرر بالذهب
فقال يا مخرمة هذا قد خبأناه لك فاعطاه اياه وفي رواية للبخاري قال
فنظر اليه فقال رضي مخرمة ومخرمة هذا هو والد المسور وهو ابن نوفل
الزهري وكان من رؤسا قريش ومن العارفين بالنسب وانصاب الحرم
وتاخر اسلامه الى الفتح وشهد حنينا واعطي من تلك الغنيمة مع المولفة
ومات سنة اربع وخمسين وهو ابن مائة وخمس عشرة سنة ذكره ابن سعد

ص ... سعون ... الاطراف ... الديباج ... من الابريسم ... الغنيمة ... [illegible]

ويحتمل ان يكون هذا وقع قبل تحريم الحرير والذهب على الرجال فلم يبق فيه حجة لترجيح
شيء من ذلك ويحتمل ان يكون بعد التحريم فيكون النبي صلى الله عليه وسلم اعطاه لمخرمة
لا ليلبسه بل لينتفع به بان يكسوه لنسائه او يبيعه وينتفع بثمنه
كما وقع لغيره ويكون معنى قوله فخرج وعليه قباء اي على يده او على كتفه لا على
طريق انه لابسه بل على طريق انه وضعه على كتفه واراد النبي صلى الله عليه وسلم
بذلك تطييب قلب مخرمة فانه كان في خلقه شيء من الشرع ثم اقول المسور
ابن مخرمة ادعو لك رسول الله استفهام انكاري لا ينبغي بتقدير انه قول ادعو
لك فان هذه المقالة وقعت من مخرمة وهو ملوم عليها فكان ابنه يوبخه
على هذه المقالة التي ظاهرها مشتمل على سوء الادب ويمكن ان يكون ابطاليا
بتقدير لا ادعو لك رسول الله صلى الله عليه وسلم لانه في قوة النهي ولا امتثل
امرك بذلك لان فيه سوء ادب ثم ان مخرمة كشف عن مقصده بذلك حيث
قال انه ليس بجبار والنبي صلى الله عليه وسلم لما سمع صوته او علم بوقوفه
على باب بيته خرج اليه حلما منه وكرما فيكون من تنزل الكبير العظيم الى الصغير
بالنسبة اليه طبق ما قال الشاعر

• خليلي هل شاهدتما او سمعتما • باكرم من مولى تمشي الى عبده •

في الملابس والتزين بها ليست من خصال الشرف والجلالة وهي من سمات النساء
ولهذا قال صلى الله عليه وسلم البذاذة من الايمان قال هرون سالت معمرا
عن البذاذة فقال هي الدون من الثياب وقال زيد بن وهب رايت عمر بن
الخطاب رضي الله عنه خرج الى السوق وبيده الدرة وعليه ازار فيه

اربع عشرة رقعة

قال في النهاية في البذاذة رثاثة الهيئة وباذ الهيئة اي رث اللبسة اراد التواضع في اللباس وترك التبجح انتهى

اربع عشرة رقعة بعضها من ادم وقال عيسى بن مريم عليه السلام جودة الثياب
خيلاء القلب فان قلت هذه المقالة من روح الله عيسى عليه السلام منافية
لما قال نبينا صلى الله عليه وسلم اذ سئل عن الجمال في الثياب فقيل له ان الرجل
يحب ان يكون ثوبه حسنا ونعله حسنة قال ان الله عز وجل جميل يحب
الجمال اي فليس هو من الكبر الكبر بطر الحق وغمط الناس فكيف الجمع بين
كلامي هذين المعصومين عليهما من الله افضل الصلاة واتم التسليم
قلت الثوب الجيد ليس تكبرا في حق كل احد والصحابة فهموا انه يلزم
من وجود الثوب الحسن التكبر فاشار النبي صلى الله عليه وسلم الى ان ذلك
ليس بلازم فمعنى قوله ان الله جميل يحب الجمال ان العبد اذا لبس ثوبا
حسنا تجملا به وميلا الى النظافة وجودة الثياب لا للتكبر على غيره بذلك
لا يعد تكبرا ولا يكون مذموما وقد يكون التجمل بالثياب من الكبر قال الغزالي
وعلامة المتكبر بالثياب ان يطلب التجمل اذا رآه الناس ولا يبالي اذا
انفرد بنفسه كيف كان قال وعلامة طالب الجمال ان يحب الجمال في كل شيء
ولو في خلوته وحتى في ستور داره فذلك ليس من الكبر واقول الحق في ذلك
ان اللباس على ثلاثة انواع منه ما يحمد ومنه ما يذم ومنه ما لا يتعلق به
مدح ولا ذم فالمحمود منه ما كان لله سبحانه واعان على طاعته وتنفيذ
اوامره تعالى والاستعداد له تعالى كما كان نبينا صلى الله عليه وسلم يتجمل للوفود
وهو نظير لبس آلة الحرب للقتال وكل ذلك محمود اذا تضمن اعلاء كلمة
الله عز وجل ونصر دينه وغيظ عدوه والمذموم ما كان للدنيا والرياسة

والفخر والخيلاء ولهذا قال ابن عباس رضي الله عنهما كل ما شئت والبس ما
شئت ما اخطاتك اثنتان سرف او مخيلة وفي الحديث الصحيح ورواه
البخاري قال النبي صلى الله عليه وسلم كلوا واشربوا والبسوا وتصدقوا في غير
اسراف او مخيلة لكن قد احسن حجة الاسلام اذ قال في اخر كلامه وبالجملة
فالاحوال تختلف في مثل هذا والمحبوب الوسط من اللباس الذي لا يوجب
الشهرة بالجودة ولا بالرداءة ولهذا قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم على
ابي بكر رضي الله عنه بانه ليس ممن يجر ثوبه خيلاء ففي صحيح البخاري بسنده
قال صلى الله عليه وسلم من جر ثوبه خيلاء لم ينظر الله عز وجل اليه يوم القيمة
فقال ابو بكر الصديق رضي الله عنه يا رسول الله ان احد شقي ازاري
يسترخي الا ان اتعاهد ذلك منه فقال النبي صلى الله عليه وسلم لست ممن يصنعه
خيلاء وسبب استرخاء ازار ابي بكر رضي الله عنه نحافة جسمه ففي هذا
الحديث اعتبار احوال الاشخاص في الاحكام باختلافها وهو اصل مطرد غالبا
والمحمود منه نقاوة الثوب في القاموس نقي كرضي نقاوة ونقا ونقاءة — تنبيه
ونقاية فهو نقي انتهى وكل هذه المصادر ضبطت بفتح النون ثم قال بعد ذلك
ونقايته ونقاوته بضمها فقضيته ما فيه جواز الوجهين في لفظ نقاوة
ضم النون وفتحها اي كون الثوب نقيا اي استخرج منه الوسخ وقد روى
ابو نعيم في الحلية عن ابن عمر ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ان من كرامة
المؤمن عند الله عز وجل نقاء ثوبه ورضاه باليسير وروى ايضا من حديث
جابر بن عبد الله رضي الله عنهما ان النبي صلى الله عليه وسلم راى رجلا وسخة ثيابه

انظر هذا الحديث واعمل به

فقال

فقال اما وجد هذا شيئا ينقي ثيابه والمراد من النظافة والنقاوة النظافة
من غير النجاسة فانه ليس تنظيفه من ذلك اما الثوب الذي فيه نجاسة فلذلك
ليس تنقيته منها لان لبس الثوب المتنجس جائز وقد ذكر اصحابنا تحريم لبس
المتنجس في الصلاة لكن قال الاسنوي من متاخري اصحابنا التحريم انما هو
لكونه متلبسا بعبادة فاسدة لا لتركه الطهارة كما لو صلى محدثا فانه يأثم
بفعل الفاسد لا بتركه الوضوء وانما حل لبس الثوب المتنجس لان نجاسته
عارضة سهلة الازالة واما الثوب النجس العين كجلد ميتة لم يدبغ
وسائر الاعيان النجسة فيحرم استعمالها في بدن الادمي وشعره وثوبه
لما عليه من التعبد في اجتناب النجاسة لاقامة العبادة وقد استثنى — بحث المشط العاج
اصحابنا من ذلك المشط العاج فيحل مع الكراهة حيث لا رطوبة قال الكمال
الدميري في حياة الحيوان كان للنبي صلى الله عليه وسلم مشط من العاج والعاج
الذبل وهو شيء يتخذ من ظهر السلحفاة البحرية يتخذ منه الامشاط
والاساور وفي الحديث ان النبي صلى الله عليه وسلم امر ثوبان ان يشتري
لفاطمة رضي الله عنها سوارين من العاج اما العاج الذي هو عظم الفيل
فنجس عند الشافعي وطاهر عند ابي حنيفة وعند مالك يطهر بسلقه
فيجوز التسريح بمشط العاج وهو الذبل وعليه يحمل ما وقع في شرح المهذب
من جواز التسريح به فمراده بالعاج الذبل لا العاج الذي هو ناب الفيل
فيجوز استعمال العاج في الراس واللحية وقال الاسنوي ان ما وقع في
شرح المهذب غريب ووهم عجيب ورده شيخ اشياخنا القاضي زكريا في شرح

الروض بان مقالة الاسنوي هي الشيء الغريب والوهم العجيب كيف وقد نص عليه الشافعي رضي الله عنه في جمع متقدمون ووجه استثنائه شدة جفافه مع ظهور رونقه ونظافة الثوب محمودة دائما سيما في المجامع كيوم الجمعة كان التنظف فيها متاكدا استحبابه في الثوب من الاوساخ والروائح الكريهة لئلا يتاذى به الناس قال الشافعي رضي الله عنه من نظف ثوبه قل همه ومن طاب ريحه زاد عقله وكذا يتاكد تنظيف الثياب يوم العيد وان لم يحضر صلاة العيد **والتوسط في جنسه** سوا كان من كتان او قطن او صوف او شعر او وبر وان كان نفيسا لان نفاسته بالصنعة لا في جنسه بخلاف الحرير ويجوز لبس الخز بالاتفاق وهو حرير وصوف لكن حريره مستتر واقل وزنا **وكونه لبس مثله** فان قلت ايجوز للعلما توسيع اكمامهم ليعرفوا ويمتازوا عن عوام الناس حيث كان ذلك عادة ابنا جنسهم قلت قال ابن القيم اما هذه الاكمام الواسعة الطوال التي هي كالاخراج فهي مخالفة للسنة وفي جوازها نظر فانها من جنس الخيلا لكن قال العز بن عبد السلام وافراط توسعة الثياب والاكمام بدعة وسرف وتضييع للمال نعم ما صار شعارا للعلما يندب لهم لبسه ليعرفوا بذلك فيسألوا وليطاعوا فيما عنه زجروا وعلله بان ذلك سبب لامتثال امر الله عز وجل **غير مسقط المروة جنسه** ويختلف ذلك باختلاف الزمان والبلدان **مما لا يودي الى الشهرة في الطرفين** بان لا يلبس ثيابا علية المقدار غالية الثمن فيشتهر بكثرة الدنيا ويتكبر بما عليه من الثياب فان الكبر يلحق لابس الثياب حتى يرى

بلغ مقابلة على خط المولف

من عليه

من عليه ثوب عال لنفسه مزية على من يلبس دونه من الثياب وكذلك يلحق الكبر قلب عبد لبس الخشن من الثياب ولذلك قال الحسن البصري حتى ان صاحب الصوف اشد كبرا من صاحب المطرف والخز اي ان صاحب الخز يذل لصاحب الصوف ويرى له فضله وصاحب الصوف يرى الفضل لنفسه **وقد ذم الشرع ذلك** اي لباس الشهرة سوا كان شهرة باللباس الحسن او بلباس الزهاد والصلحا فان قلت حقق لنا المقام تحقيقا يزيل ما خفي منه قلت لا يخفى انه وردت احاديث صحيحة في مدح البذاذة ففي سنن ابي داود وابن ماجه بسندهما عن ابي امامة بن ثعلبة الانصاري واسمه اياس قال ذكر اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم يوما عنده الدنيا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الا تسمعون الا تسمعون ان البذاذة من الايمان ان البذاذة من الايمان يعني التقحل والبذاذة بفتح البا الموحدة والذال المعجمتين هو التواضع في اللباس برثاثة الهيئة وترك الزينة والرضى بالدون من الثياب فحملنا ذلك وامثاله على من فعل ذلك تجافيا عن الدنيا واقتدا بالانبيا عليهم السلام لاسيما نبينا صلى الله عليه وسلم فانه قد روت عائشة رضي الله عنها اذا خرجت الى الناس كسا ملبدا من التي تسمونها الملبدة وازارا غليظا مما يصنع باليمن واقسمت بالله عز وجل لقد قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم في هذين الثوبين والملبد المرقع وفي الترمذي عن ابن مسعود رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال كان على موسى عليه السلام يوم كلمه ربه عز وجل كسا صوف وجبة صوف وكمة صوف وسراويل صوف وكان نعلاه من جلد حمار ميت فاذا ترك الرقع في الثياب

قاصدا التواضع والتجافي عن نعيم الدنيا والتباعد عن زي الجبابرة اثيب
على ذلك ثوابا جزيلا وما قاله المتولي والروياني من اصحابنا الشافعية انه
يكره لبس الثياب الخشنة لا لغرض مع الاستغنا فضعيف والمختار
انه سنة ان قصد ما ذكرنا واما اذا قصد به التزيي بزي الصالحين طلبا
للشهرة بالصلاح وترويجا لحاله عند الظالمين والاكابر كما هو مشاهد في
كثير ممن له رغبة في ذلك فهذا هو الذي قال عنه الحسن البصري ما قال كما
قدمناه انفا وقد صح عن نبينا صلى الله عليه وسلم فيما رواه الطبراني عن ام سلمة
ام المؤمنين رضي الله عنها عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ما من احد يلبس ثوبا
ليباهي به وينظر اليه الناس الا لم ينظر الله عز وجل اليه حتى ينزعه متى نزعه
وفي سنن ابن ماجه باسناد حسن قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من
لبس ثوب شهرة في الدنيا البسه الله عز وجل ثوب مذلة يوم القيمة ثم
الهب فيه نارا وفيه ايضا عن ابي ذر رضي الله عنه قال من لبس ثوب
شهرة اعرض الله عنه حتى يضعه متى وضعه وغاية الفخر فيه اي في الترفع
في اللباس والاعتنا بفاخر الثياب في العادة عند الناس انما يعود الى الفخر
بكثرة الموجود ووفور الحال يعني التزين بالملابس ليس من الشرف في
شي وانما غاية ما يحصل للابس الثياب الحسنة من الفخر اذ يقال عنه ان له
موجودات كثيرة وحالة حسنة واموالا جزيلة ولا فخر يحصل للابس الثياب
سوى هذا ومثل هذا لا يعد فخرا لان المال غاد ورائح ولا يفتخر به ذووا
المروات والبصائر وكذلك التباهي بجودة المسكن وسعة المنزل

وتكثير

وتكثير الآلة وخدمه ومركوباته فانه لا فخر في شي من ذلك الا في ان يقال له موجود
كثير واحوال حسنة ومن ملك الارض بتمليك الله عز وجل له اياها وقد اتته
مفاتيح خزائنها وجبي اليه ما فيها فقد جبي اليه اموال لا حصر لها كما قررنا
فترك ذلك زهدا في الدنيا وتنزها عن التدنس بنعيم هذه الدار فهو حائز
لفضيلة المالية ومالك للفخر بهذه الخصلة ان كانت فضيلة زائدا
عليها في الفخر اي حاز هذه الفضيلة اي فضيلة المالية حال كونه زائدا عليها
في الفخر ومعرق في المدح باضرابه عنها وزهده في فانيها اي في فاني الاموال
وبذلها في مظانها وذلك ان الاموال فيها ما هو فان كمن يصرفها في الشهوات
والاماني وفيها ما هو باق كمن يصرفها في الصدقات والصلات بدليل قول النبي
صلى الله عليه وسلم يقول ابن ادم مالي مالي وليس لك من مالك الا ما اكلت فافنيت
او لبست فابليت او تصدقت فابقيت فالنبي صلى الله عليه وسلم زهد فيما
هو فان من الدنيا وغنم ما هو باق فكان اذا حاز مالا صرفه في مصارف الخير
وترك صرفه فيما هو من الدنيا الفانية وقوله زائدا عليها في الفخر قال شيخنا
الرضي بن الحنبلي ان صح نصبه فهو حال من فاعل حائز واقول
اراد بقوله ان صح اي من حيث الرواية عن المصنف فان في بعض النسخ رفع
زائد وفي بعضها نصبه واما معرق فانه مرفوع في كل النسخ الصحيحة
لكن عندي ان نصب زائدا اولى وذلك بان يجعل حالا من فاعل مالك لا من
فاعل حائز فالتقدير هو مالك للفخر بهذه الخصلة حال كونه صلى الله عليه وسلم
زائدا عليها في الفخر بسبب عدم التفاته اليها واكتراثه بها وبسبب اضرابه عنها

معرقا نخ

مناقشة مع ابن الحنبلي هـ

فيكون زائدا قيدا للملكه للفخر بها اي انه لم يملكها مساويا لغيره ممن ملكها وفخره
بهذه الفضيلة على تقدير كونها فضيلة ليس مساويا لفخر من افتخر بها بل
ملكها حال كونه زائدا وصفا قائما بالنبي صلى الله عليه وسلم على ان الاولى عندي
ان يكون زائدا صفة مصدر محذوف هو مفعول مطلق لمالك اي مالك
ملكا زائدا ذلك الملك على هذه الفضيلة في الفخر باعراض النبي صلى الله عليه وسلم
عنها واما معرق فالذي في القاموس انه بفتح الرا فيه واعرق اتى العراق
وصار عريقا في اللوم والكرم فهو معرق ومعرق كمكرم اي بفتح الرا ومعظم
اي بفتح الطا المشددة ومعروق وفي الصحاح واعرق الرجل وفي النسخة
التي وقفت عليها من الصحاح وهي صحيحة جدا بضم همزة اعرق اي صار عريقا
وهو الذي له عرق في الكرم واللوم جميعا ثم قال واعرق الشجر والنبات
اذا امتدت عروقه في الارض انتهى والظاهر ان معرقا الواقع في عبارة المصنف
ماخوذ من اعرق الشجر والنبات اذا امتدت عروقه في الارض فمعناه حينئذ
انه صلى الله عليه وسلم اتصف بهذه الصفة وصفا ثابتا لا يتزعزع ولا يتغير
كنبات الشجر وتمكنه من مغرسها بحيث امتدت عروقها في الارض واما
اذا حمل على معرق وهو الذي صار عريقا في هذا الوصف اي ذا اصل
ونسب فيه فلا يصح ذلك في كل اسلاف النبي صلى الله عليه وسلم اذ فيهم من
كان يجمع المال ولا يعرض عنه بل ليس فيهم احد نال ما ناله رسول الله صلى الله
عليه وسلم من هذه الرتبة **فصـــــل** واما الخصال
جمع خصلة وهي الخلة والفضيلة والرذيلة وقد غلب على الفضيلة المكتسبة

اي التي

اي التي ليست غريزية من الاخلاق الحميده والاداب الشريفه هي جمع ادب
وفي القاموس هو الظرف وحسن التناول التي اتفق جميع العقلا من
المليين وغيرهم على تفضيل صاحبها اي المتصف بها على من لم يتصف بها
ومن زاد على غيره بخصلة منها فهو افضل ممن خلا عن تلك الخصلة وتعظيم
المتصف بالخلق الواحد منها فضلا عما فوقه واثنى الشرع على جميعها
وامر بها ووعد السعادة الدائمة للمتخلق بها ووصف بانه من اجزا النبوة
وهي المسماة بحسن الخلق وهو الاعتدال في قوى النفس واوصافها
والتوسط فيها دون الميل الى منحرف اطرافها قال شيخنا الرضي بن التاذفي
اقول كانه اطلق عليها لكونها ناشئة عنه والا فحسن الخلق كما قال البحاني عبارة
عن حصول هيئة للنفس تبعثها على الافعال المحمودة وتحملها على الكتساب
الشيم الشريفة وقد افاد ان ههنا امورا اربعة صدور الفعل الحسن
والقدرة عليه والمعرفة به والهيئة الحاملة للنفس على صدوره عنها فليس
حسن الخلق عبارة عن الاول اذ رب شخص يفعل الافعال الحميدة دون
حسن في خلقه لتكلف وعلة امامن ريا او غيره ولا عن الثاني لان نسبة
تعلق القدرة الى الفعل الحسن والفعل السي واحدة ولا عن الثالث لان
المعرفة ايضا تتعلق بالحسن والقبيح على وجه واحد بل عن الرابع
واقول ان المصنف قد جعل الخصال المكتسبة اي التي
يكتسبها الناس حسن الخلق وتلك الخصال وان ذكرها المصنف بعنوان
انها مكتسبة فهي مكتسبة في بدا امرها ثم انها تصير سجية من رياضة النفس

بعضها

مناقشة
مع البحاني الذي
نقل ابن حنبلي
كلامه

ودوام الملازمة لها فان الاصح الذي عليه المحققون ان الاخلاق تقبل التغيير بالمجاهدة
والرياضة وقد زعم بعض البطالين ان الاخلاق لا يتصور ان تتغير مستدلا
على ذلك بان الخلق صورة الباطن كما ان الخلق بفتح الخا صورة الظاهر فكما
ان الظاهر لا يمكن ان يتغير كذلك الباطن لا يتغير فمن كان طويلا لا يصير
قصيرا ولا القبيح حسنا ورد قوله بانه لو كانت الاخلاق لا تتغير لبطلت
الوصايا والمواعظ والتاديبات وهذا خلق البهيمة يتغير اذ ينقل
الصيد من التوحش الى الانس والكلب يتعلم اساليب الصيد ويظهر منه
تاديبات عجيبة كما هو معلوم مشاهد وقد روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
انه قال حسنوا اخلاقكم وذلك ان الله عز وجل خلق الانسان وهياه لقبول
الصلاح والفساد وجعله اهلا للادب ومكارم الاخلاق ووجود الاهلية
فيه كوجود النار في الزناد ووجود النخل في النوى ثم ان الله عز وجل بعد رته
الهم الانسان ومكنه من اصلاحه بالتربية الى ان يصير النوى نخلا والزناد
بالعلاج حتى يخرج منه النار الا ترى الى قوله عز وجل قد افلح من زكاها وقد
خاب من دساها وفي الحديث عن جابر بن سمرة رضي الله عنه قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم لان يودب احدكم ولده خير له من ان يتصدق
بصاع والمصنف رحمه الله لم يطلق حسن الخلق على الافعال التي تصدر
من الانسان وانما اطلقها على ما رسخ في النفس فلا تجوز في كلام المصنف
وتحقيق الخلق انه عبارة عن هيئة راسخة في النفس تصدر عنها الافعال
بسهولة ويسر من غير حاجة الى فكر وروية فان كانت الهيئة بحيث تصدر عنها

الافعال

الافعال الجميلة المحموده عقلا وشرعا سميت الهيئة خلقا حسنا وان كان
الصادر منها افعالا قبيحة سميت الهيئة التي هي المصدر خلقا سيئا
وانما قلنا انها هيئة راسخة لان من يصدر منه بذل المال على الندور
لحالة عارضة لا يقال خلقه السخي ما لم يرسخ ذلك في نفسه وانما شرطنا
ان تصدر الافعال منه بسهولة من غير حاجة الى فكر وروية لان من
تكلف بذل المال او السكوت عن الغضب بجهد وروية لا يقال خلقه
السخي والحلم واما الامور الاربعة فالمتكفل لها البادي بذكرها حجة
الاسلام ابو حامد الغزالي وهي في الاحيا بعبارة مطنبة معينة وبالجملة
فمقصودنا تبرئة المصنف مما عزي اليه من انه اطلق على الافعال حسن
الخلق تجوزا مع ان المصنف لم يطلقه الا على السجايا والمراد بالاعتدال
في قوى النفس ان الباطن الذي حسن الخلق عبارة عن اعتدال
قواه اربعة اركان لا بد في الحسن من جميعها حتى يتم حسن الخلق فاذا
استوت الاركان الاربعة واعتدلت وتناسبت حصل حسن الخلق
وهو قوة العلم وقوة الغضب وقوة الشهوة وقوة العدل بين هذه القوى
الثلاث اما قوة العلم فحسنها وصلاحها في ان تصير بحيث يسهل بها
درك الفرق بين الصدق والكذب في الاقوال وبين الحق والباطل في
الاعتقادات وبين الجميل والقبيح في الافعال فاذا انصلحت هذه القوة
حصلت منها ثمرة الحكمة والحكمة راس الاخلاق الحسنة وهي التي قال الله
عز وجل فيها ومن يوت الحكمة فقد اوتي خيرا كثيرا واما قوة الغضب

فحسنها في ان تنقبض انقباضها وانبساطها على حد ما تقتضيه الحكمة وكذلك
قوة الشهوة حسنها وصلاحها في ان تكون تحت اشارة الحكمة اعني اشارة
الدين والعقل واما قوة العدل فهي في ضبط قوة الغضب والشهوة تحت
اشارة العقل والشرع فمن استوت فيه هذه الصفات واعتدلت فهو
حسن الخلق مطلقا ومن اعتدل فيه بعضها دون البعض فهو حسن الخلق
بالاضافة الى ذلك المعنى خاصة كالذي يحسن بعض اجزاء وجهه دون بعضه
وحسن قوة الغضبية واعتدالها يعبر عنه بالشجاعة وحسن قوة الشهوة
واعتدالها يعبر عنها بالعفة فان مالت قوة الغضب عن الاعتدال الى طرف
الزيادة سمي تهورا وان مالت الى الضعف والنقصان سمي جبنا
وخورا وان مالت قوة الشهوة الى طرف الزيادة سمي شرها وان مالت الى
النقصان سمي خمودا والمحمود هو الوسط وهو الفضيلة والطرفان رذيلتان
مذمومتان فالعدل اذا فات فليس له طرفان زيادة ونقصان بل له ضد
واحد وهو الجور واما الحكمة فيسمى افراطها عند الاستعمال في الاغراض
الفاسدة جبنا وجربزة ويسمى طرفها الاخر بلها والوسط هو الذي
يحيط بالحكمة فاذا امهات الاخلاق واصولها اربعة الحكمة والشجاعة
والعفة والعدل ونعني بالحكمة حالة للنفس بها تدرك الصواب من
الخطا في جميع الاقوال الاختيارية ونعني بالعدل حالة للنفس وقوة بها
تسوس الغضب والشهوة وتحملها على مقتضى الحكمة وتضبطها في
الاسترسال والانقباض على حسب مقتضاها ونعني بالشجاعة كون

قوة

قوة الغضب منقادة للعقل في اقدامها واحجامها ونعني بالعفة تادب قوة
الشهوة بتاديب العقل والشرع فمن اعتدال هذه الاصول الاربعة تصدر
الاخلاق الجميلة جميعها وقد كانت خلق نبينا صلى الله عليه وسلم على الانتهاء في
كمالها والاعتدال الى غاياتها حتى اثنى الله عز وجل عليه بذلك فقال وانك لعلى خلق عظيم
الخطاب في انك للنبي صلى الله عليه وسلم قال سهل تادبت بآداب القرآن فلم
تتجاوز حدوده فهو قوله ان الله يامر بالعدل والاحسان وقال الواسطي
قال له انك لعلى خلق عظيم لانه جاد بالكونين عوضا عن الحق عز وجل وقال
الواسطي ايضا الخلق العظيم انه لا تخاصم ولا تخاصم من شدة معرفته بربه
عز وجل في ليلة المسرى وقال ايضا انك قبلت فنون ما اسدينا اليك من
نعمنا احسن مما قبله غيرك من الانبيا والرسل عليهم السلام لانا جبلناك
على خلق عظيم وقال الحسين معناه انه لم يؤثر فيك جفا الخلق بعد
مطالعة الحق وقال جعفر الصادق صغرت الاكوان في عينك بعد مشاهدة
مكونها وقال الجنيد لما احتمل البلا في الله عز وجل وما شكى بل رحم
وقال اللهم اهد قومي فانهم لا يعلمون قال الله عز وجل له انك لعلى خلق عظيم
وقال الواسطي اظهر الله عز وجل قدرته في عيسى عليه السلام ونفاذه في اصف
وسخطه في عصا موسى عليه السلام واظهر اخلاقه ونعوته في محمد صلى
الله عليه وسلم بقوله وانك لعلى خلق عظيم فاذا فتشت هولا في الحقيقة لا
تجد الا نعوتا قائمة بنعوت المنعوت لا بغيره قالت عائشة رضي الله عنها
كان خلقه القرآن يرضى برضاه ويسخط بسخطه قال الشيخ شهاب الدين

السهروردي في كتاب عوارف المعارف وفي قول عائشة رضي الله عنها كان خلقه
القران سر كبير وعلم غامض ما نطقت بذلك الا بما خصها الله به من بركة الوحي
السماوي وصحبة رسول الله صلى الله عليه وسلم وتخصيصه اياها بكلمة خذوا
شطر دينكم من هذه الحميرا وذلك ان النفوس مجبولة على غرائز وطبائع هي
من لوازمها وضرورتها خلقت من تراب ولها بحسب ذلك طبع وخلقت
من صلصال ولها بحسب ذلك طبع وهكذا من حما مسنون ومن صلصال
كالفخار وبحسب تلك الاصول التي هي مبادي تكونها استفادت صفات
من البهيمية والسبعية والشيطانية والى صفة الشيطنة في الانسان
الاشارة بقوله عز وجل من صلصال كالفخار لدخول النار في الفخار وقد قال
تعالى خلق الجان من مارج من نار والله سبحانه بخفي لطفه وعظيم عنايته نزع
نصيب الشيطان من رسول الله صلى الله عليه وسلم على ما ورد في حديث حليمة
بنت الحارث انها قالت في حديث طويل فبينا نحن خلف بيوتنا ورسول
الله صلى الله عليه وسلم مع اخ له من الرضاعة في بهم لنا جانا اخوه يشتد
فقال ذاك اخي القرشي قد جاءه رجلان عليهما ثياب بيض فاضجعاه فشقا
بطنه فخرجت انا وابوه نشتد نحوه فنجده قائما منتقعا لونه فاعتنقه
ابوه وقال اي بني ما شانك قال جاني رجلان عليهما ثياب بياض
فاضجعاني فشقا بطني ثم استخرجا منه شيا فطرحاه ثم رداه كما كان فرجعنا
به معنا فقال ابوه يا حليمة لقد خشيت ان يكون ابني هذا اصيب انطلقي　　قذع
بنا فلنرده الى اهله قبل ان يظهر به ما نتخوف قالت فاحتملناه فلم نرع ام

الابه قد قدمنا به عليها قالت ما ردكما قد كنتما عليه حريصين قلنا لا والله يا
ظئير الا ان الله عز وجل قد ادى عنا وقضينا الذي علينا وقلنا نخشى　　انشه
الاتلاف والاحداث نرده الى اهله فقالت ما ذاك بكما فاصدقاني شانكما فلم
تدعنا حتى اخبرناها خبره فقالت خشيتما عليه الشيطان كلا والله ما
للشيطان عليه سبيل وانه لكائن لابني هذا شان الا اخبركما بخبره قلنا بلى
قالت حملت به فما حملت حملا قط اخف منه فاريت في النوم حين حملت به
كانه خرج مني نور اضاءت له قصور الشام ثم وقع حين ولدته وقوعا ما
يقعه المولود معتمدا على يديه رافعا راسه الى السما فدعاه عنكما فبعد
تطهير الله عز وجل رسوله صلى الله عليه وسلم عن نصيب الشيطان بقيت
النفس الزكية النبوية على حد نفوس البشر لها ظهور بصفات واخلاق
مبقاة على رسول الله رحمة للخلق لوجود امهات تلك الصفات في نفوس
الامة لمزيد من الظلم لتفاوت حال النبي وحال الامة فاستمرت تلك
الصفات المبقاة بظهورها في رسول الله تنزيل الايات المحكمات ما راها
لعمره نادسا من الله عز وجل لنبيه صلى الله عليه وسلم رحمة خاصة له وعامة
للامة موزعا نزول الايات على الاناء والاوقات عند ظهور الصفات قال
الله عز وجل وقالوا لولا نزل عليه القران جملة واحدة كذلك لنثبت به فوادك
ورتلناه ترتيلا وتثبيت الفواد بعد اضطرابه لحركة النفس بظهور
الصفات لارتباط بين القلب والنفس وعند كل اضطراب اية متضمنة
لخلق صالح سني اما تصريحا او تعريضا كما تحركت النفس الشريفة النبوية

لما كسرت رباعيته وصار الدم يسيل على الوجه ورسول الله صلى الله عليه وسلم
يمسحه ويقول كيف يفلح قوم خضبوا وجه نبيهم وهو يدعوهم الى ربهم عز وجل
فانزل الله سبحانه ليس لك من الامر شيء فاكتسب القلب لباس الاصطبار النبوي
وفاء بعد الاضطراب الى القرار فلما توزعت الايات على ظهور الصفات
في مختلف الاوقات صفت الاخلاق النبوية بالقران ليكون خلقه القران
ويكون في ابقا تلك الصفات في نفس رسول الله صلى الله عليه وسلم معنى من قوله
صلى الله عليه وسلم انما انسى لاسن فتظهر صفات نفسه الشريفة
استنزل الايات لتاديب نفوس الامة وتهذيبها رحمة في حقهم حتى تتزكى
نفوسهم وتشرف اخلاقهم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الاخلاق مخزونة
عند الله عز وجل فاذا اراد الله سبحانه بعبد خيرا منحه منها خلقا وقال عليه السلام
انما بعثت لاتمم مكارم الاخلاق ثم قال ولا يبعد والله اعلم ان قول عائشة
رضوان الله عنها كان خلقه القران فيه رمز غامض وايما خفي الى الاخلاق
الربانية فاحتشمت الحضرة الالهية ان تقول كان متخلقا باخلاق الله عز وجل
فعبرت عن المعنى بقولها كان خلقه القران استحياء من سبحات الجلال وسترا
للحال بلطيف المقال وهذا من وفور علمها وكمال ادبها انتهى وفي النهاية الاثيرية
وفي حديث عائشة كان خلقه القران اي كان متمسكا بادابه واوامره ونواهيه
وما يشتمل عليه من المكارم والمحاسن والالطاف وقال عليه الصلاة
والسلام بعثت لاتمم مكارم الاخلاق يحتمل ان يكون معناه ان الله عز
وجل بعثني لاعلم الناس مكارم الاخلاق بتمامها لا يبقى منها خلق الا وابينه

لامتي ومكارم الاخلاق هي التي اشار اليها النبي صلى الله عليه وسلم بقوله ان لله
عز وجل مائة وسبعة عشر خلقا من اتاه بواحد منها دخل الجنة فتعديدها
وتحديدها لا يكون الا بوحي سماوي لنبي ومرسل والله عز وجل ابرز الى الخلق
اسما منبئة عن صفاته سبحانه وما اظهرها لهم الا ليدعوهم اليها ولولا ان الله
عز وجل اودع في القوى البشرية التخلق بهذه الاخلاق ما ابرزها لهم دعوة
لهم اليها والله يختص برحمته من يشاء وذلك ان غيره من الانبياء انما دعى الى
بعض هذه الاخلاق والداعي اليها كلها هو ذو المحيط التامة والدعوة العامة
صلى الله عليه وسلم ويحتمل ان يكون معناه ان الله عز وجل بعثني الى قوم اتصفوا
بحسن بعض الاخلاق وانا بعثت لاتمم فيهم الاخلاق الحسنة زيادة على
على ما عندهم من حسن الاخلاق ومكارمها فان قلت نبينا صلى الله عليه وسلم
بعث الى قوم منهم كفرة مشركون يعبدون الاصنام ومنهم مجوس يعبدون
النار ومنهم نصارى يثبتون لله سبحانه الولد ومنهم غير ذلك وما ذكرتم
يقتضي ان لهم اخلاقا حسنة لكنها كانت فيهم غير متممة فاتى نبينا
صلى الله عليه وسلم ليتممها قلت نعم هو كذلك كان العرب لهم مكارم وان كانوا
كفارا واكثر العرب مكارم مضر واكثر مضر مكارم قريش واكثر قريش مكارم
بنو هاشم واكثر بني هاشم مكارم نبينا صلى الله عليه وسلم بدليل الحديث
السابق الذي يقول فيه ثم اختار بني ادم فاختار العرب ثم اختار العرب
فاختار مضر ثم اختار مضر فاختار قريشا ثم اختار قريشا فاختار
بني هاشم ثم اختار بني هاشم فاختارني وهل اختيار العرب من بني ادم

الا لكونهم فضلوهم بجميل الاخلاق وحسن الافعال وهلم جرا وعن جعفر بن محمد
الباقر عن ابيه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اتاني جبريل فقال يا محمد ان
الله عز وجل بعثني فطفت شرق الارض وغربها وسهلها وجبلها فلم اجد خيرا
من العرب ثم امرني فطفت في العرب فلم اجد خيرا من مضر ثم امرني فطفت في
مضر فلم اجد خيرا من كنانة ثم امرني فطفت في كنانة فلم اجد خيرا من قريش ثم
امرني فطفت في قريش فلم اجد حيا خيرا من بني هاشم ثم امرني ان اختار من
انفسهم فلم اجد فيهم نفسا خيرا من نفسك وانما ذكر النفس لان الاخلاق هي
في النفس حسنها وسيئها فهذا يدل على انه انما طاف في هذا الخلق لطلب النفوس
الطاهرة الصافية الزاكية بمحاسن الاخلاق فمن اجل ذلك اختارهم غير ناظر
الى اعمالهم فانهم كانوا اهل جاهلية وانما نظر الى اخلاقهم فوجد الخير في هولاء
وجواهر النفوس متفاوتة بعهدة التفاوت فنفوس العرب بارزة
اخلاقها لا ينكرها الا معاند ولا يجحدها الا مارد انها اخلاق الكرام فبهذا
فضلوا فالله عز وجل وهب لهم اخلاق الكرام حتى تكرمت نفوسهم على الله
عز وجل وعند مجي الرسول صلى الله عليه وسلم اليهم كانت تلك الاخلاق ظاهرة فيهم
فلما جا الرسول صلى الله عليه وسلم وجدهم مهذبين كراما فصاروا صديقين
ابرارا انقيا وحكما علما بالله عز وجل باذلين مهجهم واموالهم لله سبحانه ش
السيوف على عواتقهم والحجر على بطونهم من الجوع ينصرون الله عز وجل ورسوله
صلى الله عليه وسلم فبهذا الاعتبار كان صلى الله عليه وسلم متمما مكارم الاخلاق فليس
قول النبي صلى الله عليه وسلم بعثت لاتمم مكارم الاخلاق من قبيل قولهم ضيق فم

الركية

الركية وهو ضيق من قبل اذ ليس المراد تتميم مكارم اخلاقه وانما المراد اخلاق
الذين بعث اليهم فانه كانت فيهم على كفرهم وشركهم اخلاق كريمة كما بينا لكنها
ناقصة في سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم متمما لها زاده الله رفعة وشرفا
هذا وان هذا الحديث رواه احمد بن حنبل عن معاذ بن جبل رضي الله عنه ورواه
البزار عن ابي هريرة رضي الله عنه وقال انس كان رسول الله صلى الله عليه وسلم
احسن الناس خلقا وذلك لكونه اجتمع فيه من خصال الكمال ما لا يحيط به حد
ولا يحصره عد ولهذا اثنى الله سبحانه عليه في كتابه الكريم فقال وانك لعلى خلق
عظيم وكلمة على للاستعلاء اي انك مع كونك متصفا باحسن الاخلاق مستول
عليها لانها ملكة لك لا انك مكتسبها من غير ان تكون غريزة لك قال الحليمي
وانما وصف خلق النبي صلى الله عليه وسلم بانه عظيم ولم يصفه بانه حسن او كريم
مع ان الغالب وصف الخلق بذلك لان حسن الخلق وكرمه يراد بهما الدماثة
والسماحة ولم يكن خلقه صلى الله عليه وسلم مقصورا على ذلك بل كان رحيما
بالمومنين رفيقا بهم شديدا على الكفار غليظا عليهم مهيبا في صدورهم
منصورا بالرعب منهم على مسيرة شهر فكان وصف خلقه بالعظيم اولى
ليشمل الانعام والانتقام هذا وان هذا الحديث رواه الشيخان في صحيحيهما
وعن علي بن ابي طالب مثله اي مثل حديث انس روى حديث علي ابو عبيد
في الغريب وكان اي النبي صلى الله عليه وسلم فيما ذكره المحققون مجبولا اي مطبوعا
عليها اي على مكارم الاخلاق في اصل خلقته واول فطرته لم تحصل له باكتساب
ولا رياضة الا بجود الاهي وخصوصية ربانية وكذلك لسائر الانبيا اي لباقيهم

لان الانبيا يجب ان يكونوا اكمل الناس وحسن الخلق هو سلاسة النفس نحو الطريق
الارضى اي سهولتها وانقيادها اليه والانبيا طبعوا على حب الله عز وجل وتعظيمه
وكانت نفوسهم سلسة نحو الطريق الارضى الاحمد من الفعال ثم ان هذا
الاحمد الارضى قد يكون في ذات الله عز وجل بان يكون العبد منشرح الصدر باوامر
الله عز وجل ونواهيه يفعل ما فرض الله عز وجل طيب النفس سلسا وينتهي
عما حرم الله عز وجل واسعا به غير متضجر منه ويرغب في نوافل الخير ويترك كثيرا
من المباح لوجه الله عز وجل اذا راى ان تركه الى العبودية اقرب من فعله
متيسرا لذلك غير ضجر منه ولا متعسر وهو في المعاملات بين الناس ان
يكون سمحا بحقوقه لا يطالب غيره بها ويوفي ما يجب عليه لغيره منها فان مرض
فلم يعد او قدم من سفر فلم يزر او سلم فلم يرد عليه او ضاف فلم يكرم او تشفع
فلم يجب او احسن فلم يشكر او دخل على قوم فلم يمكن له او تكلم فلم ينصت
لكلامه او استاذن على صديق فلم يوذن له او خطب فلم يزوج او استمهل
الدين فلم يمهل او استنقص منه فلم ينقص وما اشبه ذلك فلم يغضب
ولم يعاتب ولم يتنكر من حاله حال ولم يستشعر من نفسه انه قد جفي
او اوحش وانه يقابل كل ذلك اذا وجد السبيل اليه بمثله بل يضمر انه لا
يعتد بشي من ذلك ويقابل كلا منه بما هو احسن وافضل واقرب الى
البر والتقوى واشبه بما يحمد ويرضى ثم يكون في ايفا ما يكون عليه كهو في
حفظ ما يكون له فاذا مرض اخوه المسلم عاده وان جاءه في شفاعة شفعه
وان استمهله في قضا دين امهله وان احتاج منه الى معونة اعانه وان استسمحه

في بيع سمح له

في بيع سمح له ولا ينظر الى الذي يعامله كيف كانت معاملته اياه فيما خلا
او كيف يقابل الناس فان قلت قول المصنف فيما ذكره المحققون مشعر بان
كون النبي صلى الله عليه وسلم مجبولا على مكارم فيه خلاف والمحققون على انه وسائر
النبيين مجبولون عليها وغير المحققين على انه ليس مجبولا عليها وقد رأينا
حجة الاسلام ابا حامد الغزالي قاطعا بانه مجبول عليها غير ناقل خلافا ولا
حاكي شبهة فكيف شبهة من زعم انه غير مجبول هو وغيره من النبيين
عليهم جميع الصلاة والسلام قلت كفى في نقل الخلاف كلام المصنف فانه
كثير الاطلاع فلعله راى مخالفا اشار الى مرجوحية زعمه بقوله فيما ذكره
المحققون واما شبهة من زعم ان النبي صلى الله عليه وسلم وسائر النبيين
غير مجبولين عليها ان يقال ان الاخلاق فيها ما لو اتصف بخلافه النبي
لنافى ذلك العصمة وفيها ما لو اتصف بمخالفته لم ينافِ العصمة اما
القسم الاول فيجب ان يكون كل نبي منهم مجبولا على ان يتصف به اذ لو
عدم فيه ذلك الوصف لكان منافيا للعصمة والقسم الثاني يجوز ان
لا يوجد في النبي الاتصاف به كان تكون مخالفة ذلك الخلق خلاف الاولى
فهذا يجوز ان لا يجبل عليه لكنه يكتسبه من مزاولة الملائكة والملا الاعلى
وكثرة الوحي وتلاوة القران ومن التوجه الى نيل اعلى الدرجات والحق انه مجبول
مطبوع على جميع مكارم الاخلاق واجبها ومندوبها هذا تفصيل شان الانبيا
عليهم الصلاة والسلام واما شان غيرهم من الناس فقد اختلف العلما في
اخلاقهم فقيل ان جميعها جبلي غريزي وقيل انها كسبية والحق ان فيها ما

هو جبلي وما هو كسبي ويدل على ذلك حديث المنذر بن عائذ الملقب باشج عبد القيس
فانه وفد على النبي صلى الله عليه وسلم مع قومه فقال له النبي صلى الله عليه وسلم يا اشج
ان فيك لخصلتين يحبهما الله عز وجل ورسوله الحلم والاناة ويروى الحلم
والحيا فقال يا رسول الله اشي من قبل نفسي او شي جبلني الله عز وجل عليه
فقال بل شي جبلك الله عز وجل عليه فقال الحمد لله الذي جبلني على خلقين
يرضاهما الله عز وجل ورسوله صلى الله عليه وسلم فدل سواله على ان من
الاخلاق ما هو جبلي وما هو كسبي ومن زعم ان الاخلاق لا تكون الا جبلية وانها
لا تتغير بالرياضة لان حسن الخلق انما يقمع الغضب والشهوة وقد
جربا بطول المجاهدة انهما لا يتغيران وان ذلك في العبد بمقتضى المزاج والطبع
وانه لا ينقلع على الانسان اصلا وهذا القول مردود لان الحق ان الانسان
اذا اراد قمع الغضب والشهوة وقهرهما بالكلية حتى لا يبقى لهما اثر لم يقدر عليه
اصلا ولو اردنا اسلاسهما وقهرهما بالرياضة قدرنا عليه ونحن مامورون بهذا
القدر من قمع الغضب والشهوة فان ذلك سبب نجاتنا يوم القيمة ووصولنا
الى الله عز وجل نعم الجبلات مختلفة فبعضها سريعة القبول وبعضها بطية
القبول وقد خلق الله عز وجل الانسان قابلا لكل كمال يليق به ومن طالع سيرهم
منذ صباهم الى بعثهم حقق ذلك كما عرف من حال عيسى وموسى ويحيى وسليمان
وغيرهم عليهم السلام بل غرزت فيهم هذه الاخلاق في الجبلة اي كانت فيهم بمقتضى
الغريزة وفي الصحاح الغريزة الطبيعة والقريحة واودعوا العلم والحكمة في
الفطرة. وفي الصحاح الفطرة بالكسر الخلقة وقد فطره يفطره بالضم فطرا اي خلقه

قال

قال الله تعالى وآتيناه الحكم صبيا اصل الحكم المنع يقال احكمت الرجل عن كذا اي
منعته عنه وسميت الكلمة الواعظة حكمة لانها تمنع عن التورط في الجهل وسمي
الحكم الصادر من الحاكم حكما لانه اذا تم منع عن التخاصم ويسمى العلم حكما لانه
يمنع صاحبه من الموارد القبيحة التي يردها الجاهل والحكم الذي اعطاه الله
عز وجل ليحيى عليه السلام الفهم والعلم قال تعالى ولقد آتينا لقمن الحكمة وآتيناه
الحكم صبيا يعني الحكمة اي الفهم والعلم والحكم والحكمة مترادفان وهو مثل العذر
والعذرة والقل والقلة والنحل والنحلة وهي العطية والخبر والخبرة ومثله
الذين آتيناهم الكتاب والحكم والنبوة يعني الفهم ويجوز ان يراد بالحكم هنا
النبوة بمعنى ان الله اظهر آثار نبوته للناس وهو صبي كما فسرت به الحكمة
في قوله عز وجل وآتينا آل ابرهيم الكتاب والحكمة اي النبوة وجاء في تفسير
قوله عز وجل ادع الى سبيل ربك بالحكمة اي بالنبوة وقوله عز وجل فوهب لي
ربي حكما اي حكمة ونبوة ويجوز ان يراد بالحكم الذي اوتيه يحيى الكلام النافع
على حد قوله صلى الله عليه وسلم ان من الشعر لحكما اي كلاما نافعا سمي حكما لانه
يمنع من الجهل والسفه وينهى عنهما وقال مالك بن دينار الحكم اللب واخرج
ابو نعيم عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله وآتيناه الحكم صبيا قال
اعطي الفهم والعبادة وهو ابن سبع سنين وقيل ابن ثلاث سنين واخرج
ابن مردويه والبيهقي في شعب الايمان عن ابن عباس رضي الله عنهما قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا القرآن قبل ان يحتلم فهو ممن اوتي الحكم
صبيا واخرجه ابن ابي حاتم عن ابن عباس موقوفا قال المفسرون اعطي يحيى

العلم بكتاب الله عز وجل صباه المراد بالكتاب التوراة بلا خلاف وقال معمر
لم يبين المصنف من معمر هذا لكن اخرج احمد في الزهد عن معمر بن راشد في
قوله تعالى واتيناه الحكم قال بلغني ان الصبيان قالوا ليحيى بن زكريا اذهب
بنا نلعب قال ما للعب خلقت فهو قوله تعالى واتيناه الحكم صبيا فاذن
المراد بمعمر هو معمر بن راشد وهو ابو عروة الازدي مولاهم عالم اليمن
يروي عن الزهري وهمام وخلق ويروي عنه غندر وابن المبارك قال معمر
طلبت العلم سنة مات الحسن ولي اربع عشرة سنة توفي في رمضان سنة ثلاث
وخمسين ومائة باليمن اخرج له الائمة الستة وهو ثقة كان ابن سنتين
او ثلاث فقال له الصبيان لم لا تلعب فقال اللعب خلقت استفهام
انكاري ابطالي اي لم تخلق للعب لانه مما يعد عبثا وقع لان الله عز وجل يقول
وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون فانتفى كل علة للخلق ما عدا ان يعبد
الله عز وجل وحده لا شريك له فهو بمعنى النفي وقد صرح بالنفي في رواية
اخرجها عبد الرزاق وعبد بن حميد من طريق معمر بن راشد عن قتادة قال
جاء الغلمان الى يحيى بن زكريا فقالوا اخرج بنا نلعب فقال ما للعب خلقت
فانزل الله عز وجل واتيناه الحكم صبيا فهذه الرواية والرواية الواردة
بالاستفهام مترادفتان وقد اخرجه الضحاك عن ابن عباس رضي الله عنهما
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الغلمان ليحيى بن زكريا اذهب بنا
نلعب فقال يحيى عليه الصلاة والسلام اللعب خلقنا اذهبوا نصلي فهو قول الله
عز وجل واتيناه الحكم صبيا فان قلت لم نقف في رواية لمعمر انه سنه كان

اذ ذاك

اذ ذاك ثلاث سنين او سنتين وانما ذكر من رواياته مجرد كونه صبيا فما ذكره
المصنف عنه غريب قلت لا غرابة في ما روي عن معمر فان ذلك نقل عن قتادة
ومقاتل قالا ان هذه المقالة وقعت من يحيى عليه السلام وهو ابن سنتين
او ثلاث واخرج عبد الله بن احمد في رواية الزهد عن قتادة في قوله تعالى
واتيناه الحكم صبيا قال وهو ابن ثلاث سنين والغريب ما وقع التفرد به وما
ذكر في رواية والمصنف لم يتفرد به وقيل في قوله عز وجل مصدقا اي يحيى
ابن زكريا بكلمة من الله صدق يحيى بعيسى وعيسى عليه السلام هو المراد من
كلمة من الله قيل المعنى يرجع الى الخلق اي خلقه في رحم مريم من غير ذكر وقيل
لان الناس ينتفعون به كما ينتفعون بكلام الله عز وجل وقال ابو عبيد
معنى بكلمة من الله بكتاب من الله قالوا والعرب تقول انشدني كلمة اي قصيدة
وما ذكره المصنف هو اشهر الاقوال وهو اي يحيى ابن ثلاث سنين فشهد
له انه كلمة الله وروح سماه روحا لان الناس ينتفعون به كانتفاعهم بالروح
وقيل لانه خلقه من غير بشر وهذا الذي اوقع النصارى في الاضلال فقالوا
عيسى عليه السلام جزء منه فجهلوا وضلوا وعنه اجوبة ثمانية فقيل قال
ابي بن كعب خلق الله عز وجل ارواح بني ادم لما اخذ عليهم الميثاق ثم
ردها الى صلب ادم عليه السلام وامسك عنده روح عيسى عليه السلام فلما
اراد خلقه ارسل ذلك الروح الى مريم فكان منه عيسى عليه السلام فلهذا
قال وروح منه وقيل هذه الاضافة للتفضيل وان كان جميع الارواح
من خلقه وهذا كقوله عز وجل وطهر بيتي وقيل قد يسمى من يظهر

الاشيا الغريبة العجيبة روحا ويضاف الى الله عز وجل فيقال هذا روح
الله اي خلقه وكان عيسى عليه السلام يبرئ الاكمه والابرص ويحيي الموتى
فاستحق هذا الاسم وقيل من روح الله عز وجل اي من فضله وكرمه كما تقال
في النعمة انها من روح الله اي من جوده وكرمه وكان عيسى عليه السلام
فضلا من الله عز وجل تفضل به على الناس كما تفضل على هذه الامة بمحمد صلى
الله عليه وسلم قال تعالى لقد من الله على المومنين الاية وقيل سمي روحا
بسبب نفخة جبريل عليه السلام ويسمى النفخ روحا لانه ريح يخرج من
الروح وقد روي ان جبريل عليه السلام نفخ في درع مريم فحملت من تلك النفخة
باذن الله عز وجل وقيل روح منه اي خلقه وقيل الروح الرحمة وقرئ
فروح وريحان بضم الراء روح وقيل وروح منه اي برهان وكان عيسى
حجة وبرهانا على قومه وفي صحيح البخاري بسنده الى عبادة عن النبي صلى الله
عليه وسلم قال من شهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له وان محمدا
عبده ورسوله وان عيسى عبد الله ورسوله وكلمته القاها الى مريم
وروح منه والجنة حق والنار حق ادخله الله عز وجل الجنة على ما كان من
العمل وزاد من ابواب الجنة الثمانية ايها شا وفي رواية لابن المديني
وابن امته ومقصود هذا الحديث التنبيه على ما وقع للنصارى من
الضلالة في عيسى وامه ويستفاد منه ما يلقن النصراني اذا اسلم قال
النووي هذا حديث عظيم الموقع وهو من اجمع الاحاديث المشتملة على
العقائد فانه جمع فيه ما يخرج عنه جميع ملل الكفر على اختلاف عقائدهم

وبناءهم

وبناءهم وفيه تعريض بالنصارى وايذان بان ايمانهم مع قولهم بالتثليث
شرك محض وكذا قوله عبده وفي قوله رسوله تعريض باليهود في انكارهم رسالته
وقذفه بما هو منزه عنه عليه الصلاة والسلام وكذا امه في رواية وابن امته
وانما اضافها اليه تشريفا لها وقد جاء في رواية ادخله الله من اي ابواب الجنة
الثمانية شا وقيل صدقه وهو في بطن امه فكانت ام يحيى تقول لمريم اني اجد
ما في بطني يسجد لما في بطنك تحية له هذا حديث اخرجه احمد في الزهد
وابن جرير عن مجاهد قال قالت امراة زكريا لمريم اني اجد الذي في بطني
يتحرك للذي في بطنك فوضعت امراة زكريا يحيى ومريم عيسى وذلك
قوله عز وجل مصدقا بكلمة من الله قال يحيى مصدقا بعيسى عليهما السلام
واخرج ابن جرير من طريق ابن جريج عن ابن عباس مصدقا بكلمة من الله
قال كان عيسى ويحيى ابني خالة وكانت ام يحيى تقول لمريم اني اجد
الذي في بطني يسجد للذي في بطنك فذلك تصديقه بعيسى سجوده في
بطن امه وهو اول من صدق بعيسى ويحيى اكبر من عيسى واخرج
ابن جرير عن السدي قال لقيت ام يحيى ام عيسى وهذه حامل بيحيى وهذه
حامل بعيسى فقالت امراة زكريا اني وجدت ما في بطني يسجد لما في بطنك
فذلك قوله مصدقا بكلمة من الله فهذا الحديث تعددت طرقه فهو صحيح لم يرفعه
احد الى النبي صلى الله عليه وسلم لكن مثل هذا لا يقال من قبل الراي وليس للاجتهاد
فيه مجال ولا يخبر بذلك الا بوحي فمثل هولا الجماعة لا يروون ذلك الا عن النبي
صلى الله عليه وسلم اما بواسطة او بدونها فان قلت هذا يقتضي ان حمل ام عيسى

طالت ايامه مع ان ابن عباس رضي الله عنهما قال انها ولدته في ساعة حمله وهذا
الذي يتبادر من الاية قلت هب انها ولدته ساعة حملت به فيجوز ان يكون
وقع ذلك من يحيى عليه السلام وقد نص الله عز وجل على كلام عيسى عليه السلام لامه
عندولادتها اياه بقوله لها الا تحزني على قراءة من تحتها وعلى قول من من قرأة
قال ان المنادى عيسى عليه السلام فان الله عز وجل قال فناداها من تحتها
وقد قرا نافع وحفص وحمزة والكسائي وابو جعفر وروح وخلف بكسر ميم
من وجر تحتها على انها جار ومجرور متعلق بناداها وفاعل ناداها ضمير مستتر
قيل يرجع الى جبريل قالوا ومعنى كونه من تحتها انه كان تحت الاكمة ويدل عليه
قراءة من قرا فناداها ملك من تحتها فصرح بان المنادى ملك ويحتمل ان يكون
الضمير لعيسى اي فناداها المولود من تحت ذيلها وقرا الباقون بفتح الميم ونصب
تحتها فتكون من موصولة والظرف صلة والمراد بالموصول اما جبريل واما عيسى
عليهما السلام قال ابن عباس المراد به جبريل ولم يتكلم عيسى عليه السلام حتى
اتت به قومها ففي هذا اية لها وامارة ان هذا من الامور الخارقة للعادة
التي لله عز وجل فيها مراد عظيم وقد اعترض على المصنف في قوله على قراءة
من قرا من تحتها فانه يقتضي انه لا يقول بان المنادى لها عيسى عليه السلام الا
على من قرا بهذه القراءة وليس كذلك فان الاختلاف فيه هل هو عيسى عليه السلام
او بعض الملائكة موجود بين اصحاب القراءتين واقول المصنف قد عنون
الكلام بان الله نص على كلام عيسى لامه عند ولادتها اياه بقوله لا تحزني الخ
فيحتاج الى ان يكون قوله نصا في انه كلام عيسى عليه السلام والنص يطلق على ما لا
يحتمل

يحتمل غيره كزيد في قولك جاء زيد ويطلق على ما يحتمل غيره احتمالا مرجوحا وهذا
هو مراد المصنف هنا فانه على تقدير قراءة من الجارة الظاهر ان المنادى
جبريل ليوافق مرجع الضمائر السابقة فان الله عز وجل قال فارسلنا اليها
روحنا وهو جبريل وضمير فتمثل عائد اليه وضمير قال عائد اليه وضمير قال
الثاني عائد اليه فينبغي ان يكون ضمير ناداها عائدا اليه فان قلت سبق ذكر
الغلام فلم لم يعد اليه قلت لكن تاخر عنه ضمير قال العائد الى الملك وليكون
المراجعة على نمط واحد فان الله عز وجل اخبر عنها انها قالت يا ليتني مت
قبل هذا وكنت نسيا منسيا فينبغي ان يكون ضمير ناداها عائدا الى جبريل
فيكون على نمط ما سبق من انها هي تقول وجبريل يقول لان ناداها فيه معنى
القول وان لم تكن فيه حروف القول ولهذا حكمنا بان ان بعده مفسرة على
انه ان قرى بمن الجارة افادت الندا اتاها من جهة التحت وعلى قراءة الموصول
يكون المنادى تحت ويبعد ان يحكم على جبريل بانه تحت وان كان نداء اياها
من تحت فان للملك قوة يقتدر بها على ان ينادي من تحت ويكون هو فوق
فان مركز الملك علوي على انه قد وقع في نصوص جماعة من المفسرين ان المنادى
جبريل فقد قال عكرمة الذي ناداها جبريل واخرج ابن ابي حاتم عن عبيد بن
جبير في قوله فناداها من تحتها قال جبريل من اسفل الوادي وقد نقل الجلال
السيوطي عن الحسن قال من قرا من تحتها فهو جبريل ومن قرا من تحتها فهو عيسى
قال ابو بكر بن عياش من قرا من تحتها بفتح من فهو عيسى ومن قرا بكسرها فهو
جبريل وقوله تحتك سريا اي نبيا وهو عيسى فيريد عيسى بالسري نفسه

وقيل سريا نهرا وقيل السري النهر الصغير قال الشاعر سلم ترى الدالي منه ازورا
اذا يعج في السري هرهرا ه وقال الشاعر سهل الخليقة ماجد ذو نائل
مثل السري تمده الانهار ه فان قلت اذا كان المراد بمن تحتها عيسى عليه
السلام فما معنى كونه تحت مريم قلت معناه انه قال ذلك في حالة وضعه
ولم يرفع من تحت امه والولد حالة وضعه يكون تحت امه والله عز وجل
انطقه بذلك ليطمئن قلب امه ويذهب عنها الحزن الناشئ من مقالة الناس
وانه هو الذي يبرئ عرضها ويحسم وقيعة المنافقين فيها ولهذا احالت
عليه اذا اشارت اليه حتى براها بالنطق ليستغرب ان الله عز وجل خلقه اية من
اياته عليه من الله افضل الصلاة والسلام ونص على كلامه في مهده
في الصحيحين وغيرهما عن ابي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم
قال لم يتكلم في المهد الا ثلاثة عيسى بن مريم وصاحب جريج ثم نقل قصة
والغلام الذي كانت ترضعه امه فمر عليه ذو شارة الحديث قال
القرطبي في هذا الحصر نظر الا ان يحمل على انه صلى الله عليه وسلم قال ذلك قبل ان
يعلم الزيادة على ذلك وفيه بعد ويحتمل ان يكون كلام الثلاثة المذكورين بقيد
المهد وكلام غيرهم من الاطفال بغير مهد لكن يعكر عليه ان في رواية ابن قتيبة
ان الصبي الذي طرحته امه في الاخدود كان ابن سبعة اشهر وصرح بالمهد
في حديث ابي هريرة وفيه تعقيب على النووي في قوله ان صاحب الاخدود
لم يكن في المهد وانا اقول ظهر لي ان الحصر صحيح وثبوت كلام غيرهم
لا ينافيه لان مراده بكونه في المهد اما بالقوة واما بالفعل فمراده بقوله

فقال اني عبد الله اتاني الكتاب وجعلني نبيا م
متن اغفله الشارح

بحث الذين تكلموا في المهد ه

لم يتكلم

لم يتكلم في المهد الا ثلاثة انهم لم يتكلموا بقيد كونهم في المهد بالفعل بان يكونوا
حال كلامهم مربوطين في المهد وغيرهم تكلم وهو صغير قبل ان الكلام بحيث
يصلح له ان يكون في المهد وعلى تقدير انه ضم الى ذلك الزائد فيلا كونه في المهد
يريد بذلك انه فيه بالقوة والصلاحية لا انه فيه بالفعل ووقع في حديث
ابن عباس رضي الله عنهما فيما رواه احمد والبزار والحاكم ان النبي صلى الله عليه وسلم
قال لم يتكلم في المهد الا اربعة فلم يذكر الثالث الذي في رواية الشيخين وهو
الذي راى الجبار والجارية المظلومة وذكر شاهد يوسف والصبي الرضيع
الذي قال لامه وهي ماشطة بنت فرعون لما اراد فرعون القاءها في
النار اصبري يا امه فانا على الحق فيجتمع من هذا خمسة ووقع ذكر شاهد
يوسف ايضا في حديث عمران بن حصين لكنه موقوف وفي صحيح مسلم
من حديث صهيب في قصة اصحاب الاخدود ان امراة جي ٧.
لتلقى في النار لتكفر بالله عز وجل ومعها صبي يرضع فتقاعست
فقال يا امه اصبري فانك على الحق وزعم الضحاك ان يحيى تكلم في المهد
اخرجه الثعلبي فان ثبت صاروا سبعة وذكر البغوي في تفسيره
ان ابرهيم الخليل عليه الصلاة والسلام تكلم في المهد فصاروا ثمانية وفي
سير الواقدي ان نبينا صلى الله عليه وسلم تكلم اوائل ما ولد وقد تكلم اول ما
ولد مبارك اليمامة نطق لنبينا صلى الله عليه وسلم بالنبوة والرسالة وقصته
سيذكرها المصنف وهي في دلائل النبوة للبيهقي من حديث معرض
بالضاد المعجمة فهذه عشرة تكلموا في المهد وقد نظمتهم بقولي

• اذا رمت سرد الناطقين بمهدهم • فخذهم رسول الله احمد ذو المجد •
• خليل ويحيى ثم عيسى وطفل من • دعت لابنها فوزا لدى بشارة فرد •
• فقال الا اجعلني مثله • ورد عليها قولها افصح الرد •
• وذاك الذي لما تقاعست امه • فقال لها اصبرا على البوس والجهد •
• وذاك الذي قد قال ان جريجنا • بري فلا ترموه بعد بما يردي •
• ومنهم نجيب كان يدعى مباركا • وقال رسول الله قد جا بالرشد •
• وما شطة كانت لفرعون تنتمي • وكان لها طفل تكلم في المهد •
• شهيد بني اهم يوسف منهم • فدونك جمعا لا يزيدون في العد •

وكلام عيسى عليه السلام قصته لما ان مريم اطمانت بحارات وعلمت ان سيبين عذرها وبراتها اتت بعيسى عليه السلام تحمله من المكان القصي الذي كانت انتبذت فيه قال ابن عباس خرجت من عندهم حين تشرق الشمس وجاتهم عند الظهر ومعها صبي تحمله فكان الحمل والولادة في ثلاث ساعات من النهار فلما راوها مع الصبي حزنوا وكانوا اهل بيت صالحين فقالوا منكرين لقد جئت شيا فريا اي جئت بامر عظيم كالشي الذي يفترى قيل ان بني اسرائل تسامعوا فاجتمع نساوهم ورجالهم فمدت امراة يدها لتضربها فاجف الله عز وجل شطرها وقال اخر ما اراها الا زنت فاخرسه الله عز وجل فتحاماها الناس من ان يضربوها او يشتموها وجعلوا يلينون لها القال فقالوا يا مريم لقد جئت شيا فريا الى اخر ما قالوا كما قصه الله عز وجل في كتابه العزيز فلما سمع عيسى عليه السلام

كلامهم

الذي

كلامهم ترك الرضاع واقبل عليهم واتكا على يساره واشار اليهم بسبابته اليمنى وقال اني عبد الله فكان اول ما نطق به الاعتراف بعبودية الله عز وجل وربوبيته سبحانه ردا على من غلا من بعد في شانه ثم ان في ذكر قصة كلام عيسى ويحيى في هذا الموضع نظرا لان كلامهما ليس من قبيل حسن الاخلاق الذي نحن في صدده وانما هو امر خارق للعادة فكلام يحيى شهادة لعيسى عليه السلام ببراته مما عزي اليه والى امه وكلام عيسى من هذا القبيل لتبرئة امه قال القرطبي في تفسيره وروي ان عيسى عليه السلام انما تكلم في طفوليته بهذه الاية ثم عاد الى حالة الاطفال حتى مشى على عادة البشر الى ان بلغ مبلغ الصبيان فكان نطقه اظهار براءة امه لا انه ممن يعقل في تلك الحالة وهو كما تنطق الجوارح يوم القيمة ولم ينقل انه دام نطقه ولا انه كان يصلي وهو ابن يوم او شهر ولو كان يدوم نطقه وتسبيحه ووعظه في صغره من وقت الولادة لكان مثله مما لا ينكتم انتهى فعلى هذا يكون كلام هذين الطفلين من قبيل نطق الشجرة لنبينا صلى الله عليه وسلم ونطق الجذع لكن يمكن الجواب عن ذلك ان مقصود المصنف بذلك الاشعار بان الانبيا طبعوا على صفة الكمال وان روحهم غالبة على بشريتهم وقول القرطبي لا انه ممن يعقل مردود واي مانع يمنع من ان يكون عيسى كمل الله عز وجل عقله وهو في هذا السن كما كمل عقل نبينا صلى الله عليه وسلم وهو طفل صغير وكان في المهد يناغي القمر وقال انه كنت اكلمه ويكلمني وتزوله من بطن امه وهو على هيئة الساجد وغير ذلك من

الكلام

رد على القرطبي

بلغ مقابلة على نسخة المولف

الخوارق التي حكيت عنه حال ولادته صلى الله عليه وسلم ثم انه يمكن ان يكون بعد
ذلك سكت ولم يتكلم حتى بلغ اوان الكلام ويمكن ان يكون دام كلامه وبالجملة
فنحن نوافق المصنف على ان مثل ذلك الكلام انما كان صادرا من ذي عقل كامل وجبلة
طيبة وعنصر طاهر وقال الله عز وجل ففهمناها سليمان وكلا اتينا
حكما وعلما الضمير المنصوب في فهمناها عائد الى القضية والحكومة التي
سبق ما يدل عليها وذلك انه تخاصم الى داود عليه السلام رجل كان له حرث
فدخلت غنم رجل اخر ليلا فافسدته فحكم داود عليه السلام ان يدفع الغنم
الى صاحب الحرث ويدفع الحرث الى صاحب الغنم يقوم عليه الى ان
يعود الى ما كان عليه وكان سليمان عليه السلام يجلس على الباب الذي يخرج
منه الخصوم وكانوا يدخلون على داود من باب اخر فقال للخصوم بم قضى
بينكما نبي الله عز وجل فقالا قضى بالغنم لصاحب الحرث والحرث هنا
قيل زرع وقيل كان كرما تدلت عناقيده فنفشت فيه غنم ذلك الرجل
اي رعت فيه ليلا والنفش الرعي بالليل يقال في الليل نفشت وفي
النهار هملت اذا رعت بلا راع لكن قال ابن سيده لا يقال الهمل في الغنم
وانما يقال في الابل والضمير في يحكمان عائد الى داود وسليمان عليهما السلام
وعبر بصيغة المضارع مع مضي القصة لحكاية الحال الماضية لاستحضار
صورتها والضمير في حكمهم عائد الى الحاكمين والمتحاكمين اليهما فالاضافة
في حكمهم للاختصاص الجامع لاختصاص القيام واختصاص الوقوع
فان الحكم قائم بداود وسليمان عليهما السلام ووقع على المتحاكمين فجمع

بينهم

بينهم بضمير لتشاركهما في جنس الاختصاص وان تخالفا في نوعه
وقرئ وكنا لحكمهما فان قلت قوله عز وجل وكنا لحكمهم شاهدين ما
فائدته مع انه عز وجل شاهد كل ما يصير قلت هذا اعتراض وقع بين
المعطوف وهو قوله ففهمناها سليمان والمعطوف عليه وهو قوله يحكمان
فان يحكمان وان كان مضارعا لفظا ماض معنى وعلى التقدير يكون جملة
هذا و
ففهمناها في محل جر لانها معطوفة على جملة كذلك للاضافة اذ اليها فلما بلغ
سليمان حكم ابيه عليهما السلام قال لعل الحكم غير هذا انصرفا معي فاتى اباه
فقال يا نبي الله انك حكمت بكذا وكذا واني رايت ما هو اوفق بالجميع
قال وما هو قال ينبغي ان تدفع الغنم الى صاحب الزرع فينتفع بالبانها
وسمونها واصوافها وتدفع الحرث الى صاحب الغنم ليقوم عليه فاذا عاد
الزرع الى حاله التي اصابته الغنم عليه من السنة المقبلة رد مال كل واحد
الى صاحبه فقال داود عليه السلام وفقت يا بني لا يقطع الله عز وجل
فهمك وقضى بما قضى به سليمان عليه السلام قيل قوم داود عليه السلام الغنم
والكرم الذي افسدته الغنم فكانت القيمتان سوا فدفع الغنم الى صاحب
الكرم واما حكم سليمان عليه السلام فقد قيل كانت قيمة ما نال من الغنم
وقيمة ما افسدته الغنم سوا ايضا وانما فضل سليمان حكم ابيه عليهما
السلام لانه احرز لان فيه ابقا كل واحد منهما على متاعه وتبقى نفسه طيبة
بذلك فان قلت كيف كان حكم داود وحكم سليمان عليهما السلام ابوحي اليهما
ام باجتهاد منهما قلت جوز صاحب الكشاف ان يكون كل منهما بوحي

مناقشة مع ابي السعود العلامة مفتي القسطنطينية

وان يكون حينئذ حكم سليمان ناسخا لحكم داود عليهما السلام وان يكون كل منهما
باجتهاد قال ابو السعود مفتي دار السلطنة والذي عندي ان
حكمهما كان بالاجتهاد فان قول سليمان عليه السلام لاظهار ما عنده بل وجب
عليه ان يظهره وحرم عليه كتمه ومن ضرورته ان يكون القضا السابق كذلك
ضرورة استحالة نقض حكم النص بالاجتهاد قال بل اقول والله اعلم ان راي
سليمان عليه السلام استحسان كما ينبي عنه قوله اوفق بالفريقين وراي
داود قياس انتهى واقول لا مانع من ان يكون كل منهما بوحي وان يكون
حكم سليمان عليه السلام ناسخا لحكم داود ويجوز ان يكون كل منهما باجتهاد
وان يكون اجتهاد سليمان ارجح من اجتهاد داود وانه هو المصيب بناء على
الراجح ان المصيب في الاجتهاد واحد ومن منع الخطا في اجتهاد الانبياء
قال ان حكم داود ليس خطا وانما هو خلاف الاولى فان قلت اما يلزم من
القول بذلك نقض الاجتهاد بالاجتهاد قلت لا نسلم ان في ذلك نقضا فان
داود عليه السلام ادى اجتهاده بعد ان حكم الى ما ادى اليه اجتهاد سليمان
عليه السلام والمتحاكمون لم يكونوا تلبسوا بالعمل بقول داود عليه السلام م ت
فهو قد رجع الى قول سليمان فاعلم الاخصام فكفوا عن مقالته الاولى
ومثل هذا لا يسمى نقضا الا اذا فعل المتحاكمون ما قاله داود عليه السلام
وتلبسوا به ثم انه عمل بقول سليمان عليه السلام فاعاد الحرث الى مالكه والغنم
الى مالكها وهذا لم يقع بعد الا ترى ان اصحابنا قالوا اذا اجتهد في جهة انها
القبلة ثم تغير اجتهاده عمل بالثاني فاذا صلى بعض الصلاة الى الجهة الاولى
فليصل

فليصل البعض الاخر الى الجهة الثانية وليس فيه نقض الاجتهاد بالاجتهاد
الا اذا امرناه باعادة ما فعل اولا والحاصل انه لا يلزم نقض الاجتهاد بالاجتهاد
الا اذا نقض المعمول الذي عمل بالاجتهاد الاول وان داود اجتهد وادى
اجتهاده الى ما ادى ثم ان سليمان اجتهد قبل وقوع المتحاكمين في الفعل الذي
حكم به داود وعرضه عليه فقبله ورجع عن اجتهاده من غير ان ينقض
اجتهاده الاول ثم ان قول ابي السعود ان راي سليمان عليه السلام
استحسان وراي داود قياس غير سديد لان الاستحسان فسر بثلاثة
تفاسير الاول انه دليل ينقدح في نفس المجتهد تقصر عنه عبارته وهذا
المعنى ان حصل لسليمان عليه السلام كان ذلك نصا لان الانبياء لا ينقدح في
اذهانهم الا الصواب وليس هو كذا في المجتهدين لان مثل ذلك يعد وحيا
الثاني انه العدول عن قياس الى قياس اقوى منه وحينئذ يكون حكم كل منهما
مطابقا للقياس الثالث انه العدول عن الدليل الى العادة لمصلحة وحينئذ
يقال ان العادات الواقعة في زمن الانبيا عليهم السلام اذا علموا بها
واقروها كانت نصوصا لانهم لا يقرون الا على حق فهي دليل نصي لان الله
عز وجل امرهم على بقائها وفي الكشاف فان قلت ما وجه كل من الحكومتين
قلت اما وجه حكومة داود فلان الضرر وقع بسبب الغنم سلمت
بجنايتها الى المجني عليه كما قال ابو حنيفة رضي الله عنه في العبد اذا جنى
على النفس يدفعه المولى بذلك او يفديه وعند الشافعي رضي الله عنه
يبيعه بذلك او يفديه ولعل قيمة الغنم كانت على قدر النقصان في الحرث

ووجه حكومة سليمان عليه السلام انه جعل الانتفاع بالغنم بازا ما فات بالانتفاع
بالحرث من غير ان يزول ملك المالك عن الغنم واوجب على صاحب الغنم ان يعمل
في الحرث حتى يزول الضرر والنقصان مثاله ما قال الشافعي رضي الله عنه
في من غصب عبدا فابق في يده انه يضمن القيمة فينتفع بها المغصوب منه
بازا ما فوته الغاصب من منافع العبد فاذا ظهر ترادا انتهى وقال القاضي
البيضاوي وحكمه في شرعنا عند الشافعي وجوب ضمان المتلف بالليل اذ
المعتاد ضبط الدواب ليلا وكذا قضى النبي صلى الله عليه وسلم لما دخلت ناقة
البرا حايطا وافسدته فقال على اهل الاموال حفظها بالليل وعند
ابي حنيفة لا ضمان الا ان يكون معها حافظ لقوله صلى الله عليه وسلم جرح العجما
جبار انتهى واقول ——— وجه استدلال ابي حنيفة بذلك ان
العجما هي البهيمة وتطلق على كل حيوان غير الانسان والجبار الهدر وقد
فرق الحنفية فيما اصابت الدابة بيدها او رجلها فقالوا لا يضمن ما اصابت
برجلها وذنبها ولو كان بسبب ويضمن ما اصابت بيدها وفمها واحتج لهم
الطحاوي برواية سفيان بن حسين الرجل جبار وقد غلطه الحفاظ
وقالت الشافعية اذا كان مع البهيمة انسان فانه يضمن ما اتلفته من
نفس او عضو او مال سوا كان سايقا ام راكبا ام قايدا وسوا كان
مالكا ام اجيرا ام مستاجرا ام مستعيرا ام غاصبا وسوا اتلفت بيدها ام
رجلها ام راسها سوا كان ذلك ليلا ام نهارا فاذا انفلتت منه بتقصير وجب
عليه ضمان ما اتلفت ودليل هذا التخصيص ما اخرجه الشافعي رضي الله عنه

ام ذنبها ح

وابو داود

وابو داود والنسايي كلهم من رواية الاوزاعي عن حرام بن محيصة الانصاري
عن البرا ابن عازب قال كانت له ناقة ضارية فدخلت حايطا فافسدت
فيه فقضى رسول الله صلى الله عليه وسلم ان حفظ الحوايط بالنهار على اهلها
وان حفظ الماشية بالليل على اهلها وان على اهل المواشي ما
اصابت ماشيتهم بالليل قال ابن عبد البر هذا الحديث مشهور حدث
به الثقات وتلقاه فقها الحجاز بالقبول واما اشارة الطحاوي
الى انه منسوخ بحديث العجما جبار فمردود بان النسخ لا يثبت
بالاحتمال مع الجهل بالتاريخ واقوى من ذلك قول الشافعي رضي الله عنه
اخذنا بحديث العجما جبار البرا الثبوته ومعرفة رجاله ولا يخالفه حديث
العجما جبار لانه من العام الذي اريد به الخصوص وقوله عز وجل وكلا آتينا
حكما وعلما دليل على ان خطا المجتهد لا يقدح في علمه وقيل فيه دليل على ان
كل مجتهد مصيب وهو يخالف مفهوم قوله ففهمناها سليمان فان قلت
ليس في الاية ما يقتضي ان سليمان وداود عليهما السلام تخالفا فيجوز ان
يكونا قد توافقا وان المسلة اول ما فهمها سليمان وان الله عز وجل قال
ذلك لاظهار فضيلته على صغره قلت لا شك ان الاية محتملة لذلك
والذي دعانا الى ترجيح احتمال ان يكون قد وقع بينهما تخالف مع احتمال
لفظ الاية للتوافق ورود القصة بذلك وقد ذكر من حكم سليمان وهو صبي
يلعب قصة المرجومة وفي قصة الصبي ما اقتدى به ابوه داود عليه السلام
اما قصة المرجومة اي التي ارادوا رجمها فخلصت من الرجم بسبب حكم سليمان

وحكى الطبري ان عمره كان حين
اوتي الملك اثنى عشر عاما م

منه اعلم الله ح

عليه السلام في قصة رواها المحدثون وليست اسرائيلية اخرجت من كتب
الاسرائيليين بل نطق بها كبار المحدثين ورووها عن الصحابة وقد نقل الخبر
عن امراتين ارادوا رجمها الاولى اخرج ابن ابي شيبة في المصنف
وابن مردويه عن ابن عباس رضي الله عنهما قال كانت امراة عابدة من
بني اسرائيل وكانت تبتلت وكان لها جاريتان جميلتان وقد تبتلت
المراة لا تريد الرجال فقالت احدى الجاريتين للاخرى قد طال علينا
هذا البلاء اما هذه فلا تريد الرجال ولا نزال بشر ما كان لها فلو انا فضحناها
فرجمت فصرنا الى الرجال فاخذتا ماء البيض فاتياها وهي ساجدة فكشفتا
عنها ثوبها ونضحتا في دبرها ماء البيض وصرختا انها قد بغت وكان من
زنى فيهم حده الرجم اي مطلقا فرفعت الى داود وماء البيض في ثيابها
فاراد رجمها فقال سليمان عليه السلام ائتوا بنار فانه ان كان ماء الرجال
تفرق وان كان ماء البيض اجتمع فاتي بنار فوضعها عليه فاجتمع
فدرا عنها الرجم فعطف داود على سليمان فاحبه الثانية اخرج ابن عساكر
عن ابن عباس رضي الله عنهما قال ان امراة حسناء في بني اسرائيل راودها
عن نفسها اربعة من رؤسائهم فامتنعت على كل منهم فاتفقوا فيما بينهم
عليها فشهدوا عليها عند داود انها مكنت من نفسها كلبا لها قد عودته
ذلك منها فامر برجمها فلما كانت عشية ذلك اليوم جلس سليمان واجتمع معه
ولدان مثله فانتصب حاكما وتزيا اربعة منهم بزي اولئك واخر بزي
المراة وشهدوا عليها بانها مكنت من نفسها كلبا فقال سليمان فرقوا بينهم

فسال

فسال اولهم ما كان لون الكلب فقال اسود فعزله واستدعى بالاخر فساله
عن لونه فقال احمر وقال الاخر اغبش وقال الاخر ابيض فامر عند ذلك
بقتلهم فحكي ذلك لداود فاستدعى من فوره باولئك الاربعة فسالهم متفرقين
عن لون الكلب فاختلفوا عليه فامر بقتلهم واقول لعل شريعة داود
كانت تقتضي ان ترجم المراة اذا امكنت من نفسها كلبا وشريعتنا يلزم
المراة اذا امكنت من نفسها حيوانا غير انسان التعزير وكذا كانت شريعة
داود تقتضي ان يقتل شاهد الزور وعندنا وفي شريعتنا يعزر على ان
الزور لا يثبت بذلك واما قصة الصبي ففي الصحيحين بسندهما
واللفظ للبخاري قال وكانت امراتان معهما ابناهما جاء الذئب فذهب
بابن احداهما فقالت صاحبتها انما ذهب بابنك وقالت الاخرى انما
ذهب بابنك فتحاكمتا الى داود عليه السلام فقضى به للكبرى فخرجتا على
سليمان عليه السلام ابن داود فاخبرتاه فقال ائتوني بالسكين اشقه بينهما
فقالت الصغرى لا تفعل يرحمك الله هو ابنها فقضى به للصغرى قال
ابو هريرة رضي الله عنه ان سمعت بالسكين الا يومئذ وما كنا نقول الا
المدية لم اقف على اسمي المراتين ولا على اسمي ولديهما في شيء من طرق هذا
الحديث قيل كان هذا الحكم على سبيل الفتيا منهما لا الحكم ولذلك ساغ لسليمان
عليه السلام ان ينقضه وفيه نظر كيف وان في لفظ الحديث انه قضى وبانهما
تحاكمتا وبان فتيا النبي وحكمه سواء في وجوب تنفيذ ذلك وقيل انما
كان على سبيل المشاورة فوضح لداود نبي الله صحة راي سليمان عليه السلام

فامضاه قال ابن الجوزي استويا عند داود في اليد فقدم الكبرى للسن
قيل وكان من شرع داود ان يحكم للكبرى ترجيحا للسن وفيه نظر لان الكبر
والصغر وصف طردي كالطول والقصر والسواد والبياض ولا اثر لشي من
ذلك في الترجيح قال ابن الجوزي وهذا مما يكاد يقطع بفساده قال والذي
ينبغي ان يقال ان داود قضى به للكبرى لسبب اقتضى عنده ترجيح قولها
اذ لا بينة لواحدة منهما وكونه لم يعين في الحديث اختصارا لا يلزم منه عدم
وقوعه فيحتمل ان يقال ان الولد الباقي كان في يد الكبرى وعجزت الاخرى عن
اقامة البينة قال وهذا تاويل حسن جار على القواعد الشرعية وليس في
السياق ما يأباه ولا يمنعه فان قلت كيف ساغ لسليمان عليه السلام
نقض حكمه فالجواب انه لم يعمد الى نقض الحكم وانما احتال بحيلة لطيفة
اظهرت ما في نفس الامر وذلك انهما لما اخبرتا سليمان عليه السلام بالقصة
ودعا بالسكين ليشقه بينهما ولم يعزم على ذلك في الباطن وانما قصد
استكشاف الامر فحصل مقصوده لجزع الصغرى الدال على عظيم
الشفقة ولم يلتفت الى اقرارها بقولها هو ابن الكبرى لانه علم انها اثرت
حياته فظهر له من قرينة وفور شفقة الصغرى وعدمها في الكبرى مع
ما انضاف الى ذلك من القرينة الدالة على صدقها ما هجم به على الحكم للصغرى
ويحتمل ان يكون سليمان عليه السلام ممن سوغ له ان يحكم بعلمه او تكون
الكبرى في تلك الحالة اعترفت بالحق لما رات من سليمان عليه السلام الجد
والعزم في ذلك ونظير هذه القصة ما لو حكم حاكم على مدع منكر بيمين فلما مضى ليحلف

حضر

حضر من استخرج من المنكر ما اقتضى اقراره بما اراد ان يحلف على جحده فانه
والحالة هذه يحكم عليه باقراره سواء كان ذلك قبل اليمين ام بعدها ولا يكون
ذلك من نقض الحكم الاول ولكن من باب تبدل الاحكام بتبدل الاسباب
وقال ابن الجوزي استنبط سليمان لما راى الامر محتملا فاجاد وكلاهما
حكم بالاجتهاد لانه لو كان داود عليه السلام حكم بالنص لما ساغ لسليمان عليه
السلام ان يحكم بخلافه ودلت هذه القصة على ان الفطنة والفهم موهبة
من الله عز وجل لا تتعلق بكبر سن ولا صغره ودلت على ان الحق في جهة
واحدة وان الانبياء عليهم السلام سوغ لهم الاجتهاد وان كان وجود النص
ممكنا وقد وقع في رواية في صحيح مسلم بدل ما في هذه الرواية اعني لا تفعل
يرحمك الله قوله لا يرحمك الله قال القرطبي في شرح مسلم ينبغي على هذه الرواية
ان تقف قليلا بعد لا حتى يتبين للسامع ان الذي بعده كلام مستانف
لانه اذا وصل بما بعده يتوهم السامع انه دعا عليه وانما هو دعا له لتزول
بهذه الواو الايهام فمثلها فيقال لا ويرحمك الله واقول
هذه الواو ويسمونها واو الاستئناف يندفع بها وهم مفسد للمعنى فانهم
يدفعون الوهم بزيادتها كما يدفعونه بتركها فمثال الاول ما ذكرنا ولقد قال
بعض اتباع امير المومنين هرون الرشيد وقد ساله الرشيد عن شي لا وايد
الله امير المومنين فلما سمع الصاحب بن عباد بذلك قال هذه الواو احسن
من واوات الاصداغ في خدود الملاح ومثال الثاني ما وقع فيه قطع الجملة
الثانية عن الاولى للاحتياط في قوله ° وتظن سلمى انني ابغي بها °

وينبغي ان يوتى بمثل هذا الكلام بالواو قبل بعد لا

الواو الدافعة لما يوهم فسادا زيادتها وحذفها

من الكامل

بولا اراها في الضلال تهيم فانه لم يعطف اراها كي لا يحسب السامع
العطف على البغي دون تظن ويجعل اراها في الضلال تهيم من مظنونات
سلمى في حق الشاعر وليس هو بمراد انما المراد حكم الشاعر عليها بذلك ومنه
قوله زعمتم ان اخوتكم قريش لهم الف وليس لكم الاف فلم يعطف لهم (من الوافر)
الف خيفة ان يظن العطف على ان اخوتكم قريش فيفسد معنى البيت
وكذلك قصة موسى مع فرعون واخذه بلحيته وهو طفل ايما فانه نشا
من حسن فطنة موسى وطيب قريحته اذ الهمه الله عز وجل انه عدوه
قصته رواها السدي قال كان من شان فرعون انه راى رويا في منامه
ان نارا اقبلت من بيت المقدس حتى اذا اشتملت على بيوت مصر فاحرقت
القبط وتركت بني اسرايل فدعا السحرة والكهنة والقافة والحازة وهم
العافة الذين يزجرون الطير فسالهم عن روياه فقالوا له يخرج من هذا
البلد الذي جا بنو اسرايل منه يعنون بيت المقدس رجل يكون على
وجهه هلاك مصر فامر ان بني اسرايل ان لا يولد لهم غلام الا ذبح ولا يولد
لهم جارية الا تركت وقال للقبط انظروا مملوكيكم الذين يعملون خارجا
فادخلوهم واجعلوا بني اسرايل يلون تلك الاعمال القذرة فجعل بني اسرايل
في اعمال غلمانهم وادخلوا غلمانهم فذلك حين يقول الله عز وجل ان فرعون
علا في الارض يقول تجبر في الارض وجعل اهلها شيعا يعني بني اسرايل
يستضعف طايفة منهم حين جعلهم في الاعمال القذرة وجعل لا يولد
لبني اسرايل مولود الا ذبح فلا يكبر الصغير وقذف الله عز وجل في مشيخة

بني اسرايل

بني اسرايل الموت فاسرع فيهم فدخل روس القبط على فرعون فكلموه فقالوا
ان هولا القوم قد وقع فيهم الموت فيوشك ان يقع العمل علينا نذبح
ابناهم فلا يبلغ الصغار فيعينون الكبار فلو انك كنت تبقي من اولادهم
فامر ان يذبحوا سنة ويتركوا سنة فلما كان في السنة التي لا يذبحون فيها
حملت ام موسى عليه السلام بموسى عليه السلام فلما ارادت وضعه حزنت
من شانه فلما وضعته ارضعته ثم دعت له نجارا فجعلت له تابوتا
وجعلت مفتاح التابوت من داخل وجعلته فيه والقته في اليم وهو النيل
فاقبل الموج بالتابوت يرفعه مرة ويخفضه اخرى حتى ادخله بين اشجار
عند بيت فرعون فخرج جواري اسيه امراة فرعون يغتسلن فوجدن
التابوت فادخلنه الى اسيه وظنن ان فيه مالا فلما تحرك الغلام رايته
اسيه صبيا فلما نظرت اليه اسيه وقعت عليه رحمتها واحبته
فلما اخبرت به فرعون اراد ان يذبحه فلم تزل اسيه تكلمه حتى تركه لها
وقال اني اخاف ان يكون هذا من بني اسرايل وان يكون هذا الذي يكون
هلاكنا على يديه فبينما ترقصه وتلعب به اذ ناولته فرعون وقالت (هي)
خذه قرة عين لي ولك قال فرعون هو قرة عين لك لا لي قال عبد الله
ابن عباس رضي الله عنهما ولو انه قال هو قرة عين لي اذن لامن به ولكنه
ابى فلما اخذه اليه هوا خذ موسى عليه السلام بلحيته فنتفها فقال فرعون علي
بالذباحين هو ذا قالت اسيه لا تقتله عسى ان ينفعنا او نتخذه ولدا
انما هو صبي لا يعقل وانما صنع هذا من صباه فانا اضع له حليا من الياقوت

واضع له جمرا فان اخذ الياقوت فهو يعقل اذ لحم وان اخذ الجمر فانما
هو صبي فاخرجت له ياقوتا ووضعت طستا من جمر فجا جبريل عليه
السلام فطرح يده في الجمر فطرحه موسى عليه السلام في فيه فاحرقت لسانه
فاراد واله المرضعات فلم ياخذ من احد من النسا ثديا وجعل النسا يطلبن
ذلك لينزلن عند فرعون في الرضاع فابى ان ياخذ فجات اخته فقالت هل
ادلكم على اهل بيت يكفلونه لكم وهم له ناصحون فاخذوها فقالوا انك قد عرفت
هذا الغلام فدلينا على اهله فقالت ما اعرفه ولكن انما هم للملك ناصحون فلما
جات امه اخذ منها وكادت تقول هو ابني فعصمها الله عز وجل فذلك قوله
سبحانه ان كادت لتبدي به لولا ان ربطنا على قلبها لتكون من المومنين قال قد
كانت من المومنين ولكن بقوله انا رادوه اليك وجاعلوه من المرسلين
قال السدي وانما سمي موسى لانهم وجدوه في ماو شجر والما بالقبطية
مو والشجر سا فهذه القصة كما نقلوها في التواريخ والتفاسير وهي
تقتضي ان ما جرى لموسى عليه السلام مع فرعون من جهة الحية كان وموسى
في سن الرضاع قبل التمييز **وقال المفسرون في قوله ولقد اتينا ابرهيم**
رشده الرشد والرشد والرشاد الهدى والاستقامة يقال رشد يرشد
ورشد يرشد رشدا ومنه قوله عز وجل لعلهم يرشدون **من قبل** قبل
المراد بالمضاف اليه قبل نزول التوراة اي وفقناه للنظر والاستدلال
لما جن عليه الليل فراى النجم والقمر والشمس وقيل من قبل اي قبل موسى
وهرون والرشد على هذا النبوة واكثر اهل التفسير على الاول وقيل رشده

صلاح

صلاحه واستعداده للنبوة وانما اضاف الرشد اليه للاشارة الى انه رشد
يليق بابرهيم عليه السلام فهو رشد له شان وقيل الرشد هنا الاهتداء
الى وجوه الصلاح وفي قوله عز من قايل وكنا به عالمين رد على منكري علم الله عز
وجل بالجزئيات ودليل على انه عز وجل مختار في افعاله لان الاية لا يكون الا
بالاختيار وقوله **اي هديناه صغيرا قاله مجاهد وغيره وقال ابن عطاء**
اصطفاه قبل ابداء خلقه فان قلت ما المراد بهذا الاصطفا ان كان يريد انه
اصطفاه في علمه الازلي فلا ميزة لابرهيم على غيره فكل الانبيا عليهم السلام
اصطفاهم الله عز وجل في علمه الازلي وان اراد في الظاهر فلا يكون الا بعد
ابدا خلقه وابن عطا قال انه قبل ابدا خلقه قلت الظاهر ان المراد حين خلق في
بطن امه وكتب الملك ما قدر له كما نطق بذلك الحديث الصحيح كتب الملك انه
نبي مرسل خليل الله عليه الصلاة والسلام ولهذا نطقت الكهان بانه سيتم
خلقه واخبروا نمرود بذلك حتى امر بقتل كل مولود يولد **وقال بعضهم لما ولد**
ابرهيم عليه السلام بعث الله عز وجل اليه ملكا يامره عن الله عز وجل ان يعرفه
بقلبه ويذكره بلسانه فقال قد فعلت ولم يقل افعل فذلك رشده
لانه اجاب بجواب لا يجيب به الا ذو رشد عظيم حيث بالغ في امتثال امر
الله عز وجل بقوله قد فعلت **وقيل ان القا ابرهيم عليه السلام في النار ومحنته**
كانت وهو ابن ست عشرة سنة المحنة المذكورة هي المشار اليها بقوله
عز وجل وتالله لاكيدن اصنامكم الاية قال ابن مسعود لما خرج قوم ابرهيم
عليه السلام الى عيدهم مروا عليه فقالوا يا ابرهيم الا تخرج معنا قال اني سقيم

وقد كان بالامس قال وتالله لاكيدن اصنامكم بعد ان تولوا مدبرين فسمعه
ناس منهم فلما خرجوا انطلق الى اهله فاخذ طعاما ثم انطلق الى الهتهم
فقربه اليهم فقال الا تاكلون فكسرها الا كبيرهم ثم ربط في يده الذي كسر به
الهتهم فلما رجع القوم من عيدهم دخلوا فاذا الهتهم قد كسرت واذا كبيرهم
في يده الفاس الذي كسر به الاصنام قالوا من فعل هذا بالهتنا فقال الذين
سمعوا ابرهيم عليه السلام قال تالله لاكيدن اصنامكم سمعنا فتى يذكرهم فجادلهم
عند ذلك ابرهيم وقال مجاهد قول ابرهيم حين استتبعه قومه الى عيدهم
اني سقيم فسمع منه وعيد اصنامهم رجل منهم استاخر وهو الذي قال
سمعنا فتى يذكرهم يقال له ابرهيم وجعل ابرهيم الفاس التي اهلك به
اصنامهم مسندة الى صدر كبيرهم الذي ترك وقال عكرمة ان ابا ابرهيم عليه
السلام كان يعمل هذه الاصنام ثم يشكلها في حبل ويحمل ابرهيم على عنقه
ويدفع اليه المشكوك يدور يبيعها فجاء رجل يشتري فقال له ابرهيم ما تصنع
بهذا حين تشتريه قال اسجد له قال له ابرهيم انت شيخ تسجد لهذا الصغير
انما ينبغي للصغير ان يسجد للكبير فعندها قالوا سمعنا فتى يذكرهم يقال له
ابرهيم فاتى على اصنامهم فجعلها جذاذا اي فتاتا والجذ الكسر والقطع وهذا
هو الكيد الذي اقسم به ليفعلنه بها وانما اعاد الى الاصنام ضمير من يعقل حيث
قال فجعلهم لان القوم يعتقدون في اصنامهم الالهية وقد ترك ابرهيم عليه
الصلوة والسلام الصنم الاكبر فلم يكسره وعلق الفاس الذي كسر به في عنقه
ليحتج به عليهم لعلهم اليه اي الى ابرهيم ودينه يرجعون اذا قامت الحجة عليهم

وقيل لعلهم اليه الى الصنم الاكبر يرجعون في تكسيرها ولما رجعوا من عيدهم وراوا
ما حدث بالهتهم قالوا على جهة البحث والانكار من فعل هذا بالهتنا انه لمن
الظالمين قالوا سمعنا فتى يذكرهم يقال له ابرهيم والفتى الشاب والفتاة
الشابة وقال ابن عباس رضي الله عنهما ما ارسل الله عز وجل نبيا الا شابا
ثم قرا سمعنا فتى يذكرهم يقال له ابرهيم ولما بلغ الخبر نمرود واشراف قومه
كرهوا ان ياخذوه بغير بينة فقالوا فاتوا به على اعين الناس حتى
يروه لعلهم يشهدون عليه بما قاله فيكون حجة عليه او لعلهم يشهدون عقابه
فلا يقدم احد على مثل ما اقدم عليه او لعل قوما يشهدون بانهم راوه يكسر
الاصنام او لعلهم يشهدون طعنه على الهتهم ليعلموا انه يستحق العقاب
ولما لم يكن السماع كافيا في ثبوت ذلك عليه ولم تقم بينة بما ادعاه استفهموه
هل فعل اولا فقال لهم ابرهيم على جهة الاحتجاج عليهم بل فعله كبيرهم هذا
لانه غار على رتبته وغضب من ان يعبد غيره لا سيما والباقي اصنام صغار
ففعل هذا بها لذلك فاسالوهم ان كانوا ينطقون فبين بذلك ان من لا يتكلم ولا
يعلم لا يستحق ان يعبد فكان قوله من المعاريض وفي المعاريض مندوحة
من الكذب اي سلوهم ان نطقوا فانهم يصدقون وان لم يكونوا ينطقون فليس
هو الفاعل وفي ضمن هذا الكلام اعتراف بانه الفاعل وان الكلام خارج مخرج
التعريض وذلك انهم كانوا يعبدونهم ويتخذونهم الهة من دون الله عز وجل
كما قال عليه السلام لابيه يا ابت لم تعبد ما لا يسمع الاية فقال ابرهيم بل
فعله كبيرهم هذا ليقولوا انهم لا ينطقون ولا ينفعون ولا يضرون فيقول لهم فلم

فلم تعبدونهم فتقوم عليهم الحجة منهم ولهذا يجوز عند هذه الائمة فرض الباطل
مع الخصوم حتى يرجع الخصوم الى الحق من ذات انفسهم فانه اقرب في الحجة
واقطع للشبهة كما قال القوم هذا ربي وهذه اختي واني سقيم وبل فعله
كبيرهم هذا وقيل المعنى لم تنكرون ان يكون فعله كبيرهم فهذا الزام بلفظ
الخبر اي من اعتقد انها معبوده يلزمه ان يثبت لها فعلا فان قلت
كيف ساغ لابرهيم عليه السلام ان يقول بل فعله كبيرهم مع انه ليس فاعلا
وهل هذا الا كذب تحاشى ابرهيم عليه السلام مع خلته وعصمته التامة عنه
قلت قد قررنا ان هذا على سبيل الفرض لالزام الخصوم ليعترفوا بالحق من
ذات انفسهم ويكون اسند الفعل اليه مجازا بسببه غيظ كبيرهم او يكون
على سبيل الاستهزاء كقولك لمن لا يحسن الخط فما كتبته بخط رشيق انت
كتبت وقيل التقدير بل فعله كبيرهم ان كانوا ينطقون فاسألوهم فتكون جملة
فاسألوهم معترضة ويجوز ان يسند فعله الى ضمير فتى السابق ذكره او الى
ابرهيم عليه السلام اي بل فعله الفتى او ابرهيم وكبيرهم على هذا مبتدا وهذا
خبره ولهذا وقف بعضهم على فعله واما ما جا في قول نبينا صلى الله عليه وسلم
لم يكذب ابرهيم عليه السلام الا ثلاث كذبات وذلك في ذات الله عز وجل فهو
من قبيل تسمية المعاريض كذبات لانها شابهتها في الصورة وياتي هنا
في بحث عصمة الانبيا عليهم السلام كلام طويل مفيد جدا على هذا الحديث ثم ان
القوم راجعوا عقولهم فقالوا انكم انتم الظالمون اي بعبادة ما لا ينطق ولا
يضر ولا ينفع ثم انهم انقطعوا بالحجة فاخذتهم العزة بالاثم فانطلقوا الى طريق

الظلم

مطلب في الاكراد

الظلم والغلبة فقالوا احرقوه والمشير بتحريقه رجل من الاكراد اسمه هيزن فخسف
الله عز وجل به الارض فهو يتجلجل فيها الى يوم القيمة وقيل قائل ذلك ملكهم نمرود
وقال ابن عباس رضي الله عنهما لما جمع لابرهيم ما جمع والقي في النار جعل
خازن المطر يقول متى اومر بالمطر فارسله فكان امر الله عز وجل اسرع فقال
الله عز وجل للنار كوني بردا وسلاما على ابرهيم واخرج احمد عن عايشة
رضي الله عنها ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان ابرهيم حين القي في النار لم تكن
في الارض دابة الا تطفي عنه النار غير الوزغ فانه كان ينفخ على ابرهيم عليه
السلام فامر رسول الله صلى الله عليه وسلم بقتله وعن ام شريك ان النبي صلى الله
عليه وسلم امر بقتل الاوزاغ وقال كانت تنفخ على ابرهيم النار وكانت الضفدع
تطفي النار على ابرهيم عليه السلام فنهى عن قتلها وفي الحديث قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم لا تسب الضفدع فان صوته تسبيح وتقديس وتكبير ان البهائم
استاذنت ربها عز وجل في ان تطفي النار على ابرهيم فاذن للضفادع فتراكمت
عليه فابدلها الله عز وجل عن حر النار برد الما اخرجه ابن مردويه واخرج
عبد بن حميد عن بكر بن عبد الله المزني قال لما ارادوا ان يلقوا ابرهيم عليه
السلام في النار جات عامة الخليقة فقالت يا رب خليلك يلقى في النار
فائذن لنا نطفي عنه قال هو خليلي ليس لي في الارض خليل غيره وانا الهه
ليس له اله غيري فان استغاث بكم فاغيثوه والا فدعوه قال وجا
ملك القطر قال يا رب خليلك يلقى في النار فائذن لي اطفي عنه بالقطر قال
هو خليلي ليس لي في الارض خليل غيره وانا الهه ليس له اله غيري فان استغاث

قال في النهاية
فيه انه امر بقتل الوزغ
جمع وزغة بالتحريك وهي التي
يقال لها سام ابرص وجمعها
اوزاغ ووزغان اهـ انتهى

ابن
وذكر
فليحرر

بكى عنه والاقدعه قال فلما القى فى النار قال الله عز وجل يا نار كوني بردا وسلاما على
ابرهيم قال فبرون كل نار فى المشرق والمغرب فما انتفعت يومئذ كراعا وورد فى
الحديث ان جبرئيل عليه السلام كان مع ابرهيم فى النار يمسح وجهه من العرق
اخرجه ابن ابي حاتم وروى ابي بن كعب رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم
ان ابرهيم عليه السلام حين قيدوه ليلقوه فى النار قال لا اله الا انت سبحانك
رب العالمين لك الحمد ولك الملك لا شريك لك قال ثم رموا به فى المنجنيق من
مضرب شاسع فاستقبله جبرئيل عليه السلام فقال يا ابرهيم الك حاجة قال
اما اليك فلا فقال جبرئيل فسل ربك عز وجل قال حسبي من سوالي علمه بحالي
فقال الله عز وجل يا نار كوني بردا وسلاما على ابرهيم قيل جعل الله عز وجل فيها بردا
يدفع حرها وحرا يدفع بردها فصارت سلاما عليه وقال ابو العالية لو لم يقل
بردا وسلاما لكان بردها اشد عليه من حرها ولو لم يقل على ابرهيم لكان بردها
باقيا على الابد وقيل ان الله عز وجل ثم زربية من الجنة فبسطها فى الجحيم وانزل انزلهم
الله عز وجل ملائكة جبرئيل وميكائيل وملك البرد وملك السلام عليهم السلام
وقال ابن عباس رضي الله عنهما لو لم يتبع بردها سلاما لمات ابرهيم عليه السلام
من بردها ولم تبق يومئذ نار الا طفئت ظنت انها تعنى ولم تحرق النار من
ابرهيم عليه السلام الا وثاقه وقد اقام فى النار سبعة ايام لم يقدر احد ان
يقرب من النار ثم جاوا اليه فاذا هو قائم يصلي قال ابو المنهال بن عمرو
قال ابرهيم عليه السلام ما كنت ايام قط انعم منهم فى الايام التي كنت فيها فى
النار وقال تعالى وارادوا به كيدا فجعلناهم الاخسرين فكانت اخسرة نمرود واصحابه

ان الله

ان سلط الله سبحانه عليهم اضعف خلقه وهو البعوض فما برح نمرود حتى راى
عظام اصحابه وخيله تلوح اكلت لحومهم وشربت دماءهم ووقعت واحدة
فى منخره فلم تزل تاكل الى ان وصلت دماغه وكان اكرم الناس عليه الذي يضرب
راسه بمرزبة من حديد قال ابو المنهال ان الذي قال حرقوه هرب فخسف الله
عز وجل به الارض فهو يتجلجل فيها الى يوم القيمة وقيل ان الذي نادى النار
جبرئيل عليه السلام والله عز وجل اسند ذلك الى نفسه لكونه بامره وباقداره
وكان جبرئيل واسطة بين الله وبين النار فان قلت قيل فى هذه القصة ما
يقتضي ان المنادى جنس النار لا نار نمرود فقط قلت لا يستقيم ان يراد
بالجنس الماهية من حيث هي هي لان الماهية لا تخاطب ولا تنادى
وان اراد بالجنس الاستغراق كما يريده صاحب الكشاف فى كثير من عباراته
فلا مقتضى فى العبارة لارادة الاستغراق اذ ليس فيها لام تدل على الاستغراق
ولا اضافة ولا سور كلى فتعين ان المراد بالنار فرد مبهم لكن لما احتمل ان
يراد بكون المراد هذا الفرد بخصوصه وهذا الفرد بخصوصه وهلم جرا كل نار
لاحتمال ان تكون هي المرادة ويحتمل ان يكون خلق فى كل نار عقلا يدرك النداء
والخطاب ثم انها لما علمت ان النداء لفرد مخصوص من افراد النار عادت اليها
حرارتها فان قلت قال بعضهم ثم الظاهر ان ما نقل فى التاريخ مبنى على ان قوله
وسلاما على ابرهيم تسليم من الله عز وجل عليه نحو سلام على ابرهيم فى السورة
الاخرى الا انهما متغايران نصبا ورفعا وهو قوله فى الاية قلت ليس سلاما
فى هذه الاية من قبيل سلام على ابرهيم لان ذاك يراد به تحية من الله عز وجل

والمراد بهذا السلامة اي كوني ذات سلامة من الافات قال البيضاوي اي ذات
برد وسلام اي ابردي بردا غير ضار وقد ذكر في القصة انه لو اكتفى بقوله كوني بردا
لكان بردها اشد عليه من حرها فان قلت ما الحامل للبيضاوي على تقدير هذا المضاف
قلت الحامل له عليه ان النار جوهر من الجواهر والبرد عرض من الاعراض والاعراض
لا تصير جواهر كما ان الجواهر لا تصير اعراضا فتعين لصحة هذا المعنى الى تقدير هذا
المضاف نعم قيل نصب سلاما بفعل محذوف هو فعل المصدر اعني سلمت
فالتقدير وسلمنا سلاما عليه وهذا مذهب مرجوح لامور اولها ان بردا
يبقى حينئذ بغير متعلق الثاني ان الله عز وجل يكون قد امر النار بان تكون
بردا ومجرد كونها بردا لا يدفع السوء عن ابرهيم عليه السلام بل السوء لا يندفع عنه
الا بصيرورة النار متوسطة في حيز الاعتدال وبدون ذكر سلاما لا يحصل
ذلك الثالث ان حذف العامل ليس واجبا وانما هو جائز والعامل اذا
حذف جوازا فلا بد ان يكون ثم قرينة اما لفظية واما معنوية وههنا
لا قرينة اصلا فان قلت كيف صارت النار المحرقة حتى انها لم تحرق من خليل
الله عز وجل الا وثاقه قلت قيل انقلبت النار هوا طيبا وهي خلاف العاده
وخرق لها مع امكانه وصلاح دخوله تحت حيز القدرة فهو اذا من معجزاته
وقيل بل كانت بحالها ولم تحرقه بل دفع الله عز وجل اذاها عنه كما يرى في السمندل
فانه طاير يبيض في النار ولا فيها بقاء بل لا تؤثر فيه ولا تحرقه بل يتمنع فيها
ولا تحرق النار ما يصنع من شعره من المناديل التي توجد بايدي بعض الاكابر
ولذا قال الشاعر ، ايها المدعي الفخار دع الفخر لذي الكبرياء والجبروت ، من الخفيف

نسخ

، نسج داود لم يفد ليلة الغار ، وكان الفخار للعنكبوت ،
، وبقاء السمند في لهب النار ، مزيل فضيلة الياقوت ،
، وكذاك النعام تلتقم الجمر وما الجمر للنعام بقوت ،
وان ابتلا اسحاق بالذبح وهو ابن سبع سنين كان يشير بذلك الى ما منح الله عز
وجل اسحق مع صغر سنه من صفات عظيمة لا تكاد ان توجد في الرجال
منها ان الله عز وجل نعته بانه حليم اه واي حلم مثل حلمه حين عرض ابوه عليه
الذبح وهو مراهق فقال مجيبا ستجدني ان شا الله من الصابرين حتى
قيل ان الله عز وجل لم ينعت احدا بالحلم لعزة وجوده غير ابرهيم وابنه
عليهما السلام ويشهد لذلك الحال التي وقعت لهما في قصة الذبح والسن
التي ذكر المصنف هي المرادة من قوله عز وجل فلما بلغ معه السعي وقيل
كان ابن ثلاث عشرة سنة وقيل بلغ سن الاحتلام وقال قتادة مشى
مع ابيه وقال الحسن هو سعي العقل الذي تقوم به الحجة وقال ابن زيد
هو السعي في العبادة وقال ابن عباس صام وصلى الم تسمع الى قول الله عز
وجل وسعى لها سعيها ولما ان اباه استشاره في الذبح برز منه
جواب يدل على ثبات قدمه في الرضى بقضا الله عز وجل والصبر على بلائه
والامتثال غير متردد في ذلك ولا متلعثم في نفوذ امره تعالى ولم يشاوره
ابوه مشاورة المخير له لان ذلك حتم عليه وانما شاوره ليعلم ما عنده
فيما نزل به من بلاء الله عز وجل فيثبت قدمه ان جزع ويامن عليه ان سلم
لامر الله عز وجل وليوطن نفسه عليه فيهون ويكتسب المثوبة بالانقياد

له قبل نزوله يوحي ان الله عز وجل امر ابرهيم عليه السلام بذلك في المنام ولم يامره به
في اليقظة وان كانت رويا الانبيا وحيا وهي دون ما كان في اليقظة ليكون
مبادرتهما الى الامتثال ادل على كمال الانقياد والاخلاص واما اجاب اباه جواب
الكمل حيث قال ستجدني ان شا الله من الصابرين ولم يقل سا صبر للاشارة
الى ان صبري صبر طبيعي هو في جبلتي وشاني لا التكلف ولا التجشم منه وهذه
البلية لخصوصها وانما الصبر خلق لي وقرن ذلك بقوله ان شا الله للتبري من
حوله وقوته والاعتراف التام بانه وان وجد في هذا الامر فهو محض فضل الله
عز وجل ومشيته وارادته لا بحولي ولا بقوتي ثم ان الله عز وجل اشرك بينه
وبين ابيه عليهما السلام بان وصفهما بالاستسلام لامر الله عز وجل فسلم الذبيح
نفسه وابرهيم ابنه ثم انه تعالى وتقدس شرك بينهما في انهما من المحسنين هذا
وان مصير المصنف الى كون الذبيح اسحق عليه السلام قول مرجوح والقول
بانه اسحق عليه السلام دلائل منها ما روى ابو سعيد الخدري رضي الله عنه
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان داود سال ربه مسئلة فقال
اجعلني مثل ابرهيم واسحق ويعقوب فاوحى الله عز وجل اليه اني ابتليت ابرهيم
بالنار فصبر وابتليت اسحق بالذبح فصبر وابتليت يعقوب فصبر اخرجه
الديلمي وعن ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الذبيح اسحق
اخرجه الدارقطني وقال العباس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال الذبيح اسحق
وقال ابن مسعود رضي الله عنه سئل النبي صلى الله عليه وسلم من اكرم الناس قال
يوسف بن يعقوب بن اسحق ذبيح الله اخرجه الطبراني وعن ابي هريرة رضي
الله عنه

رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله عز وجل خيرني بين ان
يغفر لنصف امتي او شفاعتي فاخترت شفاعتي ورجوت ان تكون اعم
لامتي ولولا الذي سبقني اليه العبد الصالح لعجلت دعوتي ان الله عز وجل
لما فرج عن اسحق عليه السلام كرب الذبح قيل له يا اسحق سل تعطه قال اما
والله لاتعجلنها قبل نزغات الشيطان اللهم من مات لا يشرك بك شيا قد
احسن فاغفر له رواه الطبراني في الاوسط وعن كعب الاحبار انه قال لابي هريرة
رضي الله عنه الا اخبرك عن اسحق قال بلى قال لما رءى ابرهيم عليه السلام ان يذبح
اسحق عليه السلام قال الشيطان والله لئن لم افتن عند ذلك ابرهيم لا افتن احدا
منهم فتمثل لهم الشيطان رجلا يعرفونه فاقبل حتى اذا خرج ابرهيم باسحق
ليذبحه دخل على سارة فقال لها اين اصبح ابرهيم غاديا باسحق قالت لبعض
حاجته قال لا والله قالت فلم غدا قال ليذبحه قالت لم يكن ليذبح ابنه
قال بلى والله قالت سارة فلم يذبحه قال زعم ان ربه عز وجل امره بذلك
قالت قد احسن ان يطيع ربه عز وجل ان كان امره بذلك فخرج الشيطان
فادرك اسحق وهو يمشي على اثر ابيه قال اين اصبح ابوك غاديا بك قال
لبعض حاجته قال لا والله قد غدا بك ليذبحك قال ما كان ابي ليذبحني
قال بلى قال لم قال زعم ان الله عز وجل امره بذلك قال اسحق عليه السلام
لئن امره ليطيعنه فتركه الشيطان واسرع الى ابرهيم عليه السلام فقال
اين اصبحت غاديا بابنك قال لبعض حاجتي قال لا والله ما غدوت به الا
لتذبحه قال ولم اذبحه قال زعمت ان الله عز وجل امرك بذلك قال فوالله

ان كان الله عز وجل امرني لافعلن قال فترك وييئس ان يطاع فلما اخذ ابرهيم اسحق
عليهما السلام ليذبحه عافاه الله عز وجل وفداه بذبح عظيم فقال قم اي بني فان
الله عز وجل قد عافاك فاوحى الله عز وجل الى اسحق اني قد اعطيتك دعوة
استجيب لك فيها قال فاني ادعوك ان تستجيب لي ايما عبد لقيك من الاولين
والاخرين لا يشرك بك شيئا فادخله الجنة ثم ان الاصح بل الصواب ان الذبيح
اسمعيل فقد اخرج الحاكم عن ابن عباس رضي الله عنهما قال المفدى اسمعيل
وزعمت اليهود انه اسحق وكذبت اليهود واخرج الحاكم وصححه عن ابن عباس
رضي الله عنهما قال الذبيح اسمعيل عليه السلام واخرج عبد بن حميد عن سعيد
ابن المسيب وسعيد بن جبير قالا الذي اراد ابرهيم عليه السلام ذبحه اسمعيل
وقال ابن عمر رضي الله عنهما في قوله عز وجل وفديناه بذبح عظيم قال اسمعيل
ذبح عنه ابرهيم الكبش رواه ابن جرير وقال عبد الله بن سعيد الصالحي
حضرنا مجلس معاوية بن ابي سفيان رضي الله عنهما فتذاكر القوم اسمعيل
واسحق عليهما السلام ايهما الذبيح فقال معاوية رضي الله عنه سقطتم على
الخبير كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فاتاه اعرابي فقال يا رسول الله
خلفت الكلا يابسا والماء عابسا هلك العيال وضاع المال فعد علي مما
افاء الله عز وجل عليك يا ابن الذبيحين فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم
ولم ينكر عليه فقال القوم من الذبيحان يا امير المومنين ثم قص قصة نذر
عبد المطلب ذبح عبد الله ابي النبي صلى الله عليه وسلم رواه ابن جرير وقال
محمد بن كعب القرظي ان الذي امر الله عز وجل ابرهيم عليه السلام بذبحه من

ابنيه

من ابنيه اسمعيل وانا لنجد ذلك في كتاب الله عز وجل وذلك ان الله عز وجل
يقول حين فرغ من قصة المذبوح وبشرناه باسحق وقال فبشرناها
باسحق ومن وراء اسحق يعقوب بابن وابن ابن فلم يكن يامر بذبح — يقول ع
اسحق وله فيه من الله عز وجل موعود بما وعده وما الذي امر بذبحه الا
اسمعيل رواه الحاكم وقال عطاء بن يسار سالت خوات بن جبير عن
ذبيح الله عز وجل فقال اسمعيل لما بلغ اربع سنين راى ابرهيم عليه السلام
في النوم في منزله بالشام ان يذبحه فركب اليه على البراق حتى جاءه فوجده
عند امه فاخذ بيده ومضى به لما امر به وجاء الشيطان في صورة رجل
يعرفه فذهب ينحر فحلقه فاذا هو يحز في نحاس فشحذ الشفرة مرتين
او ثلاثا بالحجر ولا تحز فقال ابرهيم عليه السلام ان هذا الامر من الله عز وجل
فرفع راسه فاذا هو بوعل واقف بين يديه فقال ابرهيم عليه السلام
قم يا بني فقد نزل فداؤك فذبحه بمنى واقول ــــ قوله بوعل الظاهر
انه كبش من الغنم بدليل ما جاء في حديث رواه ابن المنذر فقال فيه ثم ان
ابرهيم عليه السلام التفت وراءه فاذا هو بالكبش فقال له اي بني قم
فان الله عز وجل فداك فذبح ابرهيم عليه السلام الكبش واخرج
ابن ابي حاتم في قوله عز وجل وفديناه بذبح عظيم قال كبش ابيض
اقرن اعين قد ربط بسمرة في ثبير وقال ابن عباس رضي الله عنهما — اصل ع
في قوله بذبح عظيم قال كبش قد رعى في الجنة اربعين خريفا قيل هو
الكبش الذي قربه ابن ادم فتقبل منه فكان مخزونا في الجنة حتى فدي به

الذبيح وقيل كان اسم الكبش حرير فقوله بوعل الملق عليه الوعل استعارة
اي كبش له قرون كقرون الوعل قال ابن القيم ومما يدل على ان الذبيح اسمعيل
عليه السلام انه لا ريب ان الذبح كان بمكة ولذلك جعلت القرابين يوم النحر بها
كما جعل السعي بين الصفا والمروة ورمي الجمرات تذكيرا بشان اسمعيل
عليه السلام وامه واقامة لذكر الله عز وجل ومعلوم ان اسمعيل وامه هما
اللذان كانا بمكة دون اسحق عليه السلام وامه ثم قال ولو كان الذبح
بالشام كما يزعم اهل الكتاب ومن تلقى عنهم لكانت القرابين والنحر بالشام
لا بمكة وايضا فان الله عز وجل سمى الذبيح حليما لانه لا احلم ممن سلم
نفسه للذبح طاعة لربه عز وجل ولما ذكر اسحق سماه عليما وايضا فان
الله عز وجل قد اجرى العادة البشرية ان يكون اول الاولاد احب اليه
ممن بعده وابرهيم عليه السلام لما سال ربه عز وجل الولد ووهبه له
تعلقت شعبة من قلبه بمحبته والله عز وجل قد اتخذه خليلا والخلة
رتبة توحيد المحبوب بالمحبة وان لا يشاركه فيها فلما اخذ الولد شعبة
من قلب الوالد جاءت غيرة الخلة تنزعها من قلب الخليل فامر بذبح المحبوب
فلما وطن نفسه على الذبح وسلم فداه الله عز وجل وانشد بعضهم

ان الذبيح هديت اسمعيل ۞ نطق الكتاب بذاك والتنزيل ۞
شرف به خص الاله نبينا ۞ وابانه التفسير والتاويل ۞

وروى ان عمر بن عبد العزيز سال رجلا اسلم من علماء اليهود اي ابني ابرهيم
عليهم السلام امر بذبحه فقال والله يا امير المؤمنين ان اليهود ليعلمون انه
اسمعيل

اسمعيل ولكنهم يحسدونكم معشر العرب ان يكون لكم الفضل الذي ذكره الله عز
وجل فهم يجحدون ذلك ويزعمون انه اسحق لان اسحق عليه الصلاة والسلام
ابوهم ومما يدل على ان الذبيح اسمعيل ان الذبيح وهب لابرهيم عليه السلام
بعد الهجرة حيث قال اني ذاهب الى ربي سيهدين رب هب لي من الصالحين
فبشرناه بغلام حليم فلما بلغ معه السعي الاية وان البشارة بعده معطوفة
على البشارة بهذا الغلام وان ذلك كان بمكة وكان قرنا الكبش معلقين
بالكعبة حتى احترقا معها في ايام ابن الزبير رضي الله عنهما ولم يكن اسحق ثم
وان البشارة باسحق كانت مقرونة بولادة يعقوب عليهما السلام فلا
يناسبها الامر بذبحه مراهقا وما روى انه عليه السلام سئل اي النسب
اشرف فقال يوسف صديق الله بن يعقوب اسرائيل الله بن اسحق
ذبيح الله فهي من الراوي وليست من النبي صلى الله عليه وسلم وان الله
عز وجل وصفه بالصبر دون اسحق عليهما السلام في قوله عز وجل
واسمعيل واليسع وذا الكفل كل من الصابرين وهو صبره على الذبح
فوفى به ولان الله عز وجل قال فبشرناه باسحق نبيا فكيف يامره
بذبحه وقد وعد ان يكون نبيا ثم ان القائلين بان الذبيح اسحق جماعة
وهم العباس بن عبد المطلب وابنه عبد الله وروى عن الثوري
وابن جريج قال القرطبي وهو الصحيح عن عبد الله بن مسعود واما
القائلون بان الذبيح اسمعيل فهم الجمهور وروي عن ابن عمر وابن عباس
ايضا ومن التابعين عن سعيد بن المسيب والشعبي ويوسف بن مهران

تنبيه ما يشير اليه الشيخ الناظم ان الذبيح
هو ما عليه الاكثر ... ارجح
رسخ ... اهل الكتاب ... بان اسمعيل
عليه ... وهو ... ولم ينقل
الذي كان بمكة ... ولا انه
قط ان اسحق ... جاء بمكة
تلك الاماكن ... وهو الحقيق
اسمعيل ... اجمعين

ومجاهد والربيع بن انس ومحمد بن كعب القرظي والكلبي وعلقمة وعن الاصمعي
قال سالت ابا عمرو بن العلا عن الذبيح فقال يا اصمعي اين عزب عنك عقلك
ومتى كان اسحق بمكة وانما كان اسمعيل بمكة وفي الحديث قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم ان الذبيح اسمعيل وجعل ابن القيم كون الذبيح اسمعيل هو
الصواب وضعف القول بانه اسحق من عشرين وجها ذكرها في اول الهدى
وان استدلال ابرهيم اي اتيانه بالدليل لان اباه وقومه كانوا يعبدون
الاصنام والكواكب فاراد ان ينبههم على ضلالتهم ويرشدهم الى الحق من طريق
الاستدلال والنظر والدليل الذي استدل به ابرهيم هو الدليل الاصولي الذي
يسميه الاصوليون دليلا وهو ما يمكن التوصل بصحيح النظر فيه الى مطلوب
خبري وذكر الامكان لان الدليل لا يخرج عن كونه دليلا بعدم النظر فيه
وانما قيد النظر بالصحيح لان الفاسد لا يتوصل اليه وان كان قد يفضي اليه
اتفاقا وهذا شامل للدليل العلمي اليقيني والظني وهو المسمى بالامارة
وبعضهم يخصه باليقيني فيزيد في التعريف قوله الى العلم بمطلوب خبري
وحينئذ لا يتناول الامارة وليس المراد بالدليل الذي اقام ابرهيم عليه
السلام الدليل المنطقي وهو قولان فصاعدا يكون عنه قول اخر وانما قلنا
ان الدليل الذي اقام ابرهيم عليه السلام هو الدليل الاصولي لا المنطقي لانه
عليه السلام جعل الدليل على وجود الصانع افول الكواكب التي يعبدونها
فلما افل الكوكب قيل كان ذلك الكوكب الزهرة وقيل المشتري قال لا احب
الافلين فضلا عن عبادتهم فان الانتقال والاحتجاب بالاستتار يقتضي

الامكان

الامكان والحدوث وينافي الالوهية وانما استدل بالافول دون البزوغ مع
انه ايضا انتقال لبعد دلالته لانه راى الكوكب الذي يعبدونه في وسط
السما حين حاول الاستدلال ثم انه ارشد قومه وعلمهم طريق طلب التوفيق
حيث قال لئن لم يهدني ربي لاكونن من القوم الضالين وفيه ايضا
تنبيه لهم على ان القمر لا يصلح ان يكون معبودا لتغير حاله وان من اتخذه
الها فهو ضال ثم لما تبرا عنها توجه الى موجدها ومبدعها الذي دلت هذه
الممكنات عليه فقال اني وجهت وجهي للذي فطر السموات والارض
الاية وبالجملة فقد برز منا ابرهيم عليه السلام في هذا الاستدلال عجائب
تفضل الله عز وجل عليه بها ولهذا قال وكذلك نري ابرهيم ملكوت
السموات والارض الاية اي اراه الله عز وجل ايات السموات والارض
وذلك انه اقيم على صخرة وكشف له عن السموات والارض حتى العرش
واسفل الارضين ونظر الى مكانه في الجنة فذلك قوله عز وجل واتيناه اجره
في الدنيا يعني اريناه مكانه في الجنة وحاصل هذا الاستدلال انه استدل
بحركات الكواكب وافولها على عدم الاهيتها وربوبيتها وذلك مبني على
مقدمات الاولى اثبات الاعراض وهي ما لا يقوم بنفسه فيفتقر الى
موضوع يقوم به كالحركة والسكون والالوان والطعوم واثباتها
بشهادة الحس الثانية ان الاعراض مغايرة للجواهر بدليل ان الجوهر
الواحد تتعاقب عليه الاضداد من الاعراض كالحركة والسكون والبياض
والسواد الثالثة ان الاعراض لا تنفك عن الجواهر اذ لو انفكت لزم قيام

العرض بذاته وانه محال الرابعة ان الاعراض حادثة لانها تتعاقب على
الجواهر وجودا وعدما الخامسة ان ما لا ينفك عن الحوادث فهو حادث
ببراهين مذكورة في الكتب الكلامية فاذا ثبتت هذه المقدمات ثبت
حدوث الجواهر لعدم انفكاكها عن الاعراض الحادثة قال بعضهم فينتظم
البرهان هكذا الجوهر لا يفارق الحوادث وكل ما لا يفارق الحوادث حادث
فالجوهر حادث والعالم اما جواهر واما اعراض وقد ثبت حدوثها فالعالم
المولف منهما باسره حادث واقول اوضح من ذلك ان يقال اذا اريد جعل
الاستدلال على قوانين المنطقيين ان يقال ان هذه الكواكب لا تصلح
للالهية لانها لا تخلو عن حوادث من البزوغ والافول والحركة والسكون
وهي اعراض حادثة وكل ما لا يخلو عن الحوادث فهو حادث وكل ما كان
حادثا لا يصلح لان يكون الها فهذه الكواكب لا تصلح لذلك وقد قيل ان هذه
طريقة عامة في اثبات حدوث العالم ووجود الصانع وهي مستفادة من
ابرهيم عليه الصلاة والسلام في مقام هذا النظر ولقد اوتي رشده من
قبل ومتكلموا الاسلام تلامذته في هذه الطريقة وهي من ايسر الطرق
واحسنها والرشد الابراهيمي عليها ظاهر ونور برهانها ساطع باهر
وقوله **بالكوكب** وقد بينا انه الزهرة وقيل المشتري **والقمر** حيث قال
الله عز وجل فلما راى القمر بازغا قال هذا ربي فلما افل قال لئن لم يهدني
ربي لاكونن من القوم الضالين معناه لئن لم يثبتني ربي على الهدى
والا فابراهيم عليه السلام لم يتصف بعدم الاهتدا والانبيا عليهم السلام

لبيان رجاء اخر البيان الى هذا المكان ه تامل

لم يزالوا

لم يزالوا يسالون الله عز وجل الثبات على الايمان كيف وان ابرهيم خليل الله
عليه السلام هو القائل واجنبني وبني ان نعبد الاصنام وهذه المقالة
مشعرة بانه استعجز نفسه واستعان بربه عز وجل في درك الحق فانه
لا يهدي اليه الا بتوفيقه ارشادا لقومه وتنبيها لهم على ان القمر ايضا
لتغير حاله لا يصلح للالهية وان من اتخذه الها فهو ضال **والشمس** حيث
قال الله عز وجل في ذلك فلما راى الشمس بازغة قال هذا ربي هذا اكبر ووصفها
بالاكبرية استدلالا او اظهارا لشبهة الخصم وذكر في قصة هذا الاستدلال
ان ابرهيم عليه السلام ولد في زمن نمرود بن كنعان وهو اول من وضع التاج
على راسه ودعا الناس الى عبادته وقد قال له منجموه وكهنته انه يولد
في هذا العام غلام يكون هلاكك على يديه وان ذلك وجد في كتب الانبياء
السالفين او علموه من النجوم وقيل انه راى في منامه ان كوكبا طلع فذهب
بضوء الشمس والقمر حتى لم يبق لهما ضوء ففزع من ذلك فسال الكهنة عن
ذلك فقالوا هو مولود يولد في ناحيتك في هذه السنة يكون هلاكك
وهلاك اهل بيتك على يديه فامر بذبح كل غلام يولد في تلك الناحية
فعزل الرجال النسا عن الرجال الا ايام الحيض لانهم كانوا يعتزلون
النسا في المحيض فدخل آزر فوجد امراته قد طهرت من الحيض فواقعها
فحملت بابرهيم عليه السلام ثم لما دنت ولادتها واخذها المخاض
خرجت هاربة مخافة ان يطلع عليها فيقتل ولدها فحفر ابوه له سربا
عند نهر فواراه فيه وسد عليه بابه بصخرة مخافة السباع وكانت امه

لكن وهو ابن خمسة عشر شهرا م

اي تاج اغفل ح ه

تختلف اليه وترضعه ولما كانت تطالع بجده يمص اصابعه فقالت ذات
يوم لانظرن الى اصابعه فوجدته يمص من اصابعه من اصبع ماء ومن اصبع لبنا
ومن اصبع عسلا ومن اصبع تمرا ومن اصبع سمنا وكان ابرهيم عليه
السلام في غاره يشب في اليوم كالشهر وفي شهر كسنة ولم يمكث فيه
الا خمسة عشر شهرا حتى قال لامه اخرجيني فاخرجته عشا فنظر وتفكر
في خلق السموات والارض وقال الذي خلقني ورزقني واطعمني ربي ما لي
رب غيره ثم نظر فاذا كوكب فقال هذا ربي ويقال انه نظر حين خرج من الغار
الى ابل وخيل وغنم فسال اباه ما هذه قال ابل وخيل وغنم فقال ما لهذه
بد من ان يكون لها رب وخالق ثم نظر فاذا المشتري بزغ ويقال الزهرة
ثم ان العلماء اختلفوا في مقالة ابرهيم عليه السلام هذه فقيل هي على
ظاهرها وان ابرهيم عليه السلام كان مسترشدا طالبا للتوحيد حتى وفقه
الله عز وجل واتاه رشده فلم يضره ذلك في حال الاستدلال وايضا كان
في طفوليته قبل قيام الحجة عليه فلم يكن كفرا وانكر اخرون هذا القول
وقالوا لا يجوز على رسول من الرسل ان ياتي عليه وقت الا وهو
مومن موحد توحيدا صادقا كاملا وانه يجب ان يكون عارفا بالله
معرفة تامة ثم انهم اولوا ما وقع من ابرهيم عليه السلام بانه اراد ان يعرف
قومه خطاهم في تعظيمهم النجوم وعبادتها واسناد الامور كلها اليها
ويعرفهم نقصها فيكون قوله هذا ربي على سبيل الوضع فان المستدل على
فساد قول يحكيه على ما يقول الخصم ثم يكر عليه بالافساد ونظر هذا قوله

عز وجل للكفار يوم القيمة اين شركاي والله عز وجل ليس له شريك فالمراد
اين شركاي على زعمكم فكذا هنا اي هذا ربي على زعمكم وقيل لما خرج ابرهيم
عليه السلام من السرب راى ضوء الكوكب وهو طالب لربه عز وجل فظن انه
ضوءه فقال هذا ربي فلما افل علم انه ليس رب الى اخره وذلك ليس شركا
وقيل هو على الاستفهام الانكاري اي اهذا ربي او مثل هذا يكون ربا
فهو من قبيل افان مت فهم الخالدون اي افهم وقال الهذلي
رفوني وقالوا يا خويلد لم ترع   فقلت وانكرت الوجوه هم هم ه
فان قلت ما ذكره المصنف وما نقلناه من القصة يقتضي ان ابرهيم
عليه السلام قال ذلك وهو طفل عند خروجه من الغار والكلام القراني
يقتضي بظاهره ان القصة وقعت له بعد ما بلغ فانه تعالى اخبر عنه انه قال
لابيه ازر اتتخذ اصناما الهة اني اراك وقومك في ضلال مبين ثم عقب
ذلك بقوله وكذلك نري ابرهيم ملكوت السموات والارض وليكون من
الموقنين ثم ربط هذا الكلام بالفاء حيث قال فلما جن عليه الليل الاية
فدلت الفاء على انه وقع بعد هذا كله وايضا فظاهر قوله سبحانه بعد ان اكمل
القصة وتلك حجتنا اتيناها ابرهيم على قومه يقتضي ان هذه الواقعة
انما وقعت بسبب مناظرة جرت بينه وبين قومه وان ذلك انما كان
ليرشد قومه الى الايمان ويثبت لهم وجود الصانع لا انه طلب هذا لنفسه
وقول ابرهيم في اثنا القصة يا قوم اني بري مما تشركون مما يبين ذلك اذ لو
كان ذلك وهو في الغار او كان نظره لنفسه لقال اني بري من الاشراك

ولم يقل يا قوم ولا انما تشركون ثم قد ثبت انه قال ذلك بعد البلوغ ومعرفته بربه
عز وجل وبعث الله عز وجل له نبيا وكان الجزم على اعتقاد ربوبية الكوكب لما ه
ممتنعا في حقه احتمل قوله صلى الله عليه وسلم هذا ربي وجوها من التاويل
قلت اما كون ذلك وقع من ابرهيم عليه السلام وهو في سن الطفولية قبل
ان يبعث فقد ذكر ناقلوه وورد على السنة كثير من العلماء الجهابذه فيكون
قد قال ذلك وهو في سن الطفولية قبل ان يبعث فان قلت قال القرطبي قال
قوم هذا لا يصح وان كان طفلا لانه لا يجوز ان يكون لله عز وجل رسول
ياتي عليه وقت من الاوقات الا وهو لله عز وجل موحد وبه عارف ومن
كل معبود سواه بري قالوا وكيف يصح ان يتوهم هذا على من عصمه الله
عز وجل واتاه رشده انتهى فهذا يقتضي انه لا يجوز ان يعزى اليه ذلك
وان كان طفلا قلت ابرهيم عليه السلام لم يقل وهو في هذا السن هذا
ربي عن اعتقاد ليكون شركا وانما قالها لا عن اعتقاد فغايته ان ذلك
يكون كذبا فانه لا يخفى ان هذا الكلام صدر عنه قبل تمام النظر في معرفة الله
عز وجل وكم بينه وبين نبوته لانه لا يتصور نبوة الا بعد تمام النظر
فيختار من شقي الاحتمالين كونه قال ذلك عن اعتقاد وكونه قد قاله غير اعني ح
معتقد الشق الثاني وهو انه قال ذلك غير معتقد فيكون كذبا صادرا
منه قبل البعثة واما ما يوهم من ظاهر الاية انه قال ذلك بعد البعثة
ففاسد من وجوه اولها انه لا يلزم من قوله لابيه اتتخذ اصناما الهة
يكون ذلك بعد النبوة لجواز ان يكون قاله وهو طفل لان الله عز وجل اتاه

رشده

رشده وهو صغير وعلم بفطنته ان من عبد المحدثات يكون ضالا فعلم ان المحدثات
ليست ربا ففحص عن المستحق للربوبية سلمنا انه قال له اتتخذ اصناما بعد
النبوة لكن قوله بعد ذلك وكذلك نري ابرهيم ملكوت السموات والارض قصة
اخرى وقعت لابرهيم ولم يعلم من الاية انها قبل قوله لابيه اتتخذ او بعده غاية
الامر انه سبحانه نبههم بها في كونها من كمال ابرهيم ورشده ونجابته ثانيها
ان قوله وليكون من الموقنين صريح في ان ذلك ليعرف الله عز وجل بالنظر لنفسه
لان يقين الانسان لا يتجاوزه الى غيره ثالثها ان اتيانه بالفاء التعقيبية
لا يقتضي ان يكون فلما جن عليه الليل الاية وقع بعد قوله لابيه اتتخذ اصناما
بل وقع بعد قوله وكذلك نري ابرهيم ملكوت السموات ويكون هذا المقال
واراءة ملكوت السموات والارض وقعا في سن الطفولية رابعها ان قوله
وتلك حجتنا لا يلزم ان يكون المشار اليه بتلك هذا الدليل بل يجوز ان يكون
حجة اخرى ولئن سلمنا انه هذا الدليل الذي طلب فيه العلم بثبوت الصانع
ولتحصيل اليقين التام فاي مانع يمنع من ان يكون هذا الدليل مع كونه
عرف ربه لنفسه كان ايضا حجة على خصمه خامسها انه لا يلزم من نداء
قومه بذلك ان يكون قال ذلك بعد النبوة واي مانع يمنع من ان يكون قصد
ارشاد قومه غاية الامر الا ان الارشاد اذ ذاك لم يكن واجبا عليه لانه لم يبعث
ولك ان تقول منزها له عن الكذب في زمن الطفولية انه انما قال ذلك على
سبيل الفرض كما في برهان الخلف ارشادا للصابئة وحاصل ما ذكره ان الكواكب
لو كانت اربابا كما تزعمون لزم ان يكون الرب متغيرا آفلا وهو باطل ويمكن

ان يكون ذلك من قبيل المعاريض التي فيها مندوحة عن الكذب وفي الحديث الصحيح
ان في المعاريض ما يغني المسلم عن الكذب وهي جمع معراض من التعريض وهو
خلاف التصريح من القول وهو وقوله بل فعله كبيرهم واني سقيم من واد واحد
وتقريره في هذه ان التعريض لفظ استعمل في معناه للتلويح بغيره تحويل فعله
كبيرهم هذا نسب الفعل الى كبير الاصنام المتخذة الهة تلويحا لعابديها بانها
لا تصلح ان تكون الهة لما يعلمون اذا نظروا بعقولهم من عجز كبيرها عن ذلك الفعل
والاله لا يكون عاجزا وكذلك هنا قال عن الكوكب الذي يعبده القوم هذا
ربي تلويحا الى جهلهم في عبادته اذا افل واتصف بصفة المحدثات وانما قال
ذلك تلطفا منه واحترازا عن اظهار مخاشنة القوم المنهمكين في عبادة
الكواكب والتعريض لا كذب فيه اصلا فهو على سنن المجاز والكناية فلو قال
عن طويل قامة انه طويل نجاد والحال انه لا نجاد له فهذا لا يعد كاذبا وكذلك
لو قال قائل رايت في الحمام اسدا وعنى به رجلا شجاعا لم يكن كاذبا وان لم
ير اسدا فيكون قول ابرهيم عليه السلام على سنن قول حبيب النجار وما لي لا
اعبد الذي فطرني هذا وقد قال شيخنا الرضي بن التادفي في تقرير التعريض
هنا وبيان معناه الباطني انه يحتمل انه اراد هذا مخلوق ربي فحذف المضاف
لقيام الدليل على ان ظاهر العبارة غير مراد عند ذوي الالباب العقول
السليمة مع قصد ايهامهم انه اراد المعنى الظاهري لتحصيل ما ذكر من الفائدة
ويحتمل انه اراد هذا ربي على حذف همزة الاستفهام الانكاري فحذفها قصدا
الى الايهام المذكور واقول يلزم على هذين التقديرين ان لا يكون ذلك من قبيل

التعريض

التعريض فان قلنا بتقدير المضاف كان الكلام من قبيل مجاز الحذف مثل قوله
واسال القرية وان كان على حذف الاستفهام كان حقيقة ويريد به ظاهر
معناه لا معنى باطنيا والتعريض لفظ استعمل في معناه للتلويح بغيره
فكانه قال هذا ربي ثم رد على نفسه وابطل مقالة نفسه بقوله لا احب
الافلين وذلك ليدفع عن نفسه مخاشنة الجهلة ولم ينسب اليهم ارتكاب
الباطل ولهذا قال في مغني اللبيب انه خبر لفظا ومعنى وانه ليس من
الاستفهام في شي وقيل اوحي الى يوسف عليه السلام وهو صبي عند
ما هم اخوته وهم روبيل وهو اكبرهم وشمعون ولاوي ويهودا
وزبالون ويسجر وامهم ليا بنت ليان وهي بنت خال يعقوب عليه السلام
وولد له من سريتين اربعة نفر دان ونفتال وجاد واشر ثم توفيت
ليا فتزوج يعقوب عليه السلام اختها راحيل فولدت يوسف عليه السلام
وبنيامين فكان بنو يعقوب اثني عشر رجلا قال السهيلي ولم يعقوب
اسمها رفقا وراحيل ماتت من نفاس بنيامين بالقائه في الجب
هو البئر الغير المطوية سميت جبا لانها قطعت في الارض قطعا قال الاعشى
لئن كنت في جب ثمانين قامة • ورقيت اسباب السما بسلم • هـ
قيل ان ذلك الجب في بيت المقدس وقيل هو بالاردن وهو على ثلاثة فراسخ
من منزل يعقوب عليه السلام لقول الله عز وجل واوحينا اليه لتنبئنهم
بامرهم هذا الاية فان في قوله تعالى واوحينا اليه دليلا على نبوته في ذلك
الوقت قال الحسن اعطاه الله عز وجل النبوة وهو في الجب على حجر

من الطوامك

الى غير ذلك مما ذكر من اخبار غيرهم في اخبارهم

مرتفع عن الارض وكان اذ ذاك صغيرا كما قال المصنف قيل كان ابن اثنتي عشرة سنة
وقد قيل كان ابن ثماني عشرة سنة فعلى هذا لم يكن صغيرا فمن قال كان
صغيرا قال اوحي اليه كما اوحي الى يحيى وعيسى عليهما السلام فعلى هذا الوحي
يكون بواسطة ملك وليس وحي الهام وقول المصنف عندما هم اخوته
هو المراد من قوله فلما ذهبوا به واجمعوا ان يجعلوه في غيابة الجب فان
المراد بقوله اجمعوا هموا وعزموا على القائه في الجب قال ابن عرفة يقال اجمع
امره واجمع عليه وعزم عليه بمعنى واحد قال ابو الهيثم يقال اجمع امره
اي جعله جميعا بعد ما كان متفرقا وهو يقتضي ان الوحي وقع عندما هم اخوته
بالقائه في الجب مع ان في القصة ما يقتضي ان ذلك وقع بعد القائه في الجب وان
الوحي وقع له وهو في الجب وفي تفسير القاضي انهم اتوا بيوسف الى البير
فدلوه فيها فتعلق بشفيرها فربطوا يديه ونزعوا قميصه ليلطخوه بالدم
ويحتالوا به على ابيهم فقال يا اخوتاه ردوا علي قميصي اتوارى به فقالوا
ادع الاحد عشر كوكبا والشمس والقمر يلبسوك ويؤنسوك فلما بلغ
نصفها القوه وكان فيها ماء فسقط فيه ثم اوى الى صخرة كانت فيها فقام عليها
يبكي فجاءه جبريل بالوحي كما قال واوحينا اليه انتهى فهذا صريح في ان
الوحي كان بعد ان القوه في الجب وقوله لتنبئنهم اي لتخبرنهم او لتجزينهم بما
فعلوا وهم لا يشعرون الجملة حال قيل من فاعل وحينا اي اوحينا اليه
ايناسا له بالوحي وتطييبا لقلبه وهم يظنون انه في عذاب ملقى في جب في مذلة
وهوان او هلاك ولا يعلمون ان الله عز وجل اراح خاطره بالبشارة

المقتضية

المقتضية لنصره عليهم والاولى ان يكون حالا من الضمير المنصوب في لتنبئنهم
والعامل فيه تنبي اي لتخبرنهم بما فعلوا بك وهم لا يشعرون انك يوسف
لعلو شانك وبعده عن اوهامهم وطول العهد المغير للحلى والهيئات وذلك
اشارة الى ما قال لهم بمصر حين دخلوا عليه ممتارين فعرفهم وهم له منكرون
فقد بشره بما آل الامر ليعلم ان هذه الحينة في طيها منحة وهذه النقمة
يعقبها نعمة ولهذا لما وصل الى ما نعم الله وصل عليه بوجاه اخوته
وعرفهم بنفسه قال لهم لا تثريب عليكم اليوم اي لا تعداد الذنوب ولا
توبيخ عليكم يقال ثرب فلان على فلان اذا بكته بفعله وعدد عليه
ذنوبه وفي الحديث اذا زنت امة احدكم فليضربها الحد ولا يثرب اي
لا يبكتها ولا يقرعها بعد الضرب وقد حكى اهل السير ان امنة بنت وهب
اخبرت ان نبينا محمدا صلى الله عليه وسلم ولد حين ولد باسطا يديه الى
الارض رافعا راسه الى السما قوله حين ولد ظرف متعلق بباسطا والتقدير
ولد باسطا يديه حين ولد فان قلت ما فائدة الظرف ان كان لمجرد
العامل اعني باسطا فكون باسطا حالا من الضمير المستكن في ولد الاول
يغني عن ذكر الظرف لان الكلام حينئذ يفيد انه وقعت له الولادة وهو
باسط فاي حاجة الى الظرف اعني قوله حين ولد قلت يفيد تاكيدا ودفعا
لتوهم ان يكون باسطا حالا مقدرة فلا يكون مضمونها مقارنا لعاملها
وهذا الخبر ذكره ابن ظفر في ابنا نجبا الابنا عنهم ان امنة بنت وهب
ام رسول الله صلى الله عليه وسلم ارسلت هي وقابلتها الى عبد المطلب بن هاشم

في الليلة التي ولد فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم بان يأتي اليهما وكان عبد المطلب
يطوف بالبيت تلك الساعة فأتاها فقالت له يا ابا الحارث قد ولد لك الليلة
مولود له امر عجيب فذعر عبد المطلب وقال اليس بشرا سويا قالت بلى
ولكن سقط حين خرج خارا كالرجل الساجد ثم رفع راسه واصبعه نحو
السما حتى لا تتل رقبته راسا ولا دراع كفا وخرج معه نور ملا البيت
وجعلت النجوم تدنو حتى انها تقع علينا الى اخر الخبر ووقع في حديث
رواه ابو نعيم في الدلائل ان امنة قالت فاخذني المخاض فوضعت محمدا
صلى الله عليه وسلم فنظرت اليه فاذا هو ساجد قد رفع اصبعه الى السماء
كالمتضرع المبتهل الى اخر الحديث وروى محمد بن سعد من حديث جماعة منهم
عطا وابن عباس رضي الله عنهما ان امنة بنت وهب قالت لما فصل
مني رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج معه نور اضا له ما بين المشرق والمغرب
معتمدا على يديه ثم اخذ قبضة من تراب فقبضها ورفع راسه الى السماء
وروى الطبراني انه صلى الله عليه وسلم لما وقع الى الارض وقع مقبوضة اصابع
يده مشيرا بالسبابة كالمسبح بها وقد احسن ابو القاسم الابوصيري
في همزيته حيث قال

شمتته الاملاك اذ وضعته * وشفتنا بقولها الشفاء *
رافعا راسه وفي ذلك الرفع * الى كل سودد ايماء *
رامقا طرفه السما ومرمى * عين من شانه العلو العلاء *
وتدلت زهر النجوم اليه * فاضاءت بضوئها الارجاء *

وبز

وقد ضمن في هذه الابيات الحكمة في كونه ولد رافعا راسه وذلك انه يشير الى انه
ارفع خلق الله عز وجل قدرا وان الله عز وجل يظهره على كل الناس ويظهر
دينه على كل دين كما قال عز من قائل هو الذي ارسل رسوله بالهدى ودين الحق
ليظهره على الدين كله اي ليعليه ويرفعه على كل دين يقال ظهر على الحائط وظهر
على السطح وظهر على الشي اذا غلبه وعلاه ومنه قوله عز وجل فما اسطاعوا
ان يظهروه اي يعلوا عليه لارتفاعه وقوله عز وجل فاصبحوا ظاهرين اي
غالبين عالين وقوله عز وجل ومعارج عليها يظهرون اي يعلون وانما
رمق طرفه الى السما للاشارة الى ان رفعة قدره انما هي سماوية بالقوى
الروحانية ويؤيده الله عز وجل بملائكته وتكون الملائكة هم جنوده وانما
نزل ساجدا للاشارة الى انه انما نال ذلك بعبوديته لربه عز وجل
ولعمري ان سجوده في هذه الحالة اتيان بفعل يدل اظهر دلالة على العبودية لله
عز وجل فهو اظهر من دلالة قول عيسى عليه السلام حين ولد اني عبد الله لان
العبودية الفعلية ارقى واتم من العبودية القولية وانما لم يصرح باللفظ
بالعبودية لان عيسى عليه السلام كانت قصته مقتضية لبراءة امه ونبينا
صلى الله عليه وسلم يكفيه كماله ما وقع منه فان قلت ما باله رفع راسه
الى السما اي نظر الى السما وقد وقع منه النهي عن رفع الراس الى السماء
بالنظر اليها ففي صحيح البخاري بسنده الى انس بن مالك قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم ما بال اقوام يرفعون ابصارهم الى السما في صلاتهم فاشتد
قوله في ذلك حتى قال لينتهن عن ذلك او لتخطفن ابصارهم قلت المنهي عنه

انما هو رفع البصر الى السما في الصلاة قال ابن بطال اجمعوا على كراهة رفع البصر
في الصلاة واختلفوا فيه خارج الصلاة في الدعا فكرهه شريح وطائفة واجازه
الاكثرون لان السما قبلة الدعا كما ان الكعبة قبلة الصلاة وقال بعضهم ان
رفع البصر في الصلاة حرام وافرط ابن حزم فقال ان الصلاة تبطل به
وقيل المعنى في ذلك انه يخشى على الابصار من الانوار التي تنزل بها الملائكة
على المصلي وقال اي النبي صلى الله عليه وسلم في حديثه لما نشات بغضت
الي الاوثان جمع وثن قال ابن عرفة ما كان صورة من حجارة او جص
او غيره فهو وثن وقال ابو منصور الفرق بين الوثن والصنم ان الوثن
كل ما كان له جثة من خشب او حجر او فضة او جوهر او غيره ينحت
وينصب فيعبد والصنم الصورة بلا جثة ومنهم من جعل الوثن صنما
واما النصب ويقال فيه نُصُب ونَصْب ونُصْب فهو صنم او حجر
كانت الجاهلية تنصبه وتذبح عنده فيحمر للدم والاوثان هي التي كانت تعبدها
قريش فان قلت بين لنا لم عبد الكفار الاصنام والاوثان قلت
هم قوم غلب عليهم الجهل والفت نفوسهم الاشيا المشاهدة فكانوا لا يعبدون
الا شخصا حاضرا ينظرون اليه ويعكفون عليه واتخذ اصحاب
الروحانيات والكواكب اصناما وزعموا انها على صورة الروحانيات والكواكب
فوضع الاصنام لم يرد لها على معبود غايب حتى يكون الصنم المعمول على
صورته وشكله وهيئته نايبا منابه قايما مقامه والا فنعلم قطعا ان عاقلا
لا ينحت بيده صورة ثم يعتقد انه الهه وخالقه واله الكل اذ كان وجوده
مسبوقا

مسبوقا بوجود صانعه وشكله محدث بصنعة ناحته لكن القوم لما عكفوا
على التوجه اليها وربطوا حوائجهم بها من غير اذن حجة وبرهان وسلطان من
الله عز وجل كان عكوفهم ذلك عبادة لها فطلبهم حوائجهم منها اثبات الهية
لها وعن هذا كانوا يقولون ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى فلو كانوا
مقتصرين على صورها في اعتقادهم الربوبية والالهية لما تعدوا عنها
الى رب الارباب عز وجل وتبغيض الله عز وجل له الاوثان وردت به
اخبار كثيرة من ذلك ما رواه صاحب الوفا بسنده عن ام ايمن رضي الله
عنها قالت كانت بوانة صنما يحضره قريش وتعظمه وتنسك له
النسائك ويحلقون روسهم ويعكفون عنده يوما الى الليل وذلك يوم في
السنة وكان ابو طالب يحضره مع قومه وكان يكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم ان
يحضر ذلك العيد مع قومه فيابى رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك حتى رايت
ابا طالب غضب عليه ورايت عماته غضبن عليه يومئذ اشد الغضب
وجعلن يقلن له ما تريد يا محمد ان تحضر لقومك عيدا ولا تكثر لهم جمعا
فلم يزالوا به حتى ذهب فغاب عنهم ما شا الله عز وجل ثم رجع مرعوبا فزعا
فقالت عماته ما شانك قال اني اخشى ان يكون بي لمم فقلن ما كان الله
عز وجل ليبتليك بالشيطان وفيك من خصال الخير ما فيك فما الذي رايت
قال اني كلما دنوت من صنم منها تمثل لي رجل ابيض طويل يصيح بي وراك يا
محمد لا تمسه قال فما عاد الى عيد لهم ومنه حديث بحيرا حين قال له
اسالك باللات والعزى الا اخبرتني عما اسالك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم

مطلب الكراهة والجواز

بلغ مقابلة على خط المولف

وقد استدل البخاري في صحيحه على جواز رفع البصر الى السما بقوله تعالى افلا ينظرون الى الابل كيف خلقت والى السما كيف رفعت الى قوله الالباب هذا محله وهو في اصل المصنف بالهامش فالتبس علي فاثبته في الورقة التي بعد هذه فاعلم هـ

عليهم

قوله وقد استدل البخاري الى اخره [illegible] التي قبل هذه فاعلم ذلك

لاتسلني بالات والعزى فوالله ما ابغضت شيا بغضها وقد استدل البخاري
في صحيحه على جواز رفع البصر الى السما بقول الله عز وجل افلا ينظرون الى الابل كيف
خلقت والى السما كيف رفعت اي بنا على ان المراد بالنظر ما هو المتبادر منه
وهو الروية البصرية وبحديث رواه ايوب عن ابن ابي مليكة عن عائشة رضي الله
عنها قالت رفع النبي صلى الله عليه وسلم راسه الى السما وذلك وقع في قصة وفاته
صلى الله عليه وسلم قالت مات رسول الله صلى الله عليه وسلم في بيتي وفي يومي وبين
سحري ونحري وفيه فرفع بصره الى السما وقال الرفيق الاعلى وهو في صحيح
البخاري تعليقا ورواه بتمامه احمد واخرجه ابن حبان وقد وقع في حديث
جابر رضي الله عنه في فترة الوحي فنظر اي النبي صلى الله عليه وسلم الى السما وفي حديث
ابي موسى الاشعري رضي الله عنه كان رسول الله صلى الله عليه وسلم كثيرا ما يرفع
بصره الى السما اخرجه مسلم وحديث عبد الله بن سلام كان رسول الله صلى الله
عليه وسلم اذا جلس يتحدث يكثر ان يرفع طرفه الى السما اخرجه ابو داود
فحاصل طرق الجمع ان النهي خاص بحالة الصلاة وفي صحيح البخاري عن
ابن عباس رضي الله عنهما كان بت في بيت ميمونة ورسول الله صلى الله عليه
وسلم عندها فلما كان ثلث الليل الاخر او بعضه قعد فنظر الى السما فقرا
ان في خلق السموات والارض الى قوله لاولي الالباب وبغض اليه الشعر
وذلك لما يريد الله عز وجل من كرامته حتى اذا اتاهم بالقران لا يظنونه شعرا
فكان صلى الله عليه وسلم من صغره لا يقول الشعر ولا يزنه لان الله عز وجل صرف
طبعه الشريف عنه حتى كان اذا حاول انشاد بيت قاله قائل قبله متمثلا به

كسر وزنه

الاصل بالاخبار من لم تزود

الاصل بين عيينة والاقرع

كلام ابن العربي ينظر فيه

كسر وزنه ولكن كان اليه المنتهى في تحرير المعاني حتى انه انشد يوما قول طرفة
ستبدي لك الايام ما كنت جاهلا ● ويأتيك من لم تزود بالاخبار ده
وانشد يوما اتجعل نهبي ونهب العبيد ● بين الاقرع وعيينة ه
وربما انشد البيت مستقيما كما انشد قول ابن رواحه
يبيت يجافي جنبه عن فراشه ● اذا استثقلت بالمشركين المضاجع ه
وكونه اصاب الوزن احيانا لا يوجب انه يعلم الشعر وكذلك ما ياتي في نثر كلامه
موزونا كقوله في يوم خيبر هل انت الا اصبع دميت ● وفي سبيل الله ما لقيت ه
وكذلك قوله انا النبي لا كذب ● انا ابن عبد المطلب ه وغير ذلك وقال ابن العربي
الظاهر انه قرا انا النبي لا كذب بالرفع وبجر المطلب ولا يكون هذا من
منهوك بحر الرجز الا اذا سكنت باء كذب وباء المطلب فان قلت سلمنا
ان النبي صلى الله عليه وسلم لم يكن يعلم الشعر لئلا يظن فيه انه انما اتى بهذا القران الذي
حير الافكار لكونه ماهرا في الشعر فقد علمت جميع العرب ان نبينا صلى الله
عليه وسلم لم يكن يعرف شيا من الشعر ولا يقدر على نظم بيت واحد مع انه كان
في جبلة قومه لكن لم ابغض الشعر قلت انما ابغضه لان الله عز وجل صرفه
عن تعلمه كما صرفه عن تعلم الكتابة وكما صرفه عن الرحلة عن مكة وابقاه بين
قوم جهال ثم انه برز بعلوم الاولين والاخرين ونشا بين قوم شعراء ولم يتعلم
من الشعر شيا وكان مشهورا فيما بينهم بذلك ثم انه اتى بهذا القران فعلم
بذلك ان علومه التي اتى بها وكتابه الذي جاء به انما هو من العليم الذي علمه ما
لم يعلم كما قال عز وجل وانزل الله عليك الكتاب والحكمة وعلمك ما لم تكن تعلم

وكان فضل الله عليك عظيما فان قلت فكيف يصنع احدنا في شان الشعر قلت قال الشافعي رضي الله عنه الشعر نوع من الكلام حسنه كحسن الكلام وقبيحه كقبيح الكلام يعني ان الشعر ليس يذم لذاته وانما يكره لمتضمناته وكان عند العرب عظيم الموقع وفي صحيح البخاري عن عائشة رضي الله عنها قالت استاذن حسان بن ثابت رسول الله صلى الله عليه وسلم في هجا المشركين فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فكيف بنسبي فقال حسان لاسلنك منهم كما تسل الشعرة من العجين وقال عروة ذهبت اسب حسان رضي الله عنه عند عائشة رضي الله عنها فقالت لا تسبه فانه كان ينافح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم ان المنهي عنه من الشعر ان يكون الغالب على الانسان حتى يصده عن ذكر الله عز وجل والقرآن ووجهه ان الذم اذا كان للامتلا وهو الذي لا بقية لغيره فيه دل على ان ما دون ذلك لا يدخله الذم وفي صحيح البخاري عن ابن عمر رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لان يمتلئ جوف احدكم قيحا خير له من ان يمتلئ شعرا وفي رواية له عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لان يمتلئ جوف الرجل قيحا يريه خير من ان يمتلئ شعرا وروى الطحاوي والطبراني لان يمتلئ جوف احدكم من عانته الى لهاته قيحا يتخضخض خير له من ان يمتلئ شعرا وسنده حسن وذكر في صحيح مسلم لهذا الحديث سببا ولفظه بينما نحن نسير مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بالعرج اذ عرض لنا شاعر ينشد فقال امسكوا الشيطان لان يمتلئ جوف احدكم فذكر الحديث ويريه بفتح الياء اخر الحروف بعدها را مهملة ثم يا اخرى قال الاصمعي هو من الوري بوزن الرمي

يقال

في النهاية ان جبريل مع حسان ما نافح عنه اي دافع والمنافحة والمكافحة المدافعة والمضاربة ونفحت الرجل بالسيف تناولته به يريد بمنافحته هجا المشركين ومجاوبتهم على اشعارهم ه ذكره في مادة نفح بالنون والفاء والحاء المهملة ه

يقال منه رجل موري غير مهموز وهو ان يوري جوفه وانشد قالت له وريا اذا تنحنحا تدعو عليه بذلك وقال ابو عبيد الوري ان ياكل القيح جوفه وحكى ابن التين فيه الفتح بوزن الفري وهو قول الفراء وقال ثعلب هو بالسكون المصدر وبالفتح الاسم وقال الجوهري وري القيح جوفه يريه وريا اكل وقال قوم معناه حتى يصيب رئته وانكره غيرهم لان الرية مهموزة واذا بنيت منه فعلا قلت راه يراه فهو مرئي وقال الازهري ان الرية اصلها من وري وهي محذوفة منه تقول وريت الرجل فهو موري اذا اصبت رئته والمشهور في الرية الهمز والمراد بالجوف اما ظاهره المتبادر منه فالمراد الجوف كله والقلب جز منه واما القلب فقط والمراد به القلب الحسي الصنوبري لان مراد النبي صلى الله عليه وسلم بذلك لان يمتلئ مما يقتضي هلاكه لان القيح اذا وصل الى القلب عمل دا القلب وان كان قدرا يسيرا لانه عضو رئيس ضعيف النياط وسوا كان الشعر المذموم من انشائه ام من محفوظه وقوله شعرا نكرة ظاهرها العموم على حد تمرة خير من جرادة وان كانت واقعة في سياق الاثبات لكن خص منه ما كان فيه مدح لله عز وجل اولرسوله صلى الله عليه وسلم وما كان حاثا على الزهد والتقوى وما كان مشوقا الى لقا الله الكريم الجواد وما كان حاثا على طلب الجنة والتبري من النار اعاذنا الله واحبابنا منها كيف وقد كان صلى الله عليه وسلم يستنشد من جالسه ممن كان يحفظ الشعر الاشعار ففي الترمذي عن عمرو بن الشريد عن ابيه قال

اردفني النبي صلى الله عليه وسلم فقال هل معك من شعر امية بن الصلت شي قلت
نعم قال هيه فانشدته بيتا فقال هيه فانشدته بيتا فقال هيه حتى انشدته
مائة بيت وهو في صحيح مسلم ايضا وعن انس ان النبي صلى الله عليه وسلم دخل
مكة في عمرة القضا وابن رواحة يمشي بين يديه وهو يقول

خلوا بني الكفار عن سبيله ۞ اليوم نضربكم على تنزيله ۞ ضربا يزيل الهام عن مقيله ۞
ويذهل الخليل عن خليله ۞

فقال له عمر يا ابن رواحة بين يدي رسول الله صلى
الله عليه وسلم تقول شعرا فقال النبي صلى الله عليه وسلم خل عنه يا عمر فلهي اسرع
فيهم من نضح النبل رواه الترمذي في الشمايل وعن جابر بن سمرة قال جالست
النبي صلى الله عليه وسلم اكثر من مائة مرة وكان اصحابه يتناشدون الشعر
ويتذاكرون اشيا من كلام الجاهلية وهو ساكت وربما تبسم معهم رواه
الترمذي في الشمايل ايضا وقالت عائشة رضي الله عنها رووا اولادكم
بالشعر تعذب السنتهم وبعث زياد بولده الى معاوية رضي الله عنه
فكشفه عن فنون العلم فوجده عالما بكل ما سأله عنه ثم استنشده الشعر
فقال لم ارو منه شيا فكتب معاوية الى زياد ما منعك ان ترويه الشعر
فوالله ان كان العاق ليرويه فيبر وان كان البخيل ليرويه فيسخو وان كان
الجبان ليرويه فيقاتل وكان علي بن ابي طالب رضي الله عنه وارضاه اذا
اراد المبارزة في الحرب انشد ۞ اي يومي من الحرب افر ۞ يوم لا يقدر ام يوم قدر ۞
يوم لا يقدر لا ارهبه ۞ ومن المقدور لا ينجي الحذر ۞ وقال المقداد بن الاسود
ما كلمت احدا من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم اعلم بالشعر ولا اعرض من عائشة

رضي

رضي الله عنها وقد اشار الى ذلك الصرصري في نونيته حيث قال

واستنشد الاشعار مستمعا لها ۞ مستحسنا من غير ما نكران ۞
اهدى له العباس ابياتا بها ۞ مدح يفوق قلائد العقيان ۞
فدعا له واتاه كعب مادحا ۞ بقصيدة مرضية الاوزان ۞
فاجازه ولطالما من قبلها ۞ سمع المدائح فيه من حسان ۞

يشير بذلك الى ابيات العباس الاتية وهي قوله

من قبلها طبت في الظلال وفي ۞ مستودع حيث يخصف الورق ۞

الى اخرها وقصيدة كعب هي بانت سعاد وقصتها مشهورة ولله در
الشيخ تقي الدين بن تيمية حيث قال

جحود فضيلة الشعر اغتي ۞ وتعميم المدائح من الرشاد ۞
محت بانت سعاد ذنوب كعب ۞ واعلت كعبه في كل ناد ۞
وما احتاج النبي الى قصيد ۞ مشببة بشي من سعاد ۞
ولكن سن اسواء الايادي ۞ وكان الى المكارم خير هاد ۞

هذا وحديث انه لما نشات بغض الي الاوثان وبغض الي الشعر رواه
ابو نعيم في الدلائل عن شداد بن اوس ولم اهم في الصحاح هممت
بالشي اهم هما اذا اردته وحاولته وهممت على زنة نصرت واهم على زنة
انصر بشي مما كانت الجاهلية اي اهلها تفعله والمراد بالجاهلية ما
كان يفعله الناس قبل ان يبعث الله عز وجل محمدا صلى الله عليه وسلم فالمراد
بالجاهلية هنا ما كان قبل البعثة ومنه قوله عز وجل يظنون بالله ظن الجاهلية

وقوله عز وجل ولا تبرجن تبرج الجاهلية الاولى وفي النهاية الاثيرية الجاهلية
الحال التي كانت العرب عليها قبل الاسلام من الجهل بالله عز وجل ورسوله
صلى الله عليه وسلم وشرائع الدين والمفاخرة بالانساب والكبر والتجبر
وغير ذلك وقد تطلق مضافة الى شخص مخصوص كما قال النبي صلى الله
عليه وسلم لابي ذر رضي الله عنه انك امرؤ فيك جاهلية قيل المراد ما قبل
اسلامه وانا اقول الظاهر ان المراد ان فيك خصلة مما كان يتصف
بها اهل الجاهلية لانه وقع في جواب انه ساب رجلا اسود فعيره بامه
الا مرتين يعصمني الله عز وجل منهما ثم لم اعد قال شيخنا الرضا ابن الشاذلي
اقول اراد بعصمته منهما انه لم توقعاه في ذلك الشيء المحذور كما يقول امر
بي اسد فعصمني الله عز وجل منه اي عصمني منه اذ لم يفترسني والا
فعصمته منهما بمعنى انهما لم تصدرا منه ممنوع ضرورة ان الاستثناء
من عدم الفعل فعل نحو لم افعل كذا الا مرة اي فاني فعلته تلك المرة انتهى
واقول معنى كلامه صلى الله عليه وسلم اني لم اهم بشيء مما كانت الجاهلية تفعله
الا همتين فاني فعلتهما اي هممت بهما ولكن عصمني الله عز وجل من اتيانهما
دون بالهما فالاستثنا ليس من عدم الفعل وانما هو من عدم الهم والاستثناء
من عدم الهم هم فثبت انه صلى الله عليه وسلم هم مرتين والعصمة ليست
من الهم لانه وقع البتة وانما هي من المواقعة بالهم فان مجرد الهم لا يوجب
المواقعة وانما يوجبها العزم على الفعل بل الهم على الفعل ثم الاعراض عنه يوجب ثوابا
واجرا ثم ان قوله ضرورة ان الاستثناء من عدم الفعل فعل سهو لامرين
الاول

الاول ان الرجل متمذهب بمذهب ابي حنيفة رضي الله عنه وهو يقول
الاستثناء من النفي ليس اثباتا بل المستثنى عنده مسكوت عنه فنحو ما
قام احد الا زيد وقام القوم الا زيدا فزيد عند ابي حنيفة مسكوت عنه
من حيث القيام وعدمه خلافا للشافعي رضي الله عنه والجمهور فان
الاستثناء يدل على اثبات القيام لزيد في الاول ونفيه عنه في الثاني ومبنى
الخلاف على ان المستثنى من حيث الحكم مخرج عن المحكوم به فيدخل في نقيضه
من قيام او عدمه مثلا او مخرج عن الحكم فيدخل في نقيضه اي لا حكم
الثاني دعواه ان ذلك ضروري وكيف يكون ضروريا وابو حنيفة رضي الله
عنه يخالف فيه ثم ان هاتين المرتين اولاهما انه كان في غنم يرعاها هو
وغلام يافع من قريش فقال لصاحبه اكفني الغنم حتى اتي مكة وكان بها
عرس ولهو فلما دنا من الدار ليحضر ذلك جلس قليلا فالقى الله عز وجل عليه
النوم فنام حتى فرغ العرس عصمة من الله عز وجل له وكذلك ايضا في المرة
الاخرى قال لصاحبه مثل ذلك ففعل والقى عليه النوم كما القى عليه في المرة
الاخرى وروى الطبري ان المرة الاولى قال قلت ليلة لغلام كان يرعى معي لو
ابصرت لي غنمي حتى ادخل مكة فاسمر بها كما يسمر الشباب فخرجت لذلك حتى
جئت اول دار من مكة سمعت عزفا بالدفوف والمزامير لعرس بعضهم
فجلست انظر فضرب على اذني فنمت فما ايقظني الا مس الشمس فرجعت
ولم اقض شيئا ثم عراني مرة اخرى مثل ذلك ثم لم اهم بعد ذلك بسوء وقد ذكره
المصنف في هذا الباب في الفصل المعقود لعدله صلى الله عليه وسلم وامانته

وعفنة والعزف اللعب بالمعازف وهي الدفوف وغيرها مما يضرب وقيل
ان كل لعب عزف وانما سمع النبي صلى الله عليه وسلم ذلك مع انه حرام لان ذلك
وقع قبل البعثة وذلك صغيرة لا تجب عصمة الانبيا منه اذا لم يكن من
صغائر الخسة ولعله راى ذلك ولم يسمع قصدا فنام قبل ان يتاتى
له الاستماع وانما قال فضرب على اذني بعد قوله فجلست انظر وانما الملائم
لضرب على عيني قبل لان الذي هم به انما هو السمر الذي يقتضي سماع السمير
للسمير وانا اقول ـــ يريد صلى الله عليه وسلم فضرب على اذني
اي انامني الله عز وجل على طريقة التمثيل المبني على تشبيه الانامة
الثقيلة المانعة عن وصول الاصوات الى الاذان بضرب الحجاب عليها وانما
خص الاذن بالذكر مع اشتراك سائر المشاعر في ذلك لما انها المحتاجة
الى الحجب عادة اذ هي الطريقة لليقظة غالبا لا سيما عند انفراد النائم
واعتزاله عن الخلق وقيل الضرب على الاذن كناية عن الانامة الثقيلة
كما في قولهم ضرب الامير على يد الرعية اي منعهم من التصرف وقيل ان
النوم اول ما يبدا من الاذن ولا ينقطع نوم النائم الا من اذنه ولا يستحكم
النوم مع تعطيل السمع ومن ذكر الاذن في النوم قوله صلى الله عليه وسلم ذاك
رجل بال الشيطان في اذنه خرجه في الصحيح واما السمر الذي عزم عليه
صلى الله عليه وسلم وصرفه الله عز وجل عنه فهو سمر كان يفعله اهل الجاهلية
وهو الحديث بعد العشا وقد وقع في رواية السمر بسكون الميم وجعله
المصدر واصل السمر ضوء القمر لانهم كانوا يتحدثون فيه وههنا سوال

وهو

وهو ان يقال ان السمر بعد العشا غايته انه مكروه والانبيا يجوز ان يقع
منهم ما هو مكروه لبيان الجواز واما قبل البعثة فلا ضير في وقوعه
منهم فلم عده من افعال الجاهلية وهو فعل لا حرمة فيه من حيث هو سمر
ودليل كراهته ما في صحيح البخاري عن ابي برزة الاسلمي قال كان رسول
الله صلى الله عليه وسلم يصلي المكتوبة قال كان يصلي الهجير وهي التي يدعونها
الاولى حين تدحض الشمس ويصلي العصر ثم يرجع احدنا الى اهله في
اقصى المدينة والشمس حية ونسيت ما قال في المغرب قال وكان
يستحب ان يوخر العشا قال وكان يكره النوم قبلها والحديث بعدها
وكان ينفتل من صلاة الغداة حين يعرف احدنا جليسه ويقرا من
الستين الى المائة فالجواب ان اهل الجاهلية كان لهم سمر لا
يجوز سماعه ولا حضوره لانهم كانوا في كل كلام يحلفون باللات والعزى
ومناة كما يحلف احدنا في كل كلام بالله عز وجل وكانوا يفتخرون بابائهم
الكفار المشركين وكانوا يعظمون اسلافهم المشركين الكفار ومثل هذا
حضوره من اكبر المحرمات تجب عصمة النبي صلى الله عليه وسلم منه والا
فالسمر الذي يقع بعد العشا اذا صلاها الانسان على اقسام الاول
ان يكون في غير هذا الوقت مباحا ونعني بالمباح ما استوى فعله وتركه فهو
في هذا الوقت يكون مكروها والثاني ان يكون في غير هذا الوقت مكروها
فهو في هذا الوقت اشد كراهة الثالث ان يكون في غير هذا الوقت حراما
فهو في هذا الوقت اشد تحريما الرابع الحديث في الخير كمذاكرة العلم وحكايات

اي تزول عن وسط السماء الى جهة المغرب كانها دحضت اي زلقت ه نهايه

الصالحين ومكارم الاخلاق والحديث مع الضيف فلا كراهة فيه بل هو مستحب
وكذا الحديث للعذر والامور العارضة ففي الصحيحين عن ابن عمر رضي الله
عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى العشاء في اخر حياته فلما سلم قال
ارايتكم ليلتكم هذه فان على راس مائة سنة لا يبقى ممن هو على ظهر
الارض اليوم احد وفي الصحيحين ايضا عن ابي موسى الاشعري رضي الله عنه
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اعتم بالصلاة حتى ابهار الليل ثم خرج رسول
الله صلى الله عليه وسلم فصلى بهم فلما قضى صلاته قال لمن حضره على رسلكم وابشروا
ان من نعمة الله عز وجل عليكم انه ليس من الناس يصلي هذه الساعة غيركم
او قال ما صلى احد هذه الساعة غيركم وفي حديث انس رضي الله عنه الذي
رواه البخاري في صحيحه انهم انتظروا النبي صلى الله عليه وسلم فجاءهم قريبا
من شطر الليل فصلى بهم يعني العشاء قال ثم خطبنا فقال الا ان
الناس قد صلوا ثم رقدوا وانكم لن تزالوا في صلاة ما انتظرتم الصلاة وفي
الصحيحين في حديث ابن عباس رضي الله عنهما في بيت ميمونة وقوله فيه
ان النبي صلى الله عليه وسلم صلى العشاء ثم دخل فحدث اهله وقوله نام الغليم
وفي حديث عبد الرحمن بن ابي بكر الصديق رضي الله عنهما في قصة اضيافه
واحتباسه عنهم حتى صلى العشاء ثم جاء وكلمهم وكلم امراته وابنه وتكرر
كلامهم ونظائر هذه الاحاديث كثيرة لا تحصر لها هذا هو الحق في ذلك
وما ذكره ابو الليث السمرقندي من ان الكلام في اساطير الاولين والاحاديث
المكذوب به والسخرية والضحك مكروه فضعيف لان الكلام في اساطير الاولين

المكذوب به

المكذوب به حرام بل كبيرة فان قلت قوله صلى الله عليه وسلم ما هممت الا مرتين
يقتضي انه هم ووقع منه الهم مرتين فهل يؤاخذ بهذا الهم قلت لا ينبغي
ان للقلب اربعة احوال قبل ان يفعل الفعل بالجارحة الاول الخاطر
وهو حديث النفس فهذا لا يؤاخذ به لانه لا يدخل تحت الاختيار الثاني
الميل وهيجان الشهوة ولا يؤاخذ بهما ايضا لانهما ايضا لا يدخلان تحت
الاختيار وهما المراد من قوله صلى الله عليه وسلم عفي عن امتي ما حدثت
به نفوسها فحديث النفس عبارة عن الخواطر التي تهيج في النفس ولا
يتبعها عزم على الفعل واما العزم والهم فلا يسمى حديث النفس بل حديث
النفس كما روي عن عثمان بن مظعون رضي الله عنه حيث قال يا رسول
الله نفسي تحدثني ان اطلق خولة فقال مهلا ان من سنتي النكاح قال
ان نفسي تحدثني ان اجب نفسي قال مهلا خصاء امتي دؤوب الصيام قال
نفسي تحدثني ان اترهب قال مهلا رهبانية امتي الجهاد والحج قال نفسي
تحدثني ان اترك اللحم قال مهلا فاني احبه ولو اصبته كل يوم لاكلته
ولو سالت الله عز وجل لاطعمني فهذه الخواطر التي ليس معها عزم على
الفعل هي حديث النفس ولذلك شاور فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ
لم يكن معه عزم وهم بالفعل الثالث الاعتقاد بان حكم القلب بانه ينبغي
ان يكون كذا فهذا يؤاخذ به ان كان اختياريا واما اذا لم يدخل تحت الاختيار
فلا يؤاخذ به الرابع الهم بالفعل فانه يؤاخذ به الا انه اذا لم يفعل نظر فان
تركه خوفا من الله عز وجل وندما على همه كتبت له حسنة لان همه سيئة

مطلب نفيس

مرتبة
من العزم يخرج
الاول والثاني

وامتناعه ومجاهدة نفسه حسنة وان تركه لعذر كتبت عليه سيئة فهذا
رسول الله صلى الله عليه وسلم تركه لغلبة النوم عليه فتركه لعذر ومع ذلك هو صغيرة
وقعت منه قبل البعثة فلا ينافي ذلك عصمته ثم يتمكن الامر لهم وترادف
نفحات الله عز وجل عليهم جمع نفحة في القرنين النفحة الفورة وفي
الحديث اول نفحة من دم الشهيد اي اول فورة وطعنة تفوح ويقال نفح الطيب
وله نفحة طيبة وفي النهاية النفحة الريح والنفس ونفح الريح هبوبها
ونفح الطيب اذا فاح قال ومنه الحديث ان لربكم في ايام دهركم نفحات
الا فتعرضوا لها وفي حديث اخر تعرضوا لنفحات رحمة الله انتهى والحاصل
ان المراد بترادف نفحات الله عليهم تفضلات الله عز وجل التي هي كنفحات
الطيب والمسك في مع النفع والالتذاذ وتشبيهها بالفورات التي تفور
من العيون النابعة في مع انها نافعة تاتي من حيث لا يحتسب الذي اتته
فيكون اطلاق النفحات على تفضلات الله عز وجل وجوده وكرمه بطريق
الاستعارة التصريحية واضافتها الى الله عز وجل قرينة الاستعارة والترادف
التتابع قال الاصمعي تعاونوا عليه وترادفوا بمعنى كذا في الصحاح وتشرق انوار
المعارف في قلوبهم حتى يصلوا الغاية ويبلغوا باصطفاء الله عز وجل لهم بالنبوة
في تحصيل هذه الخصال الشريفة النهاية دون ممارسة ولا رياضة
اي عادة والرياضة حصول الملكة من كثرة الاعتياد تقول رضت المهر اروضه
رياضة ورياضا فهو مروض وناقة مروضة قال الله عز وجل ولما بلغ اشده
واستوى اتيناه حكما وعلما وجه الاستشهاد بهذه الاية

ان

انظر وقوع الصغيرة قبل البعثة لا ينافي العصمة ويقوم هذا ايضا بنحو ورقتين

ان الله عز وجل اخبر في هذه الاية ان موسى عليه الصلاة والسلام من الله عليه
بالكمال وترادفت عليه نفحات الله عز وجل حتى وصل في درجات الكمال الى النهاية
من غير سبق ممارسة ولا رياضة وانما ذلك محض منة الهية ونعمة ربانية
فان الله عز وجل اخبر ان موسى عليه السلام ولد ونشا بين فرعون وقومه وانه
لم ير معلما ولا كان في بلد نشا فيها حكيم ولا عالم ولا من يعلمه الكتاب ولا الايمان
حتى بلغ اشده واستوى قال ابن عباس بلغ ثلثا وثلثين سنة واستوى بلغ
اربعين سنة وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما انه قال الاشد ما بين
الثماني عشرة سنة الى الثلاثين والاستوا ما بين الثلاثين والاربعين
فاذا زاد على الاربعين اخذ في النقصان وقال مجاهد بلغ اشده قال ثلثا
وثلثين سنة واستوى قال اربعين سنة اتيناه حكما وعلما الفقه والعقل
والعلم وقيل الاستوا خروج لحيته ولما بلغ ذلك من الله عز وجل عليه بالعلم
والحكمة تفضلا منه ومنة من غير معلم ومثل هذا الجزا نجازي كل محسن اي
مثل الجزا الذي جازى به موسى عليه السلام نجازي الله عز وجل كل محسن وان
اللام في المحسنين للاستغراق والجمع المحلى باللام يفيد العموم فالمشار اليه
في قوله وكذلك نجزي موسى عليه السلام عندما بلغ اشده واستوى كان
عالما كاملا وهو صغير قبل ان ينبا كان له تسعة من بني اسرايل يسمعون
منه ويقتدون به وقيل المشار اليه بذلك جزاء ام موسى عليه السلام اي كما
جزينا ام موسى لما استسلمت لامر الله عز وجل والقت ولدها في البحر
وصدقت بوعد الله ثم وهب الله عز وجل له العقل والعلم والحكمة والنبوة

يجزي الله عز وجل كل محسن وقد وقع مثل ذلك في يوسف عليه السلام فان الله اخبر
ان يوسف عليه السلام من الله عز وجل عليه بالحكم والعلم عند بلوغ اشده قيل
المراد بالحكم جعلناه حاكما مستوليا فكان يحكم في سلطان الملك والمراد بالعلم
العلم بالحكم وقال مجاهد الحكم العقل والفهم والعلم النبوة وقيل الحكم النبوة
والعلم في الدين وقيل علم الرويا ومن قال اوتي النبوة صبيا قال لما بلغ
اشده زدناه فهما وعلما وقيل الحكم العلم المويد بالعمل والمراد بالعلم الفقه
في الدين وانما نكرهما للتفخيم اي حكما وعلما لا يكتنه كنههما ولا يقادر قدرهما
ثم انه تعالى اخبر بان ذلك سنته في خلقه تعالى انه يجزي مثل الجزا العظيم
الشان لكل من يحسن في عمله وحينئذ كان ذلك جزا لكونه محسنا في عمله
فيجب ان يكون بعد انقضا الاعمال الحسنة التي من جملتها معاناة الاحزان
والشدائد والمراد بالمحسن من اتصف بالاحسان وهو اسم جامع لجميع
ابواب الحقائق وهو ان تعبد الله عز وجل كانك تراه بان يكون العبد
غير منازل للمشاهدة ابدا غير ملاحظ لهمته واقباله على الله عز وجل ابدا
وان يكون مهاجرا الى مولاه مسافرا اليه سرمدا ولعمري ان هذه صفة
يوسف عليه السلام وسائر النبيين عليهم افضل الصلاة و~~السلا~~
التسليم من الله رب العالمين ثم انه نعتهم بانهم محسنون فعلق وقوع
الجزا لهم بذلك على نعت انهم محسنون للاشعار بان الاحسان هو علة هذا
الجزا وللتنبيه على انه سبحانه انما جازاهم لكونهم محسنين وانما جازى
يوسف عليه السلام بذلك لكونه منهم وهل جزا الاحسان الا الاحسان واما

الاشد

معنى الاشد

الاشد فهو من خمس عشرة سنة الى اربعين سنة وهو جمع شدة مثل نعمة
وانعم وهي القوة والجلادة في البدن والعقل وقد شد يشد شدة اذا
كان قويا والمراد ببلوغ الاشد سن الرشد والرشد من الصفات
المختلفة فرب من يصير رشيدا في خمس عشرة سنة وقد ذكر الفقهاء في
الحجر انه لا يدفع للصبي ماله الا اذا اونس منه الرشد ولا يسقط اشتراط
ايناس الرشد عن ذي المال وان شاخ الا ان ابا حنيفة وزفر وابرهيم
النخعي اسقطوا ايناس الرشد ببلوغ خمس وعشرين سنة واما
بلوغ يوسف عليه السلام الاشد فهو سن الوقوف ما بين الثلاثين
والاربعين وقيل سن الشباب ومبداه بلوغ الحلم وقد تجد غيرهم اي غير
الانبيا عليهم السلام يطبع على بعض هذه الاخلاق دون جميعها ويولد
عليها فيسهل عليه اكتساب تمامها عناية من الله عز وجل كما تشاهد
من خلقة بعض الصبيان على حسن السمت في القاموس السمت الطريق
وهيئة اهل الخير انتهى وفي حديث عمر رضي الله عنه فينظرون الى سمته
وهديه اي حسن هيئته ومنظره في الدين وفي الحديث قال حذيفة
رضي الله عنه ما نعلم احدا اقرب سمتا وهديا ودلا بالنبي صلى الله عليه وسلم
من ابن ام عبد رضي الله عنه يعني ابن مسعود او الشهامة اي الذكا
المفرط وفي القاموس الشهم الذكي المتوقد كالشهوم والجمع شهام وقد شهم
ككرم والسيد النافذ الحكم او صدق اللسان او السماحة كما تجد بعضهم على
ضدها فبالاكتساب يكمل ناقصها وبالرياضة والمجاهدة يستجلب

معدومها ويعتدل منحرفها يريد المصنف بذلك الاشارة الى ان نيل هذه الاخلاق
الحسنة يكون على وجهين الاول بجود الهي وكمال فطري بحيث يخلق الانسان
ويولد كامل العقل حسن الخلق قد كفي سلطان الشهوة والغضب بل خلقتا
فيه معتدلتين منقادتين للعقل والشرع فيصير بغير معلم عالما وبغير مودب
مودبا كسائر الانبيا قال الابوصيري في همزيته

• كفاك بالعلم في الامي معجزة • في الجاهلية والتاديب في اليتم •

ولا بعد في ان يكون في الطبع والفطرة ما ينال بالاكتساب فرب صبي يخلق
صادق اللهجة دريا سخيا وربما يخلق بخلافه فيحصل فيه ذلك بالتعود
ومخالطة المتخلقين بهذه الاخلاق وربما يحصل بالتعلم والوجه الثاني ان
ينال بالكسب والمجاهدة والرياضة وهي حمل النفس على اعمال يقتضيها الخلق
المطلوب كمن اراد طلب السخا فطريقه تكلف الجود وبذل المال والمواظبة
عليه حتى يصير ذلك طبعا وقد زعم بعض البطالين المستثقلين للمجاهدة
والرياضة ان الاخلاق لا تتغير مستدلين على ذلك بامرين احدها قالوا
الخلق هو صورة الباطن كما ان الخلق صورة الظاهر والخلقة الظاهرة لا يقدر
على تغييرها احد فالطويل لا يمكن ان يصير قصيرا ولا القصير يقدر على ان
يجعل نفسه طويلا ولا القبيح يقدر على تحسين صورته فكذلك القبح الباطني
يجري هذا المجرى والثاني انهم قالوا ان حسن الخلق انما يقمع الغضب
والشهوة وقد جربنا المجاهدة في ذلك فراينا ان ما بالطبع لا يتغير وهذا
القول مردود لانه لو كانت الاخلاق لا تقبل التغيير لبطلت الوصايا

والمواعظ

والمواعظ والتاديبات ولما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حسنوا
اخلاقكم وكيف ينكر هذا في حق الادمي وتغيير خلق البهيمة ممكن فينقل
الصيد من التوحش الى الانس والكلب من الاكل الى الصيد الى التادب
والامساك والفرس من الجماح الى السلاسة والانقياد وكل ذلك تغيير
للاخلاق واما قولهم ان ما في طبع الانسان لا يتغير فهذا غلط منهم اذ ليس
المقصود من المجاهدة قمع هذه الصفات وزوالها بالكلية وانما المقصود
انقياد الشهوة والغضب للشرع والعقل وان كانتا باقيتين وباختلاف
هذين الحالين تتفاوت الناس فيها وكل ميسر لما خلق له ولهذا ما قد كذا
اختلف السلف فيها هل هذه الاخلاق جبلة او مكتسبة فحكى الطبري
عن بعض السلف ان حسن الخلق جبلة وغريزة في العبد وحكاه عن
عبد الله بن مسعود والحسن اي البصري وبه قال هو اي الطبري
والصواب ما اصلناه من ان في الاخلاق ما هو جبلة وفيها ما هو مكتسب
وقد روى سعد عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال كل الخلال يطبع عليها المومن
الا الخيانة والكذب الخلال على زنة كتاب جمع خلة بفتح الخا المعجمة وفي
القاموس الخلة الخصلة والجمع خلال ككتاب والاسم الخلولة والخلالة
مثلثة ومعنى يطبع عليها يخلق عليها والطباع ما ركب في الانسان من جميع
الاخلاق التي لا يكاد يزايلها من الخير والشر وهو اسم مونث على فعال نحو مهاد
ومثال وقد استشكل هذا الحديث من حيث ان هاتين الخصلتين قد
يوجدان في مومن مصدق بلسانه وقلبه مع ان الاجماع حاصل على ان من كان

فيه هاتان الخصلتان لا يحكم بكفره ولا بكونه ليس مسلما ولا بخلوده في النار
والجواب عن ذلك انهما وان صدرا ممن يكون مومنا لكن لا يكون صدورهما منه
سجية وطبعا بل بطريق العروض او يقال لا يطبع عليهما المسلم الكامل هذا
وان هذا الحديث رواه ابن ابي شيبة في المصنف عن ابي امامة وقال
عمر بن الخطاب رضي الله عنه في حديثه والجراة والجبن في القاموس الجرءة
كالجرعة والشبة والكراهة والكراهية والجرايه بالياء نادر الشجاعة واما
الجبن فهو ضد الشجاعة هذا وان اثر عمر بن الخطاب رواه ابن جرير وابن
ابي حاتم وسعد بن منصور في سننه وهذه الاخلاق المحمودة والخصال
الجميلة كثيرة لانها عبارة عن صفات المومن والاخلاق الذميمة هي صفات المنافق
وقد قال تعالى قد افلح المومنون الى قوله اولئك هم الوارثون وقال تعالى التائبون
العابدون الى قوله وبشر المومنين وقال تعالى انما المومنون الذين اذا ذكر الله
وجلت قلوبهم الى قوله اولئك هم المومنون حقا وكذلك قوله عز وجل وعباد الرحمن
الى اخر السورة فمن اشكل عليه حاله فليعرض نفسه على هذه الايات فوجود
جميع هذه الصفات علامة حسن الخلق وفقد جميعها علامة سوء الخلق
ووجود بعضها دون بعض يدل على البعض دون البعض فليشتغل بتحصيل
ما فقد وحفظ ما وجد وقد ذكر النبي صلى الله عليه وسلم مكارم الاخلاق فقال المومن
يحب لاخيه ما يحب لنفسه وقال من كان يومن بالله واليوم الاخر فليكرم جاره
ومن كان يومن بالله واليوم الاخر فليكرم ضيفه وقد جمع بعضهم الاخلاق
الجميلة فقال ان يكون كثير الحيا قليل الاذى كثير الصلاح قليل الفساد صدوق

الشريفة

اللسان قليل الكلام كثير العمل قليل الزلل قليل الفضول برا وصولا وقورا صبورا
راضيا شكورا حليما رفيقا عفيفا شفيقا لا لعانا ولا سبابا ولا نماما
ولا مغتابا ولا عجولا ولا حقودا ولا بخيلا ولا حسودا هشاشا بشاشا
يحب في الله عز وجل ويبغض في الله عز وجل ويرضى في الله ويغضب في الله
عز وجل فهذا هو حسن الخلق والمصنف ليس مقصوده ان يستوعب
جميعها بالذكر كما قال ولكنا نذكر اصولها ونشير الى جميعها ونحقق وصفه
صلى الله عليه وسلم بها ان شاء الله عز وجل فصل
اما اصل فروعها اي الاخلاق المحمودة وعنصر ينابيعها هو بضم العين
والصاد وجوز في القاموس فتح الصاد قال فيه هو الاصل وفي الكتب
الكلامية هو الاصل الذي تتالف منه الاجسام المختلفة الطباع وهو اربعة
الارض والماء والنار والهواء ونقطة دائرتها الدائرة في اصطلاح علماء
الهندسة شكل مسطح يحيط به خط واحد وفي داخله نقطة والخطوط
المستقيمة الخارجة اليه متساوية وتسمى تلك النقطة مركز الدائرة
وذلك الخط محيط تلك الدائرة فالعقل الذي ينبعث منه العلم والمعرفة
شبه المصنف في هذه المقالة الاخلاق المحمودة باعتبار اصلها وفروعها
بثلاثة امور الاول بشجرة لها اصل وفروع فاصل الاخلاق المحموده العقل
وفروعها باقي الصفات الحميدة وقد حكم على العقل بانه اصل لتلك الفروع
فسماه اصلا وسمى تلك فروعا والاصل في اصل الوضع ما يبنى عليه غيره
والفرع ما يبنى على غيره والمتبادر من البناء البناء الحسي فيصير التقدير العقل

كالاصل لفروع الاخلاق ثم حذفت اداة التشبيه فكان تشبيها بليغا
الثاني انه شبهها بالعنصر وينابيعه وهي جمع ينبوع وفي القاموس
الينبوع العين او الجدول الكثير الماء فيكون قد شبه الاخلاق الحميدة بعيون
تنبع بجامع انه تتولد من الاخلاق المحمودة آثار حسنة كما يتولد من العيون
ما فيه نفع عظيم والعيون لابد لها من مادة وهو الذي عبر عنه بالعنصر فتشبيه
الاخلاق الحميدة بالينابيع استعارة تصريحية وحمله على العقل بانه عنصر
لتلك الينابيع تشبيه بليغ على حد قولنا زيد اسد الثالث انه
شبهها بدائرة لها مركز فجميع الاخلاق مشبهة بالدائرة بجامع انها محيط
بها نعت الكمال لانه محيط الدائرة ينحصر داخله الشكل المسطح فصفة الكمال
هي محيط الدائرة وينحصر داخله الاخلاق المحمودة فتلك الدائرة هي الاخلاق
المحمودة ومركزها العقل فتشبيه صفة الكمال بمحيط الدائرة تشبيه
مكني عنه اذ لم يصرح به وتشبيه الاخلاق المحمودة بالدائرة استعارة تصريحية
وتشبيه العقل بمركز الدائرة تشبيه بليغ لانه ذكر فيه المشبه
والمشبه به من غير ذكر اداة تشبيه وقوله فالعقل جواب اما الشرطية
وقوله الذي ينبعث منه العلم والمعرفة يريد بالعلم ادراك ما كان كليا
وبالمعرفة ادراك ما كان جزئيا وكل منهما ادراك الشيء على ما هو عليه ويعني بالعقل
الذي هو منشا لتلك الصفات الوصف الذي به يفارق الانسان سائر
البهائم وهو الذي به استعد لقبول العلوم النظرية وتدبير الصناعات الخفية
الفكرية وهو الذي اراده الحارث المحاسبي حيث قال انه غريزة يتهيا بها

درك

درك العلوم النظرية وكانه نور يقذف في القلب به يستعد لادراك الاشياء
ثم ان هذه الغريزة قد تنتهي قوتها الى ان تعرف عواقب الامور وتقمع الشهوة
الداعية الى اللذة العاجلة وتقهرها فاذا حصلت هذه القوة سمي صاحبها
عاقلا من حيث ان اقدامه واحجامه بحسب ما يقتضيه النظر في العواقب
لا بحكم الشهوة العاجلة فالغريزة المذكورة هي الاس والسنخ والمنبع
ويتفرع عن هذا ثقوب الراي في القاموس ثقب رايه نفذ وهو مثقب
كمنبر نافذ الراي وجودة الفطنة في القاموس الفطنة الحذق والاصابة
معطوف على ثقوب الراي اي ويتفرع عن هذا الاصابة وهي ضد الخطاء
وصدق الظن والنظر الى العواقب ومصالح النفس ومجاهدة الشهوة للعواقب
وحسن السياسة في القاموس سست الرعية سياسة امرتها ونهيتها
وفلان مجرب قد ساس وسيس عليه ادب وادب والتدبير واقتناء
الفضائل وتجنب الرذائل وقد اشرنا الى مكانه منه صلى الله عليه وسلم
وبلوغه منه ومن العلم الغاية التي لم يبلغها بشر سواه واذ جلاله
ظرف لقوله حارت العقول الآتي في اخر الكلام فالتدبير حارت العقول
وقت جلالة محله الى اخره ويمكن ان تكون تعليلية اي انما حارت العقول
لان جلالة محله الى اخره من ذلك اي من الصفات المذكورة وما تفرع منه
اي من ذكر متحقق اي ثابت مقطوع به عند من تتبع مجاري احواله
والمراد سيره اي جريانه وفي حديث الاسرا فاذا نهران يطردان اي يجريان
من الطرد وهو الجريان اي المحال التي تسرد بها سيره سردا شبيها

يطرد الما فى نهره فهى استعارة تصريحيه تبعيه لوقوعها فى الفعل ووجه الشبه
فى ذلك كونها كثيرة كالما الذي يطرد بعضه بعضا وكونها مذكورة فى الكتب على وجه
حسن كجريان الما فى نهره لجامع ان كلا منهما كثير لا يكاد ينتهى بذكر متتابعا على
تناسب تام وطالع جوامع كلامه وحسن شمايله جمع شمال وهو الطبع
اي حسن طباعه وبدايع سيره وحكم حديثه اي كلامه الحاوى للحكم جمع حكمة
وهى الكلمات المانعة للجهل الدافعة له يقال احكمت فلانا اي منعته قال ابن عمر
ابني حنيفة احكموا سفهاكم • اني اخاف عليكم ان اغضبا ه وعلمه بما فى التوراة • من الكامل
والانجيل والكتب المنزلة وحكم الحكما وسير الامم الخالية وايامها وضرب
الامثال وسياسات الانام وتقرير الشرايع وتاصيل الاداب النفيسه
والشيم الحميده الى فنون العلم التى اتخذ اهلها كلامه عليه السلام فيها قدوة
واشارته حجة كالعبارة فى القاموس عبر الرويا عبرا وعبارة وعبرها فسرها
واخبر باخر ما يؤول اليه امرها واستعبره اياها ساله عبرها انتهى فالعبارة
على زنة اشارة وفى النهاية يقال عبرت الرويا اعبرها عبرا وعبرتها تعبيرا اذا
اولتها وفسرتها واخبرت باخر ما يول اليه امرها انتهى فدل كلام القاموس على انه
عبارة مصدر عبرت الرويا بالتخفيف وان تعبيرا ليس مصدرا له ودل كلام
صاحب النهاية على ان تعبيرا مصدر عبرت بتشديد البا وان عبرت وعبرت
بالتخفيف والتشديد يستعملان فى تعبير الرويا وتفسير الاحلام وما ذكره
صاحب عمدة الحفاظ من ان العبارة لا تستعمل فى تفسير الرويا وان العبارة
مختصة بالكلام لانه عابر فى الهوا من لسان المتكلم الى سمع السامع وان التعبير
مختص

مختص بتفسير الاحلام لان فيه عبورا من ظاهر الرويا الى باطنها الاانه
لم يسمع فى المصدر الا التعبير ولم يسمع فى الفعل غالبا الا التخفيف
يقال عبرت الرويا اعبرها تعبيرا فانا عابر كلام ضعيف مردود بما
قاله هذان الامامان والطب والحساب والفرايض والنسب
لمعرفته بانساب العرب وانساب الانصار وانساب العجم بما لم يعرفه
اصحاب الانساب وغير ذلك مما سنبينه فى معجزاته ان الله عز
وجل دون تعليم من معلم ادمي ولم يعلمه احد من الكائنات الا الله عز وجل
او جبريل عليه السلام كما قال تعالى علمه شديد القوى وهو جبريل عليه
السلام وقيل هو الله سبحانه ولا مدارسة اي لا يكتسب العلم من مدارسة
معتادة نعم كان جبريل عليه السلام يدارسه القران وفى الحديث تدارسوا
القران اي اقراوه وتعهدوه لئلا تنسوه يقال درس يدرس درسا
واصل الدراسة الرياضة والتعهد للشي ولا مطالعة كتب من تقدم
ولا الجلوس الى علمايهم فانه لم يكن فى مكة ولا فيما حولها احد يعرف شيا من
احوال الانبيا الماضين واما قصة جبر وهو غلام رومى لعامر
ابن الحضرمي وقيل جبر ويسار كانا يصنعان السيوف ويقران التوراة
والانجيل وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يمر عليهما ويسمع ما يقرانه
وقيل عايش غلام لحويطب بن عبد العزى وكان قد اسلم وكان صاحب
كتب وقيل سلمان الفارسي فكان لما اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم
بعلوم من مضى مع انه امي لم يقرا قالوا انما يعلمه جبر وهو اعجمي وقد ذكر

النقاش ان مولى حبر كان يضربه ويقول انت تعلم محمدا صلى الله عليه وسلم
فيقول لا والله بل هو يعلمني ويهديني فالله عز وجل قد كذب المشركين
الذين كانوا يجعلون النبي صلى الله عليه وسلم يتعلم من مثل هولا واقل المتعلمين
من امة محمد صلى الله عليه وسلم اعلم من هولا ويجعلون ذلك البحر الخضم يستقي
من هذه القطرة التي قد تثبت لهم ما جهلهم وما اقل انصافهم فالله عز وجل
رد عليهم بما يحسم مادة جهلهم حيث قال ولقد نعلم انهم يقولون انما يعلمه
بشر يريدون به احد هولاء المذكورين لسان الذي يلحدون اليه اعجمي اي لغة
الذي يميلون قولهم عن الاستقامة اليه ماخوذ من لحد القبر وهذا
القران لسان عربي مبين ذو بيان وبلاغة لا يقدر الجن والانس كلهم
ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا على معارضة اقصر سورة منه وتقرير هذا
يحتمل وجهين احدهما ان ما كان يسمعه النبي صلى الله عليه وسلم من قراة ذلك
الاعجمي كلام اعجمي لا يفهمه هو ولا انتم والقران عربي تفهمونه بادنى تامل
فكيف يكون القران هو ما يتلقفه منهم ثانيهما هب انه تعلم منه المعنى
باستماع كلامه لكنه لم يتلقف منه اللفظ لان ذلك عجمي والقران عربي
والقران كما هو معجز باعتبار المعنى فهو معجز من حيث اللفظ مع ان العلوم
الكثيرة التي في القران لا يمكن تعلمها الا بملازمة معلم فائق هو فائق في تلك
العلوم مدة متطاولة فكيف يتعلم جميع ذلك من غلام سوقي سمع منه
بعض المعقولات مرتبا على كلمات اعجمية لعلها لم يعرف معناها وطعنهم
في القران بامثال هذه الكلمات الركيكة دليل على غاية عجزهم فكيف وقد

امانا

اتانا صلى الله عليه وسلم بعلوم بحيث لو راه موسى عليه السلام ما وسعه الا
اتباعه بل هو نبي امي هو الذي يكون على اصل ولادة امه ولم يتعلم كتابة
ولا حسابا بل هو على جبلته الاولى وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم بعثت
الى امة امية وقيل للعرب انهم اميون لان الكتابة كانت فيهم عزيزة او عديمة
لم يعرف اي النبي صلى الله عليه وسلم بشي من ذلك حتى شرح الله عز وجل
صدره وابان امره وعلمه واقراه قال سنقرئك فلا تنسى الا ما شاء الله
ففي ذلك بيان لهدايته تعالى العامة الشاملة لكل المخلوقين وهي هداية لتلقي
الروح وحفظ القران الذي هو هدى للعالمين وتوفيقه لهداية الناس
اجمعين ولم تكن قراته صلى الله عليه وسلم للقران الا امرا خارقا للعادة حتى
كان يريد ان يفعل في تعلمه ما هو المعتاد من ضبطه وخوف نسيانه فكان
كما قال ابن عباس رضي الله عنهما يعالج من التنزيل شدة فكان يحرك
شفتيه فانزل الله عز وجل لا تحرك به لسانك لتعجل به ان علينا جمعه
وقرانه فاذا قراناه فاتبع قرانه قال فاستمع وانصت ثم ان علينا بيانه
ثم ان علينا ان تقراه فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ذلك اذا اتاه
جبريل عليه السلام استمع فاذا انطلق جبريل قراه صلى الله عليه وسلم كما قرا
يعلم ذلك بالمطالعة والبحث من حاله ضرورة وبالبرهان القاطع على نبوته نظرا
الجار متعلق بكائن فهو مستقر في محل نصب على انه حال من البرهان اي يعلم ذلك
بالبرهان حال كونه على نبوته اي ان اتصافه بما ذكر من الصفات يعلم من مطالعة
سيره ودواوين اخباره والبحث عن احواله فيحصل من ذلك علم ضروري بانه

انه متصف بما ذكر وان تأملت براهين نبوته ودلالة معجزاته الجمة على صدقه
علمت بالنظر والبرهان انه احاط بعلوم لا نهاية لها واتصف بصفات
لا يدانيه فيها من يبعث بكمال من المخلوقين فلا نطول بسرد ب
الاقاصيص يقال قص عليه الخبر قصصا والاسم القصص بالفتح
وضع موضع المصدر حتى صار اغلب عليه وجمع القصص اقاصيص
واحاد القضايا اذ بمجموعها مالا يأخذه حصر ولا يحيط به حفظ جامع
ونحسب عقله كانت معارفه صلى الله عليه وسلم الى سائر ما علمه الله عز
وجل واطلعه عليه من علم ما يكون وما كان وعجائب قدرته وعظيم ملكوته
قال الهروي الملكوت ملك الله عز وجل زيدت فيه التاء كما قالوا رهبوت
ورحموت قال تعالى وعلمك ما لم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيما هذه
الآية تتمة لقوله وما يضرونك من شيء وانزل الله عليك الكتاب والحكمة
وعلمك ما لم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيما فان هذه وآيات قبلها
نزلت في طعمة بن ابيرق من بني ظفر سرق درعا من جاره قتادة بن النعمان
في جراب دقيق فجعل الدقيق ينتثر من خرق فيه وخباها عند زيد
ابن السمين اليهودي فالتمست الدرع عند طعمة فلم توجد وحلف ما اخذ
وما له بها من علم فتركوه واتبعوا الاثر حتى انتهى الى منزل اليهودي فاخذوها
فقال دفعها الي طعمة وشهد له ناس من اليهود فقالت بنو ظفر
انطلقوا بنا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فسألوه ان يجادل عن
صاحبهم وقالوا ان لم تفعل هلك وافتضح وبرئ اليهودي فانزل الله عز وجل

ولولا

ولولا فضل الله عليك اي حيث اعلمك بما هو الحق من ان اليهودي بري من
السرقة وان طعمة هو السارق بالوحي لهمت طائفة اي جماعة من بني ظفر
ان يضلوك عن ان تقضي بالحق وما يضلون الا انفسهم لان وبال هذا
الاضلال عائد اليهم وواقع بهم وما يضرونك من شيء لانك كامل الاحور
ولا تحود عن الحق لان الله عز وجل عصمك وكان قد خطر بباله ان يميل الى قولهم
اعتمادا على ظاهر الحال لا ميلا عن الحق بعد ظهوره وجملة قوله وانزل الله عليك
الكتاب والحكمة اي السنة في محل نصب حال من الضمير المنصوب في
يضرونك اي لا يضرونك وقد انزل الله عز وجل عليك الكتاب والسنة وقد
علمك هذا العلم الكثير الذي لا ينبغي لك ولا امثالك ان يضلوا فقد اشار بذلك
الى تعلمه من دقائق الاحكام وخفيات الامور ولهذا عبر بقوله ما لم تكن
يكن تعلم اي ما لم ينبغي ويليق بك ان تعلمه لو تعلمته فانه علم كثير غامض لو طلبه
قارئ كاتب فطن بين يدي استاذين ماهرين متينين من السنين لما قدروا
ان يعلموه لبعضه وقد من الله عليك به من غير تعليم معلم ففي قوله ما لم تكن تعلم من
التاكيد والمبالغة ما ليس في قوله ما لم تعلم فان ما لم تعلم معناه نفي العلم مع
انه يمكن ان يناله ولا يلزم منه نفي اهلية نيله والوصول اليه بخلاف قوله
ما لم تكن تعلم فان فيه نفي اهلية تعلمه اي علمك شيئا لست اهلا لان تعلمه
لانه ليس في مقدورك تعلمه لو وكلت الى قوتك والتجأت الى قدرتك ولهذا
اردفه بقوله وكان فضل الله عليك عظيما لانه من عليك بنعمة لم ينلها مخلوق
حارت العقول في تقدير فضله عليه وخرست الالسن دون وصف يحيط

بلغ مقابلته على خط المولف

بذلك او ينتهي اليه **فصـــــل** واما الحلم والاحتمال والعفو مع القدرة على الانتقام ممن يضره ويؤذيه والصبر على ما يكره وبين هذه الالقاب فرق فان الحلم حالة توقر وثبات عند الاسباب المحركات ولا بد من زيادة قيد وهو ان يكون توقره بالسهولة من غير ان يعسر عليه تحمل تلك المشقة فان حصل له كلفة في التوقر سمي ذلك كظم غيظ ولا يسمى حلما فكظم الغيظ عبارة عن التحلم اي تكلف الحلم فيحتاج كاظم الغيظ الى مجاهدة شديدة ولكن اذا تعود ذلك مدة صار اعتيادا فلا يهيج الغيظ وان هاج فلا يكون في كظمه تعب وهذا هو الحلم الطبيعي وهو دليل على كمال العقل واستيلائه وانكسار قوة الغضب وخضوعها للعقل ولكن ابتدا الحلم كظم الغيظ تكلفا والاحتمال حبس النفس عند الالام والموذيات ومثلها اي ومثل هذه الصفة المسماة بالاحتمال الصبر ومعانيها متقاربة يظهر لك انه الفرق بين الحلم والاحتمال والصبر ان الحلم حالة توقر وثبات عند الاسباب المحركات لكن بسهولة ويلزمه ان يكون الاسباب من انسان غيره وان ذلك الغير يفعل به امرا يحركه غيظه فان شق عليه الثبات كان كظم غيظ وان سهل عليه كان حلما وكظم الغيظ يسمى تحلما واما اذا حصلت الاسباب المحركات من الله عز وجل كان سلط عليه بلا في جسمه او ماله ولم يظهر منه جزع سميت تلك الحالة احتمالا وصبرا فالاحتمال والصبر متساويان وبين كل من الاحتمال والصبر وبين الحلم تباين لان الاحتمال والصبر لا يفارقهما ملاحظة المشقة بخلاف الحلم فان الثبات فيه لا تقارنه المشقة ولهذا لا يتصور الصبر الا في الانسان

واما

واما الملائكة والبهائم فلا يتصور الصبر فيهم اما البهائم فلنقصانها واما الملائكة فلكمالهم لان البهائم سلطت عليهم الشهوات وليس فيهم قوة تصادم الشهوات وتردها عن مقتضاها حتى يسمى ثبات تلك القوة في مقابلة مقتضى الشهوة صبرا واما الملائكة فانهم جردوا للشوق الى الحضرة الربانية ولم يتسلط عليهم شهوة صارفة صادة عنها حتى يحتاج الى مصادمة ما يصرفها عن حضرة الجلال بجند اخر ليغلب الصوارف بخلاف الانسان فانه نشا اسير الشهوة كالبهائم لكن الله عز وجل وكل به عند بلوغه ملكين احدهما يهديه والاخر يقويه فتميز بمعونة الملكين عن البهائم واختص بصفتين احداهما معرفة الله عز وجل ومعرفة رسوله صلى الله عليه وسلم ومعرفة المصالح المتعلقة بالعواقب وهذا يحصل من الملك الذي اليه الهداية وهذه الهداية والمعرفة المذكورة ليست كافية ما لم يكن له قدرة على ترك ما يضره فكم من مضر يعرفه الانسان كالمرض النازل به مثلا ولكن لا قدرة له على دفعه فافتقر الى قوة وقدرة يدفع بها جند الشهوات فيجاهدها بتلك القوة حتى يقطع عداوتها عن نفسه فوكل الله عز وجل به ملكا اخر يسدده ويؤيده ويقويه بجنود لم تروها واما العفو فهو ترك المواخذة اصل العفو المحو والطمس وفي الحديث سلوا الله عز وجل العفو والعافية والمعافاة فالعفو محو الذنوب والعافية ان تسلم من الاسقام والبلايا وهي الصحة وضد المرض والمعافاة ان يعافيك الله عز وجل من الناس ويعافيهم منك اي يغنيك

عنهم ويغنيهم عنك ولصرف اذاهم عنك واذاك عنهم قال شيخنا الرضي التاذفي
في قول المصنف واما العفو فهو ترك المواخذة فيه اشعار بانه لا يكون الا
مع القدرة على المواخذه لان من لا يقدر عليها انما يكون عادما لها لا تاركا
اياها فتقييده العفو فيما سبق بقوله مع المقدرة لمجرد التوكيد نحو
اكلت بفمي ومثله تقييد الحلم في قول الشاعر   وانفع الحلم دلالات عارفه
والحلم عن قدرة فضل من الكرم   والا فقد فرق بينه وبين العجز بان الحلم عن
قدرة بخلافه انتهى واقول ـــــــ اما اولا فان المصنف فسر العفو
بما هو اعم منه لان ترك المواخذه صادق على ما يصل الى الانسان من المكروه
بحق كما اذا شتم الوالد ولده لجحوده فهذا شتم بحق فاذا لم يواخذ الولد
والده بذلك كان ترك مواخذه ولا يعد مثل ذلك عفوا قال حجة الاسلام
ابو حامد الغزالي في الاحيا معنى العفو ان تستحق حقا فتسقطه وتبرا
عنه من قصاص او غرامة وهو غير الحلم وكظم الغيظ انتهى فحينئذ لا
يكون العفو الا عند استحقاق حق ومن كان له حق على اخر فهو قادر
عليه اما في الدنيا واما في الاخرة فلا يتصور عفو الا مع القدرة واما تقييدهم
العفو في بعض العبارات بكونه مع القدرة ولمدحهم من يتصف بهذه
الصفة فانهم يريدون بذلك القدرة في الدنيا والتمكن في هذه الدار من
القصاص فان العفو عند ذلك يعد من اشرف الاخلاق ولذلك لما سئل ابو الدرداء
رضي الله عنه فقيل له من اعز الناس قال الذي يعفو اذا قدر اي في الدنيا
وروي عن كليم الله عز وجل موسى عليه السلام انه قال يا رب اي عبادك عز وجل اعز

من البسيط

لما

قال من اذا قدر عفا
قال حلم
ونحو ذلك
بحق في عليكم

علي قال الذي اذا قدر عفا واما ثانيا فلان الحلم لا يلزم ان يكون عن قدرة لانه
عبارة عن حالة ثابتة في الانسان تقتضي ثباتا ووقارا عند تلبث الغضب
سوا عجز عن المغضوب عليه ام قدر وقد عدوا من حلم الامام مالك بن انس
رضي الله عنه وقد ضربه بعض آل النبي صلى الله عليه وسلم وكان اميرا فقال والله
ما ضربني سوطا الا وسامحته عقبه مخافة ان يدركني الموت والقى واحدا
من آل النبي صلى الله عليه وسلم ظالما فيتمنا قب احوال بيته صلى الله عليه وسلم
بسببي نعم الحلم مع القدرة على الانتقام منه في الدنيا مرتبة عالية كحلم يوسف
عليه السلام على اخوته مع قدرته عليهم حيث قال لهم لا تثريب عليكم اليوم
وكحلم نبينا صلى الله عليه وسلم على قومه اذ وردانه لما فتح مكة طاف بالبيت
وصلى ركعتين ثم اتى الكعبة فاخذ بعضادتي الباب فقال ما تقولون
وما تظنون قالوا نقول اخ وابن عم حليم رحيم قالوا ذلك ثلاثا فقال
اقول كما قال يوسف عليه السلام لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو
ارحم الراحمين فخرجوا كانما نشروا من القبور فدخلوا في الاسلام وفي الحديث
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم احلمكم من عفا بعد المقدرة وهذا كله مما ادب
الله عز وجل به نبيه صلى الله عليه وسلم فقال ـــــــ اي الله عز وجل مخاطبا نبيه
صلى الله عليه وسلم آمرا له خذ العفو وامر بالعرف الاية فقوله خذ العفو اي اقبل
من الناس ما عفا من اخلاقهم وتيسر تقول اخذت حقي عفوا صفوا اي
سهلا قال عبد الله بن الزبير امر الله عز وجل نبيه صلى الله عليه وسلم ان ياخذ
العفو من اخلاق الناس وقال مجاهد خذ العفو من اخلاق الناس من غير

عجيبة
في حلم مالك
رضي الله عنه
وارضاه

تجسس وذلك مثل قبول الاعتذار والعفو والمساهلة وترك البحث عن
الاشيا وقوله وامر بالعرف اي بالمعروف وهو كل ما يعرفه الشرع وقال
عطا وامر بالعرف اي بلا اله الا الله وقوله واعرض عن الجاهلين اي عن
ابي جهل واصحابه وقد نسخت هذه اي قوله واعرض عن الجاهلين اية
السيف وقيل معناه اذا سفه عليك الجاهل فلا تقابله بالسفه فهو على
سنن قوله واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما وهذا وان كان خطابا
للنبي صلى الله عليه وسلم فهو تاديب لجميع خلقه فلا نسخ حينئذ في الاية وافق
بعضه ويويد القول بانها ليست منسوخة حديث صحيح رواه البخاري بسنده
عن ابن عباس رضي الله عنهما قال قدم عيينه بن حصن على حذيفه بن بدر
فنزل على ابن اخيه الحر بن قيس بن حصن وكان من النفر الذين يدنيهم عمر
رضي الله عنه وكان القرا اصحاب مجلس عمر رضي الله عنه ومشاورته كهولا
كانوا او شبانا فقال عيينه لابن اخيه يا ابن اخي هل لك وجه عند هذا
الامير فتستاذن لي عليه فقال سأستاذن لك عليه فاستاذن لعيينة فلما
دخل قال يا ابن الخطاب والله ما تعطينا الجزل وما تحكم بيننا بالعدل
قال فغضب عمر رضي الله عنه حتى هم ان يقع به فقال الحر يا امير المومنين
ان الله عز وجل قال لنبيه صلى الله عليه وسلم خذ العفو وامر بالعرف واعرض
عن الجاهلين وان هذا من الجاهلين فوالله ما جاوزها عمر رضي الله عنه حين
تلاها عليه وكان وقافا عند كتاب الله عز وجل فاستعمال عمر رضي الله عنه لهذه
الاية واستدلال الحر بها يدل على انها محكمة لا منسوخة ثم ان هذه الكلمات الثلاث

تضمنت

الاولى التعبير بقوله مثلا وهذه منسوخة باية السيف تامل

تضمنت قواعد الشريعة في المامورات والمنهيات فدخل في قوله خذ العفو
صلة القاطعين والعفو عن المذنبين والرفق بالمومنين وغير ذلك من اخلاق
المطيعين ودخل في قوله وامر بالعرف صلة الارحام وتقوى الله عز وجل
في الحلال والحرام وغض الابصار والاستعداد لدار القرار لان الله عز وجل
حث نبيه صلى الله عليه وسلم على ان يامر بذلك والامر بالشي يجب ان يتلبس به
فهو ايضا مامور بما امر ان يامر به وفي قوله واعرض عن الجاهلين الامر
بالتلبس بالعلم والتخلق بما يقتضيه والاعراض عن اهل الظلم والتنزه
عن منازعة السفها ومساواة الجهلة الاغبيا وقد روي ان النبي
صلى الله عليه وسلم لما نزلت عليه هذه الاية سال جبريل عليه السلام عن تاويلها
فقال له حتى اسال العالم ثم ذهب ثم اتاه فقال يا محمد ان الله عز وجل
يامرك ان تصل من قطعك وتعطي من حرمك وتعفو عمن ظلمك
قال جعفر الصادق ليس في القران اجمع لمكارم الاخلاق من هذه الاية ووجهه
ان الاخلاق ثلاثة بحسب القوى الانسانية عقلية وشهوية وغضبية
فللعقلية الحلم ومنها الامر بالمعروف وللشهوية العفة ومنها اخذ العفو
وللغضبية الشجاعة ومنها الاعراض عن الجاهلين وفي شرح شيخنا
ابن التاذق انما ذكر العالم دون العليم الذي هو من اسما الله عز وجل التسعة
والتسعين المشهورة لتعليمه من جبريل عليه السلام لمن سئل عن شي لا
يعلم كيف يقول اذا هو سئل عنه وايثار العالم لانه في حق العبد اشهر
منه في حق الله عز وجل بخلاف العليم فانه بعكس ذلك ومن استعماله

فحق العبد ما في قوله فان تسالوني بالنسا فانني عليم باحوال النسا طبيب
انتهى واقول قوله حبريل حتى اسال العالم اللام في العالم
لاستغراق خصائص الجنس فالمراد بالعالم الجنس واللام للحقيقة
والمعنى حتى اسال العالم الكامل الحقيق بان يختص باسم العالم
لغايات تفوقه على بقية افراد العالم في حيازة كمالات هذا الجنس كان
ما عداه ما يصدق عليه انه عالم خارج عن مسمى العالم بالنسبة اليه كما يقال هو
الرجل اي الكامل في الرجولية الجامع لما يكون في الرجال من مرضي الخصال
وعليه قول من قال هم القوم كل القوم يا ام خالد فعنه من عظيم
من جهة حصر كمال الجنس في فرد من افراده ونظيره في ذلك قوله عز وجل
ذلك الكتاب على تقدير كون المراد كل القران ومعنى كون الله عز وجل هو
الكامل في العالمية انه تعالى يحيط علما بكل شي ظاهره وباطنه دقيقه
وجليله اوله واخره عاقبته وفاتحته وان علمه تعالى ليس مستفادا
من المعلومات بل تكون المعلومات مستفادة منه فيكون العالم بهذا
الاعتبار مساويا للعليم لان الكمال الذي دلت عليه اللام استفيد في
العليم من صيغة المبالغة ونظيره في ذلك العلام والعالم بهذا المعنى
لا يطلق على المخلوق لان حظ العبيد من العلم معلوم لا يكاد يخفى ويفارق
علم المخلوق علم الله عز وجل في عدم حصر علمه تعالى بخلاف علم المخلوق فان معلوماته
وان اتسعت فهي محصورة في قلبه فان يناسب ما لا نهاية له وكشفه وان
اتضح فلا يبلغ الغاية التي لا يمكن وراها بل يكون مشاهدته للاشيا كانه

يراها من وراء ستر رقيق وعلمه تعالى بالاشيا ليس تابعا للمعلومات بل هي تابعة له بخلاف علم العبد
فانه تابع للمعلومات هذا وكان الاولى بالشيخ ان يستشهد على اطلاق عليم على العبد باية من
القران فقد وقع ذكره في مواضع منه منها قوله تعالى في سورة الاعراف ان هذا الساحر عليم
وقوله بعده ياتوك بكل ساحر عليم وفي سورة يونس وقال فرعون ايتوني بكل ساحر عليم وفي سورة
يوسف قال اجعلني على خزائن الارض اني حفيظ عليم وفي سورة الحجر انا نبشرك بغلام عليم وفي
سورة الشعرا ان هذا الساحر عليم وبعده بكل سحار عليم وفي سورة الذاريات وبشروه بغلام
عليم وبقي موضع اخر في سورة يوسف وهو وفوق كل ذي علم عليم على ان البيت رواه
العيني فانني خبير ولهذا البيت ثان وهو اذا شاب راس المرء او قل ماله فليس له في ودهن نصيب
وزعم انهما لابن الوردي فلا يستدل بكلام يرده استشهاد ابن المصنف بهما في شرح
الالفية وهو متقدم على عصر ابن الوردي والذي لابن الوردي ما هو من جملة قصيدة
تتضمن نصائح قوله

لا تودع السر النساء فما النسا اهلا لما يودعن من اسرار
اذ كن خلات الشبيبة في الغنى ضرن العدى عند الشيب والاعسار

العظيم

فان قلت العالم يجوز اطلاقه على الله عز وجل قلت يجوز اما على قول
من ان اسماءه توقيفية فيكفي دليلا في اطلاقه عليه تعالى ان جبريل
عليه السلام اطلقه عليه عز وجل بحضرة النبي صلى الله عليه وسلم وكفى بهذا
توقيفا على انه يلزم من اطلاق العليم عليه تعالى اطلاق العالم لان
اللام ان كانت لاستغراق خصائص الجنس كما ذكرنا فهو مساو للعليم
وان كانت للعهد فالمراد العالم المعهود الذي علمت صفة علمه انها بالغة
حدا لا يمكن الوصول الى قصاراه ولا الوقوف على غايته ونهايته فهو ايضا
مساو للعليم وقوله ان تصل من قطعك تصل مضارع وصل يصل صلة

والمراد منه صلة الارحام وهي كناية عن الاحسان الى الاقربين من ذوي النسب
والاصهار والتعطف عليهم والرفق بهم والرعاية لاحوالهم والمراد ان يفعل
بهم ذلك وان بعدوا واساوا وقطع الرحم ضد ذلك كله فهو ترك البر
والاحسان الى الاهل والاقارب فان قلت يوخذ من الاية افعال اخرى
لم يذكرها في الحديث وهو قد جعل الحديث تاويلا للاية وليس ما فيه
مساويا لما دلت عليه الاية قلت هذه امور هي اهم مكارم الاخلاق
فنص في الحديث على خصوصها تنبيها على انها اعظم مكارم الاخلاق واحبها
الى الله عز وجل وقال اي الله عز وجل له اي لنبيه صلى الله عليه وسلم واصبر على
ما اصابك الاية هذه وصية اوصى بها لقمان ابنه وقد حكاها الله عز وجل عنه في
القران لكن الله عز وجل لم يخبر نبيه صلى الله عليه وسلم بذلك الا ليعمل به ويتمسك
به فان الله عز وجل مدح لقمن في هذه المقالة وجعله حليما فكانها وصية ارتضاها
الله عز وجل لنبيه صلى الله عليه وسلم ولامته قيل معنى ذلك اصبر على ما اصابك اذا
امرت بالمعروف ونهيت عن المنكر واصابك من ذلك ضرر فاصبر عليه روى
عن سعيد بن جبير في قوله عز وجل وامر بالمعروف يعني بالتوحيد وانه عن المنكر
يعني عن الشرك واصبر على ما اصابك في امرهما يقول اذا امرت بمعروف او
نهيت عن منكر واصابك في ذلك اذى وشدة فاصبر عليه ان ذلك يعني هذا
الصبر على الاذى في الامر بالمعروف والنهي عن المنكر من عزم الامور يعني من
حق الامور التي امر الله عز وجل بها وروي عن عمير بن حبيب وكانت له صحبة
انه اوصى لبنيه فقال يا بني اياكم ومجالسة السفهاء فان مجالستهم داء انه
من

من يحلم عن السفيه يسر بحلمه ومن يجبه يندم ومن لم يقر بقليل ما ياتي به
السفيه يقر بالكثير ومن يصبر على ما يكره يدرك ما يحب واذا اراد احدكم
ان يامر الناس بالمعروف وينهاهم عن المنكر فليوطن نفسه على الاذى
وليثق بالثواب من الله عز وجل فانه من يثق بالثواب من الله عز وجل
لم يجد مس الاذى فان قلت اذا قلنا ان المراد اصبر على ما اصابك عند امرك
بالمعروف ونهيك فهل يجب على الانسان ان يصبر على ما يناله من الامر
بالمعروف والنهي عن المنكر قلت اما في حق الامة فاذا علم المومن ان
كلامه لا يفيد وانه يضرب ان تكلم فلا يجب عليه الامر بالمعروف والنهي عن
المنكر بل ربما كان حراما نعم يلزمه ان لا يحضر مواضع المنكر ويعتزل في
بيته حتى لا يشاهد ولا يخرج الا لحاجة مهمة ولا يلزمه مفارقة تلك البلدة
والهجرة الا اذا كان يرهق الى الفساد ويحمل على مساعدة السلاطين في
الظلم والمنكرات فيلزمه الهجرة ان قدر عليها فان الاكراه لا يكون عذرا في حق
من يقدر على الهرب من الاكراه واما في حق نبينا صلى الله عليه وسلم فقد كان
يجب عليه اذا راى منكرا ان ينكره ويغيره من غير تقييد بعدم الخوف وغيره
انما يلزمه عند الامكان فكان ذلك من خصائصه ووجه ايجابه عليه ان الله
عز وجل وعده بالعصمة والحفظ فقال والله يعصمك من الناس اي فلا يقدرون
على قتلك وانه اصابك منهم ضرر في جسدك فاصبر عليه فانهم لا يضرونك ضررا
يودي الى قتلك ولهذا وجب عليه مصابرة العدو وان زادوا على ضعفه لكن قيد
الغزالي وجوب تغيير المنكر عليه بما اذا لم يود نفيه الى مزيد عناد من فاعله وقال

مطلب

فاصبر كما صبر اولوا العزم من الرسل العزم القوة على الشي والصبر عليه وفي
الحديث قال النبي صلى الله عليه وسلم لابي بكر رضي الله عنه متى توتر قال من اول الليل
وقال لعمر رضي الله عنه متى توتر قال من اخر الليل فقال لابي بكر رضي الله عنه
اخذت بالحزم وقال لعمر رضي الله عنه اخذت بالعزم اراد ان ابا بكر حذر فوات
الوتر لذهاب النوم فاحتاط وان عمر وثق بالقوة على قيام الليل فبنى عليه
ولهذا قيل لا خير في عزم بغير حزم يريد ان القوة اذا لم يكن معها حذر اورطت
صاحبها والفاء في قوله فاصبر هي الفصيحة لافصاحها عن شرط مقدر يعلم
مما قبله وذلك قوله عز وجل ويوم يعرض الذين كفروا على النار اليس هذا بالحق
الاية اي اذا كان عاقبة امر الكفرة ما ذكر فاصبر على ما يصيبك من جهتهم كما صبر
اولوا الثبات والحزم من الرسل فانك من جملتهم ومن علمتهم وقال مجاهد هم خمسة
نوح وابرهيم وموسى وعيسى ومحمد صلى الله عليهم وسلم وهم اصحاب الشرائع
وقال ابو العالية اولوا العزم ثلاثة نوح وهود وابرهيم فامر الله عز وجل نبيه
صلى الله عليه وسلم ان يكون رابعهم وقال السدي هم ستة ابرهيم وموسى
وداود وسليمان وعيسى ومحمد صلى الله عليهم وسلم وقيل نوح وهود وصالح
وشعيب ولوط وموسى وهم المذكورون على النسق في سورة الاعراف
والشعرا وقيل هم نوح عليه السلام صبر على اذى قومه وابرهيم عليه السلام صبر على
النار واسحق عليه السلام صبر على الذبح ويعقوب صبر على فقد الولد
وذهاب البصر عليه السلام ويوسف عليه السلام صبر على الجب والسجن وايوب
عليه السلام صبر على الضر وابن جريج عد اسمعيل منهم بناء على الاصح انه الذبيح
وقيل

مطلب في اولي العزم

وقيل هم المذكورون في سورة الانعام وهم ثمانية عشر نبيا واختاره جمع لقوله
عز وجل بعد ذكرهم اولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده وقال ابن عباس رضي الله
عنهما كل الرسل كانوا اولي عزم فمن في قوله عز وجل من الرسل للبيان للجنس وعلى
الاقوال السابقة هي للتبعيض وقيل كل الانبيا اولوا عزم الا يونس لاية ان
النبي صلى الله عليه وسلم نهي عن ان يكون مثله لخفة وعجلة ظهرت منه حين ولى
مغاضبا لقومه فابتلاه الله عز وجل بثلاث سلط العمالقة حتى اغاروا
على اهله وماله وسلط الذيب على ولده حتى اكله وسلط الحوت عليه فابتلعه
ووجه استشهاد المصنف بهذه الاية ان فيها بيان صبره صلى الله عليه وسلم
على المكاره وانه بلغ من الصبر عليها مبلغ من امر بان يصبر كصبرهم وهم
اولوا العزم فقد صبر مثل صبرهم وزاد وقال اي الله عز وجل وليعفوا
وليصفحوا الاية العفو محو الذنب والصفح هو العفو عن الذنب معرضا
عن مجازاته تكرما فالصفح هو الاعراض ثم نقل الى الاعراض عن المجازاة
على الذنب والاصل فيه ان من اعرض عن صاحبه ولاه صفحة عنقه وصرف
عنه وجهه يقال صفح عني بوجهه اذا اعرض عنك وهذه الاية نزلت في
قصة الافك قالت عائشة رضي الله عنها فلما انزل الله عز وجل تلك الايات
في براءتي قال ابو بكر الصديق رضي الله عنه وكان ينفق على مسطح بن اثاثة
لقرابته منه وفقره والله لا انفق على مسطح شيئا ابدا بعد الذي قال لعائشة
رضي الله عنها ما قال فانزل الله عز وجل ولا ياتل اولوا الفضل منكم والسعة
ان يوتوا اولي القربى والمساكين والمهاجرين في سبيل الله عز وجل والله غفور ر

رحيم قال ابو بكر رضي الله عنه بلى والله اني لاحب ان يغفر الله عز وجل لي فرجع
الى مسطح النفقة التي كان ينفق عليه وقال والله لا انزعها منه ابدا كذا في
الصحيحين فان قلت المصنف اورد هذه الاية شاهدا على ان من خلق
النبي صلى الله عليه وسلم العفو مع القدرة وهذا الخطاب ليس لرسول الله
صلى الله عليه وسلم حتى يقال ان الله عز وجل امره بذلك فامتثل امره وصار
ذلك خلقا له قلت كون السبب قصة الصديق لا يمنع عموم المقال
فان ما ورد على لسان الرسول صلى الله عليه وسلم من العمومات المتناولة
له صلى الله عليه وسلم فاكثر العلما على انه يشمل الرسول مطلقا سواء ورد
ذلك بصيغة قل ام لا حتى لو خوطب بقوله قل لهم ليعفوا وليصفحوا
لدخل صلى الله عليه وسلم في ذلك على الاصح بدليل ان الصحابة رضي الله عنهم فهموا
دخوله صلى الله عليه وسلم فيها ولذلك كانوا اذا لم يفعل بمقتضاه سالوه عن
الموجب وذكر موجب التخصيص وذلك تقرير منه لدخوله فيها الذي
فهموه فيكون قد اقرهم على ما فهموا فان قلت نبينا صلى الله عليه وسلم آمر
مبلغ فكيف يكون مامورا لان الخطاب الواحد لا يكون فيه آمرا ومامورا
ولا مبلغا ومبلغا اليه وكونه قد يكون آمرا ومامورا من جهتين صحيح في
ملاحظة المغايرة بين جهتي كونه آمرا ومامورا قلت لا نسلم انه آمر او مبلغ
بل الآمر هو الله عز وجل والمبلغ هو جبريل عليه السلام وهو صلى الله عليه وسلم
حاك لتبليغ جبريل ما هو داخل فيه وقال اي الله عز وجل ولمن صبر وغفر
ان ذلك لمن عزم الامور اي من اهمها واللام في لمن يجوز فيها وجهان الاول ان
تكون

..

تكون موطئة للقسم المحذوف ومن شرطية وجواب القسم ان ذلك وحذف
جواب الشرط لدلالة جواب القسم عليه الثاني ان تكون اللام للابتدا ومن
موصولة مبتدا وان ذلك في موضع الخبر وانما لم تكن اللام على هذا التقدير
موطئة لان اللام الموطئة لا تدخل الا على الشرط للايذان بان الجواب بعدها
مبني على قسم قبلها لا على الشرط واكثر دخولها على ان الشرطية وههنا دخلت
على من وما قاله ابو البقا من ان جملة ان ذلك لمن عزم الامور جواب الشرط
والفا محذوفة ضعيف لان حذف الفا من جواب الشرط الذي يجب دخول
الفا فيه انما يكون في الضرورة الشعرية كقوله • من يفعل الحسنات الله يشكرها •
والشر بالشر عند الله مثلان • وقوله ان ذلك الاشارة راجعة الى ما يفهم
من مصدر صبر وغفر والعايد الذي هو رابط للجملة الواقعة جواب شرط
او خبرا للمبتدا محذوف لدلالة الكلام عليه والتقدير ولمن صبر وغفر ان
ذلك منه لمن عزم الامور فهو على حد قولهم السمن منوان بدرهم اي منه
ومضمون ذلك ان من ترك الانتصار لوجه الله عز وجل وهذا فيمن ظلمه
مسلم ويحكى ان رجلا سب رجلا في مجلس الحسن البصري فكان المسبوب
يكظم ويعرق ويمسح العرق ثم قام فتلا هذه الاية فقال الحسن عقلها
والله وفهمها اذا ضيعها الجاهلون فالعفو مندوب اليه واذا زاد بغي
الباغي ندب له الانتصار ليقطع زيادة بغيه وقد اذن النبي صلى الله عليه وسلم
لعايشة ان تنتصر لما اسمعتها زينب ما تكره بحضرة النبي صلى الله عليه وسلم
فكان ينهاها فلا تنتهي فقال لعايشة رضي الله عنها دونك فانتصري وهذه

اللام الموطئة لا تدخل الا على الشرط

رد كلام ابي البقا في الاعراب

من البسيط

حكاية

الاية نزلت في ابي بكر الصديق رضي الله عنه مع ثلاث ايات قبلها وقد شتمه بعض
الانصار فرد عليه ثم امسك وقيل قوله ولمن صبر وغفر يريد ابابكر وعمر
وابا عبيدة بن الجراح ومصعب بن عمير ان ذلك لمن عزم الامور حيث قتلوا
العدى وصبروا على الاذى ووجه استشهاد المصنف على مطلبه بهذه الاية
الاشارة الى انه صلى الله عليه وسلم كان احرا بذلك معتمدا عليه اذ كانت همته من
شانها ان لا تقصر فيما يكون من عزم الامور ولا خفا بما يوثر من حلمه
واحتماله وان كل حليم قد عرفت منه زلة وحفظت عنه هفوة في القاموس
هفا الرجل زل وهو صلى الله عليه وسلم لا يزيد مع كثرة الاذى الا صبرا وعلى
اسراف الجاهل الا حلما في القاموس جهله كسمعه ضد علمه وعليه اظهر الجهل
انتهى فيقال جهل عليه اذا ابدى خفي الغضب الذي كان في قلبه وفي الحديث
من استجهل مومنا فعليه اثمه قال ابن المبارك معناه من حمله على شي
ليس من خلقه فيغضبه قال وجهله ارجو ان يكون موضوعا عنه ويكون
الاثم على من استجهله والحاصل المراد بالجاهل الذي ساخلقه من غضبه على
سنن قول الشاعر ٭ الا لا يجهلن احد علينا ٭ فنجهل فوق جهل الجاهلينا ٭ من الوافر
حدثنا القاضي ابو عبد الله محمد بن علي التغلبي وغيره هو بمثناة فوقانية معجمة هو محمد بن علي بن محمد بن عبد العزيز من اجل رجال الاندلس توفي بمصر
يوم الخميس سنة ثمان وخمسمائة ودفن يوم الجمعة بعد العصر ومولده سنة تسع
وثلاثين واربعمائة قالوا حدثنا محمد بن عتاب هو قرطبي مات ليلة الثلاثا
لعشر بقين من صفر سنة ثنتين وستين واربعمائة وقد نيف على الثمانين قال
حدثنا

حدثنا ابو بكر بن وافد القاضي وغيره وافد بالفاء في بعض النسخ المصححة
وعليه صح قال حدثنا ابو عيسى هو يحيى بن عبد الله بن يحيى بن يحيى
قال حدثنا عبيد الله هو ابو مروان عبيد الله بن يحيى بن يحيى بن كثير قال
حدثنا يحيى بن يحيى هو يحيى بن يحيى بن كثير الليثي مولاهم البربري المصمودي
القرطبي الفقيه ابو محمد احد الاعلام وعالم الاندلس ولد سنة اثنتين وخمسين
ومائة وتوفي في رجب سنة اربع وثلاثين ومائتين وقيل سنة ثلاث لم يخرج
له في الكتب الستة شي والموطا مشهور به وموطاه اصح الموطات اما الذي
روى له في البخاري ومسلم والترمذي والنسائي فهو يحيى بن يحيى بن بكر بن
عبد الرحمن بن يحيى بن حماد التميمي ابو زكريا النيسابوري احد الاعلام يروي عن
مالك وزهير بن معاويه وعنه البخاري ومسلم وغيرهما قال احمد ما اخرجت
خراسان بعد ابن المبارك مثله وقال ابن راهويه راهويه ما رايت مثله
ولا راى مثل نفسه مات سنة ست وعشرين ومائتين وهو ثبت فقيه
صاحب حديث وليس بالمكثر جدا اخرج له البخاري ومسلم والترمذي
والنسائي قال حدثنا مالك هو الامام مالك بن انس بن مالك بن ابي عامر
الاصبحي المدني امام دار الهجرة بل امام الدنيا ومن اتباع التابعين مناقبه
كثيرة افردت بالتاليف ولد سنة ثلاث وتسعين ومات سنة تسع وسبعين
ومائة رضي الله عنه عن ابن شهاب هو ابو بكر محمد بن مسلم بن عبيد الله بن
عبد الله بن شهاب الزهري العلم الفرد يروي عن عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله
عنهما على خلاف فيه وانس وسهيل وابن المسيب وحديثه عن ابي هريرة

ترجمة
الزهري ابن شهاب

رضي الله عنه في الترمذي وعن رافع بن خديج رضي الله عنه في النسائي وذلك
مرسل لان بينهما واسطة مات سنة اربع وعشرين ومائة في رمضان اخرج
له الائمة الستة عن عروة هو عروة بن الزبير بن العوام يروي عن ابويه الزبير
واسما بنت ابي بكر الصديق وخالته عائشة ام المومنين وعلي وخلائق
وعنه اولاده عثمان وعبيد الله وهشام والزهري كان فقيها عالما كثير الحديث
ثبتا مامونا قال هشام بن عروة صام ابي الدهر ومات وهو صائم في وفاته
اقوال منها سنة اربع وتسعين اخرج له الائمة الستة عن عائشة رضي الله
عنها قالت ما خير رسول الله صلى الله عليه وسلم في امرين قط اي من امور
الدنيا يدل عليه قوله ما لم يكن اثما لان امور الدين لا اثم فيها وابهم فاعل خير ليكون
اعم من ان يكون من قبل الله عز وجل او من قبل المخلوقين الا اختار ايسرهما
اي اسهلهما ما لم يكن اثما اي ما لم يكن الاسهل مقتضيا للاثم فانه حينئذ
يختار الاشد وفي حديث انس عند الطبراني في الاوسط الا اختار ايسرهما
ما لم يكن لله فيه سخط ووقوع التخيير بين ما فيه اثم وما لا اثم فيه من قبل
المخلوقين واضح واما من قبل الله عز وجل ففيه اشكال لان التخيير انما يكون
بين جائزين لكن اذا حملناه على ما يفضي الى الاثم امكن ذلك بان يخيره
بين ان يفتح عليه من كنوز الارض ما يخشى من الاشتغال به ان لا يتفرغ
الى العبادة مثلا وبين ان لا يوتيه الله عز وجل من الدنيا الا الكفاف فيختار
الكفاف وان كانت السعة اسهل منه والاثم على هذا امر نسبي لا يراد منه
معنى الخطيئة لثبوت العصمة له كذا قيل واقول لا تريد عائشة رضي الله عنها

بان الاسهل فيه اثم يقوم بالنبي صلى الله عليه وسلم بل ارادت انه يحصل منه اثم
لغيره الا ترى انه لما وضع بين يديه ليلة الاسرا اناء من لبن واناء من خمر
واناء من عسل فاختار اللبن مع ان العسل اطيب من اللبن والخمر وان
الخمر ايضا اطيب اذ ذاك لانها لم تكن حراما لما يترتب على اختياره الخمر من
غواية امته ومن اختياره العسل من تهالك امته على الدنيا وما انتقم
رسول الله صلى الله عليه وسلم لنفسه اي خاصة فلا يرد امره بقتل
عقبة بن ابي معيط وعبد الله بن خطل وغيرهما ممن كان يوذيه لانهم كانوا
مع ذلك ينتهكون حرمات الله عز وجل وقيل ارادت رضي الله عنها انه لا
ينتقم اذا اوذي في غير السبب الذي يفضي الى الكفر كما عفا عن الاعرابي
الذي جفا في رفع صوته عليه وعن الاخر الذي جبذ بردائه حتى اثر في
كتفه الشريف وحمل الداودي عدم الانتقام على ما يختص بالمال قال واما
العرض فقد اقتص ممن نال منه قال واقتص ممن لده في مرضه
بعد نهيه عن ذلك بان امر بلدهم مع انهم كانوا في ذلك تاولوا انه انما نهاهم
على عادة البشرية من كراهة النفس للدواء كذا قال وقد اخرج الحاكم هذا
الحديث من طريق معمر عن الزهري بهذا الاسناد مطولا واوله ما لعن
رسول الله صلى الله عليه وسلم مسلما بذكر اي بصريح اسمه ولا ضرب بيده شيا
قط الا ان يضرب بها في سبيل الله عز وجل ولا سيل عن شي قط فمنعه الا
ان يسال ماثما ولا انتقم لنفسه من شي الا ان تنتهك حرمات الله عز وجل
فيكون لله عز وجل ينتقم وما خير رسول الله صلى الله عليه وسلم الى اخر الحديث

قال كان اثما كان ابعد الناس منه م
متن اغفلوه ه

بلغ مقابلة على نسخة المولف

المذكور ولعمري لو ذكر المصنف هذه الرواية لكانت اوفى بالمقصود من التنصيص
على اخلاقه الجميلة فان قلت هذا الحديث موجود في الصحيحين فلم اخرجه
المصنف من طريق مالك في الموطا قلت الصحيحان كتابان متداولان
لا يخفى كونه فيهما لان احاديثهما لتلقي امة محمد صلى الله عليه وسلم لهما بالقبول
وانعكاف الهمم عليهما معلومة لغالب اهل هذا الشان لكن كون هذا
الحديث في الموطا امر خفي فالتنصيص فيه من الفائدة ما ليس في عزوه
اليهما لان عزوه اليهما يكون كذكر شيء معلوم وفي تعليق حافظ بلدنا ومحدث
اقليمنا البرهان الحلبي على الشفا انه انما عدل عن اخراجه منهما لامرين
احدهما العلو لان بينه وبين مالك من هذه الطريق التي في الموطا ستة
اشخاص ولو رواه من البخاري او مسلم كان بينه وبين مالك في
البخاري سبعة انفس وفي مسلم كذلك وكان يكون بينه وبين مالك في
ابي داود ستة الا انه بالاجازة والسماع سبعة الثاني ان الموطا عند
هولا الجماعة له مزية على غيره ولان مالكا شيخ شيوخ الائمة الستة
فاخراجه من كتابه اولى واعلى ما يقع للائمة الستة في حديث مالك
ان يكون بينهم وبينه واحد وقد روى البخاري في صحيحه عن واحد عن
مالك وعن اثنين عن مالك وعن ثلاثة عن مالك في موضع واحد وهو
في غزوة خيبر عن عبد الله بن محمد المسندي عن معاوية بن عمرو عن
ابي اسحق الفزاري عن مالك وهذا يدل على جلالة مالك حيث وقع هذا
الحرص على الوصول اليه ولو بنزول الاسناد الذي يتجافى عنه المحدثون وكذا

وقع

وقع لمسلم في مكان واحد بينه وبين مالك ثلاثة انفس في واخر الاضحية
وهو حديث ام سلمة اذا رايتم هلال ذي الحجة الحديث ووقع للنسائي
حديث بينه وبين مالك خمسة اشخاص في نكاح المتعة انتهى واقول
المصنف وان كان مالكيا لا يقول بتفضيل الموطا على الصحيحين فان
الصحيحين اعلى من الموطا وارجح ولا يلزم من ذلك انا نرجح البخاري ومسلم
على مالك فان مالكا امام الدنيا ولم يكن في عصره من يدانيه بل هو عالم المدينة
الذي بشر به رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد تعاكف اهل عصره على الاستفادة
منه وانفرد بالسودد في زمانه لكنه في كتابه الموطا لم يتقيد باخراج
الاحاديث التي اشترط اخراجها محمد بن اسمعيل البخاري ومسلم بن الحجاج
لانه ادخل فيه المرسل والمنقطع على سبيل الاحتجاج بخلاف ما يقع في
البخاري من ذلك وقول الشافعي رضي الله عنه ما على ظهر الارض كتاب في
العلم بعد كتاب الله عز وجل اصح من كتاب مالك كان قبل وجود صحيح
البخاري نعم للموطا جلالة ومزية باعتبار ان مصنفه اجل من مصنفي
ذينك الكتابين ولا يلزم من جلالة المصنف جلالة المصنف بفتح النون
بل احسن ما يقال ان هذا الحديث وقع اتفاق هولا المصنفين على اخراجه
وثبتت صحته وانه في اعلى درجات الصحة فبعد ذلك اذا اردنا عزوه الى احد
مخرجيه لا نعزوه الا الى افضلهم واكملهم واسند اسانيدهم وهو
هذا الامام الذي هو نجم السنن نفعنا الله عز وجل ببركته فان الرحمة
تنزل عند ذكره وذكر امثاله قال المصنف في شرح مسلم واما قولها اي عايشة

رضي الله عنها ما لم يكن اثما فيتصور اذا خير الكفار او المنافقون فاما اذا
كان التخيير من الله عز وجل او من المسلمين فلا يتصور فيكون الاستثناء
منقطعا انتهى قال شيخنا الرضي بن الحنبلي الحنفي ابن الناذقي وقد فهم
القاضي من قولها ما لم يكن اثما اي موجب اثم من حرام او مكروه ما فهم
من الاستثناء فسماه استثناء وسماه منقطعا لاستحالة ان يخير الله عز وجل
والمسلمون بين امرين احدهما اثم وبنى على ذلك انك اذا قلت احسن الى
زيد ما لم يكن فاسقا فهو في قوة قولك احسن الى زيد الا اذا كان فاسقا
وقد يكون ما ليس بلفظ الاستثناء في قوته الا ترى الى قول النحاة في قول
القائل لالزمنك او تعطيني حقي بان او بمعنى الى او بمعنى الا اي الى ان
تعطيني حقي او الا ان تعطيني حقي انتهى واقول اما ما فهم القاضي من
كونها لم يكن اثما استثناء فهو استثناء بالفعل لا بالقوة وليس من
قبيل لالزمنك او تعطيني حقي اذا جعل بمعنى الا ان تعطيني حقي لان
من جملة ادوات الاستثناء المنصوص على كونها من ادواته لا يكون ويكون
هنا ناقصة والمنصوب بعدها خبرها والمقام صالح لان يكون ما بعدها
مخرجا مما قبلها واسمها ضمير مستتر فيها وجوبا عائدا الى ما قبلها ولا يجوز
اظهار ذلك الضمير اصلا واحالة ان الله عز وجل يامر بما فيه اثم مسلمة واما
احالة ان يامر المسلمون بما فيه اثم فممنوعة نعم ان لوحظ في ذلك قيد
الحيثية كان يقال المسلمون من حيث انهم مسلمون يستحيل ان يامروا
بما فيه اثم لان ذلك راجع الى ان يامر دين الاسلام بما فيه اثم وهو مستلزم

لان

هنا فيه بحث مع ابن الحنبلي

لان يكون الله عز وجل هو الامر وقد بينا ان المراد انه يامر بما هو آيل الى الاثم
كما صورنا ذلك في تخييره صلى الله عليه وسلم ليلة المعراج بين اللبن والخمر
والعسل فاختار اللبن مع ان شرب العسل والخمر الذي ابيح لما في عاقبة
ذلك من الاثام وكما خير صلى الله عليه وسلم بين ان يعطى مفاتيح كنوز الارض
ويجعل له الجبال ذهبا وبين ان يختار الرضى بالقوت فاختار الثاني لما في
الاول من اقتداء امته به فيه فيتهالكون على طلب الدنيا لاسيما اذا راوا نبيهم
صلى الله عليه وسلم اكثر منها فيؤدي الى هلاكهم كما قال صلى الله عليه وسلم فوالله ما الفقر
اخشى عليكم وانما اخشى ان تبسط عليكم الدنيا كما بسطت على من كان
قبلكم فتنافسوا فيها فتهلككم كما اهلكتهم رواه مسلم ففي مثل هذا
خير الله عز وجل بين امرين فاختار اشدهما لان ايسرهما تؤدي الى الاثم
وان كان هو ليس باثم فان قلت كيف كان نبينا صلى الله عليه وسلم
يختار الايسر مع ان الاشق افضل وفي حديث عائشة رضي الله عنها اجرك على
قدر نصبك رواه مسلم ولهذا كان فصل الوتر افضل من وصله وفي حديث
اخر افضل الاعمال احمزها بحاء مهملة ثم ميم ثم زاء معجمة اي اقواها
واشدها يقال رجل حامز الفؤاد وحميزه اي شديده قلت نحن نجد الشرع
لا يلتفت في تفضيل الاعمال الى المشقة بل ربما يترتب على الفعل اليسير
مثل ما يترتب على الفعل الكثير كما رتب غفران الذنب على الحج المبرور ورتب مثل
ذلك على موافقة تامين المصلي تامين الملائكة ورتب غفران الذنوب على
قيام ليلة القدر كما رتبه على قيام جميع رمضان لكن قال ابن عبد السلام ان هذه

مبحث نفيس يكتب بماء الذهب [illegible] نفع الله به

الطاعات وان تساوت فى التكفير فلا تساوي بينها فى الاجور فان الله عز وجل
رتب على الحسنات رفع الدرجات وتكفير السيات ولا يلزم من التساوي في
تكفير السيآت التساوى في رفع الدرجات وفضل العمل انما هو باعتبار ما
رتب عليه من جلب المصالح ودرء المفاسد فيكون القليل منه افضل من
الكثير من غيره والخفيف افضل من الشاق من غيره ولا يكون الثواب على قدر
التصب فى مثل هذا الباب كما ظن بعض الجهلة بل ثوابه على قدر خطره
فى نفسه كالمعارف العليه والاحوال السنيه والكلمات المرضيه فرب
عبادة خفيفة على اللسان ثقيلة فى الميزان وعبادة ثقيلة على الانسان
خفيفة فى الميزان بدليل ان التوحيد خفيف على اللسان والجنان وهو
افضل ما اعطيه الانسان ومن به الرحمن والتفوه به افضل من كل كلام
بدليل انه يوجب الجنان ويدرا غضب الديان عز وجل وقد صرح عليه
الصلوة والسلام بانه افضل الاعمال لما قيل له اي الاعمال افضل فقال
ايمان بالله وجعل الجهاد دونه مع انه اشق وكذلك معرفة التوحيد
افضل المعارف واعتقاده افضل الاعتقادات مع سهولة ذكره وخفته
بعد تحققه وقد كانت قرة عين نبينا صلى الله عليه وسلم فى الصلاة وكانت
شاقة على غيره وليست صلاة غيره مع مشقتها مساوية لصلاته مع
خفتها وقرتها وكذلك اعطا الزكاة عن طيب نفس افضل من اعطاها مع
البخل ومجاهدة النفس ولذلك جعل صلى الله عليه وسلم للذي يقرا القران
ويتعتع فيه وهو شاق عليه اجرين والذي يقراه وهو ماهر فيه مع السفرة

الكرام

الكرام البررة مع خفة قراءة القران على هذا ومشقتها على ذاك ومع ذلك ثواب
الماهر اكثر ومما يدل على ان الثواب لا يترتب على قدر النصب والمشقة في جميع
العبادات ما روى ابو الدردا رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال الا
انبيكم بخير اعمالكم وازكاها عند مليككم وارفعها فى درجاتكم وخير لكم من انفاق
الذهب والورق وخير لكم من ان تلقوا عدوكم فتضربوا اعناقهم ويضربوا
اعناقكم قالوا بلى قال ذكر الله عز وجل قال معاذ بن جبل رضي الله عنه ما شى
انجى من عذاب الله عز وجل من ذكر الله عز وجل رواه الترمذي ومما يدل على
ذلك ايضا ما روى ابو هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه
قال من قال حين يصبح وحين يمسي سبحان الله وبحمده مائة مرة لم يات
احد يوم القيمة بافضل مما جاء به الا احد قال مثل ما قال او زاد عليه
اخرجه مسلم فى صحيحه وكذلك قوله صلى الله عليه وسلم فيما رواه ابو هريرة رضي الله
عنه ايضا كلمتان خفيفتان على اللسان ثقيلتان فى الميزان حبيبتان
الى الرحمن سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم اخرجاه فى الصحيحين
والحاصل ان الثواب يترتب على تفاوت الرتب فى الشرف فان تساوى
العملان من كل وجه كان الثواب على اكثرهما لقوله عز وجل فمن يعمل مثقال
ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره فان قيل ما ضابط الفعل
الشاق الذي يوجر عليه اكثر مما يوجر على الخفيف قلت اذا اتحد الفعلان
فى الشرف والشرائط والسنن والاركان وكان احدهما شاقا فقد استويا
في اجرهما لتساويهما فى جميع الوظائف وانفرد احدهما بتحمل المشقة لاجل الله

عزوجل فاثيب على تحمل المشقة لا على عين المشاق اذ لا يصح التقرب بالمشاق
لان القرب كلها تعظيم للرب عزوجل وليس عين المشاق تعظيما ولا توقيرا
ويدل على ذلك ان من تحمل مشقة في خدمة انسان فانه يرى ذلك له لا لاجل
كونه شق عليه وانما يراه له بسبب تحمل مشقة الخدمة لاجله وكذلك جعل
بكل خطوة يخطوها المصلي الى اقامة الجماعة رفع درجة وحط خطيئة وجعل
ابعدهم ممشى الى الصلاة اعظم اجرا من اقربهم ممشى اليها وكذلك جعل
للمسافرين الى الجهاد بما يلقونه من الظما والنصب والمخمصة والنفقة
الصغيرة والكبيرة وقطع الاودية وبما ينالونه من الاعدا وبالوطي الغائظ
للكفار اجر عمل صالح فكذلك تحمل المشاق الناشئة عن العبادة يختلف
اجر تحمل المشاق بشدة المشاق وخفتها وقد قيل ان في بعض كتب الله
عزوجل تعيين ما يتحمل المتحملون من اجلي وقد علمنا من موارد الشرع
ومصادره ان مطلوب الشرع انما هو مصالح العباد في دينهم ودنياهم
وليست المشقة مصلحة والنبي صلى الله عليه وسلم اذا خير بين امرين
فاختار ايسرهما صار ذلك الايسر مناطا للمصلحة لان الشارع اختاره
وفاعله يأتي بقربة ايمانية في متابعة النبي صلى الله عليه وسلم مثاله الحج راكبا
افضل من الحج ماشيا لان نبينا صلى الله عليه وسلم لم يحج الا راكبا فكان في الحج
راكبا من المصلحة ما ليس في الحج ماشيا وهو اتباع النبي صلى الله عليه وسلم
وقولها الا ان تنتهك حرمة الله عزوجل في القاموس نهكه كمنعه نهكه
غلبه والثوب حتى خلق ومن الطعام بالغ في اكله وعرضه بالغ في شتمه

ثم قال

ثم قال والنهك المبالغة في كل شي انتهى وفي حديث ابن عباس رضي الله
عنهما ان قوما قتلوا فاكثروا وزنوا فانتهكوا قال في النهاية اي بالغوا في خرق
محارم الشرع انتهى فان قلت هذا يقتضي ان النبي صلى الله عليه وسلم لم يكن
يغضب الا عند الانتهاك اي المبالغة في اتيان محارم الله عزوجل مع انه
صلى الله عليه وسلم كان يغضب بمجرد اتيان محارم الله عزوجل سوا بولغ
فيها ام لم يبالغ قلت المراد الا ان يقع الانتهاك اي المبالغة في اتيان المحارم
ومن اتى محارم الله عزوجل ولو مرة فقد بالغ في الجراة والاقدام حيث
اقدم على هتك حرمة هذا الرب العظيم جل جلاله او تعالى لعله كما ان اذا فعلت
صغائر الذنوب يقابل فاعلها بالاغضا واذا فعلت الكبائر يغضب
وعند فعلها يكون قد انتهكت محارم الله عزوجل وروي ان النبي صلى الله
عليه وسلم لما كسرت رباعيته في القاموس رباعية كثمانية السن التي بين
الثنية والناب وشج وجهه يوم احد شق ذلك على اصحابه شديدا
وقالوا لو دعوت عليهم فقال اني لم ابعث لعانا ولكني بعثت داعيا
ورحمة اللهم اهد قومي فانهم لا يعلمون وذلك ان اربعة من قريش قد
تعاهدوا وتعاقدوا على قتل رسول الله صلى الله عليه وسلم وعرفهم المشركون
بذلك عبد الله بن شهاب وعتبة بن ابي وقاص وابن قمية وابي
ابن خلف ورمى عتبة يومئذ رسول الله صلى الله عليه وسلم باربعة سهام
فكسر رباعيته اليمنى السفلى باطنها اليمنى السفلى اي كسرها بحيث ذهبت
منها فلقة وشج في وجنته واصيبت ركبتاه جحشتا وكانت حفر حفرها

ابو عامر الفاسق كالخنادق للمسلمين وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم
واقفا على بعضها ولا يشعر به فسقط فيها والصحيح ان الذي رمى وجنتي رسول
الله صلى الله عليه وسلم ابن قمئة والذي رمى شفتيه واصاب رباعيته عتبة
ابن ابي وقاص واقبل ابن قمئة وهو يقول دلوني على محمد صلى الله عليه وسلم
فوالذي يحلف به لئن رايته لاقتلنه فعلاه بالسيف ورماه عتبة بن
ابي وقاص فوقع رسول الله صلى الله عليه وسلم في حفرة امامه فجحشت ركبتاه
ولم يصنع سيف ابن قمئة شيئا الا وهن الضربة بثقل السيف وقد وقع لها
رسول الله صلى الله عليه وسلم وانتهض رسول الله صلى الله عليه وسلم وطلحة يحمله
من ورائه وعلي اخذ بيده حتى استوى قائما وقال ابو بشير المازني حضرت
يوم احد وانا غلام فرايت ابن قمئة علا رسول الله صلى الله عليه وسلم بالسيف
فرايت رسول الله صلى الله عليه وسلم وقع على ركبتيه في حفرة امامه حتى توارى
فجعلت اصيح وانا غلام حتى رايت الناس ثابوا اليه قال فانظر الى طلحة بن عبيد الله
آخذ بحضنه حتى قام رسول الله صلى الله عليه وسلم ويقال ان الذي شج رسول الله
صلى الله عليه وسلم في جبهته ابن شهاب والذي اشظى رباعيته وادمى
شفتيه عتبة بن ابي وقاص والذي رمى وجنتيه حتى غاب الحلق في
وجنته ابن قمئة وسال الدم من شجته التي في جبهته حتى اخضل الدم لحيته
صلى الله عليه وسلم وكان سالم مولى ابي حذيفة يغسل الدم عن وجه رسول الله
صلى الله عليه وسلم ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقول كيف يفلح قوم فعلوا هذا بنبيهم
وهو يدعوهم الى الله عز وجل فانزل الله عز وجل ليس لك من الامر شيء او يتوب

عليهم

عليهم الاية وقال سعد بن ابي وقاص اشتد غضب الله على رجل قتله رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال سعد فقد شفاني من عتبة اخي دعاء رسول الله صلى الله
عليه وسلم ولقد حرصت على قتله حرصا ما حرصته على شيء قط وان كان ما علمته
لعاقا بالوالد سيء الخلق ولقد تخرقت صفوف المشركين مرتين اطلب
اخي لاقتله ولكن راغ مني روغان الثعلب فلما كان الثالثة قال لي رسول
الله صلى الله عليه وسلم يا ابا عبد الله ما تريد تريد ان تقتل نفسك فكففت
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم لا تحولن الحول على احد منهم قال والله ما
حال الحول على احد ممن رماه او جرحه مات عتبة واما ابن قمئة فانه قد
اختلف فيه فقائل يقول قتل في المعركة وقائل يقول انه رمى يوم احد بسهم
فاصاب مصعب بن عمير فقال خذها وانا ابن قمئة فقتل مصعبا فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم اقماه الله فعمد الى شاة يحتلبها فنطحته بقرنها
وهو معتقلها فقتلته فوجد ميتا بين الجبال لدعوة رسول الله صلى الله
عليه وسلم وكان عدو الله قد رجع الى اصحابه فاخبرهم انه قتل رسول الله صلى الله
عليه وسلم وهو رجل من بني الادرم من بني فهر واقبل عبد الله بن حميد بن زهير
حين راى رسول الله صلى الله عليه وسلم على تلك الحال يركض فرسه مقنعا في
الحديد يقول انا ابن زهير دلوني على محمد فوالله لاقتلنه او لاموتن دونه
فعرض له ابو دجانة فقال هلم الى من يقي محمدا صلى الله عليه وسلم بنفسه
فضرب فرسه فعرقبها فاكتسعت الفرس ثم علاه بالسيف وهو يقول
خذها وانا ابن خرشة ورسول الله صلى الله عليه وسلم ينظر اليه يقول اللهم ارض

عن ابن خرشة كلما انا عنه راض وقال ابو بكر الصديق رضي الله عنه لما كان يوم احد ورمي رسول
الله صلى الله عليه وسلم في وجهه حتى دخلت في وجنتيه حلقتان من المغفر
فاقبلت اسعى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وانسان قد اقبل من المشرق
يطير طيرا فقلت اللهم اجعله طلحة بن عبيد الله حتى توافينا الى رسول الله
صلى الله عليه وسلم فاذا ابو عبيدة بن الجراح رضي الله عنه فبدرني فقال اسالك
بالله عز وجل يا ابا بكر الا تركتني فانزع الحلقتين من وجه رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال ابو بكر رضي الله عنه فتركته فاخذ ابو عبيدة بثنيته حلقة
المغفر فنزعها وسقط على ظهره وسقطت ثنيتا ابي عبيدة ثم اخذ الحلقة
الاخرى بثنيته الاخرى فكان ابو عبيدة رضي الله عنه في الناس اثرم ويقال
ان الذي نزع الحلقتين من وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم عقبة بن وهب
ابن كلدة ويقال ابو اليسر قال الواقدي واصح ذلك عندنا عقبة بن وهب بن
كلدة وكان ابو سعيد الخدري رضي الله عنه يحدث ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم اصيب وجهه يوم احد فدخلت الحلقتان من المغفر في وجنتيه
فلما نزعتا جعل الدم يسرب كما يسرب الشن فجعل ابي مالك بن سنان يملج الدم
بفيه ثم ازدرده فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من احب ان ينظر الى من خالط
دمه دمي فلينظر الى مالك بن سنان فقيل لمالك تشرب الدم قال نعم اشرب دم
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من مس دمه دمي
لم تصبه النار وفي صحيح البخاري قال حميد وثابت عن انس شج النبي صلى الله عليه
وسلم يوم احد فقال كيف يفلح قوم شجوا نبيهم فنزلت ليس لك من الامر شيء هكذا

الملج المص
قوله ثم ازدرده اي ابتلعه

رواه البخاري

رواه البخاري تعليقا لكن بصيغة الجزم فيكون صحيحا على شرطه وقد وصله
احمد والترمذي والنسائي من طرق عن حميد وفي المغازي الاسحاقية قال
ابن اسحق حدثني حميد الطويل عن انس قال كسرت رباعية النبي صلى الله عليه وسلم
يوم احد وشج في وجهه الشريف فجعل الدم يسيل على وجهه وجعل يمسح
الدم وهو يقول كيف يفلح قوم خضبوا وجه نبيهم صلى الله عليه وسلم وهو
يدعوهم الى ربهم عز وجل فانزل الله عز وجل الاية وفي السيرة الهشامية
وصرخ صارخ الا ان محمدا صلى الله عليه وسلم قد قتل فانكفانا وانكفا عنا
القوم والصارخ هو ازب العقبة قيد في بعض النسخ بكسر الهمزة
وسكون الزاي والصحيح انه بفتح الهمزة والزاي وتشديد البا وفي
الروض الانف ان عتبة بن ابي وقاص اخا سعد هو الذي كسر رباعية
النبي صلى الله عليه وسلم ثم لم يولد من نسله ولد فبلغ الحلم الا وهو ابخر اهتم
يعرف ذلك في عقبه وقد قيل لابن شهاب الزهري شيخ مالك اكان
جدك عبد الله بن شهاب ممن شهد بدرا فقال نعم ولكن من ذلك الجانب يعني
مع الكفار هذا وان هذا الحديث بهذا اللفظ الذي اورده المصنف رواه
البيهقي في شعب الايمان عن عبد الله بن عبيد وفي صحيح البخاري بسنده عن
ابي حازم انه سمع سهل بن سعد وهو يسال عن جرح رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال اما والله اني لاعرف من كان يغسل جرح رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن
كان يسكب الما وبما دووي قال كانت فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم
تغسله وعلي رضي الله عنه يسكب الما بالمجن فلما رات فاطمة ان الما لا يزيد

الاكثرة اخذت قطعة من حصير فاحرقتها فالصقتها فاستمسك الدم وكسرت
رباعيته يومئذ وجرح وجهه الشريف وكسرت البيضة على راسه وروى عن
عمر رضي الله عنه انه قال في بعض كلامه بابي انت وامي يا رسول الله
اي افديك بهما وهما فداك والفدا بكسر الفا مع المد وبفتحها مع القصر قال الاصمعي
يقال فداه يفديه فدا وفدى وفاداه يفاديه مفاداة اذا اعطى فداه وانقذه
وفداه بنفسه وفداه بالتشديد اذا قال له جعلت فداك والفدية الفدا
وفي الحديث فاغفر فداك ما اقتفينا وهو خطاب لله عز وجل واطلاق
هذا اللفظ مع الله عز وجل محمول على المجاز والاستعارة لانه انما يفدى من
المكاره من تلحقه فيكون المراد من الفدا التعظيم والاكبار لان الانسان
لا يفدي الا من يعظمه فيبذل نفسه له وقد دخلت البا على المفدى به
في هذا الاثر عكس ما وقع في قول ان عم . فديت بنفسه نفسي ومالي
وما الوك الا ما اطيق . وقد ذكر ابن هشام في مغني اللبيب
ان ذلك من باب القلب على حد عرضت الناقة على الحوض اي الحوض على
الناقة وهذه مقالة يستعملها العرب في التعظيم والافعم يفدى رسول الله
صلى الله عليه وسلم وكذا غيره من احاد المومنين فضلا عمن هو من رؤساء
الصديقين وسياتي في فصل محبته صلى الله عليه وسلم من ذلك ما فيه كفاية ان
شا الله تعالى لقد دعا نوح عليه السلام على قومه فقال رب لا تذر على الارض الاية
اي لا تترك ولا تبق وهم تذر في التصريف حكم تدع واصله وذره يذره كوسعه
يسعه وقد اميت ماضيه ومصدره فلا يقال وذره ولا وذرا ولا واذر
ولكن

مطلب

ولكن تركه تركا وهو تارك وديار من الاسما المستعملة في النفي العام يقال
ما بالدار ديار او ديور كقيام او قيوم اي احد وهو فيعال من الدور
او من الدار اصله ديوار اجتمعت الواو واليا في كلمة واحدة وسبقت
احداهما بالسكون فقلبت الواو يا وادغمت اليا في اليا وليس وزنه
فعال والا لكان دوارا وفي الصحاح ويقال ما بها دوري وما بها ديار
اي احد وهو فيعال من درت واصله ديوار فالواو لما وقعت
بعد يا ساكنة قبلها فتحة قلبت يا وادغمت مثل ايام وقيام انتهى
ولو دعوت علينا مثلها لهلكنا من عند اخرنا فلقد وطي ظهرك الوطي
الاصل الدوس بالقدم فان قلت هل وقفتم على ان احدا من الاشقيا داس
ظهر النبي صلى الله عليه وسلم بقدمه قطعها الله عز وجل قلت لم اقف على ان احدا
من الكفار الاشقيا فعل ذلك الفعل الشنيع بان داس ذلك الظهر
الشريف بقدمه الخبيثة ولعل كلام عمر محمول على ما وقع في قصة السلا
التي رواها ابن مسعود واخرجها الشيخان في صحيحهما وابن سيد الناس
في سيرته فيها قال ابن مسعود كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم في المسجد
الحرام ورهط من المشركين من قريش ونبي الله صلى الله عليه وسلم يصلي
وقد نحر قبل ذلك جزور وقد بقي فرثه وقذره فقال ابو جهل الا رجل
يقوم الى هذا القذر يلقيه على محمد ونبي الله صلى الله عليه وسلم ساجد اذ
انبعث اشقاها وهو عقبة بن ابي معيط فقام فالقاها عليه
قال عبد الله فهبنا ان نلقيه عنه حتى جات فاطمة رضي الله عنها فالقته

عنه فقام فسمعته يقول وهو قايم يصلي اللهم اشدد وطاتك على مضر سنين
كسني يوسف عليك بابي الحكم بن هشام وهو ابو جهل وعتبة بن ربيعة
وشيبة بن ربيعة والوليد بن عتبة وعقبة بن ابي معيط وامية بن خلف ورجل
اخر وهو عمارة بن الوليد ثم قال رايتهم من العام المقبل صرعى بالطوى
طوى بدر صرعى بالقليب فسمى عمر مثل ذلك وطا لان فيه من الاهانة
ما في الوطء وزيادة حيث كان الملقى على ظهره شيا نجسا مستقذرا
فاطلاق الوط على ذلك يكون مجازا مرسلا لانه من باب تسمية اللازم باسم
الملزوم لانه يلزم من الوط الذي هو الدوس بالقدم الاهانة فسمى الاهانة
الناشية من ايذايه بالقا قذر على ظهره وطا وهذا كما سمى النبي صلى الله عليه وسلم
الغزو وطا قال صلى الله عليه وسلم ان اخر وطاة وطيها الله عز وجل بوج ووج
من الطايف والوط كما قلنا في الاصل الدوس بالقدم فسمى به الغزو والقتل
لان من يطا الشي برجله فقد استقصى في هلاكه واهانته كذلك هنا
اراد عمر رضي الله عنه هذه الاهانة فسماها وطا نعم ان اطلقنا على ان
احدا من الاشقيا فعل الدوس بالقدم قطعه الله على ذلك الظهر الشريف
فلا يحتاج الى مثل هذا المجاز والله اعلم وادمي وجهك وكسرت رباعيتك
فابيت ان تقول الا خيرا فقلت اللهم اغفر لقومي فانهم لا يعلمون بينا
انما هذا ادمي وجهه الشريف ومتى ادماه ومن كسر رباعيته وفي اي زمان
ومكان كسرت بما لا مزيد عليه عن قريب ان في هذه المقالة التي قالها عمر رضي الله عنه
اسئلة السؤال الاول قوله صلى الله عليه وسلم داعيا لقومه اللهم اغفر لقومي

فيقال

فيقال كيف دعا لهم بالمغفرة مع ان مغفرة الكفر وان جازت عقلا مستحيلة
شرعا وهولا الذين فعلوا به ذلك كانوا كفارا والكافر لا يجوز ان يدعى له بالمغفرة
وقد قال تعالى استغفر لهم او لا تستغفر لهم ان تستغفر لهم سبعين مرة فلن
يغفر الله لهم وقال تعالى ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء
وقال ما كان للنبي والمومنين الاية قال شيخنا الرضي بن الكهلي النادي وفي
هذه الرواية اشكال لان الدعا انما صدر منه صلى الله عليه وسلم بعدما فعل به ما
فعل يوم احد وغزوة احد كانت على احد وثلاثين شهرا من الهجرة من مكة
الى المدينة وحينئذ فكيف يسال الله عز وجل في ان يغفر لهولا الكفار وقد
نزل من الايات المدنية قوله ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك
لمن يشا وهب ان غفران الشرك جائز عقلا عند المتكلمين لكنه ممنوع شرعا
فطلبه ممنوع كذلك لكنه وقع في كلام الشارع فما وجهه قال ودفع هذا
الاشكال ان يقال كون الاية المذكورة مدنية مسلم بل سورة النسا التي هي
منها مدنية حتى ذكر الجلال السيوطي في شرح النقاية ان الادلة على انها
مدنية لا تحصر الا ان لزوم نزول هذه الاية قبل صدور الدعا المذكور منه
صلى الله عليه وسلم ممنوع لجواز انها نزلت بعده ولو بمكة بعد الفتح فان هذا
لا ينافي كونها مدنية اذ الاصح كما قيل في شرح النقاية ايضا ان ما نزل قبل
الهجرة مكي وما نزل بعدها مدني سوا انزل بالمدينة ام بمكة ام بغيرهما من
الاسفار واذا جاز نزولها بعده كان طلبه صلى الله عليه وسلم غفران كفرهم بناء على
جوازه عقلا واحتمال جوازه شرعا على انا لا نسلم انه طلبه بل طلب غفران ما فعل

معه من كسر الرباعية وغيره بل لانسلم انه طلب هذا بل طلب الهداية لهم معبرا عنها
بالمغفرة ويعضد ذلك رواية اللهم اهد قومي ووجه هذا التعبير ان مغفرة
الكفر وطلق الاهتدا المراد بالهداية امران يجب كل منهما مادة الكفر وحسمها
فاطلق لفظ احدهما واريد به الاخر انتهى واقول كيف يصح ان النبي صلى الله عليه
وسلم يستغفر للكافرين بنا على جوازه عقلا واحتمال جوازه شرعا والله عز وجل
قد حرم الاستغفار للكافر وقد اجيب عن هذا الاشكال بان ذلك القول الذي صدر
من النبي صلى الله عليه وسلم كان على سبيل الحكاية عمن تقدمه من الانبيا والدليل عليه
ما رواه مسلم في صحيحه عن عبد الله قال كاني انظر الى النبي صلى الله عليه وسلم يحكي نبيا من
الانبيا ضربه قومه وهو يمسح الدم عن وجهه ويقول رب اغفر لقومي فانهم لا
يعلمون وفي البخاري ان النبي صلى الله عليه وسلم ذكر نبيا قبله شجه قومه فجعل
النبي صلى الله عليه وسلم يخبر عنه بانه قال اللهم اغفر لقومي فانهم لا يعلمون قال
القرطبي وهذا صريح في الحكاية عمن قبله لا انه قال ابتداء عن نفسه كما ظنه
بعضهم والنبي الذي كان حكاه نوح عليه السلام وذلك لان نوحا عليه السلام
كما قال ابن عباس رضي الله عنهما كان يضرب ثم يلف في لبد ويلقى في بيته يرون انه
قد مات ثم يخرج فيدعوهم الى الله عز وجل حتى اذا ايس من ايمان قومه جاء
رجل ومعه ابنه يتوكا على عصا فقال يا بني انظر هذا الشيخ لا يغرنك قال يا
ابت امكني من العصا فاخذ العصا ثم قال ضعني في الارض فوضعه فمشى اليه
بالعصا فضربه فايم الله فشجه شجة موضحة في راسه وسالت الدما
فالنبي صلى الله عليه وسلم لما شج حكى هذا النبي صلى الله عليهما وسلم وجازاها الله عز
وجل

وجل خيرا والجواب الحق عن ذلك ان مراد النبي صلى الله عليه وسلم بقوله اغفر لقومي ليس
عفو ان كفرهم مع تماديهم عليه واصرارهم بل مراده الدعا لهم بان يوفقهم للتوبة
ويهديهم الى الايمان كما يلوح اليه تعليل قول ابرهيم عليه السلام واغفر لابي
انه كان من الضالين والاستغفار بهذا المعنى والدعا بالمغفرة قبل ان
يموت على الكفر مما لا ريب في جوازه وانما المحذور الدعا بالمغفرة مع بقائه
على كفره واصراره عليه الى الموت فانه لا مساغ له لا عقلا ولا شرعا واما
الاستغفار له بعد موته على الكفر والياس من ايمانه فلا يا باه قضية
العقل وانما الذي يمنع منه الشرع لقوله عز وجل ما كان للنبي والمومنين ان
يستغفروا للمشركين ولو كانوا اولي قربى من بعد ما تبين لهم انهم
اصحاب الجحيم ويتبين كون الكافر من اصحاب الجحيم بموته والعياذ بالله
على الكفر او بان ينزل الله عز وجل في شانه انه لا يومن كما وقع لصناديد
قريش كابي جهل وعقبة بن ابي معيط والا فالانسان ما دام حيا
يرجى له الخير فنبينا صلى الله عليه وسلم لم يدع لهم الا العدم الياس من ايمانهم
ونظير ذلك قول ابرهيم عليه السلام واغفر لابي انه كان من الضالين فانه انما
قال ذلك قبل انقطاع رجائه من ايمانه لعدم تبين انه كافر كتوا يوجب خلوده
في النار وهو كفر الموافاة الذي يموت صاحبه عليه فلما تبين لابرهيم عليه
السلام انه عدو لله تبرا منه ولم يتبين ذلك الا بموته او بوحي من الله عز
وجل انه لن يومن فان قلت مقتضى قوله تعالى ان الله لا يغفر ان يشرك
به ان الكفر غير مغفور وان اسلم صاحبه فيحتاج ان يدعى ان الاية منسوخة

قوله وانما الذي يمنع منه الشرع الخ
فيه ان الذي مبتدا والشرع خبر وليس
الشرع فاعل يمنع بل فاعله
ضمير مستتر فيه فتامل
كاتبه

قلت التوبة من الكفر تغفر الكفر السابق قطعا للاجماع على ذلك لقوله صلى الله
عليه وسلم الاسلام يجب ما قبله واما قوله ان الله لا يغفر ان يشرك به فالمراد به
الشرك الباقي في صحيفة العبد بان يموت العبد مصرا عليه واما الذي
تاب منه فانه كلا شرك فالتوبة من الشرك مقبولة قطعا واما التوبة
من غير الشرك من المعاصي فهي مقبولة ظنا ⁂ السوال الثاني قوله صلى
الله عليه وسلم لقومي فاضافهم اليه وهم كفار ليسوا من اهل الملة المرضية
فكيف اضافهم اليه وجعلهم قومه والجواب ان القوم يضافون الى
الانبيا وان كانوا كفارا لانهم عبارة عن الرجال والنسا الذين بعث اليهم
ذلك النبي نعم الاهل لا يضافون الى الانبيا الا اذا كانوا مومنين فابو لهب
وان كان عم الرسول الله صلى الله عليه وسلم ليس من اهله لانه مات كافرا والعياذ
بالله عز وجل ⁂ السوال الثالث قوله صلى الله عليه وسلم فانهم لا يعلمون
اعتذار عنهم بالجهل قال شيخنا الرضي بن الملا في الحدق فان قلت كيف اعتذر عنهم
بالجهل وقد تقرر في اصول الفقه ان جهل الكافر ليس بعذر اصلا لجحوده ما
اتضح برهانه وانكاره ما ظهر الدليل على ثبوته لان الايات الدالة على وحدانية
الصانع وصفات كماله ونعوت جلاله ظاهرة باهرة فالكفر جحود ذات
الله عز وجل وجحدوا بها واستيقنتها انفسهم ظلما وعلوا وكذا الادلة
على صحة رسالة الرسل وهي المعجزات القاهرة والبراهين الظاهرة لائحة
في كل زمان لا وجه لانكارها اما بالنسبة الى زمان الصحابة فبالمشاهدة
واما بالنسبة الى من بعدهم فبالتواتر قرنا بعد قرن الى يومنا هذا فكان

انكارها

انكارها مكابرة فلا يكون عذرا بوجه قلت هذا اعتذار ظاهري اعتبر
سمعا بما ذكر والا فهم في الحقيقة عالمون مكابرون الا انهم لما لم يجروا على
موجب العلم نزلوا منزلة الجهلا فقيل انهم لا يعلمون فيكون ذلك اعتذارا عنهم
في الظاهر فينال به الغرض المذكور ونظير ذلك قولك للعالم بوجوب الصلاة
التارك لها الصلاة واجبة لعدم جريه على موجب العلم الذي هو العمل
وكون من لا يجري على موجبه والجاهل سوا الى غير ذلك من النظاير
المذكورة في علم المعاني انتهى واما اقول ما صدر من القوم في شان رسول
الله صلى الله عليه وسلم يحتمل لامرين اما انهم ظهر لهم نبوته فهم مكابرون
معاندون وفرقة منهم لم يظهر لهم انه نبي فقاتلوه وفعلوا به ما فعلوا غير
معتقدين انه رسول الله صلى الله عليه وسلم والنبي صلى الله عليه وسلم دعا للجميع
بامر لو وجد لوجد اسلامهم وايمانهم وهو المغفرة فان الله عز وجل لا يغفر
لهم الا اذا هداهم فامنوا لاستحالة ان يغفر للمشرك وهو مشرك اما
شرعا واما عقلا فمراد النبي صلى الله عليه وسلم بالدعا لهم بالمغفرة الدعا لهم
بالايمان الذي يلزم من تفضل الله عز وجل بالمغفرة وجوده واما انه
اعتذر عنهم بالجهل فهو لم يعتذر عنهم وانما اعتذر لربه عن نفسه حيث دعا عز وجل
لهم بالمغفرة فان قلت انتم قلتم ان منهم المكابر وهو يعلم رسالة نبينا صلى
الله عليه وسلم قلت نعم المكابر يعلم رسالة النبي صلى الله عليه وسلم لكنه لم يعلم
ما ل المكابرة الى ما ذا يول لعدم تربصه حتى يسمع مامورات النبي صلى
الله عليه وسلم ومنهياته وكان يجب عليه ان يصغى الى النبي صلى الله عليه وسلم ويقول له

علمت انك صادق في دعواك الرسالة فبماذا امرتني وعماذا نهيتني فيقول له من
جملة ما امرك به انك لا تعاندني واترك ما كان عليه اباءك واتبعني ولا تخالفني
ولا تقاتلني فيكون المكابر منهم غير عالم بمامورات الله ومنهياته الجارية
على لسان نبيه صلى الله عليه وسلم ويكون المكابر عاصيا في عدم اصغائه للمامورات
الذي صدقه وما نهي عنه الذي من جملته المكابرة والنبي صلى الله عليه وسلم
حيث دعا لمن هو مكابر فكانه دعا له بالتوبة من المكابرة والتوفيق لاظهار
الايمان والانقياد لرسول الله صلى الله عليه وسلم وقوله فانه لا يعلم اي هو جاهل
بوبال المكابرة التي وقع فيها وجهله وان لم يكن عذرا له في الجهل بحاله لكنه
يفيد بيان سبب دعاء النبي صلى الله عليه وسلم له بالمغفرة فكانه قال تب
عليه من المكابرة وعرفه وبالها ليرجع عنها فانه لا يعلم وبالها لانه لم يصغ
الى منهياتي هذا في شان الكافر المكابر واما الكافر الجاهل وان كان
غير معذور في جهله برسالة النبي صلى الله عليه وسلم فيصدق عليه انه جاهل غاية
الامر انه مضى عليه مدة امكنه فيها النظر ولم ينظر فهو عاص بترك النظر
والنبي صلى الله عليه وسلم دعا له ان يتوب عليه من ترك النظر ثم يحصل له بالنظر
الهداية فيغفر الله له فدعاؤه له بالمغفرة يستلزم الدعاء له بالتوبة والهداية
فمعنى قوله اغفر وفقه للنظر واهده للايمان لانه لا يعلم وجوب النظر ولا
يصدق برسالتي لعدم نظره واما كون الجهل ليس عذرا للكافر فذاك في عدم
خلاصه من عذاب جهنم والحاصل انهم ليسوا كلهم جاحدين مكابرين بل فيهم
الجاحد الذي تيقن صدق النبي صلى الله عليه وسلم في دعواه الرسالة وخلا

ذهنه

ذهنه عن وبال المكابرة فالجهل متوجه الى ذلك ويكون عاصيا بترك الاصغاء
فيعلم تحريم المكابرة وفيهم الذي لم يصدق برسالته ولو نظر لعلم رسالته
ولكنه اعرض عن النظر لعدم اكتراثه به ولو انه تامل لعلم فهو غير عالم و لا
متيقن ولو مات على هذه الحالة لخلد في النار لعدم النظر ولا يكون جهله
مانعا من دخوله النار وخلوده فيها لا سيما بعد بعثة الرسل فان قلت
القوم كلهم علموا والا لم يقاتلهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فانه لم يقاتلهم الا
على عدم جريهم على موجب العلم قلت لا نسلم انهم كلهم علموا لكنهم كابروا بل
فيهم من علم وقاتله على المكابرة وعلى الطاعة لهوى نفسه وحسده له صلى
الله عليه وسلم وفيهم من لم يعلم ولو نظر لعلم لكنه الهاه عن النظر حسده فكان
يقاتله على ان يوجه فكره الى النظر ليقف على الحق ويرشدنا الى ذلك ما وقع
في الحديبية فان ذلك الصلح انما كان ليتاتى اختلاط المشركين بالمومنين
فيسمع المشركون القران ويطلعون على بعض معجزات النبي صلى الله عليه وسلم
بسبب ارتفاع الشحنا بينهم بسبب الهدنة التي وقعت في الحديبية
واما ما قاله من ان جهل الكافر ليس بعذر اصلا فلعله اراد بعد بعثة الرسول
واما قبل البعثة فهو معذور عند الاشاعرة نعم هذه المقالة باطلاقها رويت
عن الامام ابي حنيفة رضي الله عنه رواها عنه الحاكم الشهيد في المنتقى لكنها
محمولة كما قاله الكمال ابن الهمام من متاخري الحنفية على ما بعد البعثة ونقل
عن ائمة بخارى من الحنفية انهم قالوا لا يجب ايمان ولا يحرم كفر قبل البعثة مثل
قول الاشاعرة قال الفقيه القاضي ابو الفضل رضي الله عنه انظر ما في هذا

القول من جماع الفضل جماع الشي بكسر الجيم جمعه يقال جماع الخبا الاخبيه
وفي النهاية الجماع ما جمع عددا وفي الحديث حدثني بكلمة تكون جماعا اي كلمة
تجمع كلمات وفي الحديث ايضا الخمر جماع الاثم اي جمعه ومظنته ودرجات
الاحسان وحسن الخلق وكرم النفس وغاية الصبر والحلم اذ لم يقتصر صلى
الله عليه وسلم على السكوت عنهم حتى عفا ثم اشفق عليهم ورحمهم ودعا عنهم صح
وشفع لهم فقال اللهم اغفر واهدِ ثم اظهر سبب الشفقة والرحمة لقوله
لقومي فان الطبع البشري يقتضي الحنو على القوم والاهل باي وصف كانوا
ثم اعتذر عنهم بجهلهم فقال فانهم لا يعلمون ولما قال له الرجل اعدل فان هذه
قسمة ما اريد بها وجه الله عز وجل اما الرجل فهو عبد الله بن ذي الخويصرة التميمي
كذا في رواية عبد الرزاق عن معمر بلفظ بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم يقسم
قسما اذ جاءه ابن ذي الخويصرة التميمي وهو حرقوص وقد اعتمد على ذلك
ابن الاثير في الصحابة فترجم لذي الخويصرة التميمي في الصحابة وقد ذكر ابو جعفر
الطبري حرقوصا في الصحابة وسماه حرقوص بن زهير وذكر ان له في فتوح العراق
يدا وانه الذي افتتح سوق الاهواز ثم كان مع علي في حروبه ثم صار مع الخوارج
فقتل معهم وزعم بعضهم انه ذو الثدية وليس كذلك وقد وصف في بعض
الروايات بانه مشرف الوجنتين غائر العينين ناشز الجبهة كث اللحية
محلوق الراس مشمر الازار وفي حديث رواه احمد والطبري فاتاه رجل اسود
طوال مشمر محلوق الراس بين عينيه اثر السجود واخرج احمد والحاكم بسنده
عن ابي برزة قال اتي رسول الله صلى الله عليه وسلم بدنانير يقسمها ورجل اسود
مطموم

مطموم الشعر بين عينيه اثر السجود وفي رواية البزار رجل من اهل البادية حديث
عهد باعداء الله عز وجل وقوله مطموم الشعر اي مقصوص الشعر او محلوق
واما القسمة التي كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقسمها حين قال له ذلك الرجل
هذه المقالة فقيل كان يقسم غنائم حنين وقيل كان يقسم تبرا ارسله علي
ابن ابي طالب رضي الله عنه من اليمن فقسمه النبي صلى الله عليه وسلم بين اربعة انفس
فغنائم حنين امر رسول الله صلى الله عليه وسلم بسبيها واموالها فجمعت وكان
السبي ستة الاف راس والابل اربعة وعشرين الفا والغنم اكثر من اربعين
الف شاة واربعة الاف اوقية فضية فاستانى رسول الله صلى الله عليه وسلم
بالسبي ان يقدم عليه وفدهم وبدا بالاموال فقسمها واعطى المولفة قلوبهم
اول الناس فاعطى ابا سفين بن حرب اربعين اوقية ومائة من الابل فقال
ابني يزيد قال اعطوه اربعين اوقية ومائة من الابل قال ابني معاوية قال
اعطوه اربعين اوقية ومائة من الابل واعطى حكيم بن حزام مائة من الابل ثم
ساله مائة اخرى فاعطاه واعطى النضير بن الحارث بن كلدة مائة من الابل
واعطى اسيد بن جارية الثقفي مائة من الابل واعطى العلاء بن جارية الثقفي
خمسين بعيرا واعطى مخرمة بن نوفل خمسين بعيرا واعطى الحارث بن
هشام مائة من الابل واعطى سعيد بن يربوع خمسين من الابل واعطى
صفوان بن امية مائة من الابل واعطى قيس بن عدي مائة من الابل واعطى
عثمان بن وهب خمسين من الابل واعطى سهيل بن عمرو مائة من
الابل واعطى حويطب بن عبد العزى مائة من الابل واعطى عيينة بن حصن

مائة من الابل واعطى مالك بن عوف مائة من الابل واعطى العباس بن مرداس
اربعين من الابل فقال في ذلك شعرا فاعطاه مائة من الابل واعطى ذلك كله من
الخمس ثم امر زيد بن ثابت باحصا الناس والغنائم ثم فضها على الناس
فكانت سهامهم لكل رجل اربعا من الابل او اربعين شاة فان كان
فارسا اخذ اثنى عشرة بعيرا او عشرين ومائة شاة وان كان معه اكثر من
فرس واحد لم يسهم له فعند ذلك قال له ذو الخويصرة اعدل يا
رسول الله وفي رواية اتق الله يا محمد وفي رواية اعدل يا محمد وفي رواية
رواها الحاكم فقال يا محمد والله لئن كان الله عز وجل امرك ان تعدل ما
اراك تعدل وفي رواية فقال يا محمد قد رايت قد رايت الذي صنعت قال
وكيف رايت قال لم اراك عدلت وفي لفظ ما عدلت في القسمة فان هذه
قسمة ما اريد بها وجه الله فان قلت هذه القسمة عدل قلت نعم وكل ما فعل
النبي صلى الله عليه وسلم فهو حق ومن المعلوم ان النبي صلى الله عليه وسلم كان له
خمس الخمس وكذلك الاخماس الاربعة كانت له صلى الله عليه وسلم فمجموع
حقه في الغنائم احد وعشرون سهما اي كان يجوز له ان ياخذ ذلك وهو
ملكه يتصرف فيه بما شا لكنه لم ياخذه وانما كان ياخذ خمس الخمس وبالجملة
فقد تصرف النبي صلى الله عليه وسلم في خالص ملكه وله ذلك بما شا وهذا
المسي الادب لم يعلم ذلك والنبي صلى الله عليه وسلم لم يزده في جوابه ان
بين على ان بين له ما جهله ووعظ نفسه وذكرها بما قال له فقال ويحك
في النهاية لا اثر به ويح كلمة ترحم وتوجع تقال لمن وقع في هلكة لا يستحقها وقد

تقال

البعير يقع على الذكر والانثى من الابل نهاية

ايه

تقال بمعنى المدح والتعجب وهي منصوبة على المصدر وقد ترفع وتضاف
ولا تضاف تقال ويح زيد وويحا له وويح له انتهى واقول الظاهر من السياق
ان ويحا هنا للتعجب كان النبي صلى الله عليه وسلم عجب من حال هذا المتجري كيف
ينسبه الى عدم العدل مع ان العدو والصديق والمومن والكافر ينسبون
اليه ما هو بعض وصفه من انه في غاية العدل مع ان هذا الرجل متسم بسمة
الاسلام او لعله ترحم له حيث اخرج نفسه بهذه المقالة من حيز رضا الله
عز وجل الى غضبه فانه كان رحيما بكل احد وقد وقع في رواية للبخاري وويلك
والويل هو الحزن والهلاك والمشقة من العذاب وقد يرد الويل بمعنى التعجب
ويمكن ارادته هنا فمن يعدل اذا لم اعدل ووقع في رواية لمسلم اولست
احق اهل الارض ان يطيع الله عز وجل وفي رواية مقسم عن عبد الله بن عمرو
رضي الله عنهما فغضب النبي صلى الله عليه وسلم وقال العدل اذا لم يكن عندي
فعند من يكون وفي حديث ابي بكرة فغضب حتى احمرت وجنتاه وفي حديث
ابن برزة قال فغضب غضبا شديدا وقال والله لا تجدون بعدي رجلا هو
اعدل عليكم مني خبت وخسرت هو مروي بفتح التا على الخطاب وضمها
على التكلم ووجد في نسخة مضمومة التا بالقلم وابن رسلان اقتصر على
الفتح وذكر ان المعنى خبت انت ايها التابع اذا كنت لا اعدل لكونك تابعا
ومقتديا بمن لا يعدل وعلى الضم اقتصر الشمني وذكر ان ذلك بالضم لانه
معلق بعدم العدل الذي هو معصوم منه صلى الله عليه وسلم وليلائم قوله
وعظ نفسه وذكرها واقول نقل الوجهين النووي في شرح مسلم قال فيه

انه لم اعدل م

اعتل الشارح

انا هو

خبت وخسرت روي بوجهين بفتح التاء وضمها فيهما ومعنى الضم ظاهر
وتقدير الفتح خبت انت ايها التابع اذا كنت لا اعدل لكونك تابعا ومقتديا
بمن لا يعدل والفتح اشهر انتهى ويظهر ان الكلام على تقدير الفتح معنى
اخر وهو اني اذا لم اعدل خبت انت ايها القائل هذه المقالة وخسرت
لان من عدلي اني لا اقتلك مع انك منافق نظرا الى الظاهر كلك حيث نطقت
بكلمة الاسلام فلم اقتلك مع خبث طويتك وكفرك الباطني وعدم قتلي
لك عدل مني لان هذه الكلمة التي قلتها تنجيك من القتل في الدنيا فلو لم اعدل
لقتلتك فتكون قد خبت وخسرت لانك خسرت الدارين الدنيا بقتلي لك
وخروجك منها والاخرة بخلودك في جهنم ولكني عادل فلهذا لم اقتلك لاسيما
مع ما وقع منك من سوء الادب وابى النبي صلى الله عليه وسلم من اراد من
اصحابه قتله المريد لقتله قيل عمر بن الخطاب يؤيده حديث في صحيح البخاري
عن ابي سعيد فقيه قال عمر بن الخطاب ائذن لي فاضرب عنقه قال دعه
وفي صحيح مسلم من حديث جابر بن عبد الله فقال عمر دعني يا رسول الله
فاقتل هذا المنافق فقال معاذ الله ان يتحدث الناس اني اقتل اصحابي
وفي صحيح مسلم فاستاذن رجل من القوم في قتله يرون انه خالد بن الوليد
رضي الله عنه وفي رواية له عن ابي سعيد الخدري فقال خالد بن الوليد يا
رسول الله الا اضرب عنقه فقال لا لعله ان يكون يصلي فقال خالد وكم من
مصل يقول بلسانه ما ليس في قلبه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اني لم
اومر ان انقب عن قلوب الناس ولا اشق بطونهم والجمع بينهما ان يقال

ان كلا

مبحث في ذي الخويصرة ومن راى رايه من الخوارج

والاربعون

١٧٤

ان كلا منهما طلب من النبي صلى الله عليه وسلم ان يضرب عنقه وفي صحيح مسلم من
طريق جرير عن عمارة بن القعقاع بسنده فقام عمر بن الخطاب رضي الله
عنه فقال يا رسول الله الا اضرب عنقه قال لا ثم ادبر فقام اليه خالد بن
الوليد سيف الله فقال يا رسول الله الا اضرب عنقه قال لا فهذا نص
في ان كلا منهما سال قال المصنف في شرح مسلم حكم الشرع ان من سب
النبي صلى الله عليه وسلم كفر وقتل ولم نذكر في هذا الحديث ان الرجل قتل قال
المازري يحتمل ان يكون لم يفهم منه الطعن في النبوة وانما نسبه الى ترك
العدل في القسمة والمعاصي ضربان كبائر وصغائر فهو صلى الله عليه وسلم
معصوم من الكبائر بالاجماع واختلفوا في امكان وقوع الصغائر
ومن جوزها منع من اضافتها الى الانبياء على طريق التنقيص وحينئذ
فلعله صلى الله عليه وسلم لم يعاقب هذا القائل لانه لم يثبت عليه ذلك وانما
نقله عنه واحد وشهادة الواحد لا يراق بها الدم قال المصنف هذا
التاويل باطل يدفعه قوله اعدل يا محمد اتق الله يا محمد وخاطبه خطاب
مواجهة بحضرة الملا حتى استاذن عمر وخالد النبي صلى الله عليه وسلم في قتله
فقال معاذ الله ان يتحدث الناس ان محمدا صلى الله عليه وسلم يقتل
اصحابه فهذه هي العلة وسلك معه مسلكه مع غيره من المنافقين الذين
اذوه وسمع منهم في غير موطن ما كرهه لكنه صبر استبقاء لانقيادهم
وتاليفا لغيرهم لئلا يتحدث الناس انه يقتل اصحابه فينفروا وهذا
وان هذا الحديث رواه الشيخان فيهما واللفظ لمسلم بسنده عن جابر بن عبد الله

رضي الله عنهما قال اتى رجل بالجعرانة منصرفه من حنين وفي ثوب بلال رضي الله
عنه فضة ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقبض منها يعطي الناس فقال
يا محمد اعدل قال ويلك ومن يعدل اذا لم اكن اعدل لقد خبت وخسرت
اذا لم اكن اعدل فقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه دعني يا رسول الله
فاقتل هذا المنافق فقال معاذ الله ان يتحدث الناس اني اقتل اصحابي
ان هذا واصحابه يقرون القران لا يجاوز حناجرهم يمرقون منه كما يمرق
السهم من الرمية واخرج مسلم ايضا بسنده الى ابي سعيد الخدري
رضي الله عنه قال بعث علي رضي الله عنه وهو باليمن بذهبة في تربتها
الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقسمها رسول الله صلى الله عليه وسلم بين اربعة
نفر الاقرع بن حابس الحنظلي وعيينة بن بدر الفزاري وعلقمة ٢ ت
ابن علاثة العامري ثم احد بني كلاب وزيد الخير الطائي ثم احد بني نبهان
قال فغضبت قريش فقالوا اتعطي صناديد نجد وتدعنا فقال رسول
الله صلى الله عليه وسلم اني انما فعلت ذلك لاتالفهم فجاء رجل كث اللحية مشرف
الوجنتين غائر العينين ناتئ الجبين محلوق الراس فقال اتق الله يا
محمد قال فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فمن يطع الله عز وجل ان
عصيته ايأمنني على اهل الارض ولا تامنوني قال ثم ادبر الرجل
فاستاذن رجل من القوم في قتله يرون انه خالد بن الوليد رضي الله عنه فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم ان من ضئضئ هذا قوما يقرون القران لا يجاوز
حناجرهم يقتلون اهل الاسلام ويدعون اهل الاوثان يمرقون من الاسلام
كما

كما يمرق السهم من الرمية لئن ادركتهم لاقتلنهم قتل عاد ومعنى قتل عاد انه
لا يبقى منهم احدا كما ان عادا لما هلكوا بالريح لم يبق منهم احد قال تعالى فهل ترى
لهم من باقية وفي رواية لمسلم رواها ابو سعيد ايضا قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم لعمر رضي الله عنه حين استاذنه في قتله دعه فان له اصحابا يحقر
احدكم صلاته مع صلاتهم وصيامه مع صيامهم يقرون القران لا يجاوز
تراقيهم يمرقون من الاسلام كما يمرق السهم من الرمية ثم قال آيتهم رجل
اسود احدى عضديه مثل ثدي المراة ومثل البضعة تدردر ويخرجون على
خير فرقة من الناس قال ابو سعيد فاشهد اني سمعت هذا من رسول الله
صلى الله عليه وسلم واشهد ان علي بن ابي طالب رضي الله عنه قاتلهم وانا معه
فامر بذلك الرجل فالتمس فاتي به حتى نظرت اليه على نعت رسول الله
صلى الله عليه وسلم الذي نعت وهولاء القوم هم الخوارج الذين قاتلهم علي بن
ابي طالب رضي الله عنه قال المصنف في شرح مسلم قال المازري
اختلف في تكفير الخوارج قال وقد كادت هذه المسألة تكون اشد اشكالا
من سائر المسائل ولقد رايت ابا المعالي يعني امام الحرمين وقد رغب اليه
الفقيه عبد الحق رحمهما الله في الكلام عليها فهرب له من ذلك واعتذر بان
الغلط فيها يصعب موقعه لان ادخال كافر في الملة واخراج مسلم منها
عظيم في الدين وقد اضطرب فيها قول القاضي ابي بكر الباقلاني وناهيك
به في علم الاصول واشار ابن الباقلاني الى انها من المعوصات لان
القوم لم يصرحوا بالكفر وانما قالوا اقوالا تؤدي اليه وانا اكشف لك نكتة

ح
اي تتحرك تجي وتذهب

القطعة من اللحم

مسئلة في تكفير الخوارج

الخلاف وسبب الاشكال وذلك ان المعتزلي مثلا يقول ان الله عز وجل عالم
ولكن لا علم له وحي ولا حياة له وقع الالتباس في تكفيره لانا علمنا من دين
الله عز وجل ضرورة ان من قال ان الله عز وجل ليس بحي ولا عالم كان كافرا
وقامت الحجة على استحالة كون العالم لا علم له فهل نقول ان المعتزلي اذا
نفى العلم نفى ان يكون الله عز وجل عالما وذلك كفر بالاجماع ولا ينفعه اعترافه
بانه عالم مع نفيه اصل العلم او نقول قد اعترف بان الله عز وجل عالم وانكاره
العلم لا يكفره وان كان يؤدي الى انه ليس بعالم فهذا موضع الاشكال هذا
كلام المازري لكن مذهب امامنا الشافعي وجماعة اصحابه وجماهير العلماء
رضوان الله عليهم اجمعين ان الخوارج لا يكفرون وكذلك القدرية والمعتزلة
وسائر اهل الاهواء وستسمع ان شاء الله عز وجل منا في هذا الحديث كلاما
مفيدا طويلا في فصل المعجزات فقد اشتمل هذا الحديث على معجزات عديدة
ذكرنا تفصيلها هناك مع كلام حسن يتعين الوقوف عليه وقد وقع مثل ما
وقع لحرقوص ذي الخويصرة لرجل من الانصار اسمه معتب بن بشير
وقيل اسمه غريب قاله ابن الملقن في شرحه على البخاري وذلك في حديث
رواه البخاري في صحيحه بسنده الى عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال لما
قسم النبي صلى الله عليه وسلم قسمة حنين قال رجل من الانصار ما اراد بها وجه
الله عز وجل فاتيت النبي صلى الله عليه وسلم فاخبرته فتغير وجهه ثم قال رحمة
الله على موسى عليه السلام قد اوذي باكثر من هذا فصبر وفي هذا الحديث بيان ما
يباح من الغيبة والنميمة لان صورتهما موجودة في صنيع ابن مسعود

رضي

رضي الله عنه هذا ولم ينكره النبي صلى الله عليه وسلم فان قصد ابن مسعود نصح
النبي صلى الله عليه وسلم ليحذر من المنافقين ويدل الحديث على ان اهل الفضل
قد يغضبهم ما يقال فيهم واما ما اوذي به موسى عليه السلام فهو ثلاثة
اشيا الاول قولهم فيه انه هو آدر الثاني اتهامه بقتل اخيه هارون
حتى برأه الله مما قالوا الثالث اتهامهم قارون له انه راود المرأة البغي
عن نفسها حتى كان ذلك سببا لهلاك قارون وكون ما اوذي به موسى
عليه السلام اكثر مما اوذي به رسول الله صلى الله عليه وسلم ظاهر واعظم ما
اوذي به اتهامهم بقتل هارون وتجويز المعصية عليه لا سيما هذه
المعصية الشنيعة المشتملة على قتل نبي من اكابر الانبيا مع اشتمال
القصة على نسبة موسى الى الحسد وقطع الرحم بينه وبين اخيه ولما
تصدى له غورث بن الحارث في القاموس تصدى له تعرض
وغورث بالغين المعجمة في اوله على زنة جعفر وقيل بضم اوله وهو ماخوذ
من الغرث وهو الجوع ووقع عند الخطيب بالكاف بدل المثلثة وحكى
الخطابي فيه غويرث بالتصغير وحكى المصنف في شرح مسلم ان بعض
المغاربة قاله في البخاري بالعين المهملة قال وصوابه بالمعجمة ووقع
للواقدي في شبيه هذه القصة ان اسم الاعرابي دعثور بن الحارث وانه
اسلم لكن ظاهر كلامه انهما قضيتان في غزوتين والله اعلم ليفتك به
الفتك بتثليث الفا واسكان التا هو ان ياتي الرجل صاحبه وهو غافل
حتى يشد عليه فيقتله وقد فتك به بالفتح يفتك بالكسر والضم والفرق

بينه وبين الغيلة ان الفتك ما ذكر والغيلة ان يخدعه ويقتله في موضع خفي كذا في النهاية ورسول الله صلى الله عليه وسلم منتبذ بضم الميم على صيغة اسم الفاعل اي معتزل متنح يقال جلس نبذة من الناس ونبذة اي ناحية وهو اذا جلس قريبا منك بحيث لو نبذت اليه شيء وصل اليه كذا قاله الهروي تحت شجرة تلك الشجرة من العضاه بكسر المهملة وهي شجر ام غيلان وكل شجر عظيم له شوك الواحدة عضة بالتاء واصلها عضهة وقيل واحدته عضاهة وكانت الشجرة المذكورة كثيرة الظل وهكذا كان شانهم في الاسفار مع رسول الله صلى الله عليه وسلم كما في الصحيح من رواية يحيى فاذا اتينا على شجرة ظليلة تركناها للنبي صلى الله عليه وسلم وحده قائلا والناس قائلون القيلولة الاستراحة نصف النهار وان لم يكن معها نوم يقال قال يقيل قيلولة فهو قائل وفي حديث ام معبد جزى الله رب العرش خير جزائه رفيقين قالا خيمتي ام معبد اي نزلا فيها عند القائلة في غزاة هي اسم مصدر وهو الغزوة وهي المرة من الغزو وهي غزوة ذات الرقاع سميت بذلك لانهم رقعوا فيها راياتهم وقيل ذات الرقاع شجرة بذلك الموضع وقيل لان اقدامهم نقبت فكانوا يلفون عليها الخرق وقد نص الصحابي الذي حضر الوقعة على انها انما سميت بذلك لذلك فلا تعرج على ما سواه وقال النووي انه الصحيح في تسميتها وقيل ان الجبل الذي نزلوا عليه كانت ارضه ذات الوان تشبه الرقاع وقيل لان صلاة الخوف كانت بها فسميت بذلك لترقيع الصلاة فيها وكانت تسمى غزوة الاعاجيب وقد جنح البخاري الى انها كانت بعد خيبر فان قلت

ما بالك

ما بالك في صحيحه ذكرها قبل خيبر قلت قيل انه فعل ذلك تسليما لاهل المغازي انها كانت قبلها وقيل ان ذلك من تصرف الرواة عنه ومذهبه مخالف لما وقع في صحيحه لكن قال البرهان الحلبي هي عند البخاري بعد خيبر وانما ذكرها في الصحيح قبل خيبر على اسلوب انه حكى وهم من توهم ورد عليه بحديث ابي موسى الاشعري رضي الله عنه لان ابا موسى جاء بعد خيبر لانه انما قدم مع اصحاب السفينتين وقال البيهقي اصحاب المغازي جازمون بانها كانت قبل خيبر مختلفون في زمنها فعند ابن اسحق انها بعد بني النضير وقبل الخندق سنة اربع قال ابن اسحق اقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد غزوة بني النضير شهر ربيع وبعض جمادى يعني من سنته وغزا نجدا يريد بني محارب وبني ثعلبة من غطفان حتى نزل نخلا وهي غزوة ذات الرقاع وعند ابن سعد وابن حبان انها كانت في المحرم سنة خمس واما ابو معشر فجزم بانها كانت بعد بني قريظة والخندق وغزوة قريظة كانت في ذي القعدة سنة خمس فتكون ذات الرقاع في اخر السنة او اول السنة التي تليها واما موسى بن عقبة فجزم بتقديم غزوة ذات الرقاع على بني قريظة لكن تردد في وقتها فقال لا ندري كانت قبل بدر ام بعدها او قبل احد او بعدها وهذا التردد غير مرضي بل الذي ينبغي الجزم به انها كانت بعد غزوة بني قريظة لان صلاة الخوف لم تكن شرعت في الخندق وثبت وقوع صلاة الخوف في ذات الرقاع فدل على تاخرها عن الخندق فلم يفته رسول الله صلى الله عليه

بلغ مقابلة على نسخة المؤلف

وسلم الا وهو لى غورث بن الحارث قائم والسيف صلتا في يده يجوز في صلتا
ضم الصاد وفتحها والصلت الاملس وقيل البارز اي مجردا مكشوفا خارجا
من الغمد وانما نصب صلتا موافقة للفظ الحديث وهو في عبارة المصنف
يجوز ان يكون حالا من السيف ويكون السيف منصوبا على انه مفعول معه
فالتقدير الا وهو قائم مصاحبا للسيف حالة كون السيف صلتا اي بارزا
من غمده ويجوز ان يكون السيف مرفوعا على انه مبتدا والجار والمجرور في قوله
في يده خبرا وصلتا حال من الضمير المستكن في عامل الجار والمجرور والتقدير
والسيف كائن في يده حال كونه صلتا فقال اي غورث للنبي صلى الله عليه وسلم
من يمنعك مني وفي رواية لحمى فقال تخافني قال لا قال فمن يمنعك مني
وكرر ذلك في رواية ابي اليمان ثلاث مرات وهو استفهام انكاري اي لا
يمنعك مني احد لان غورثا كان قائما على راسه والسيف في يده والنبي
صلى الله عليه وسلم جالس لا سيف معه ويوخذ من هذه المراجعة ان الله
عز وجل منع نبيه صلى الله عليه وسلم منه وان هذه المقالة مقالة من لم
يقدر على ان يوقع بالنبي صلى الله عليه وسلم مكروها والا فما الذي احوجه الى
هذه المراجعة لو كان له ادنى قدرة مع احتياجه الى الحظوة عند قومه بتعجل
وفي قول النبي صلى الله عليه وسلم الله اشارة الى ذلك وتكرير غورث لهذه الكلمة
يشعر بانه الله كف يده عن نبيه صلى الله عليه وسلم وما احسن جواب النبي
صلى الله عليه وسلم حيث لم يزد على قوله الله اسم مكتفيا بالمجاب وبيان انه
ياوي الى ركن شديد وانت يا غورث في غاية الضعف والعجز فسقط
السيف

فقال ص

السيف من يده وقد وقع في رواية في صحيح البخاري بعد قوله الله فشام
السيف وفي رواية اخرى لم يشمه اي اغمده وهذه اللفظة مشتركة بين
ضدين يقال شامه اذا استله وشامه اذا اغمده قال في النهاية والشيم
من الاضداد يكون سلا واغمادا وفي حديث علي بن ابي طالب رضي الله عنه
انه قال لابي بكر رضي الله عنه لما اراد ان يخرج الى اهل الردة وقد شهر
سيفه شم سيفك ولا تفجعنا بنفسك واصل الشيم النظر الى البرق
ومن شانه انه كما يخفق يخفى من غير تلبث ولا يشام الا خافقا وخافيا
فشبه بهما السل والاغماد وكان الاعرابي الذي هو غورث لما شاهد
ذلك الثبات العظيم وعرف انه حيل بينه وبينه تحقق صدقه وعلم انه
لا يصل اليه فالقى السلاح وامكن من نفسه وفي السيرة الاسحاقية بعد
قوله الله فدفع جبريل في صدره فوقع السيف فاخذه النبي صلى الله عليه
وسلم وقال من يمنعك مني قال كن خير اخذ وعفا عنه رغبة في استئلافه
وطمعا في هدايته وهداية قومه وقد ذكر الواقدي انه اسلم وانه رجع الى قومه
فاهتدى به خلق كثير وفي السيرة الاسحاقية انه اسلم فاخذه النبي
صلى الله عليه وسلم وقال من يمنعك مني قال كن خير اخذ قال في النهاية اي
خير اسر والاخيذ الاسير فتركه وعفا عنه فجاء الى قومه فقال جئتكم من
عند خير الناس هذا وان هذا الحديث رواه الشيخان في الصحيحين
واللفظ للبخاري بسنده الى جابر بن عبد الله رضي الله عنهما انه غزا مع
رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل نجد فلما قفل رسول الله صلى الله عليه وسلم

فعل معه فادركتهم القائلة في واد كثير العضاه فنزل رسول الله صلى الله عليه وسلم
وتفرق الناس في العضاه يستظلون بالشجر ونزل رسول الله صلى الله عليه وسلم
تحت سمرة فعلق بها سيفه قال جابر رضي الله عنه فنمنا نومة ثم اذا رسول
الله صلى الله عليه وسلم يدعونا فجئناه فاذا عنده اعرابي جالس فقال رسول
الله صلى الله عليه وسلم ان هذا اخترط سيفي وانا نائم فاستيقظت وهو في
يده صلتا فقال من يمنعك مني قلت الله عز وجل فها هو ذا جالس ثم لم
يعاقبه رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي السيرة الاسحاقية عن جابر بن
عبد الله رضي الله عنهما ان رجلا من بني محارب يقال له غورث قال لقومه
من غطفان ومحارب الا اقتل لكم محمدا قالوا بلى وكيف تقتله قال افتك به
قال فاقبل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو جالس وسيفه في حجره فقال يا
محمد انظر الى سيفك هذا قال نعم فاخذه فاستله ثم جعل يهزه ويهم
فيكبته الله عز وجل ثم قال يا محمد اما تخافني قال لا وما اخاف منك قال
وفي يدي السيف قال يمنعني الله عز وجل منك قال ثم عمد الى سيف رسول الله لامه
صلى الله عليه وسلم فرده عليه فانزل الله عز وجل يا ايها الذين امنوا اذكروا نعمة
الله عليكم الاية **ومن عظيم حلمه في العفو عفوه عن اليهودية التي سمته
في الشاة** قصتها مذكورة في الصحيح فروى البخاري بسنده في كتاب الجزية
عن ابي هريرة رضي الله عنه قال لما فتحت خيبر اهديت للنبي صلى الله عليه وسلم
شاة فيها سم فقال النبي صلى الله عليه وسلم اجمعوا الي من كان ههنا من يهود
فجمعوا له فقال اني سائلكم عن شيء فهل انتم صادقي عنه فقالوا نعم فقال

لهم

لهم النبي صلى الله عليه وسلم من ابوكم قالوا فلان قال كذبتم بل ابوكم فلان قالوا صدقت
قال فهل انتم صادقي عن شيء ان سالت عنه فقالوا نعم يا ابا القاسم
وان كذبنا عرفت كذبنا كما عرفته في ابينا فقال لهم من اهل النار قالوا
نكون فيها يسيرا ثم تخلفونا فيها فقال النبي صلى الله عليه وسلم اخسئوا فيها
والله لا نخلفكم فيها ابدا ثم قال هل انتم صادقي عن شيء ان سالتكم عنه
فقالوا نعم يا ابا القاسم قال هل جعلتم في هذه الشاة سما فقالوا نعم
قال ما حملكم على ذلك قال اردنا ان كنت كاذبا نستريح منك وان كنت
نبيا لم يضرك وقال ابن اسحق لما اطمان النبي صلى الله عليه وسلم بعد فتح خيبر
اهدت له زينب بنت الحرث امراة سلام بن مشكم شاة مشوية
وكانت سالت اي عضو من الشاة احب اليه فقيل لها الذراع فاكثرت
فيها السم فلما تناول الذراع لاك منها مضغة ولم يسغها واكل معه
بشر بن البراء رضي الله عنه فاساغ لقمته فذكر القصة وانه صفح عنها وان
بشر بن البراء مات منها وروى البيهقي عن ابي هريرة رضي الله عنه ان امراة
من اليهود اهدت لرسول الله صلى الله عليه وسلم شاة مسمومة فاكل
فقال لاصحابه امسكوا فانها مسمومة وقال لها ما حملك على ذلك قالت
اردت ان كنت نبيا فيطلعك الله عز وجل وان كنت كاذبا فاريح الناس
منك قال فما عرض لها وفي رواية فلم يعاقبها وفي رواية لعبد الرزاق
فاحتجم على الكاهل وقال الزهري اسلمت فتركها قال معمر والناس
يقولون قتلها وقيل دفعها الى ولاة بشر بن البرا فقتلوها وقال البيهقي

يحتمل انه يكون تركها اولا ثم لما مات بشر بن البراء من الاكلة قتلها وبذلك اجاب
السهيلي وزاد انه تركها لانه كان لا ينتقم لنفسه ثم قتلها ببشر قصاصا
ويحتمل ان يكون تركها لكونها اسلمت وانما اخر قتلها حتى مات بشر لان
بموته يتحقق وجوب القصاص بشرطه ووافق موسى بن عقبة على
تسميتها زينب بنت الحرث واخرج الواقدي بسنده عن الزهري
ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لها ما حملك على ما فعلت قالت قتلت ابي
وعمي وزوجي واخي قال فسالت ابرهيم بن جعفر فقال عمها يسار
وكان من اجبن الناس وهو الذي انزل من الرف واخوها زبير وزوجها
سلام بن مشكم ووقع في سنن ابي داود اخت مرحب وبه جزم السهيلي
وقال البيهقي في الدلائل انها بنت اخي مرحب ولم ينفرد الزهري بدعواه
انها اسلمت فقد جزم بذلك سليمان التيمي في مغازيه ولفظه بعد قولها وان
كنت كذابا ارحت الناس منك وقد استبان الان لي انك صادق وانا
اشهدك ومن حضرك اني على دينك وان لا اله الا الله وان محمدا عبده ورسوله
قال فانصرف عنها حين اسلمت وفي هذا الحديث دلالة على ان السم لا يوثر
بطبعه بل باذن الله عز وجل لان السم اثر في بشر فقيل انه مات في الحال
وقيل بعد حول وفي مغازي موسى بن عقبة ان لون بشر صار في الحال
كالطيلسان يعني اصفر شديد الصفرة فان قلت لم سالهم النبي صلى الله
عليه وسلم عن ابيهم وعن حالهم في النار وباي مناسبة وقع ذلك قلت القوم كانوا
ينتسبون الى غير ابيهم كذبا واشتهرت نسبتهم الى غير ابيهم ولم يكن يعلمها

احد

احد من الناس غيرهم وهم لا يبدونها لاحد وايضا كانوا يجعلون في كتبهم ان
امة محمد صلى الله عليه وسلم هم سكان الجنة جعلنا الله منهم وان مكذوبه في
النار لا خروج لهم منها لكن كانوا يكتمون ذلك وكتموا عنه السم فاراد ان
يخبرهم باني لم اطلع على سمها بقرينة ولا فراسة وانما اطلعني عليه الله عز وجل
فان الله عز وجل اطلعني على الغيوب الماضية كما اطلعني على ابيكم الحقيقي
الذي لا يعلمه الا الله وانتم وكما اطلعني على انكم من اهل النار وهو غيب مستقبل
فكيف لا يطلعني على امر خفي وهو حاضر بين يدي اعني السم وقد اخرج
الطبري من طريق عكرمة قال خاصمت اليهود رسول الله صلى الله عليه وسلم
واصحابه فقالوا لن ندخل النار الا اربعين ليلة وسيخلفنا فيها قوم اخرون
يعنون محمدا واصحابه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بل انتم خالدون
فيها مخلدون لا يخلفكم فيها احد فانزل الله عز وجل وقالوا لن تمسنا النار الا اياما
معدودات الاية واخرج ابن اسحق عن ابن عباس رضي الله عنهما ان
اليهود كانوا يقولون هذه الدنيا سبعة الاف عام وانما نعذب بكل الف سنة
يوما واحدا وانما هي سبعة ايام فنزلت وهذا سنده حسن واخرج
الطبري عن زيد بن اسلم قال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لليهود
انشدكم الله عز وجل من اهل النار الذين ذكرهم الله عز وجل في التوراة قالوا
ان الله عز وجل غضب علينا غضبة فنمكث في النار اربعين يوما ثم نخرج
فتخلفونا فيها قال كذبتم والله لا نخلفكم فيها ابدا قوله بعد اعترافها على
الصحيح من الرواية الجار في قوله على الصحيح متعلق بعفا عنها ويشير

المصنف بذلك الى الخلاف فيما صنع بها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال
ابن اسحق صفح عنها وقد روى ابو داود انه قتلها وفي كتاب شرف
المصطفى صلى الله عليه وسلم انه قتلها وصلبها ووجه الجمع بين روايتي
القتل وعدمه انه صلى الله عليه وسلم صفح عنها اولا لانه كان لا ينتقم لنفسه
فلما مات بشر بن البراء بن معرور من تلك الاكلة قتلها به قصاصا وذكر ان
بشر بن البراء لم يزل معتلا من تلك الاكلة حتى مات منها بعد حول وعند
القرطبي لم يبرح من مكانه حتى مات فقتلها به وفي جامع معمر عن الزهري
انها اسلمت فتركها رسول الله صلى الله عليه وسلم قال معمر قال الزهري
اسلمت والناس يقولون قتلها وفي جامع معمر ايضا ان ام بشر بن البراء
قالت لرسول الله صلى الله عليه وسلم في المرض الذي مات فيه رسول الله
صلى الله عليه وسلم يا رسول الله اني لا اتهم لبشر الا تلك الاكلة فقال لها
وانا لا اتهم لنفسي الا ذلك وانه لم يواخذ لبيد بن الاعصم هو بفتح [illegible]
اللام وكسر الموحدة بعدها تحتانية ساكنة ثم مهملة والاعصم بزنة احمر
بمهملتين قيل هو رجل من بني زريق حليف يهود كان منافقا وقيل كان
يهوديا ويجمع بين القولين بان المطلق عليه انه يهودي نظر الى ما في نفس
الامر ومن اطلق عليه انه منافق نظر الى ظاهر امره فانه كان اسلم نفاقا
وسياتي من المصنف انه حكم باسلامه ويحتمل انه اطلق انه يهودي لمحالفته
اياهم لانه كان على دينهم واما بنو زريق فانهم بطن من الانصار مشهور
من الخزرج وكان بين كثير من الانصار وبين اليهود حلف قبل الاسلام
واخاء

واخاء وود فلما دخل الاسلام في الانصار تبروا منهم والسحر يطلق على معان
الاول ما لطف ودق ومنه سحر العيون والثاني تخييلات لا حقيقة لها
كفعل المشعوذ من صرف الابصار الثالث ما يحصل بمعاونة الشياطين
بضرب من التقرب اليهم الرابع ما يحصل بمخاطبة الكواكب واستنزال
روحانياتها بزعمهم وقد اختلف في السحر فقيل هو تخييل فقط ولا حقيقة
له وهو اختيار ابي جعفر الاستراباذي من الشافعية وابي بكر الرازي
من الحنفية وابن حزم الظاهري وقال النووي والصحيح ان له حقيقة وبه
قطع الجمهور وعليه عامة العلماء ويدل عليه الكتاب والسنة الصحيحة
المشهورة لكن محل النزاع هل يقع بالسحر انقلاب عين اولا فمن قال انه
تخييل فقط منع ذلك ومن قال ان له حقيقة اختلفوا هل له تاثير فقط
بحيث يغير المزاج فيكون نوعا من الامراض او ينتهي الى الاحالة بحيث
يصير الجماد حيوانا مثلا وعكسه فالذي عليه الجمهور الاول وذهبت طائفة
قليلة الى الثاني ونقل الخطابي ان قوما انكروا السحر مطلقا وكانه عنى
القائلين انه تخييل فقط والا فهي مكابرة وقال المازري جمهور
العلماء على اثبات السحر وان له حقيقة ونفى بعضهم حقيقته واضاف
ما يقع منه الى خيالات باطلة وهو مردود لورود النقل باثبات السحر وقوله
اذ سحر ظرف متعلق بقوله لم يواخذ وقد بين الواقدي السنة التي وقع فيها
السنة وقعه السحر النبوي المحمدي واخرجه عنه ابن سعد بسند له الى عمر بن
الحكم مرسل قال لما رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم من الحديبية في ذي الحجة

ودخل محرم سنة سبع جاءت رؤسا اليهود الى لبيد بن الاعصم وكان حليفا
في بني زريق وكان ساحرا فقالوا يا با الاعصم انت اسحرنا وقد سحرنا
محمدا فلم نصنع شيا ونحن نجعل لك جعلا على ان تسحره لنا سحرا ينكاه
فجعلوا له ثلاثة دنانير فاقام اربعين ليلة وفي رواية لاحمد عن هشام
ستة اشهر ويمكن الجمع بان تكون الستة اشهر من ابتدا تغير مزاجه
الشريف والاربعون يوما من استحكامه وقال السهيلي لم اقف في شي
من الاحاديث المشهورة على قدر المدة التي مكث النبي صلى الله عليه وسلم فيها
حتى ظفرت به في جامع معمر عن الزهري انه لبث سنة كذا قال قال
حافظ عصره شيخ الاسلام الشهاب بن حجر في شرح البخاري وقد وجدناه
موصولا باسناد صحيح فهو المعتمد وقد اعلم به واوحي اليه لتشرح امره
ولا عتب عليه فضلا عن معاقبته ففي الصحيحين واللفظ للبخاري بسنده
عن عايشة رضي الله عنها قالت سحر رسول الله صلى الله عليه وسلم رجل من
بني زريق يقال له لبيد بن الاعصم حتى كان رسول الله صلى الله عليه وسلم
يخيل اليه انه كان يفعل الشي وما فعله حتى اذا كان ذات يوم او ذات ليلة
وهو عندي لكنه دعا ودعا ثم قال يا عايشة اشعرت ان الله عز وجل
افتاني فيما استفتيته فيه اتاني رجلان فقعد احدهما عند راسي
والاخر عند رجلي فقال احدهما لصاحبه ما وجع الرجل قال مطبوب قال
من طبه قال لبيد بن الاعصم قال في اي شي قال في مشط ومشاطة
وجف طلع نخلة ذكر قال فاين هو قال في بير ذي اروان فاتاها رسول الله صلى قال م

الله

الله عليه وسلم في ناس من اصحابه فقال يا عايشة كان ماءها نقاعة
الحنا وكان نخلها روس الشياطين قلت يا رسول الله افلا استخرجته
قال قد عافاني الله عز وجل فكرهت ان اثور على الناس فيه شرا فامر بها
فدفنت وفي رواية للبخاري عن عايشة قالت كان رسول الله صلى الله
عليه وسلم سحر حتى كان يرى انه ياتي النسا ولا ياتيهن قال سفيان هذا
اشد ما يكون من السحر وذكر في هذه الرواية انه استخرج السحر وفي رواية
انه امر بالسحر فدفن ولا يعترض على هذا الحديث بما ادى اليه نظر بعض
المبتدعين القاصر من انه ربما يخيل اليه انه اوحي اليه ولم يوح اليه او اتاه
جبريل ولم ياته لانا نقول هذا في بعض الامور الدنيويه واما فيما يتعلق
بمنصب النبوة فلا سبيل الى سريان السحر اليه لانه معصوم في ذلك
وقد قال بعضهم في قوله انه ليخيل اليه انه فعل الشي وما فعله ان ذلك خاص
بوطء زوجاته فكان يخيل اليه انه وطيهن ولم يطاهن وفي مسند عبد الرزاق
حتى انكر بصره فدل ذلك على ان السحر انما اصاب جسده الشريف ولم يوثر في
قلبه ولا في معتقده على انا نقول لا يلزم من تخييل الشي انه فعله ظن الشي او
الجزم به فالامور المتخيلة مرفوعة بمقتضيات العقل وانما يكون ذلك
من جنس الخاطر يخطر ولا يثبت لكن قال المصنف في شرح مسلم يحتمل ان
يكون المراد من التخييل انه يظهر له ما كان عليه من عادته السابقة من الاقتدار
على الوطء فاذا دنا من المراة فتر عزمه كما هو شان المعقود والحاصل ان
ما اصابه من تاثير السحر كان من جنس الامراض بدليل قوله صلى الله عليه وسلم

اما انا فان الله عز وجل قد شفاني ثم ان الرجلين اللذين اتياه احدهما جبريل
والاخر ميكائيل وقعد احدهما عند راسه وهو جبريل لمزيد فضل وخصوصيته
من النبي صلى الله عليه وسلم وجبريل هو المسؤول والسائل ميكائيل وفي القصة اشارة
الى ان مجيئهما كان في المنام اذ لو جاءا اليه يقظة لخاطباه وسالاه ويحتمل ان
يكون كان بصفة النائم وهو يقظان فتخاطبا وهو يسمع وعلى تقدير انه منام
فرويا الانبيا عليهم السلام وحي والبير التي وضع فيها السحر يقال لها بير ذي اروان
ويقال في بير ذروان واصل ذروان ذي اروان فحذفت الهمزة تخفيفا والياء
كذلك ووصل الاسمان فصارا اسما واحدا قال ابن قرقول ذروان بير في
بني زريق قال قلت فبماذا سحر رسول الله صلى الله عليه وسلم قلت نص في
الحديث الصحيح انه في مشط ومشاطة وجف طلع ذكر فالمشط هو
الالة المعروفة التي يسرح بها شعر الراس واللحية ويطلق المشط على العظم
العريض في الكتف وسلاميات ظهر القدم ونبت صغير يقال له مشط الذيب
قال القرطبي يحتمل ان يكون الذي سحر فيه النبي صلى الله عليه وسلم احد هذه الاربع
لكن جزم ابن حجر بان المشط هنا هو الالة المعروفة مستدلا على ذلك بانه
صرح به في رواية عمرة عن عائشة رضي الله عنها فاذا فيها مشط رسول الله صلى
الله عليه وسلم ومن مشاطة راسه الشريف وفي حديث ابن عباس من شعر راسه
ومن اسنان مشطه واما المشاطة فهي بضم الميم وتخفيف الشين المعجمة
وبعد الالف طاء مهملة ثم تاء التانيث وهي الشعر الذي يسقط من الراس
واللحية عند تسريحهما ويقال لذلك مشاطة ومشاقة ويقال المشاقة ما

تخرج

تخرج من الكتان واما جف الطلع فهو بجيم مضمومة بعدها فاء مشددة وهو
وعاء الطلع الذي للنخلة وهو الغشاء الذي يكون عليه ويروى جب طلعة
والجب والجف بمعنى واحد وهو ما ذكرنا وحضر اخراج السحر النبي صلى
الله عليه وسلم بنفسه كما يشهد به رواية البخاري التي فيها فاتاها النبي صلى
الله عليه وسلم في ناس من اصحابه الحديث وذكر ابن سعد من حديث ابن عباس
ان النبي صلى الله عليه وسلم بعث الى علي وعمار فامرهما ان ياتيا البير وقيل ان
الذي استخرجه قيس بن محصن الزرقي وقيل الحرث بن قيس قال الجلال
ابن البلقيني ممن حضر هذه الوقعة اعني استخراج السحر من البير من المهاجرين
علي وعمار ومن الانصار جبير بن اياس وقيس بن محصن الزرقي والحرث
ابن قيس الزرقي قال وكان ذلك لان لبيدا كان حليفا لبني زريق وفي تفسير
الثعلبي بغير اسناد ذكر القصة ذكر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث عليا
والزبير وعمار ابن ياسر فنزحوا ماء تلك البير كانه نقاعة الحناء ثم رفعوا
الصخرة واخرجوا الجف فاذا مشاطة راسه صلى الله عليه وسلم واسنان من
مشطه واذا وتر عقد فيه احدى عشرة عقدة مغروزة بالابر فانزل الله
عز وجل سورة الفلق وسورة الناس ذكر ذلك من حديث عائشة وابن عباس
رضي الله عنهما دخل حديث احدهما في الاخر وذكر في اول القصة انه كان غلام من
اليهود يخدم رسول الله صلى الله عليه وسلم فدنت اليه اليهود فلم يزالوا به حتى
اخذ مشاطة راس النبي صلى الله عليه وسلم وعدة من اسنان مشطه فاعطاها اليهود
فسحروه فيها وفي رواية انه وجد في الطلعة تمثالا من شمع تمثال رسول الله صلى

الله عليه وسلم وفيها فنزل جبريل بالمعوذتين فكلما قرا اية انحلت عقدة وكلما
نزع ابرة وجد لها الما ثم يجد بعدها راحة واخرج ابن سعد ان الحرث
ابن قيس هور البئر المذكورة وكان يستعذب منها وحفر بئرا اخرى واعانه
رسول الله صلى الله عليه وسلم في حفرها وقول المصنف ولا عتب عليه يشير بذلك
الى قوله صلى الله عليه وسلم كرهت ان اثير على الناس شرا قال النووي خشي
من اخراجه واشاعته ضررا على المسلمين من تذكر السحر وتعلمه ونحو ذلك
وهو من باب ترك المصلحة لخوف المفسدة فالمراد بالناس هاهنا عليه لفظ
وهو عامة الناس وفي ذلك رد على من خص الناس بلبيد بن الاعصم لانه
كان منافقا فاراد صلى الله عليه وسلم انه لا يثير عليه شرا لانه كان يؤثر
الاغضاء عن من يظهر الاسلام ولو صدر منه ما صدر وفي حديث عائشة رضي
الله عنها انها قالت فقيل يا رسول الله لو قتلته قال ما وراءه من عذاب الله عز
وجل اشد وفي رواية عمرة فاخذه النبي صلى الله عليه وسلم فاعترف فعفا عنه
وفي حديث زيد بن ارقم فما ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم لذلك اليهودي
شيئا مما صنع ولا راه في وجهه ورواية عدم قتله اصح من رواية انه قتله
وكذلك لم يواخذ اي ومثل عدم مواخذته لمن سبق عدم مواخذته عبد الله
ابن ابي هو عبد الله بن ابي بن مالك بن الحرث بن عبيد بن مالك بن سالم
ابن غنم بن عوف بن الخزرج الانصاري الخزرجي المنافق قال النووي في
تهذيبه وسلول ام عبد الله ولهذا قال العلماء الصواب في ذلك ان يقال
عبد الله بن ابي ابن سلول بتنوين ابي وكتابة ابن سلول بالالف ويعرب

مطلب في رسم ابن سلول

اعراب عبد الله لانه صفة له لا لابي وكان لعبد الله هذا المنافق ابن صالح
مخلص استاذن النبي صلى الله عليه وسلم في قتل ابيه لنفاقه فلم ياذن له وكان
ابنه صحابيا مكرما جليلا واما عبد الله بن ابي فكان راس المنافقين ونزل
في ذمه ايات كثيرة مشهورة وتوفي في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم
وصلى عليه وكفنه في قميصه قبل النهي عن الصلاة على المنافقين وانما صلى عليه
لكرامة ابنه واحسانا وكرما ولما انتهى هلك في السنة التاسعة بعد مقدم
النبي صلى الله عليه وسلم من تبوك مرض في شوال عشرين ليلة وهلك في ذي القعدة
واشباههم من المنافقين بعظيم ما نقل عنهم في جهته اي جهة النبي
صلى الله عليه وسلم قولا وفعلا اما عبد الله بن ابي ابن سلول فاقواله التي صدرت
منه في جهة النبي صلى الله عليه وسلم ما ذكره في الصحيح ففي البخاري بسنده الى زيد بن
ارقم قال كنت مع عمي فسمعت عبد الله بن ابي ابن سلول يقول لا تنفقوا
على من عند رسول الله حتى ينفضوا وقال ايضا لئن رجعنا الى المدينة
ليخرجن الاعز منها الاذل فذكرت ذلك لعمي فذكره عمي لرسول الله صلى الله
عليه وسلم فارسل رسول الله صلى الله عليه وسلم الى عبد الله بن ابي واصحابه
فحلفوا ما قالوا فصدقهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وكذبني فاصابني
هم لم يصبني مثله قط فجلست في بيتي فانزل الله عز وجل اذا جاءك
المنافقون الى قوله هم الذين يقولون لا تنفقوا على من عند رسول الله حتى
ينفضوا الى قوله ليخرجن الاعز منها الاذل فارسل الي رسول الله صلى الله عليه
وسلم فقراها علي ثم قال ان الله عز وجل صدقك وكان ذلك في غزاة واختلف

هذا عجب ما وقع لشيخنا رحمه الله تعالى
في هذا المحل انه حذف الف ابن سلول
مع قرب العهد من تقريره انه
لا تحذف فالصواب ... واسقط
... في ... بالالف ...
خط ... والله ...

في اي غزاة كان فعند النسائي انها غزوة تبوك والذي عليه اهل المغازي انها
غزوة بني المصطلق والمراد بعم زيد الذي اخبره سعد بن عبادة وليس عمه حقيقة
وانما هو رئيس الخزرج وعم زيد بن ارقم الحقيقي ثابت بن قيس وعمه زوج
امه عبد الله بن رواحة خزرجي ايضا وفي رواية لما نزلت سورة المنافقين
بتصديق ~~الله عز وجل زيد بن ارقم~~ زيدا اخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم
باذنه وقال وفت اذنك يا غلام مرتين ولقد صدق الله عز وجل زيد بن ارقم
مرة اخرى في حديث رواه الاسماعيلي بسنده الى ابن شهاب قال سمع زيد بن
ارقم رجلا من المنافقين يقول والنبي صلى الله عليه وسلم يخطب لئن كان هذا
صادقا لنحن شر من الحمير فقال زيد والله صدق ولانت شر من الحمار ورفع
ذلك الى النبي صلى الله عليه وسلم فجحده القائل فانزل الله عز وجل على رسوله صلى الله
عليه وسلم يحلفون بالله ما قالوا فكان مما انزل الله عز وجل تصديقا لزيد
وهو حديث صحيح ومن ايذا عبد الله بن ابي النبي صلى الله عليه وسلم ما وقع منه
في قصة الافك ففي صحيح البخاري وكان الذي تولى الافك عبد الله بن ابي ابن سلول
الحديث ومما وقع من اقوال عبد الله بن ابي انه راى رجلا يقاتل مع رجل من
جهينة وكانت جهينة حلفاء الانصار فعلا الغفاري الجهني فقال ابن
ابي يا بني الاوس والخزرج انصروا اخاكم فوالله ما مثلنا ومثل محمد صلى الله عليه
وسلم الا كما قال القائل سمن كلبك ياكلك ولئن رجعنا الى المدينة ليخرجن
الاعز منها الاذل فاخبر النبي صلى الله عليه وسلم بذلك فجاءه عبد الله بن ابي فحلف
انه لم يقله ومما فعله المنافقون مع رسول الله صلى الله عليه وسلم همهم وعزمهم

وتصميمهم

وتصميمهم على قتله ليلة العقبة في عقبة تبوك قالوا كلهم نتبعه في العقبة
فاذا اظلم الليل عليه قطعوا انساع راحلته ونخسوها حتى يطرحوه عن
راحلته وكانوا خمسة عشر رجلا وهم الذين بنوا مسجد الضرار قال حذيفة
ابن اليمان سماهم رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى عدهم كلهم فقلت له الا
تبعث اليهم فتقتلهم فقال اكره ان تقول العرب لما ظفر باصحابه اقبل يقتلهم
بل يكفيهم الله عز وجل بالدبيلة قيل يا رسول الله وما الدبيلة قال شهاب
من جهنم يضعه الله عز وجل على نياط فؤاد احدهم حتى تزهق نفسه فكان
كذلك خرجه مسلم بمعناه ومما فعله المنافقون معه انه كان رهط منهم
وديعة بن ثابت اخو بني عمرو بن عوف ومنهم رجل من اشجع حليف لبني
سلمة يقال له مخشن بضم الميم وفتح الخاء المعجمة وتشديد الشين المعجمة
ثم نون في اخره ابن حمير بتشديد اليا بعد ضم الحا على التصغير يشيرون
الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو منطلق الى تبوك فقال بعضهم لبعض
المحسبون جلاد بني الاصفر كقتال العرب بعضهم بعضا والله لكانكم غدا مقرنين
في الحبال ارجافا وترهيبا للمؤمنين فقال مخشن بن حمير والله لوددت
اني اقاضى على ان نضرب كل منا مائة جلدة وانا ننفلت ان ينزل فينا
القران لمقالتكم هذه وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما بلغني لعمار بن
ياسر ادرك القوم فانهم قد احترقوا فسلهم عما قالوا فان انكروا فقل بلى
قلتم كذا وكذا فانطلق اليهم عمار فقال ذلك لهم فاتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم
يعتذرون اليه قال فانطلق اليهم عمار رضي الله عنه فقال وديعة بن ثابت انما

كنا نخوض ونلعب فانزل الله عز وجل ولئن سالتهم ليقولن انما كنا نخوض الاية
وقال مخشن بن حمير واحد يا رسول الله قعد بي اسمي واسم ابي فكان الذي
عفي عنه في هذه الاية فسمي عبد الرحمن وسال الله عز وجل ان يقتله شهيدا
لا يعلم بمكانه فقتل يوم اليمامة فلم يوجد له اثر رضي الله عنه بل قال لمن اشار
بقتل بعضهم لا يتحدث ان محمدا يقتل اصحابه لجواز ان تكون لا نافية
والمنفي محذوف والتقدير لا اقتلهم ثم استانف بقوله يتحدث الناس اي
بسبب عدم قتلي لهم اني ان قتلتهم يتحدث الناس بذلك وفي بعض الروايات
والله لا يتحدث الناس زاد ابن اسحق فقال مر عباده بن بشر بن وقش
فليقتله فقال لا ولكن اذن بالرحيل فراح في ساعة ما كان يرحل فيها فلقيه
اسيد بن حضير فساله عن ذلك فاخبره فقال فانت يا رسول الله الاعز وهو
الاذل وبلغ عبد الله بن عبد الله بن ابي الرجل الصالح ما كان من امر ابيه
فاتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال بلغني انك تريد قتل ابي فيما بلغك عنه
فان كنت فاعلا فمرني به فانا احمل اليك راسه قال بل نرفق به ونحسن
صحبته قال فكان بعد ذلك اذا احدث الحدث كان قومه هم الذين ينكرون
عليه فقال النبي صلى الله عليه وسلم لعمر رضي الله عنه كيف ترى وفي مرسل عكرمة
عند الطبراني ان عبد الله بن عبد الله بن ابي قال للنبي صلى الله عليه وسلم ان
والدي يؤذي الله عز وجل ورسوله صلى الله عليه وسلم فذرني حتى اقتله فقال لا الله هو
تقتل اباك وفي السيرة الاسحاقية ان عبد الله بن عبد الله بن ابي قال لابيه والله
لا تنقلب الى المدينة حتى تقول انك انت الذليل ورسول الله صلى الله عليه وسلم

العزيز

العزيز وانما سمى النبي صلى الله عليه وسلم اصحابه مع انهم ليسوا من صحبته في شي
نظرا الى حالهم في تكثيرهم سواد المسلمين مع كفرهم الباطني وانما كان يعلم
احوالهم في ابطانهم الكفر النبي صلى الله عليه وسلم وجماعات من المسلمين والاباعد
يعدونهم من اصحابه ويتوهمونهم من احبابه وهو بري منهم هذا ولما مات
عبد الله بن ابي جا ابنه عبد الله بن عبد الله سال النبي صلى الله عليه وسلم ان يصلي
عليه ففي الترمذي بسنده الى ابن عمر رضي الله عنهما قال جا عبد الله بن عبد الله
ابن ابي الى رسول الله صلى الله عليه وسلم حين مات ابوه فقال اعطني
قميصك اكفنه فيه وصل عليه واستغفر له فاعطاه قميصه وقال اذا
فرغتم فاذنوني فلما اراد ان يصلي عليه جذبه عمر وقال اليس قد نهى الله
عز وجل ان يصلي عليهم فقال انا بين خيرتين استغفر لهم او لا تستغفر
لهم فصلى عليه فانزل الله عز وجل ولا تصل على احد منهم مات ابدا ولا تقم على
قبره فترك الصلاة عليهم وعن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال سمعت عمر بن
الخطاب رضي الله عنه يقول لما توفي عبد الله بن ابي دعي رسول الله صلى
الله عليه وسلم للصلاة عليه فقام اليه فلما وقف يريد الصلاة تحولت وقمت
في صدره وقلت يا رسول الله على عدو الله عز وجل ابن ابي القائل يوم كذا
كذا وكذا اعدد عليه ايامه قال ورسول الله صلى الله عليه وسلم يتبسم حتى اذا
اكثرت عليه قال اخر عني يا عمر اني خيرت فاخترت قد قيل لي استغفر لهم
او لا تستغفر لهم ان تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم فلو اعلم اني
ان زدت على السبعين غفر له لزدت قال ثم صلى عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم

ومشى معه حتى قام على قبره حتى فرغ منه قال فعجبا لي وجرأتي على رسول الله صلى
الله عليه وسلم والله ورسوله اعلم قال فوالله ما كان الا يسيرا حتى نزلت هاتان
الآيتان ولا تصل على احد منهم مات ابدا ولا تقم على قبره انهم كفروا بالله ورسوله
وماتوا وهم فاسقون فما صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم على منافق ولا قام
على قبره حتى قبضه الله عز وجل كذا ذكره ابن اسحق وفي صحيح البخاري معناه
وقيل اراد النبي صلى الله عليه وسلم ليصلي عليه فجذبه جبريل عليه السلام وفي الكشاف
للزمخشري فان قلت كيف جازت له تكرمة المنافق وتكفينه في قميصه
قلت كان ذلك مكافاة له على صنيع سبق له وذلك ان العباس عم رسول الله
صلى الله عليه وسلم لما اخذ اسيرا ببدر ولم يجد واله قميصا وكان رجلا طوالا
فكساه عبد الله بن ابي قميصه وقال له المشركون يوم الحديبية انا لا ناذن
لمحمد ولكنا ناذن لك فقال لا ان لي في رسول الله صلى الله عليه وسلم اسوة
حسنة فشكر له رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك واجابه الى مسئلته اياه فقد
كان صلى الله عليه وسلم لا يرد سائلا وكان يتوفر على دواعي المروة ويعمل بعادات
الكرام واكراما لابنه الرجل الصالح فقد روي انه قال له اسالك ان تكفنه ببعض
قمصانك وان تقوم على قبره لا يشمت به الاعدا وعلما بانه تكفينه في قميصه
لا ينفعه مع كفره فلا فرق بينه وبين غيره من الاكفان وليكون الباسه اياه
لطفا بغيره فقد روي انه قيل له لم وجهت اليه بقميصك وهو كافر فقال
ان قميصي لن يغني عنه من الله عز وجل شيا واني اومل من الله عز وجل ان يدخل
في الاسلام كثير بهذا السبب فروي انه اسلم الف من الخزرج لما راوه طلب :.

الاستشفا

الاستشفا بثوب رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال في الكشاف فان قلت كيف
جازت الصلاة عليه قلت لم يتقدم نهي عن الصلاة عليهم وكانوا يجرون
مجرى المسلمين لظاهر ايمانهم لما في ذلك من المصلحة وكان لعبد الله بن ابي
المنافق لعنه الله وقائع كثيرة بانواع من الاذى منها ما ذكرناه ومنها
قصته لما ركب النبي صلى الله عليه وسلم حمارا وذهب ليعود سعد بن عبادة
ومر بمجلس فيه اخلاط من المشركين والمسلمين واليهود وفيهم عبد الله
ابن ابي وعبد الله بن رواحة فلما غشيت المجلس عجاجة الدابة خمر عبد الله
ابن ابي انفه بردائه وحصل سعد بن عبادة المجلس بقوله للنبي صلى الله عليه وسلم
اعف عنه يا رسول الله فوالله لقد اعطاك الله عز وجل الذي اعطاك ولقد
اصطلح اهل هذه البحيرة على ان يتوجوه ويعصبوه بالعصابة فلما رد الله عز
وجل ذلك بالحق الذي اعطاكه شرق بذلك فعفا عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقوله في هذا الحديث شرق بذلك اي غص به وهو مجاز فيما ناله من امر رسول
الله صلى الله عليه وسلم وحل به حتى كانه شي لم يقدر على اساغته وابتلاعه
فغص به يقال شرق به اي غص به وعن انس كنت مع رسول الله صلى
الله عليه وسلم في البخاري قال انس كنت امشي مع رسول الله صلى الله عليه
وسلم وفي رواية الاوزاعي ان الاعرابي دخل المسجد وعليه برد هو نوع
من الثياب معروف غليظ الحاشية وقد وقع في رواية الاوزاعي عليه ردا
غليظ الصنفة بفتح المهملة وكسر النون بعدها فاء وهي طرف الثوب مما يلي
طرفه وفي رواية الشيخين برد نجراني نسبة الى نجران وهو موضع معروف

في الصحاح للجوهري
وصنفة الازار بكسر النون طرفه
وهي جانبه الذي لا هدب له
وقيل هي حاشية الثوب اي
جانب كان انتهى

بين الشام والحجاز واليمن **فجبذه اعرابي** في رواية البخاري فادركه اعرابي من
اهل البادية وجبذ لغة في جذب وقيل هو مقلوب عنه والاعرابي المذكور لا اعرف
اسمه **برداته** هذه الرواية يوخذ منها انه كان عليه رداء وبرد وان الجذب وقع
بهما وانهما اثرا في صفحة عاتقه الشريف وقد ذكر في رواية عكرمة التي في صحيح
مسلم حتى رجع النبي صلى الله عليه وسلم في نحر الاعرابي **حتى اثرت حاشية البرد**
في صفحة عاتقه والعاتق هو موضع الرداء من المنكب وقيل هو ما بين المنكب
والعنق وقد يونث فيجوز تذكيره وتانيثه كذا في القاموس وقد وقع في
رواية مسلم بدل العاتق العنق وقوله صفحة عاتقه وفي رواية مسلم اثرت
بها وربما يخالف معنى رواية الشفا فان روايته تقتضي اسناد اثرت الى
الجبذه اي اثرت الجبذه في صفحة عاتقه ورواية بها تحتمل عود ضمير اثرت
الى الصفحة والضمير المجرور يعود الى الجبذه واثرت بمعنى تاثرت اي تاثرت
صفحة عنقه بسبب الجبذه ويمكن ان يجعل الباء في بها بمعنى في فيكون
موافقا لمعنى رواية الشفا وفي صحيح مسلم من رواية همام حتى انشق
البرد وذهبت حاشيته في عنقه وزاد ان ذلك وقع من الاعرابي
لما وصل النبي صلى الله عليه وسلم الى حجرته ويجمع بانه لقيه خارج المسجد
فادركه لما كاد يدخل فكلمه وامسك ثوبه لما دخل المسجد فلما كاد يدخل
الحجرة خشي ان يفوته فجبذه **ثم قال يا محمد** هذه العبارة ومشافهة النبي
صلى الله عليه وسلم بهذا النداء يشعر بان الرجل لم يكن مسلما وسياق الحديث
يقتضي انه مسلم لانه اعترف بان المال مال الله وان النبي صلى الله عليه وسلم

لا يكافي

جبذة شديدة

لا يكافي بالسيئة وليس في الحديث ما يقتضي عدم اسلامه الا قوله يا محمد على
ان دلالة ذلك على عدم اسلامه غير جلية لاحتمال ان يكون ذلك قبل وجوب
ندائه بيا رسول الله او انه لم يكن يعلم ان ذلك واجب لكونه من اهل البادية
او فعل ذلك لما في طبعه من الجفا والغلظة فان قلت البخاري ساق هذا
الحديث في باب ما كان النبي صلى الله عليه وسلم يعطي المولفة قلوبهم
وسوقه يقتضي ان هذا الاعرابي منهم قلت وليكن منهم فان المولفة
قلوبهم اربعة اقسام القسم الاول ضعيف النية في الاسلام ويعرف
بقوله انه ضعيف النية الثاني شريف مسلم يعطى من الزكاة لانا
نتوقع باعطائه الزكاة اسلام نظرائه ويعرف ذلك بالبينة الثالث
متالف على جهاد من يليه من الكفار ومانعي الزكاة حيث كان التالف
اهون على الامام من بعث جيش وهولاء الثلاثة يعطون من الزكاة
الرابع كفار يتالفون خوفا من شرهم او لرغبتهم في الاسلام فهولاء
لا يعطون من الزكاة لان شرط مستحقها ان يكون مسلما نعم كان رسول
الله صلى الله عليه وسلم يعطيهم من الخمس كما الخراج والجزية والفي وفي اعطاء
النبي صلى الله عليه وسلم المولفة من الخمس دلالة على ان الخمس للامام يفعل فيه
ما يرى من المصلحة واختلف العلماء من اين كان رسول الله صلى الله عليه وسلم
يعطي المولفة فقال مالك وجماعة من الخمس وقال الشافعي رضي الله عنه
وجماعة من خمس الخمس **احمل لي على بعيري هذين** اسند الحمل الى النبي صلى الله عليه
وسلم لانه سبب امر فهو مجاز عقلي واقع في الاسناد فهو على حد قوله عز وجل

أي أولى قال

بلغ مقابلة على خط المولف

يا هامان ابن لي صرحا وكان العرب يسندون الحمل لمن يتسبب في اتخاذ دابة
الحمل او في وضع حمل عليها كما هنا وكما في قول ابي موسى الاشعري رضي الله عنه
ارسلني اصحابي الى النبي صلى الله عليه وسلم اساله الحملان وذلك ان الاشعريين
انفذوا ابا موسى الى النبي صلى الله عليه وسلم يطلب منه شيا يركبون عليه فقال له
النبي صلى الله عليه وسلم ما انا حملتكم ولكن الله عز وجل حملكم قال في النهاية اراد
افراد الله عز وجل بالمن عليهم وقيل اراد لما ساق الله عز وجل هذه الابل
وقت حاجتهم كان هو الحامل لهم عليها وقيل كان ناسيا ليمينه انه لا
يحملهم اي فانه جا في الحديث ان ابا موسى رضي الله عنه لما كلم النبي صلى الله
عليه في ان يحمل اصحابه قال له النبي صلى الله عليه وسلم والله لا احملكم ولا اجد
ما احملكم عليه فلما ارسل لهم بالابل ليركبوا عليها قالوا فيما بينهم لا نفلح تغفلنا
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما اخبره ابو موسى رضي الله عنه باليمين
قال ما انا حملتكم ولكن الله عز وجل حملكم ثم كفر يمينه وهذا كما قال للصائم
الذي افطر ناسيا الله عز وجل اطعمك وسقاك انتهى من مال الله عز وجل الذي
عندك فانك لا تحمل لي من مالك ولا من مال ابيك فسكت النبي صلى الله
عليه وسلم ثم قال المال مال الله وانا عبده وقد قال ابن رسلان في حاشيته
ان قول الاعرابي احمل لي انه بهمزة قطع مفتوحة انتهى واقول ما السبب في
جعلها همزة قطع كانه نظن ان تعريفه احمل بحمل احمالا اي حمل البعير يحمل
فمفعول احمل هو البعير فكانه يستبعد اسناد احمل الى النبي صلى الله عليه وسلم
فماذا يقول رحمه الله في قول النبي صلى الله عليه وسلم في حديث الاشعريين ما انا
حملتكم

تمام المتن قال لا اقال ... قال لانك لا تكافي بالسيئة السيئة وذكر ... الخ

... من الطويل

حملتكم ولكن الله حملكم فدل على ان ماضيه حمل المجرد ومضارعه يحمل مفتوح حرف
المضارعة والامر احمل بهمزة وصل تسقط في الدرج ويكون اسناد الحمل اليه
على سنن المجاز العقلي مع ان بنا احمل المزيد من حمل موقوف على السماع ولم
يسمع احملته ثم قال ويقاد منك يا اعرابي ما فعلت بي يقال استقدت
الامير من القاتل فاقادني منه اي طلبت منه ان يقتل فيفعل حكاه في الصحاح
فقوله ويقاد بحذف همزة الاستفهام على حد قول الشاعر طربت وما شوقا الى البيض اطرب
ولا لعبا مني وذو الشيب يلعب وانما قيل او اقيد نفسي منك بالبناء
[redacted] للفاعل قيل كراهة ان ينسب الى نفسه ما يشعر بانتصاره لها
ولو مستحقها عنه واقول انما عبر النبي صلى الله عليه وسلم بالبنا للمفعول
للاشارة الى تعميم من يستوفي القود منه اما ان يكون المستوفي له الله
عز وجل بان يغير خاطره الشريف عليه فينتقم الله عز وجل منه او يدعو عليه
بدعوة فينتقم الله عز وجل كما دعا على كثير ممن اذاه فانتقم الله عز وجل منه
في اسرع وقت فاستفهم ليطلع على ما يضمر في قلبه من الاسباب على
تقدير عدم الافادة هل يكون ما فعله الاعرابي استخفافا بقدر النبي صلى الله
عليه وسلم حتى يقابله معاملة من استخف بشانه الرفيع ام يكون ما فعله
طبيعة جافية وغلظة ناشية من السجية مع اضمار اجلاله في قلبه
والاعتراف في سره بكماله فعند ذلك اطلع على ما يضمر وقال له لا تقادمني
لا لانك عاجز عن ذلك ولكنك عفو صفوح لا تجزي بالسيئة السيئة
فعلم عند ذلك انه مضمر في قلبه اجلال النبي صلى الله عليه وسلم وما صدر منه

طبيعة ظاهرية جافية فما واخذه بما ظهر منه من السوء لما اطلع على انه مضمر
للخير فعند ذلك سامحه ثم ضحك ثم امر ان يحمل له على بعير شعير وعلى
الاخر تمر ففي هذا الحديث بيان حلمه صلى الله عليه وسلم وصبره على الاذى
في النفس والمال والتجاوز عن جفا من يريد تألفه على الاسلام وليتأسى
به من بعده من الولاة في خلقه الجميل من الصفح والاغضا والدفع بالتي
هي احسن هذا وان هذا الحديث رواه الشيخان الى قوله من مال الله الذي عندك
ثم ضحك وامر له بعطاء واخرجه باللفظ الذي اورده المصنف البيهقي
في الادب من حديث ابي هريرة رضي الله عنه قالت عائشة رضي الله عنها
ما رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم منتصرا من مظلمة ظلمها قط ما لم تكن
حرمة من محارم الله عز وجل في القاموس المظلمة بكسر اللام وكثمامة ما تظلمه
الرجل والظلامة ومظالمة اي ظلمه وقال فيه والظلم وضع الشيء في غير موضعه
وقوله ظلمها بالبنا للمفعول وظلم يتعدى الى مفعولين يقال ظلمه حقه وتظلمه
اياه فنايب الفاعل في ظلمها المفعول الاول وهو الضمير المستتر العايد الى النبي
صلى الله عليه وسلم وقط هنا ظرف زمان لاستغراق ما مضى وهي بفتح
القاف وتشديد الطا مضمومة في افصح اللغات وتختص بالنفي يقال ما
فعلته قط والعامة تقول لا افعله قط وهو لحن واشتقاقه من قططته
اي قطعته فمعنى ما فعلته قط ما فعلته فيما انقطع من عمري لان الماضي
منقطع عن الحال والاستقبال وهي مبنية على الضم تشبيها بالغايات
وقد تكسر على اصل التقاء الساكنين وقد تتبع قافه طاءه مع ضمها واسكانها ∴

فان قلت

من اغفال الشارح
وما ضرب بيده شيا قط الا
ان يجاهد في سبيل الله وما
ضرب خادما ولا امراة ع
واراد مه

فان قلت لا يلزم من عدم رويتها ذلك من النبي صلى الله عليه وسلم ان لا يكون فعله لجواز ان
يقع منه ذلك ولم تره عائشة رضي الله عنها قلت مثل ذلك وان لم يلزم عقلا يلزم
عادة لان زوجة الانسان اعرف الناس باخلاقه واكثر الناس على ما يبطن ∴
ولو كان عنده ذرة من سوء الخلق لظهر في خادمه وزوجته ونحوهما من
الذين تضيق الخطية من ملازمتهم فاذا حسن خلقه مع من يلوذ به
الملازمين له فحسن الخلق مع غيرهم يكون بالطريق الاولى فان قلت
قد ظلم ابن خطل رسول الله صلى الله عليه وسلم واسمه عبد العزى بسبب
انه كان له قينتان تغنيان له بهجو رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد امر
النبي صلى الله عليه وسلم بقتله وقتل قينتيه والقينتان اسمهما فرتنا
وقريبة فعبد العزى بن خطل قتله سعيد بن حريث المخزومي وابو برزة
الاسلمي واما القينتان فقتلت احداهما واستؤمن رسول الله صلى
الله عليه وسلم للاخرى قلت ابن خطل ذنبه انتهاك لحرمة الله عز وجل فانه
انما امر نبينا صلى الله عليه وسلم بقتله لانه كان مسلما فبعثه رسول
الله صلى الله عليه وسلم مصدقا وبعث معه رجلا من الانصار وكان معه
مولى له يخدمه وكان مسلما فنزل منزلا وامر المولى ان يذبح له يذبح
تيسا فيصنع له طعاما فنام فاستيقظ ابن خطل ولم يصنع له شيا
فعدا عليه فقتله ثم ارتد مشركا وكانت قينتاه تغنيان بهجو رسول
الله صلى الله عليه وسلم فاي انتهاك لمحارم الله عز وجل اكثر من ذلك فان قلت
قتل النبي صلى الله عليه وسلم عقبة بن ابي معيط وقال النبي صلى الله عليه وسلم

يوم بدر والله لاقتلنك قال من بين قريش قال نعم ثم قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم انه وطئ على عنقي وانا ساجد فلم يرفع حتى ظننت انه لن يرفع
حتى تندر عيناي لعن الله عقبة بن ابي معيط وجائني ذات يوم وانا
ساجد بسلا شاة او جزور فلقه على راسي حتى جائت فاطمة فاخذته
عن راسي وغسلت راسي ولما كان النبي صلى الله عليه وسلم مهاجرا
بالمدينة كان يقول فيه بيتين من الشعر فقال النبي صلى الله عليه وسلم لما
بلغه قوله اللهم كبه لمنخره واصرعه فجمح به فرسه يوم بدر فاخذه
عبد الله بن سلمة العجلاني فامر النبي صلى الله عليه وسلم عاصم بن ثابت
ابن ابي الافلح فضرب عنقه صبرا قلت لو ان ابن ابي معيط نال ذره من
توفيق الله عز وجل لما قتله النبي صلى الله عليه وسلم ولعفا عنه كما عفا عن
عكرمة بن ابي جهل رضي الله عنه لما اسكن الله عز وجل في قلبه التوفيق وكما
عفا عن احدى القينتين مع انها كانت تغني لابن خطل بهجو النبي صلى
الله عليه وسلم ولكن الله عز وجل اعلم بانه كافر مخلد في النار ولو كان عاقلا
لنطق عندما اراد قتله بالشهادتين ولكنه لم ينطق بها وجعل يقول
يا ويلاه علام اقتل من بين هولا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعداوتك
لله عز وجل ولرسوله فقال يا محمد منك افضل فاجعلني كرجل من قومي
ان قتلتهم قتلتني وان مننت عليهم مننت علي وان اخذت منهم الفدا
كنت كاحدهم يا محمد من للصبية فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم النار يا
عاصم بن ثابت قدمه فاضرب عنقه فقدمه فضرب عنقه فان قلت

اذا

اذا انتهكت حرمات الله عز وجل ينتقم لها بالله لم ينتقم من الاعرابي الذي جفا في
رفع صوته عليه بل عفا عنه كما عفا عن الاعرابي الذي جبذ رداءه مع انتهاكه لحرمة
الله عز وجل قلت فهم صلى الله عليه وسلم من هذين الاعرابيين انهما يجلانه
ويعرفان مقامه الشريف وانما صدر منهما ما صدر بطريق غلاظة الطبع
والا فهما يعظمان الله ورسوله صلى الله عليه وسلم فلما فهم ان ما صدر منهما نوع
جهل وعدم معرفة عفا عنهما **وجي اليه برجل** هذا الرجل لا اعرفه **فقيل هذا
اراد ان يقتلك فقال له النبي صلى الله عليه وسلم لن تراع لن تراع** اي لا روع
عليك ولا فزع **ولو اردت ذلك لم تسلط علي** اي لان الله عز وجل عصمني من
الناس فلا قدرة لاحد على ان يقتلني هذا وان هذا الحديث اخرجه احمد والطبراني
بسند صحيح عن جعدة **وجاءه زيد بن سعيه** هو الصحابي المكرم احد احبار
اليهود الذين اسلموا واكثرهم علما ومالا اسلم وحسن اسلامه وشهد
مع النبي صلى الله عليه وسلم مشاهد كثيرة توفي في غزوة تبوك مقبلا الى المدينة
وفي الاستيعاب لابن عبد البر زيد بن سعيه ويقال سعنه بالياء والنون
اكثر كان من احبار يهود اسلم وشهد مع النبي صلى الله عليه وسلم مشاهد
كثيرة روى عنه عبد الله بن سلام وكان عبد الله بن سلام يقول قال زيد بن سعيه
ما من علامات النبوة شي الا وقد عرفته في وجه محمد صلى الله عليه وسلم وفي
الصحابة رجلان اخران هما ابنا سعيه هما ثعلبه بن سعيه واسيد بن سعيه
وفي الاستيعاب اسيد بن سعيه القرظي اسلم فاحرز ماله وحسن اسلامه
قال ابن عباس رضي الله عنهما اسلم عبد الله بن سلام وثعلبه بن سعيه واسيد

مطلب زيد بن سعيه

ابن سعية واسد بن عبيد ومن اسلم من يهود فآمنوا وصدقوا ورغبوا في الاسلام قالت احبار يهود ما آمن بمحمد صلى الله عليه وسلم الا شرارنا فانزل الله عز وجل ليسوا سواء من اهل الكتاب امة قائمة الاية الى من الصالحين واسيد بفتح الهمزة وكسر السين وقال ابن اسحق هو بضم الهمزة وفتح السين ثم ان ثعلبة بن سعية واسيد بن سعية واسد بن عبيد وهم من بني هدل ليسوا من بني قريظة ولا النضير اسلموا تلك الليلة التي نزلت فيها قريظة على حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم انتهى ولعل هؤلاء اخوان لزيد بن سعية المذكور (قبل اسلامه) يتقاضاه دينا عليه في القاموس تقاضاه الدين قبضه فجبذ ثوبه لغة في جذب وقيل هو مقلوبه عن منكبه واخذ بمجامع ثيابه اي امسكه بمحل تجتمع فيه جميع ثيابه التي عليه كبين الكتفين فان الثياب جميعها تجتمع هناك كالردا والقميص ونحو ذلك واغلظ له في القاموس اغلظ له القول خشنه اي كلمه بكلام خشن ثم قال انكم يا بني عبد المطلب مطل جمع ماطل وفي القاموس المطل التسويف بالعدة والدين فانتهره عمر رضي الله عنه وشدد له في القول والنبي صلى الله عليه وسلم يتبسم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انا وهو الى غير هذا (غيره) اي الانتهار والتشديد في القول منك احوج فانا مبتدا وهو معطوف عليه واحوج خبر والى غير هذا متعلق باحوج والمفضل عليه محذوف تقديره احوج من هذا ومنك جار ومجرور متعلق بمحصل او حاصل على الحال والتقدير انا وهو احوج الى غير هذا التغليظ والتشديد من هذا حال كون ذلك الغير صادرا منك ثم انه استانف مبينا ذلك

العم

الغير الذي هما احوج اليه من هذا التشديد بقوله تامرني بحسن القضا وتامره بحسن التقاضي ثم قال لقد بقي من اجله هذه المقالة من النبي صلى الله عليه وسلم دفع لما عسى ان يوقع الشيطان في خيال عمر رضي الله عنه من ان النبي صلى الله عليه وسلم ليس بحسن القضا وانه يمطل مع الغنى ومنشا ذلك قول النبي صلى الله عليه وسلم تامرني بحسن القضا لقد بقي من اجله اي اجله الذي باعه او اجل ثمن المبيع اليه لا اجله الذي يموت فيه ثلاث اي ثلاث ليال وامر عمر رضي الله عنه بقضيه ماله ويزيده عشرين صاعا لما روعه فكان سبب اسلامه وذلك انه كان يقول ما بقي من علامات النبوة اي نبوة محمد صلى الله عليه وسلم المذكورة في التوراة فانه تعالى استقصى فيها اوصاف النبي صلى الله عليه وسلم ومنها ما ذكره شي الا وقد عرفتها في محمد صلى الله عليه وسلم الا اثنتين لم اخبرهما بضم الباء يقال خبرته اخبره خبرا بالضم اذا بلوته واختبرته ويقال صدق الخبر الخبر يسبق حلمه جهله قال شيخنا الرحمتي الحنبلي النادفي اي يغلب حلمه جهله على غيره لو كان له جهل غيره نحو فتبارك الله احسن الخالقين اي لو كان خالقون وليس المراد ان له جهلا موجودا يسبقه حلمه لان ذلك لقبحه في حق مثله لا بد ان يكون من علامات النبوة لبعده عنها وحينئذ فليس ذلك من قبيل سبقت رحمتي غضبي اي غلبته لاقتضائه وجود المسبوق وعدم استقامة وجود الجهل على الغير منه صلى الله عليه وسلم انتهى واقول الجهل المذكور هنا ليس بمعنى ادراك الشي على غير ما هو عليه كادراك الحكيم ان العالم قديم فهو بهذا المعنى

لايليق ولايجوز ان ينسب الى النبي صلى الله عليه وسلم بل المراد به هنا الغضب
نفسه وقد يطلق على ما يصدر من الانسان عند الغضب وفي الحديث
من استجهل مومنا فعليه اثمه اي من حمله على شي ليس من خلقه فيغضبه
فان اثمه على من احوجه الى ذلك وفي حديث الافك ولكن اجتهلته الحمية
اي حملته الانفة على الغضب والجهل فمراد زيد ان من فعل مع النبي صلى الله
عليه وسلم امرا يوجب غضبه فمقتضى ذلك انه يجهل ويظهر اثار غضبه
ولكن صفة الحلم تمنعه وتغلب القوة الغضبية وهي موجودة فيه لانه
بشر لكن لايطبعها فلا يظهر عليه شي من اثارها لان حلمه غلب عليها
وفي الاحيا لحجة الاسلام ابي حامد الغزالي كان رسول الله صلى الله عليه وسلم
يغضب حتى تحمر وجنتاه حتى قال اللهم انما انا بشر اغضب كما يغضب
البشر وايما مسلم سببته او لعنته او ضربته فاجعلها مني عليه صلاة
وزكاة وقربة تقربه بها اليك يوم القيمة وقال عبد الله بن عمرو بن العاص
رضي الله عنهما لرسول الله صلى الله عليه وسلم يا رسول الله اكتب منك كلما قلت
في الغضب والرضا قال اكتبه فو الذي بعثني بالحق ما يخرج منه
الا حق واشار الى لسانه فلم يقل اني لا اغضب ولكن قال ان الغضب
لا يخرجني عن الحق اي لا اعمل بموجب الغضب وقال علي رضي الله عنه
كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يغضب للدنيا فاذا اغضبه الحق لم يعرفه
احد ولم يقم لغضبه شي حتى ينتصر له انتهى وبالجملة فالقوة الغضبية
كانت موجودة في النبي صلى الله عليه وسلم ولكن اذا كانت اثارها دنيوية سكنت
عنها

عنها وغلب حلمه عليها فلا تظهر اثارها وان كانت لله عز وجل اظهر اثارها
لكن لفظ الجهل لما كانت موهمة لما ليس لائقا لا يليق نسبتها الى النبي
صلى الله عليه وسلم ولعل زيدا اخذه من الكتب السالفة كالتوراة فانه كان من
احبار اليهود وعلمائهم فلا يحتاج الى ان يقال لو كان لم جهل غيره واما
قوله عز وجل تبارك الله احسن الخالقين فالمراد بالخالقين المقدرون
والمقدرون كثيرون والله عز وجل احسنهم تقديرا وزيد لم يجعل الجهل
الجهل من علامات النبوة وانما غلبة حلمه على قوته الغضبية لاجل
الحالات الدنيوية فان ذلك لا تطيقه البشرية بحيث يكون المرء من اول
عمره الى اخره مع كثرة الاعدا والمعاندين وانهماك الناس عليه في العناد
والابتلا بالجهال والاعراب والجفاة بكثرة لا احصى لها وتزاحم الناس
عليه وفي كل ذلك لا يصدر منه فلتة من اثار القوة الغضبية لنفسه
ولدنياه وانما كان يظهر ذلك اذا اغضب لرضا ربه عز وجل وصلى الله وسلم
على عبده محمد الذي كمله ومن عليه بما لا يخطر على قلب بشر فكان هذا والحديث
القدسي وهو قوله سبقت رحمتي غضبي من واد واحد فتامل وقوله
ولا تزيده شدة الجهل عليه الا حلما فالمراد به شدة جهل غيره عليه
كجهل زيد عليه قبل اسلامه وذلك اذا جهل غيره عليه جهلا شديدا ولم يكن في
ذلك الجهل انتهاك حرمات الله عز وجل فلا يزيده شدة جهل ذلك الجاهل عليه
الا حلما مع ان هذا امر خارق للعادة لان شدة الجهل توجب تحريك نار
الغضب بمقتضى الطبع البشري ومع ذلك فكان لا يزداد الا حلما حتى

فاخبره بهذا فوجده
كما وصف ع
من اشغال الشارح

يجب الجاهل من حلمه صلى الله عليه وسلم والحديث اي الاخبار عن حلمه عليه
الصلاة والسلام وصبره وعفوه عند المقدرة اكثر من ان ناتي عليه
اي نستوعبه والمعنى ان استيعابه واستقصاءه عسر اولا يمكن لانا
اذا اردنا استيعابه لجمله اكثر من ان نستوعبه وحسبك اي يكفيك
ما ذكرناه مما في الصحيح اي من الاخبار المرويه في الصحيحين وغيرهما
هو مقطوع بصحته او صحته مظنونة والمصنفات الثابته اي
التي احاديثها مقبوله الى ما بلغ متواترا تواترا معنويا مبلغ اليقين
فان قلت كيف حكم عليه بانه متواتر وجعل بلغ مبلغ اليقين مع ان
المتواتر مفيد العلم الضروري قلت المصنف اقتصر على القدر المحقق وهو
افادته اليقين والضروري اخص من اليقين فكلما افاد الضروري افاد
اليقين ولا عكس وتواتر هذه الاحاديث معنوي ويستفاد من كلام
المصنف الرد على ابن الصلاح القائل ان مثال المتواتر الذي يصدق عليه
التعريف المشهور للمتواتر وهو ان يرويه جمع عن جمع بحيث يحيل العادة
تواطوهم على الكذب يعز وجوده الا ان يدعى ذلك في حديث من كذب علي
متعمدا وذكر ان جعل مثال المتواتر عزيزا ممنوع لما قال غيره ان
المتواتر معدوم والقول بذلك نشا من قلة الاطلاع على كثرة الطرق
واحوال الرجال وصفاتهم المقتضية لابعاد العادة ان يتواطوا
على الكذب وانما حكم المصنف على ان كون النبي صلى الله عليه وسلم متصفا
بالحلم والعفو عند المقدرة متواترا لان ذلك موجود في كتب تواتر

عندنا

مطلب في ان الحديث المتواتر كثير

عندنا نسبتها الى مصنفيها ومصنفوها جمع كثير بحيث لو اجتمعوا والخبر
لجزم العقل بصدقهم واحال ان يتواطوا على الكذب ثم ان كل مصنف
روى حديثا بطرق لو لاحظ انسان اجتماع تلك الطرق لاحال تواطوهم على
الكذب وانما حكم من حكم بعدم تواتر ذلك لعدم اطلاعه ووقوفه على طرق
الاحاديث والا فالمحدثون المهرة وجد عندهم المتواتر على حد الحصر له
ورب متواتر عند قوم غير متواتر عند اخرين من صبره على مقاساة
قريش وذوي الجاهلية اي اهلها وهم الكفار الذين احتملتهم الحمية
ومنعتهم من الدخول في الاسلام ومصابرته الشدائد الصعبة معهم
اي مغالبته اياهم في الصبر على شدائد الحرب فلم تكن صلى الله عليه وسلم
اقل صبرا من جميع اعدائه وثباتا على شدائد الجهاد بل جاهدهم فصبروا
على مغالبته اياهم وجاهدتهم ثم انه غلبهم في الصبر وزاد صبره عليهم
على صبرهم فلذلك ظفر وانتصر الى ان اظفره الله عز وجل عليهم وحكمه
فيهم اي اعطاه ما بيده منهم بحيث قدر على ان يستاصلهم وهم لا
يشكون في استيصال شافتهم الشافة بشين معجمة مفتوحة ثم
همزة ساكنة ويجوز فيه ترك الهمزة وابدالها الفا ويليها فا قرحة تخرج
في اسفل القدم فتكوى فتذهب يقال في المثل استاصل الله عز وجل
شافتهم اي اذهبها كما اذهب تلك القرحة الكي وفي الحديث خرجت
بادم عليه السلام شافة ومنه حديث علي في الخوارج قال له اصحابه لقد
استاصلنا شافتهم وفي القاموس الشافة قرحة تخرج في اسفل القدم

الشافة قرحة تخرج في اسفل القدم فتكوى فتذهب وفي المثل استاصل الله شافته اي اذهبه الله كما اذهب تلك القرحة بالكي ه صحاح

فتامل العبارتين وحرر ه

فتكوى فتذهب واذا قطعت مات صاحبها ~~واذا قطعت~~ واستاصل
الله شافته اذهبه كما تذهب تلك الوضح ومعناه ازاله الله من اصله
وشفعت رجله خرجت به الشافه **وابادة خضرائهم** في النهاية
الابادة الاهلاك وفي الحديث يا بيدا ابيدهم اي اهلكهم والخضر السواد
وفي الحديث ابيدت خضراء قريش اي دهاؤهم وسوادهم والمراد الجماعة
وما نقله ابن ارسلان عن الاصمعي من انكار ذلك وقال انما يقال اباد الله
خضراءهم اي خيرهم فهو غير معروف **فما زاد على ان عفا وصفح** العفو
والصفح لفظان مترادفان ومعناهما محو الذنب والاعراض عن مجازاة
الذنب تكرما **وقال ما تقولون اني فاعل بكم** تقولون هنا ملحق بتظنون
كما هو مذهب اكثر العرب في ذلك لا اتصال تقولون باداة الاستفهام وهي
ما وقد حكى الكسائي انه سمع اعرابيا يقول اتقول للعميان عقلا اي
اتظن فيتعين حينئذ فتح همزة اني **قالوا خيرا** اي انت فاعل بنا خيرا **اخ
كريم** اي انت اخ كريم وهذا استيناف يبين به سبب فعله بهم خيرا مع كونهم
اوصلوا اليه كل مضرة **وابن اخ كريم** العرب يسمون من شارك انسانا في
ابيه اخاه ومنه قوله عز وجل والى عاد اخاهم هودا فجعله اخاهم لانه
واياهم ينتسبون الى اب واحد ويقال يا اخا العرب والكريم الجامع لانواع
الخيرات والفضائل وفي الحديث ان الكريم ابن الكريم يوسف بن يعقوب
وسمي كريما لانه اجتمع له شرف النبوة والعلم والجمال والعفة وكرم الاخلاق
والعدل ورياسة الدنيا والدين **فقال اقول كما قال اخي يوسف**

لا تثريب

وعبارة الصحاح في مادة خضر وقولهم اباد الله خضراءهم اي سوادهم ومعظمهم وانكر الاصمعي وقال انما يقال اباد الله غضراءهم اي خيرهم وغضارتهم وعبارته في مادة غضر والغضارة طيب العيش يقال انهم لفي غضارة من العيش وفي غضراء من العيش اي في خصب وخير قال الاصمعي لا يقال اباد الله خضراءهم ولكن اباد الله غضراءهم اي اهلك خيرهم وغضارتهم انتهى

لا تثريب عليكم اليوم الاية اي لا تعداد للذنوب ولا توبيخ عليكم يقال ثرب
فلان على فلان اذا بكته بفعله وعدد عليه ذنوبه وفي الحديث اذا زنت امة
احدكم فليضربها الحد ولا يثرب اي لا يبكتها ولا يوبخها بعد الضرب واصل
التثريب من الثرب وهو الشحم الذي يغشى الكرش للازالة كالتحليل
فاستعير للتقريع الذي يمزق العرض ويذهب ماء الوجه كذا قاله
البيضاوي واقول كانه شبه التقريع بالتثريب اي ازالة شحم
الكرش بجامع الاضرار التام ولم يذكر الا المشبه به وهو التثريب
فكان استعارة تصريحية واما قوله اليوم فهو ظرف متعلق بتثريب
او بمقدر لانه خبر للا والجار اذا وقع خبرا تعلق بمحذوف والمعنى لا اثربكم
اي لا اعيركم ولا اقرعكم اليوم الذي هو مظنة التثريب فما ظنكم بسائر
الايام وقوله يغفر الله لكم وهو ارحم الراحمين فانه يغفر الصغائر
والكبائر ويتفضل على التائب ومن كرم يوسف عليه السلام انهم لما
عرفوه ارسلوا اليه وقالوا انك تدعونا بكرة وعشيا الى طعامك ونحن
نستحي منك لما فرط منا فيك فقال ان اهل مصر كانوا ينظرون الي
بالعين الاولى ويقولون سبحان من بلغ عبدا بيع بعشرين درهما
ما بلغ والان قد شرفت بكم وعظمت في عيونهم حيث علموا انكم اخوتي واني
من حفدة ابرهيم عليه الصلاة والسلام ولعمري ان كرم نبينا صلى الله عليه
وسلم مع قريش اقوى من كرم يوسف عليه السلام مع اخوته كما لا يخفى على
المتامل **ثم قال صلى الله عليه وسلم اذهبوا فانتم الطلقاء** في النهاية

واحدهم طليق فعيل بمعنى مفعول وهو الاسير اذا اطلق سبيله وفي الحديث الطلقاء
من قريش والعتقاء من ثقيف كانه ميز قريشا بهذا الاسم حيث هو
احسن من العتقاء وذكر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما نزل مكة
واطمان الناس خرج حتى جا البيت فطاف به سبعا على راحلته يستلم الركن
بمحجن في يده فلما قضى طوافه دعا عثمان بن طلحة رضي الله عنه فاخذ منه مفتاح
الكعبة ففتحت له فدخلها فوجد بها حمامة من عيدان فكسرها بيده ثم طرحها
ثم وقف على باب الكعبة فقال لا اله الا الله وحده لا شريك له صدق الله
وعده ونصر عبده وهزم الاحزاب وحده الا كل ماثرة او دم او مال
يدعى فهو تحت قدمي هاتين الا سدانة البيت وسقاية الحاج
الا وقتيل الخطا شبه العمد السوط والعصا ففيه الدية مغلظة
مائة من الابل اربعون منها في بطونها اولادها يا معشر قريش ان
الله عز وجل اذهب عنكم نخوة الجاهلية وتعظمها بالاباء الناس من
ادم وادم من تراب ثم تلا هذه الاية يا ايها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى
الاية ثم قال يا معشر قريش ما ترون اني فاعل فيكم قالوا خيرا اخ كريم وابن
اخ كريم ثم قال اذهبوا فانتم الطلقاء ثم جلس في المسجد فقام اليه علي
رضي الله عنه ومفتاح الكعبة في يده فقال يا رسول الله اجمع لنا الحجابة
مع السقاية صلى الله عليك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اين عثمان
ابن طلحة رضي الله عنه فدعي له فقال هذا مفتاحك يا عثمان اليوم يوم
بر ووفا وقد ذكر الواقدي ان الذي طلب الحجابة من رسول الله صلى الله عليه
وسلم

وسلم العباس بن عبد المطلب وذلك لما ناول عثمان المفتاح للنبي صلى الله
عليه وسلم بسط العباس رضي الله عنه يده فقال يا نبي الله بابي انت اجمع
لنا الحجابة والسقاية فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اعطيكم ما ترزؤون
فيه ولا اعطيكم ما ترزؤون منه واقول مراد النبي صلى الله عليه وسلم
بذلك تنزيه اقاربه وال بيته من الدناءة واوساخ الناس فان السقاية
هم يجودون على الناس بماء زمزم والناس يسالونهم وهم لا يسالون
احدا واما الحجابة فان الحاجب يرجو الاحسان من كل داخل للبيت
فهم يؤملون احسان الناس وهذا شان نبينا صلى الله عليه وسلم في اهل
بيته فانه لا يرضى لهم اوساخ الناس ولهذا حرم عليهم الصدقة هذا
وان هذا الحديث كما اخرجه اصحاب السير واخرجه الواقدي في مغازيه
باطول من ذلك ورواه ايضا حميد بن زنجويه في كتاب الاموال من
طريق ابن ابي حسين قال لما فتح رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة
دخل البيت ثم خرج فوضع يده على عضادتي الباب فقال ماذا تقولون
فقال سهيل بن عمرو نقول خيرا ونظن خيرا اخ كريم وابن اخ كريم وقد
قدرت فقال اقول كما قال اخي يوسف عليه السلام لا تثريب عليكم اليوم
واخرج النسائي والبيهقي عن ابي هريرة قال لما فتح رسول الله صلى الله
عليه وسلم مكة الحديث وفيه جا فاخذ بعضادتي الباب ثم قال يا معشر قريش
ما تقولون قالوا نقول ابن اخ وابن عم رحيم كريم اعاد عليهم القول فقالوا
مثل ذلك قال فاني اقول كما قال اخي يوسف عليه السلام لا تثريب عليكم اليوم

يغفر الله لكم وهو ارحم الراحمين وابن مسعود رضي الله عنه من طريق الزهري
عن بعض آل عمر رضي الله عنه قال لما كان يوم الفتح قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم مثلي ومثلكم كما قال يوسف لاخوته لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله
لكم وهو ارحم الراحمين **وقال انس رضي الله عنه هبط ثمانون رجلا**
من التنعيم في تهذيب النووي هو بفتح التا وهو بلد طرف حرم مكة من
جهة المدينة والشام على ثلاثة اميال وقيل اربعة من مكة سمي بذلك لان
عن يمينه جبلا يقال له نعيم وعن شماله جبلا يقال له ناعم والوادي نعمان
اي بفتح النون كسحبان **صلاة الصبح** اي زمن صلاة الصبح **ليقتلوا**
رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخذوا فاعتقهم رسول الله صلى الله عليه وسلم
فانزل الله عز وجل وهو الذي كف ايديهم عنكم وايديكم عنهم الاية
والمراد ببطن مكة الحديبية وقيل كانوا ثلاثين قال عبد الله بن مغفل المزني كنا
مع النبي صلى الله عليه وسلم بالحديبية في اصل الشجرة فبينا نحن كذلك اذ خرج
علينا ثلاثون شابا عليهم السلاح فثاروا في وجوهنا فدعا عليهم النبي صلى
الله عليه وسلم فاخذ الله عز وجل بابصارهم فقال لهم رسول الله صلى الله عليه
وسلم هل جئتم في عهد احد وهل جعل لكم احد امانا قالوا اللهم لا فخلى
سبيلهم فانزل الله عز وجل هذه الاية وفي سيرة ابن هشام كانت قريش
قد جاءتهم نحو سبعين رجلا او ثمانين رجلا للايقاع بالمسلمين وانتهاز
الفرصة في اطرافهم ففطن المسلمون لهم فاخذوهم اسرى وكان ذلك
والسفراء يمشون بينهم بالصلح فاطلقهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فهم الذين

يسمون

يسمون العتقاء ومنهم معاوية وابوه رضي الله عنهما وقيل ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم اخبر ان عكرمة بن ابي جهل خرج اليه في خمسمائة فارس
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لخالد بن الوليد رضي الله عنه هذا ابن عمك
اتاك في خمسمائة فارس فقال خالد رضي الله عنه انا سيف الله عز وجل
وسيف رسوله صلى الله عليه وسلم فيومئذ سمي سيف الله فخرج ومعه
خيل وهزم الكفار ودفعهم الى حوائط مكة والعجب من بعض الحنفية
كيف استدل بهذه الاية على ان مكة فتحت عنوة زاعما ان ذلك يوم
الفتح وقد قال فيها ان الله اظفرهم بهم وهذا الاستدلال ضعيف
لوجهين الاول ان الله عز وجل قال وهو الذي كف ايديهم عنكم وايديكم
عنهم فلم يحصل قتال فينبغي ان يكون دليلا لمن قال انها فتحت صلحا فيحتاج
الى ان يقول ان الاية نزلت بعد فتح مكة لانه عبر فيها بصيغة الماضي في قوله
كف ايديهم عنكم وفي قوله اظفركم عليهم وليس كذلك فان الاية نزلت في
الحديبية قبل فتح مكة الثاني ان مفتي دار السلطنة ابا السعود قال
في تفسيره وذلك ان عكرمة بن ابي جهل خرج في خمسمائة الى الحديبية
فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد على جند فهزمهم حتى
ادخلهم حيطان مكة يوم الفتح انتهى واقول هذا الكلام متناقض
لان فتح مكة متاخر عن يوم الحديبية لان غزوة الحديبية كانت سنة
ست في ذي القعدة وكان خروج النبي صلى الله عليه وسلم الى المدينة يوم
الاثنين لهلال ذي القعدة واما فتح مكة فكان في رمضان سنة ثمان

مناقشة مع ابي السعود افندي رحمه الله

سقيمة

على انه يجي عكرمة بهولا الجماعة كان والنبي صلى الله عليه وسلم مقيم بالحديبية
واراد ان يقاتل النبي صلى الله عليه وسلم فارسل اليه خالد بن الوليد فرده الى
ان اوصله الى جدران مكة فيكون كف ايديهم عن المسلمين بالحديبية
نعم قيل ان هذا الكف انما كان يوم فتح مكة لكن لا يلايمه القصة فهذا سهو
من هذا العلامة ولعل نسختنا التي وقفنا فيها على ذلك سقيمة
واما الاستدلال على كون مكة فتحت صلحا او عنوة فهو مذكور في كتب
الفقه الخلافية وليس هذا محل بيانه وفي الكشاف في قوله عز وجل
وهو الذي كف ايديهم اي قضى بينكم وبينهم بالمكافة والمحاجزة واقول
هذا التفسير قصد به صرف الاية عن ظاهرها الشعر بان الله عز وجل هو الكاف
وان الكف خلقه وايجاده كما تقول به الاشاعرة وجميع اهل السنة من ان الله
عز وجل هو الذي يخلق افعال العبد والمعتزلة يقولون ان الله عز وجل يقضي
على العبد بالفعل والعبد يخلق فعل نفسه ولذلك سكت عن ذلك المفسرون
من اهل السنة كالبيضاوي ونحوه هذا وان حديث انس المذكور
رواه مسلم في صحيحه والترمذي وابو داود وقال اي النبي صلى الله عليه وسلم
لابي سفيان هو ابو سفيان صخر بن حرب بن امية بن عبد شمس بن عبد مناف
القرشي الاموي وهو والد يزيد ومعاوية وام حبيبة ام المؤمنين ولد قبل
الفيل بعشر سنين كان من اشراف قريش وكان تاجرا يجهز التجار بماله
واموال قريش الى الشام وغيرها من ارض العجم وكان يخرج احيانا بنفسه
وكانت اليه راية الروسا التي تسمى العقاب واذا حميت الحرب اجتمعت قريش

بيان قصد الكشاف

ترجمة ابي سفيان رضي الله عنه

فوضعها

فوضعها بيد الرئيس وقيل كان افضل قريش رايا في الجاهلية ثلاثة عتبة
وابو جهل وابو سفيان فلما اتى الله عز وجل بالاسلام ادبر وافق الراي وهو
الذي قاد قريشا كلها يوم احد ولم يقدها قبل ذلك رجل واحد الا يوم ذات
نكيف قادها المطلب قاله العسكري وكان ابو سفيان صديق العباس
ليلة الفتح شهد ابو سفيان مع النبي صلى الله عليه وسلم حنينا واعطاه
رسول الله صلى الله عليه وسلم من غنائمها مائة بعير واربعين اوقية واعطى
ابنيه يزيد ومعاوية رضي الله عنهما كل واحد مثله وشهد الطائف
مع النبي صلى الله عليه وسلم ففقئت عينه يومئذ وفقئت الاخرى يوم
اليرموك وشهد اليرموك تحت راية ابنه يزيد وكان من المؤلفة ثم
حسن اسلامه توفي رضي الله عنه في خلافة عثمان رضي الله عنه سنة
اثنتين وثلاثين وقيل ثلث وثلثين وصلى عليه عثمان وقيل صلى
عليه ابنه معاوية وكان عمره ثمانيا وثمانين سنة وقيل ثلاثا وتسعين
سنة وقد سيق اي ابو سفيان اليه اي الى النبي صلى الله عليه وسلم وجملة
وقد سيق حال من فاعل قال اي قال له هذه المقالة الاتية في هذه
الحالة وهي حالة سوقه اليه والذي ساقه اليه هو العباس عم النبي صلى
الله عليه وسلم وقصته هي ان النبي صلى الله عليه وسلم لما سار الى مكة ليفتحها
نزل مر الظهران عشا فامر اصحابه فاوقدوا عشرة الاف نار وجعل على
الحرس عمر بن الخطاب رضي الله عنه واراد ان يدخلها قهرا ويقتل كفارها
فرقت نفس العباس لاهل مكة فجلست على بغلة النبي صلى الله عليه وسلم

البيضاء فخرجت عليها حتى جئت الاراك فقلت لعلي اجد بعض الحطابة
او صاحب لبن او ذا حاجة ياتي مكة فيخبرهم بمكان رسول الله صلى الله عليه
وسلم ليخرجوا اليه فيستامنوه قبل ان يدخلها عنوة فوالله اني لاسير
عليها اذ سمعت كلام ابي سفيان وبديل بن ورقاء وهما يتراجعان وابو سفيان
يقول ما رايت كالليلة نيرانا قط ولا عسكرا قال يقول بديل هذه والله خزاعة
حمشتها الحرب فيقول ابو سفيان خزاعة اذل واقل من ان تكون هذه نيرانها
وعسكرها قال فعرفت صوته فقلت يا ابا حنظلة فعرف صوتي فقال
ابو الفضل قلت نعم قال ما لك فداك ابي وامي قلت والله هذا رسول الله
صلى الله عليه وسلم في الناس واصباح قريش والله قال فما الحيلة
فداك ابي وامي قال قلت والله لئن ظفر بك ليضربن عنقك فاركب في عجز
هذه البغلة حتى اتي بك رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستامنه لك فركب
خلفي ورجع صاحباه قال فجئت به كلما مررت بنار من نيران المسلمين
قالوا من هذا واذا راوا بغلة رسول الله صلى الله عليه وسلم وانا عليها قالوا
عم رسول الله صلى الله عليه وسلم على بغلته حتى مررت بنار عمر بن الخطاب رضي
الله عنه فقال من هذا وقام الي فلما راى ابا سفيان على عجز الدابة قال
ابو سفيان عدو الله الحمد لله الذي امكن منك بغير عقد ولا عهد ثم خرج
يشتد نحو رسول الله صلى الله عليه وسلم وركضت البغلة فدخلت على
رسول الله صلى الله عليه وسلم ودخل عليه عمر رضي الله عنه فقال يا رسول
الله هذا ابو سفيان فدعني فلاضرب عنقه قال قلت يا رسول الله اني

قد

قد اجرته ثم جلست الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخذت براسه فقلت
والله لا يناجيه الليلة رجل دوني فلما اكثر عمر في شانه قلت مهلا يا عمر فوالله
لو كان من رجال عدي بن كعب ما قلت مثل هذا قال مهلا يا عباس فوالله
لاسلامك يوم اسلمت كان احب الي من اسلام الخطاب لو اسلم وما
بي الا اني قد عرفت ان اسلامك كان احب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
من اسلام الخطاب فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذهب به يا عباس
الى رحلك فاذا اصبحت فاتني به فذهبت به فلما اصبح غدوت به على
رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما راه رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ويحك
يا ابا سفيان الم يان لك ان تعلم ان لا اله الا الله قال بابي انت وامي ما
احلمك واكرمك واوصلك لقد ظننت ان لو كان مع الله عز وجل اله غيره
لقد اغنى شيئا بعد قال ويحك يا ابا سفيان الم يان لك ان تعلم اني
رسول الله قال بابي انت ما احلمك واكرمك واوصلك اما والله هذه
فان في النفس حتى الان منها شيئا قال له العباس رضي الله عنه ويحك
اسلم واشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله قبل ان تضرب عنقك
قال فشهد شهادة الحق فاسلم قال العباس قلت يا رسول الله ان
ابا سفيان يحب الفخر فاجعل له شيئا قال نعم من دخل دار ابي سفيان
فهو امن ومن اغلق بابه فهو امن ومن دخل المسجد فهو امن ثم امر
العباس ان يحبس ابا سفيان بمضيق الوادي الحديث بطوله وهو
مذكور في كتب السير وقوله بعنوان جلب اليه الاحزاب جمع حزب وهو

الجند والجماعة اي بعد ان جلب اليه الجماعات في غزوة الاحزاب وهي
غزوة الخندق وكانت سنة خمس في شوال وقيل في ذي القعدة واسناد
جلب الاحزاب الى النبي صلى الله عليه وسلم لابي سفيان باعتبار ان ملاك
الامر في غزوة الاحزاب اليه والا فالذي كان سببا لتحزيب الاحزاب كان ح
ان نفرا من اليهود منهم سلام بن مشكم ابن ابي الحقيق وحيي بن اخطب
وكنانة بن الربيع بن ابي الحقيق النضريون في نفر من بني النضير ومن
بني وائل الذين حزبوا الاحزاب على رسول الله صلى الله عليه وسلم
خرجوا حتى قدموا على قريش مكة يدعونهم الى حرب رسول الله صلى الله
عليه وسلم وقالوا انا سنكون معكم عليه حتى نستاصله فاجتمع قريش
لحربه صلى الله عليه وسلم ثم خرج اليهود حتى جاوا غطفان من قيس بن
عيلان فدعوهم الى حرب رسول الله صلى الله عليه وسلم واخبروهم انهم سيكونون
معهم عليه وان قريشا قد تابعوهم على ذلك واجتمعوا معهم فيه فخرجت
قريش وقائدها ابو سفيان بن حرب وخرجت غطفان وقائدها
عيينة بن حصن في بني فزارة والحاصل انه نسب جلب الاحزاب اليه
باعتبار ان ملاك امرهم كان اليه وهو اول من انهزم منهم حين هزمهم الله
وحده عز وجل وقوله **وقتل عمه** اي عم نبينا صلى الله عليه وسلم اي حمزة
ابن عبد المطلب رضي الله عنه ونسب قتله الى ابي سفيان بن حرب الاموي
لانه كان امير الجيش يوم احد اي جيش كفار قريش والا فالذي باشر
قتل حمزة بيده وحشي بن حرب مولى جبير بن مطعم لان حمزة رضي الله عنه

اي بجنوده وعملائه

قتل

قتل طعيمة بن عدي بن الخيار ببدر فقال جبير بن مطعم وهو مولى
وحشي لوحشي وكان جبير ابن اخي طعيمة ان قتلت حمزة بعمي فانت
حر فلما ان خرج الناس في عام احد خرج وحشي معهم ثم كمن له تحت
صخرة فلما دنا منه رماه بحربته وكان له حربة يضرب على اسلوب اهل
م ت الحبشة لا تخطي موضعها في ثنته بضم المثلثة وسكون النون مع
تشديدها وهي العانة وقيل ما بين السرة والعانة وفي رواية للطيالسي
فجعلت الود من حمزة بشجرة ومعي حربتي حتى اذا استمكنت منه
هززت الحربة حتى رضيت منها ثم ارسلتها فوقعت بين ثندوتيه
فذهب ليقوم فلم يستطع والثندوة بفتح المثلثة وسكون النون
وضم المهملة بعدها واو خفيفة هي من الرجل موضع الثدي من
المراة والذي في الصحيح من ان الحربة اصابت ثنته هو الاصح وان
الحربة خرجت من بين وركيه قال فكان ذلك العهد به قال وحشي كما في
صحيح البخاري فلما رجع الناس رجعت معهم فاقمت بمكة حتى فشا فيها
الاسلام ثم خرجت الى الطائف فارسلوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
رسلا وقيل لي انه لا يهيج الرسل اي لا ينالهم منه ازعاج وفي
رواية للطيالسي فاردت الهرب الى الشام فقال لي رجل ويحك والله ما
ياتي احد محمدا صلى الله عليه وسلم يشهد بشهادة الحق الا خلى عنه قال
فانطلقت فما شعر بي الا وانا قائم على راسه اشهد بشهادة الحق
وفي رواية ابن اسحق فلم يرعه الا بي قائما على راسه وفي صحيح البخاري

اي بحيله ومكايده

حوكت هذه العبارة
بخواتم المصنف
الى قال وزعم الا
انه قائم ه
فليحرر

مع م

فخرجت معهم اي الرسل حتى قدمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم
فلما رآني قال انت وحشي قلت نعم قال انت قتلت حمزة قلت قد كان من
الامر ما بلغك قال فهل تستطيع ان تغيب وجهك عني فخرجت فلما
قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم فخرج مسيلمة الكذاب قلت لاخرجن
الى مسيلمة لعلي اقتله فاكافئ به حمزة رضي الله عنه قال فخرجت مع الناس
فكان من امره ما كان قال فاذا رجل قائم في ثلمة جدار كانه جمل اورق ثائر
الراس قال فرميته بحربتي فاضعها بين ثدييه حتى خرجت من بين
كتفيه قال فوثب اليه رجل من الانصار فضربه بالسيف على هامته قالت
جارية على ظهر بيت وا امير المومنين قتله العبد الاسود وقوله **واصحابه**
اي وقتل ابو سفيان اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم يوم احد والا فنسب
قتلهم اليه باعتبار كونه امير السرية التي جاءت لقتال النبي صلى الله عليه وسلم
يوم احد والا فالمباشر لقتلهم اناس آخرون غيره وفي صحيح البخاري قتل
يوم احد سبعون رجلا من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وقد سرد ابن اسحق
اسماء من استشهد يوم احد من المسلمين فبلغوا خمسة وستين منهم
اربعة من المهاجرين حمزة وعبد الله بن جحش وشماس بن عثمان ومصعب بن
عمير واغفل ذكر سعد مولى حاطب وقد ذكره موسى بن عقبة وروى الحاكم
في الاكليل وابن منده من حديث ابي بن كعب قال قتل من الانصار يوم احد
اربعة وستون ومن المهاجرين ستة ولعل السادس هو ثقف بن عمرو الاسلمي
حليف بني عبد شمس فقد عده الواقدي منهم وعد ابن سعد ممن استشهد

باحد

باحد من غير الانصار الحرث بن عقبة بن قابوس المزني وعمه وهب بن
قابوس وعبد الله وعبد الرحمن ابني الهبيب بموحدتين مصغر من
بني سعد بن ليث ومالك والنعمان ابني خلف بن عوف الاسلميين
قال انهما كانا طليعة للنبي صلى الله عليه وسلم فقتلا ولعلهم لا كانوا من
حلفاء الانصار فعدوا فيهم فان كانوا من غير المعدودين اولا فيحتمل
تكميل العدة سبعين من الانصار ويكون جملة من قتل من المسلمين
اكثر من سبعين فمن قال قتل منهم سبعون الغى الكسر **ومثل** اي ابو سفيان
بهم اي باصحاب النبي صلى الله عليه وسلم في النهاية الاثيرية يقال مثلت
بالحيوان امثل به مثلا اذا قطعت اطرافه وشوهت به ومثلت بالقتيل
اذا جدعت انفه او اذنه او مذاكيره او شيئا من اطرافه والاسم المثلة
فاما مثل بالتشديد فهو للمبالغة ومنه الحديث نهى رسول الله صلى
الله عليه وسلم ان يمثل بالدواب اي تنصب فترمى او تقطع اطرافها وهي
حية انتهى واسند المصنف التمثيل باصحاب النبي صلى الله عليه وسلم
الى ابي سفيان لانه امير السرية الكافرة فكل ما صدر منهم كان في قوة
الصادر عن امره وفي صحيح البخاري ان ابا سفيان قال بعد انقضاء الحرب
في غزوة احد وتجدون مثلة لم آمر بها ولم تسؤني اي لم اكرهها وان كان
وقوعها بغير امري وفي السيرة الاسحاقية ووقعت هند بنت عتبة
والنسوة اللاتي معها يمثلن بالقتلى من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم
يجدعن الاذان والانف حتى اتخذت هند من اذان الرجال وانفهم خدما

وقلائد واعطت خدمها وقلائدها واقرطتها وحشيا غلام جبير بن مطعم
وبقرت عن كبد حمزة رضي الله عنه فلاكتها فلم تستطع ان تسيغها فلفظتها
ثم علت على صخرة مشرفة فصرخت باعلى صوتها فقالت

نحن جزيناكم بيوم بدر ۔ والحرب بعد الحرب ذات سعر ۔ ما كان عن عتبة لي من صبر
ولا اخي وعمه وبكر ۔ شفيت نفسي وقضيت نذري ۔ شفيت وحشي غليل صدري ۔
فشكر وحشي علي عمري ۔ حتى ترم اعظمي في قبري ۔ فاجابتها هند بنت
اثاثة وهي اخت مسطح بن اثاثة اسلمت فقالت

خزيت في بدر وبعد بدر ۔ يا بنت وقاع عظيم الكفر ۔ صبحك الله غداة الفجر ۔
بالهاشميين الطوال الزهر ۔ بكل قطاع حسام يفري ۔ حمزة ليثي وعلي صقري ۔
اذ رام شيب وابوك غدري ۔ فخضبا منه ضواحي النحر ۔ ونذرك السوء فشر نذر ۔

وفي السيرة اليعمرية وقال ابن اسحق وخرج رسول الله صلى الله عليه
وسلم فيما بلغني يلتمس حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه فوجده ببطن
الوادي قد بقر بطنه عن كبده ومثل به فجدع انفه واذناه وفيها بسنده
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم وقف على حمزة بن عبد المطلب حين استشهد حين ح
فنظر الى شي لم ينظر الى شي قط كان اوجع لقلبه منه ونظر قد مثل به فقال
رحمة الله عليك فانك كنت ما علمتك فعولا للخيرات وصولا للرحم
ولولا حزن من بعدي عليك لسرني ان ادعك حتى تحشر من افواه شتى
ام والله مع ذلك لامثلن بسبعين منهم قال فنزل جبريل عليه السلام
والنبي صلى الله عليه وسلم واقف بعد بخواتيم سورة النحل وان عاقبتم

فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به ولئن صبرتم لهو خير للصابرين الى اخر السورة
فصبر رسول الله صلى الله عليه وسلم وكفر عن يمينه وامسك عما اراد وممن
مثل به يوم احد انس بن النضر عم انس بن مالك ففي صحيح البخاري
بسنده عن انس بن مالك قال غاب عمي انس بن النضر عن قتال بدر
فقال يا رسول الله غبت عن اول قتال قاتلت المشركين لئن الله عز
وجل اشهدني قتال المشركين ليرين الله عز وجل ما اصنع فلما كان يوم
احد وانكشف المسلمون قال اللهم اني اعتذر اليك مما صنع هولا يعني
اصحابه وابرا اليك مما صنع هولا يعني المشركين ثم تقدم فاستقبله
سعد بن معاذ رضي الله عنه فقال يا سعد بن معاذ الجنة ورب
النضر اني اجد ريحها من دون احد فقال سعد فما استطعت يا
رسول الله ما صنع قال انس رضي الله عنه فوجدنا به بضعا وثمانين
ضربة بالسيف او طعنة بالرمح او رمية بسهم ووجدناه قد قتل وقد مثل
به المشركون فما عرفه احد الا اخته ببنانه فقال انس كنا نرى او نظن ان
هذه الاية نزلت فيه وفي اشباهه من المومنين رجال صدقوا ما
عاهدوا الله عليه الى اخر الاية الحديث وممن مثل به عبد الله بن جحش
ففي السيرة اليعمرية عن سعد بن ابي وقاص رضي الله عنه ان عبد الله بن
جحش قال له يوم احد الا تاتي ندعو الله عز وجل فخلوا في ناحية فدعا
سعد فقال يا رب اذا لقيت العدو غدا فلقني رجلا شديدا باسه
شديدا حرده اقاتله فيك ويقاتلني ثم ارزقني عليه الظفر حتى اقتله واخذ

سلبه فاقتل عبد الله بن جحش ثم قال اللهم ارزقني غدا رجلا شديدا باسه شديدا حرده اقاتله فيك ويقاتلني فيقتلني ثم ياخذني فيجدع انفي واذني فاذا لقيتك قلت يا عبد الله فيم جدع انفك واذنك فاقول فيك وفي رسولك فيقول الله صدقت قال سعد كانت دعوة عبد الله بن جحش خيرا من دعوتي لقد رايته اخر النهار وان اذنه وانفه معلقان في خيط وقوله فعفا عنه ولاطفه في القول وقوله ويحك يا ابا سفيان الم يان لك يقال انى يانى حان وقته اي الم يدن وقت علمك الى اخره ان تعلم ان لا اله الا الله معناه قال لم تقل ان تقول لا اله الا الله للاشارة الى ان المخلص له من عذاب الله العلم الذي هو صفة توجب تمييزا لا يحتمل النقيض ولا يكفي مجرد التصديق لانه قد يكون ظنا لان التصديق اذعان النسبة لا سيما وابو سفيان وقع له امور تقتضي عجز الهته التي كان يعبدها وانها لا تغني شيا ولا تفيد دره فعلم بالعلم اليقيني انحصار الالاهية في مالك الملك عز وجل فقال اي ابو سفيان بابي انت وامي ما احلمك واوصلك والاكرمكم اي اكثر صلتك لارحامك واقاربك وصلة الرحم كناية عن الاحسان الى الاقربين من ذوي النسب والاصهار والتعطف عليهم والرفق بهم والرعاية لاحوالهم وكذلك ان بعدوا واساوا وقطع الرحم ضد ذلك كله يقال وصل رحمه يصلها وصلا وصلة والهاء فيها عوض من الواو المحذوفة فكانه بالاحسان اليهم قد وصل ما بينه وبينهم من القرابة والصهر وابو سفيان كان من بني عم النبي

يا رسول الله

صلى

صلى الله عليه وسلم لانه يجمع بينهما عبد مناف فهو جدهما وكان صهر النبي صلى الله عليه وسلم لان نبينا صلى الله عليه وسلم تزوج بابنته ام حبيبة رضي الله عنها وكان صلى الله عليه وسلم ابعد الناس غضبا واسرعهم رضا صلى الله عليه وسلم وهذه الصفة احسن الصفات فان الناس اربعة فمنهم كالحلفا سريع الوقود سريع الخمود وبعضهم كالعصا بطي الوقود بطي الخمود وبعضهم بطي الوقود سريع الخمود وهو الاحمد ما لم ينته الى فتور الغيرة والحمية وبعضهم سريع الوقود بطي الخمود وهذا هو شرهم وفي الخبر المومن سريع الغضب سريع الرضا فهذه بتلك وقال الشافعي رضي الله عنه من استغضب فلم يغضب فهو حمار ومن استرضي فلم يرض فهو شيطان وقال ابو سعيد الخدري قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الا ان بني ادم خلقوا على طبقات شتى فمنهم بطي الغضب سريع الفي ومنهم سريع الغضب سريع الفي فهذه بتلك ومنهم سريع الغضب بطي الفي الا وان خيرهم البطي الغضب السريع الفي وشرهم السريع الغضب البطي الفي ذكره الغزالي في الاحيا

فصل

واما الجود والكرم والسخا والسماحة فمعانيها متقاربة وقد فرق بعضهم بينها بفروق فجعلوا الكرم الانفاق بطيب النفس فيما يعظم خطره ونفعه وسموه ايضا حرية الذي فهمناه من كلام العارفين ان الحرية صفة يتولد منها الايثار والايثار نهاية السخا لانه عبارة عن البذل مع الحاجة وذلك يتولد من الحرية لان المؤثر حرر نفسه عما خرج عنه فاثر به

ولهم حرية اخص من هذه وهي ان لا يكون العبد بقلبه تحت رق شي من المخلوقات
لا من اعراض الدنيا ولا من اعراض الاخرة فيكون فردا للفرد لم يسترقه
عاجل دنيا ولا اجل هوى ولا اجل منى ولا سول ولا قصد ولا ارب ولا
حظ فيكون تسميتهم للانفاق بطيب النفس حرية من قبيل تسمية
المسبب باسم السبب وهو اي الكرم الذي هو الانفاق بطيب
النفس ضد النذالة بنون ثم ذال معجمة في القاموس النذل والنذيل
الخسيس من الناس المحتقر في جميع احواله والسماحة التجافي عما
يستحقه المرء عند غيره بطيب نفس وهو ضد الشكاسة في القاموس
الشكس ككتف البخيل والسخا سهولة الانفاق وتجنب اكتساب
ما لا يحمد وهو الجود وهو ضد التقتير وفي الاحيا لابي حامد الغزالي
اعلم ان السخا والبخل كل واحد منهما ينقسم الى درجات فارفع درجات السخا
الايثار وهو الجود بالمال مع الحاجة اليه وانما السخا عبارة عن بذل ما
لا يحتاج اليه لمحتاج او غير محتاج والبذل مع الحاجة اشد وكما ان
السخا قد ينتهي الى ان يسخو على غيره مع الاحتياج فكذلك البخل قد
ينتهي الى ان يبخل على نفسه مع الحاجة انتهى فدل كلامه على ان الايثار
اخص من السخا فكل ايثار سخا ولا عكس واما البخل فقيل هو منع
الواجب فكل من ادى ما يجب عليه فليس ببخيل وهذا غير كاف فان
من يرد اللحم مثلا الى القصاب او الخبز الى الخباز بنقصان حبة او نصف حبة
يعد بخيلا بالانفاق وكذا من سلم الى عياله القدر الذي يفرضه القاضي

٤

ثم يضايقهم في لقمة زادوا عليه بها او تمرة اكلوها من ماله يعد بخيلا ايضا
وقيل البخيل الذي يستصعب العطية وعلى ذلك مشى المصنف فانه جعل
السخا سهولة الانفاق فاذا كان الانفاق صعبا كان ذلك بخلا وهذا
القول قاصر فانه ان اريد به انه يستصعب كل عطية فكم من بخيل لا
يستصعب العطية القليلة كالحبة وما يقرب منها ويستصعب ما
فوقها ورب جواد يستصعب بعض العطايا كعطية تستغرق جميع
ماله وهذا لا يوجب الحكم عليه بالبخل واما الجود وهو الكرم فقيل هو
عطا من غير مسألة على روية التقليل وقيل هو السرور بالسائل
والفرح بالعطا وقيل الجود عطا على روية ان المال لله عز وجل والعبد
لله سبحانه فيعطي عبد الله مال الله وقيل من اعطى البعض وابقى لنفسه
البعض فهو صاحب سخا ومن بذل الاكثر وابقى لنفسه شيا فهو
صاحب جود ومن قاسى الضرا واثر غيره بالبلغة فهو صاحب ايثار
ومن لم يبذل شيا فهو صاحب بخل والصحيح ان الامساك حيث
يجب البذل بخل والبذل حيث يجب الامساك تبذير وبينهما وسط
وهو المحمود وينبغي ان يكون السخا والجود عبارة عنه اذ لم يومر
رسول الله صلى الله عليه وسلم الا بالسخا وقد قيل له لا تجعل يدك مغلولة الى
عنقك ولا تبسطها كل البسط وقال سبحانه والذين اذا انفقوا لم
يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما فالجود وسط بين الاسراف والاقتار
وبين البسط والقبض وهو ان يقدر بذله وامساكه بقدر الواجب

وسط دائرة الجود ... بين تبذير وبخل

ومع ذلك يطيب قلبه بما انفق فان نازعته نفسه في محل يجب البذل ومع ذلك
خالفها وبذل فهو متسخ وليس بسخي والمراد بالذي يجب بذله ما اوجبه
الشرع او المروة ثم ان قوله وهو اي الجود والسخا ضد التقتير قال
شيخنا الرضي بن الشاذي واما التقتير فضد الاسراف ومثله القتر
يقال قترت الشي اقتره وقترته اي ضيقت الانفاق فيه قال تعالى
والذين اذا انفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما ثم يمكن
ان يقال ان البخل والتقتير متلازمان لامترادفان ليكون كل منها دفان
ضد للسخا انتهى واقول التقتير ضد للاسراف وضد للسخا ايضا
لان السخا عبارة عن الرتبة الوسطى بين الاسراف والتقتير
فالتقتير له ضدان الاسراف والسخا ورب شي له اضداد متعددة
واما قوله ان البخل والتقتير متلازمان فغير مسلم لان التلازم يقتضي
التساوي في الماصدق فانا نجد البخل يوجد بدون التقتير كما في رجل
طبيعته البخل لكنه يتسخى فينفق نفقة كثيرة مع انه بخيل غير مقتر ورب
سخي يقتر فالتقتير راجع الى الصفة الظاهرية والسخا والبخل صفتان
نفسانيتان وعلى تقدير تلازمهما فلا يلزم من كونهما متلازمين ان
يكون كل منهما ضدا للسخي فانه لا يلزم من كون شي ضد الشي ان يكون
لازمه ولا ملزومه ضدا لذلك الشي الا ترى ان الضاحك بالقوة
والانسان متلازمان والضاحك ضد الباكي والانسان ليس ضدا للباكي
وكذلك المتحرك بالقوة بالاختيار والحيوان متلازمان والمتحرك بالوصف

المذكور

المذكور ضد الساكن مع ان الحيوان ليس ضدا للساكن وكان اي النبي صلى
الله عليه وسلم لا يوازى في هذه الاخلاق في النهاية الاثيرية الموازاة المقابلة
والمواجهة والاصل فيه الهمزة تقول آزيته اذا حاذيته قال الجوهري
ولا تقل وازيته وغيره اجازه على تخفيف الهمزة وقلبها وهذا لا يصح
الا اذا انفتحت وانضم ما قبلها نحو جون وسوال فيصح في الموازاة
ولا يصح في وازينا الا ان يكون بالواو فيكون على قول من اجازه وهم ما
عدا الجوهري وفي الحديث في صلاة الخوف فوازينا العدو وهو نظير
واخيته بمعنى آخيته ويحتمل ان يكون بالهمزة الا انها كتبت بالواو
على نحو ما يسهل به نحو موجل وفئة ولا يباري في الصحاح فلان يباري
فلانا اي يعارضه ويفعل مثل فعله وهما يتباريان بهذا اي بصفة
الجود والكرم وصفه كل من عرفه حدثنا القاضي الشهيد ابو علي
الصدفي هو ابن سكرة والصدفي نسبة الى الصدف بفتح الدال قرية بقرب
القيروان قال حدثنا القاضي ابو الوليد الباجي نسبة الى باجة بلد
بافريقية قاله في القاموس منه عبد الله بن محمد وابو الوليد سليمان بن خلف
الامام المصنف انتهى وابو الوليد سليمان هو هذا الامام قال حدثنا
ابو ذر الهروي قال حدثنا ابو الهيثم الكشميهني قال البرهان الحلبي
هو بضم الكاف وسكون الشين المعجمة وكسر الميم وسكون اليا التحتية
نقطتان وفتح الها بعدها ثم نون كذا قيده ابن الاثير في كتاب الانساب
ورايته بخط الحافظ ابن عبد الهادي في طبقات الحفاظ في ترجمة ابي ذر

قبلها ضمة من كلمة اخرى كقراءة
ابي عمرو السفهاء الا
انهى فقول المصنف
لا يوازى اما ان يكون صح

مفتوح الميم بالقلم وكذا هو في هذه النسخة بالشفا وهي نسخة صحيحة
وصورتها في الاصل المذكور الكشميهني والصواب ما ذكرته فليحرر
انتهى واقول وجد في نسختي التي بيدي الآن محذوف يا النسبة وهو
قضية كلام البرهان الحلبي فانه لم يذكر في ضبطه انه مختوم بيا النسبة
وقد رايته مصرحا في بعض حواشي هذا الكتاب وكتبت بخطي في
شيبيتي على هامش نسختي الصواب انه لا يا فيها اي يا النسبة وكتب
في هذه النسخة فوق هذه اللفظة بعد ان رقمها بهذه الصورة الكشميهن
لفظ صح مع ان النسبة في هذه اللفظة مرادة كيف وهو منسوب الى
قرية من قرى مرو القديمة وقد خربت خرج منها جماعة لكنها على هذا
التقدير نسبة على غير القياس **وابو محمد السرخسي** نسبة الى سرخس
بفتح السين والرا بلد عظيم بخراسان بلا نهر **وابو اسحق البلخي** هو
ابو اسحق ابرهيم بن احمد بن ابرهيم بن احمد بن ابرهيم بن احمد بن داود
المستملي وهو منسوب الى بلخ هو بلد عظيم ورا النهر **قال حدثنا**
ابو عبد الله الفربري نسبة الى فربر في القاموس فربر كسبحل
بلد ببخارا **قال حدثنا البخاري** هو محمد بن اسمعيل صاحب الصحيح
قال حدثنا محمد بن كثير بفتح الكاف وكسر الثا المثلثة العبدي البصري
توفي سنة ثلاث وعشرين ومائتين اخرج له الائمة الستة كلهم
قال حدثنا سفيان هو الثوري وهذا الحديث المذكور رواه سفيان
ابن عيينة ايضا عن محمد بن المنكدر لكن رواية ابن عيينة تفرد بها مسلم

فلا

فلا تشتبه عليك **عن ابن المنكدر** هو محمد بن المنكدر بن عبد الله التيمي
المدني الحافظ يروي عن عائشة وابي هريرة اخرج له الستة مات سنة
ثلاثين ومائة وقيل سنة احدى وثلاثين **قال سمعت جابر بن عبد الله**
رضي الله عنهما يقول ما سئل النبي صلى الله عليه وسلم عن شي قط فقال لا — شيا
في شرح شيخنا الرضي بن الشاذلي ما لفظه اخرجه الترمذي ايضا في
الشمائل ولقد قال حسان بن ثابت رضي الله عنه

من البسيط

ما قال لا قط الا في تشهده ۝ لولا التشهد لم تسمع له لاء

قصر لا اولا ومدها ثانيا لامر قرره اهل العربية فان قلت ما وجه ما
في هذا الشعر من الحصر والنبي صلى الله عليه وسلم القائل لا يلدغ المومن — مطلب
الى غير ذلك من الاحاديث الجمة المشتملة على كلمة لا قلت عندي ان ذلك
وارد على سبيل المبالغة في المدح وفيه قيد ترك اظهاره لافادتها
والمراد انه صلى الله عليه وسلم ما قال لا الا في التشهد وشبهه ويعني
بشبهه كل ما لم يكن جواب سوال من سال شيا من متاع الدنيا
وقد قال ابن رسلان في تفسير هذا الحديث اي ما سئل من متاع الدنيا شيا
فمنعه ونظير ذلك في الحديث لا يزني الزاني حين يزني وهو مومن اي وهو
مومن كامل ترك فيه اظهار الكمال تغليظا ومبالغة في الزجر على احتمال فيه
وكتب شيخنا بخطه على هامش نسخته والاحتمال الاخر انه فيه جعل
وجود الشي كعدمه لعدم الجري على موجبه كما ذكره في الكمال ثم قال وكذا
حديث مسلم بين العبد والكفر ترك الصلاة اي على وجه الجحد واما قوله

بينا الامر الناهي فلا احد ابر في قول لا منه وفي نعم ٥ فهو انما يقتضي
صدور لا عنه مطلقا وذا لا ينافي انها لم تكن لتصدر عنه اذا سئل عن شيء من
متاع الدنيا لجواز صدورها منه في غير تلك الحالة انتهى واقول
اما الحديث فهو في صحيح البخاري كما ذكره المصنف ورواه مسلم ايضا والترمذي
في الشمائل واما البيت المذكور فليس لحسان ومدائح حسان للنبي صلى الله
عليه وسلم مشهورة وليس هذا البيت منها نعم ذكر الكرماني ان الفرزدق قال
ما قال لا قط الا في تشهده لولا التشهد كانت لاءه نعم ٥ وزعم الكرماني
ان الفرزدق قال ذلك في شان نبينا صلى الله عليه وسلم مع ان البيت اسنده
بعضهم الى الفرزدق وانه قاله في حق زين العابدين بن الحسين في قصة طويلة
وقعت له ذكرها ابن خلكان في تاريخه وغيره على ان قصيدة الفرزدق التي
انشدها في زين العابدين مشهورة ولم نجد هذا البيت فيها ثم على تقدير
ان يكون حسان قال هذا البيت لا يكون ذلك مرادا على سبيل المبالغة في المدح
واي مدح في مجرد ترك لا او كيف يمدح تارك كلمة لا وكلمة السعادة التي كانت
ديدن محمد صلى الله عليه وسلم مصدرة بلا وهي لا اله الا الله والاحاديث المصدرة
بكلمة لا اكثر من ان تحصى ثم انه جعل القيد المحذوف الذي ترك اظهاره لاجل
المبالغة قوله وشبهه فقوله وشبهه ليس قيدا وانما هو معطوف والمعطوف
ليس من القيود بل عندي الاولى في ذلك ان يكون ذكر التشهد واراد به كل ما
هو خير من باب ذكر المقيد وارادة المطلق لان التشهد خير يختم به الصلاة
او يفصل به بين الركعتين الاوليين وما بعدهما واراد به مطلق الخير فيكون

مجازا

مجازا مرسلا والقرينة على ذلك ان صدق المقال يؤدي اليه لان النبي صلى الله
عليه وسلم كثر منه النطق بكلمة لا فان قلت فكيف الكلام على هذا الحديث
الذي نحن بصدده قلت قال الكرماني معناه ما طلب منه شيء من
امر الدنيا فمنع واقول فيه نظر اذ ليس المراد انه يعطي ما يطلب منه
حتما بل المراد انه لا ينطق بالرد بل ان كان عنده اعطاه ان كان الاعطا
سائغا والا سكت وقد ورد بيان ذلك في حديث مرسل لابن الحنفية
اخرجه ابن سعد ولفظه اذا سئل فاراد ان يفعل قال نعم وان لم يرد
ان يفعل سكت وهو قريب من حديث ابي هريرة رضي الله عنه ما عاب
النبي صلى الله عليه وسلم طعاما قط ان اشتهاه اكله والا تركه قال الشيخ
عز الدين بن عبد السلام معناه لم يقل لا منعا للعطا ولا يلزم من ذلك
ان لا يقولها اعتذارا كما في قوله عز وجل قلت لا اجد ما احملكم عليه ولا يخفى
الفرق بين قوله لا اجد ما احملكم وبين لا احملكم واورد عليه ان في حديث
ابي موسى الاشعري رضي الله عنه المروي في الصحيحين ان النبي صلى الله عليه وسلم
حلف لا يحملهم فقال والله لا احملكم بعد ان سالوه الحملان فيمكن ان يخص
من عموم حديث جابر ما اذا سئل ما ليس عنده والسائل متحقق انه ليس
عنده ذلك او حيث كان المقام لا يقتضي الاقتصار على السكوت مع
حاجة السائل الجواب عن السؤال مثلا ويكون القسم على ذلك تاكيدا
لقطع طمع السائل فان قلت لم جمع النبي صلى الله عليه وسلم بين قوله والله
لا احملكم وبين قوله والله لا اجد ما احملكم قلت قوله لا اجد ما احملكم لبيان ان

الذي سئله لم يكن موجودا عنده وقوله لا احلكم لبيان انه لا يتكلف الاجابة الى ما سئل بالقرض او بالاستيهاب اذ لا اضطرار حينئذ الى ذلك وفهم بعضهم من لازم عدم قول لا اثبات نعم ورتب عليه انه يلزم منه تحريم البخل لان من القواعد انه صلى الله عليه وسلم اذا واظب على شي كان ذلك علامة وجوبه والحق ان البخل حرام في حق نبينا صلى الله عليه وسلم واما باقي الناس فمن البخل ما يكره في حقهم وفيه ما يحرم وفيه ما يباح بل ويستحب بل يجب وعن انس وسهل بن سعد مثله اي مثل هذا الحديث في اثبات الجود التام للنبي صلى الله عليه وسلم اما حديث انس فقد اخرجه مسلم في صحيحه عن انس قال ما سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم على الاسلام شيا الا اعطاه قال فجا رجل فاعطاه غنما بين جبلين فرجع الى قومه فقال يا قوم اسلموا فان محمدا صلى الله عليه وسلم يعطي عطا من لا يخشى الفاقة وفي رواية عنه ان رجلا سال النبي صلى الله عليه وسلم غنما بين جبلين فاعطاه اياه فاتى قومه فقال اي قوم اسلموا فوالله ان محمدا صلى الله عليه وسلم ليعطي عطا ما يخاف الفقر فقال انس رضي الله عنه ان كان الرجل ليسلم ما يريد الا الدنيا فما يسلم حتى يكون الاسلام احب اليه من الدنيا وما عليها ورواه البخاري بلفظ الاول واما حديث سهل بن سعد فرواه صاحب الوفا قال سهل كان رسول الله صلى الله عليه وسلم حييا لا يسال شيا الا اعطاه وفي صحيح البخاري بسنده عن سهل بن سعد قالت جاءت امراة الى النبي صلى الله عليه وسلم ببردة فقال سهل للقوم اتدرون ما البردة فقال القوم هي الشملة فقال سهل هي شملة

منسوجة

منسوجة فيها حاشيتها فقالت يا رسول الله اكسوك هذه فاخذها النبي صلى الله عليه وسلم محتاجا اليها فلبسها فراها عليه رجل من اصحابه فقال يا رسول الله ما احسن هذه فاكسنيها فقال نعم فلما قام النبي صلى الله عليه وسلم لامه اصحابه قالوا ما احسنت حين رايت النبي صلى الله عليه وسلم اخذها محتاجا اليها ثم سالته اياها وقد عرفت انه لا يسال شيا فيمنعه فقال رجوت بركتها حين لبسها النبي صلى الله عليه وسلم لعلي اكفن فيها وقال ابن عباس رضي الله عنهما كان النبي صلى الله عليه اجود الناس بالخير واجود ما كان في شهر رمضان وكان اذا لقيه جبريل اجود بالخير من الريح المرسلة الجود الكرم وهو من الصفات المحموده وقد اخرج الترمذي من حديث سعد ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الله عز وجل جواد يحب الجود واخرج الترمذي من حديث انس رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال انا اجود ولد ادم واجودهم بعدي رجل جاد بنفسه في سبيل الله عز وجل وفي صحيح البخاري من وجه اخر عن انس كان النبي صلى الله عليه وسلم اشجع الناس واجود الناس الحديث ورواية المصنف هذه جارية على مذهب مالك رضي الله عنه فقد نقل عن اصحابه انهم يكرهون ان يقال رمضان بدون شهر وعن القاضي ابي بكر بن الباقلاني منهم وكثير من الشافعية انه ان كان هناك قرينة تصرفه الى الشهر فلا تكره والجمهور على جواز ان يقال رمضان من غير ذكر شهر ومن كره ذلك استدل بحديث ضعيف رواه ابو معشر نجيح المدني عن ابي سعيد المقبري عن

مطلب

ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تقولوا رمضان
فان رمضان اسم من اسماء الله عز وجل ولكن قولوا شهر رمضان اخرجه
ابن عدي في الكامل وضعفه بابي معشر قال البيهقي وقد روي عن
ابي معشر عن محمد بن كعب وقد روي عن مجاهد والحسن من طريقين
ضعيفين وقد احتج البخاري في الصحيح بعد ان ترجم لجوازه بقوله
باب هل يقال رمضان او شهر رمضان ومن راى كله واسعا بقوله
صلى الله عليه وسلم من صام رمضان وبقوله لا تقدموا رمضان وبقوله
صلى الله عليه وسلم اذا جاء رمضان الحديث وقد ترجم النسائي لذلك ايضا
فقال باب الرخصة في ان يقال لشهر رمضان رمضان ثم اورد
النسائي عدة احاديث فيها ذكر رمضان بدون شهر وقوله واجود
يجوز ان يكون معطوفا على اجود الناس فيكون منصوبا عطفا على
خبر كان وحينئذ تكون ما مصدرية والفعل بعدها صلة وهي مع
صلتها في تاويل المصدر في محل الجر باضافة اجود اليها وكان التي هي صلة
ما تامة وقوله في رمضان في محل نصب على انه حال من الضمير المستتر في
كان التامة ويجوز ان يكون اجود معطوفا على النبي صلى الله عليه وسلم
فيكون مرفوعا عطفا على اسم كان وما كان في تاويل مصدر في محل جر
باضافة اجود اليها وفي كان ضمير مستتر يرجع الى النبي صلى الله عليه وسلم وهي تامة
حينئذ وفي رمضان في محل نصب خبر كان التي صدر بها الكلام ويجوز في
اجود في قوله واجود ما كان ان يكون مبتدا مضافا الى المصدر المؤول

ويجوز

ويجوز في رمضان ان يكون في محل نصب حالا سد مسد الخبر والتقدير
اجود ما كان النبي صلى الله عليه وسلم جوده في رمضان على ما اختاره ابن مالك
في هذا التقدير في مثل هذه الصورة وقد وافق في ذلك الاخفش والجمهور
قالوا التقدير اجود ما كان حاصل اذا كان في رمضان فحذف حاصل
كما يحذف متعلقات الظروف نحو زيد عندك فبقي اذا كان ثم حذف
اذا مع شرطه العامل في الحال لان الجار والمجرور هنا حال لان كان
تامة وليست ناقصة ليكون الجار والمجرور خبرها واقيم الحال مقام
الظرف لان في الحال معنى الظرفية لا سيما والحال هنا جار ومجرور فهو
ظرف حكما وانما اختار ابن مالك مذهب الاخفش في ذلك لقلة الحذف
على تقدير كون الخبر مصدرا لكن يلزم الاخفش حذف المصدر وابقاء
معموله واكثر النحاة على منعه بل نص سيبويه على منعه ويجوز في
قوله في رمضان ان يكون خبرا عن المبتدا وهو قوله اجود فان
قلت قد نصوا في مثل هذه الصورة على ان خبر المبتدا يجب حذفه
فكيف تقولون ان الجار والمجرور يجوز ان يكون خبرا قلت قد
ذكروا في الحال التي سدت مسد الخبر اذا كان المبتدا اسم تفضيل
مضافا الى ما موصولة بكان او يكون انه يجوز ان يكون تلك
الكلمة التي جعلت حالا مرفوعة على انها خبر مع جواز ان تكون
منصوبة على انها حال سدت مسد الخبر هذا في الرواية التي ذكرها

المصنف واما فى الرواية الواقعة فى اول صحيح البخاري فى بدء الوحي
ولفظها كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اجود الناس وكان اجود ما يكون
فى رمضان حين يلقاه جبريل الحديث ففى شرح الكرماني لفظ آ بالرفع اجود مع
لانه اسم كان وخبره محذوف حذفا واجبا اذ هو نحو اخطب ما يكون الامير
قائما واقول الخبر لا يجب حذفه فى مثل هذه الصورة لانهم صرحوا فى نحو اخطب
ما يكون الامير قائما انه يجوز ان يكون قائما حالا سد مسد الخبر وان
يرفع على انه خبر فيقال اخطب ما يكون الامير قائم وذلك بسبب
اضافته الى مصدر مؤول فان قلت اخطب ما يكون الامير حدث
وقائم دال على ذات فكيف يخبر بالذوات عن الاحداث قلت تجوزوا
فى ذلك للمبالغة فان كان المضاف اليه مصدرا صريحا نحو اكثر شربي
السويق ملتوتا تعين نصبه على الحالية وكانت الحال سادة مسد
الخبر ولا يجوز رفعه والحاصل بين اجود ما يكون فى رمضان واخطب
ما يكون الامير قائما وبين قولهم اكثر شربي السويق ملتوتا وضربي
زيدا قائما فرق فارجع الى شرح الرضي على الكافية والى شروح تسهيل
ابن مالك يتضح لك الفرق فان قلت قال النووي رفع اجود اصح
واشهر ويجوز فيه النصب فما وجه رفعه وما وجه ارجحية الرفع
على النصب قلت يجوز فى رفعه اوجه الاول ان يكون اجود
اسم كان وفى رمضان خبرها وحين يلقاه جبريل حال عن الضمير
المستكن فى عامل الخبر ويجوز ان يكون فى رمضان حالا سد مسد

الخبر

الخبر وحين يلقاه حال من الضمير المستكن فى عامل الحال الاولى ويسمى
هذا حالا متداخلة والثاني ان يكون اجود مبتدأ وفى رمضان اما خبره
واما حال سد مسد الخبر والجملة فى محل نصب خبر كان واسم كان اما
ضمير يرجع الى النبي صلى الله عليه وسلم واما ضمير الشان الثالث ان يكون
اسم كان ضميرا يرجع الى النبي صلى الله عليه وسلم واجود بدلا من الضمير بدل
اشتمال وفى رمضان خبرها وحين يلقاه حال من الضمير المستتر فى
عامل الخبر واما النصب فوجهه انه خبر كان وانما كان مرجوحا لما
يرد عليه من انه يلزم ان يكون اسم كان وخبرها شيئا واحدا واجيب
عن ذلك بجعل اسم كان ضميرا يرجع الى النبي صلى الله عليه وسلم واجود خبرها
ولا يضاف الى ما بل يجعل ما مصدرية نائبة عن ظرف الزمان والتقدير
كان النبي صلى الله عليه وسلم مدة كونه فى رمضان اجود منه فى غيره وفيه قيل
ان الوقت مقدر فالتقدير كان اجود اوقات اكوانه حاصلا فى رمضان
وانما اول ما يكون بالاكوان مع انه مصدر فينبغى ان يؤول بالكون لان
الافراد ليس مرادا اذ المراد تفضيل هذا الكون على سائر الاكوان
فالمفضل عليه وهو الذي اضيف اليه اجود جمع وقد عبر فيه بالمصدر الذي
هو اسم جنس فيصدق على الكثير كما يصدق على القليل فلك ان تفضل كونه فى
رمضان على جميع اكوانه ولك ان تفضل وقت كونه فى رمضان على سائر
اوقات اكوانه فان قدر الزمان فينبغى ان يقدر مجموعا لان المفضل وقت
مخصوص لكون مخصوص والمفضل عليه اوقات سائر الاكوان واما قول

قابله ابن الحنبلي منه

من قال ان التعبير بالجمع فى الاكوان والاوقات ليس بصحيح لا ريب ويؤيد ذلك
بقوله الاترى الى صحة اطيب الماء كان باردا مع افراد لفظ الماء ففيه نظر
لان التعبير به مع ارادة الافراد لفظا ومعنى غير مستقيم لانه لا يودى المعنى
المراد حينئذ اذ المراد تفضيل كونه فى رمضان او وقت كونه فى رمضان
على سائر اكوانه او على سائر اوقات اكوانه فلا يصح ان يراد الافراد معنى وان
كان التعبير به مع ارادة معنى الجمعية فلا فرق بينه وبين التعبير بالجمع واما
المثال المذكور فلا يصح الا بتقدير مضاف اي اطيب افراد الماء ما كان
باردا ثم ان اسناد الجود الى اوقاته صلى الله عليه وسلم مجاز عقلي على سبيل
المبالغة كما في نهاره صائم وليله قائم وقوله وكان اذا لقيه جبريل الى اخره
كان جبريل عليه السلام يكثر من لقاء النبي صلى الله عليه وسلم فى رمضان وكان
يلقاه فى رمضان فيدارسه القران اي انهما يتناوبان فى قراءة القران كما
هو عادة القراء فيقرا مثلا هذا عشرا ويستمع له صاحبه ثم يقرا الاخر
عشرا ويستمع له القارئ اولا او انهما يتشاركان فى القراءة يعني يقرآن
معا والدرس القراءة على سرعة وقدرة عليه كانك تجعل الشيء الذي تقراه
منذ الان اصل الدرس الوطء والتذليل وفائدة درس جبريل عليه السلام
تعليم الرسول صلى الله عليه وسلم بتجويد اللفظ وتصحيح اخراج الحروف من
مخارجها وليكون سنة فى حق الامة وتسمى هذه المدارسة بالمعارضة
فكان النبي صلى الله عليه وسلم يعرض القران على جبريل وجبريل يعرضه على النبي
صلى الله عليه وسلم ولا شك ان القران من الالفاظ المشتركة بين كل القران

وبعضه

وبعضه فكان جبريل يدارس النبي صلى الله عليه وسلم القران من اول البعثة
فكان يلقاه في كل ليلة من رمضان حتى ينسلخ والخصيص ذكر من رمضانات
الهجرة وان كان صيام رمضان انما فرض بعد الهجرة لانه كان يسمى رمضان
قبل ان يفرض صيامه لانا اذا قلنا ان ابتداء ذلك من البعثة فذلك الوقت
لم يكن نزل الا بعض القران فاستمرت المدارسة فى كل رمضان الى رمضان
الاخير فكان قد نزل كله الا ما تاخر نزوله بعد رمضان المذكور وكان ذلك
فى سنة عشر الى ان مات النبي صلى الله عليه وسلم فى ربيع الاول سنة
احدى عشرة ومما نزل فى تلك المدة قوله عز وجل اليوم اكملت لكم دينكم
فانها نزلت يوم عرفة والنبي صلى الله عليه وسلم بها فى حجة الوداع فكان ذلك
خارجا عن المعارضة وكانه اغتفر امره لندرته وقوله اجود بالخير من
الريح المرسلة فيه جواز المبالغة فى التشبيه وجواز تشبيه
المعقول بالمحسوس ليقرب الى فهم سامعه وذلك انه اثبت له الاجودية
في قوله كان اجود الناس ثم اراد ان يصفه بازيد من ذلك فشبه جوده
بالريح المرسلة بل جعله ابلغ فى ذلك منها لان الريح قد تسكن وقد وقع
فى هذا الحديث احتراسان الاول فى قوله كان اجود الناس لانه لو وصفه
بانه اجودهم فى رمضان لتوهم ان فى الناس من هو مثله فى الجود فوصفه
اولا على جميع الناس مريدا به الاستغراق الحقيقي ثم عطف عليها زيادة
جوده فى رمضان والثاني قوله المرسلة لان الريح منها العقيم الضارة
ومنها المبشرة بالخير فوصفها بالمرسلة لتعين الثانية ووصفها بالمرسلة

بلغ مقابلة على خط المؤلف

اخذا من قوله عز وجل وهو الذي يرسل الرياح مبشرات فالريح المرسلة
تستمر ارسالها فكذلك خير النبي صلى الله عليه وسلم لا ينقطع اصلا وقد استعمل
اسم التفضيل في الاسناد الحقيقي والمجازي لان الجود من النبي صلى الله عليه وسلم
حقيقة ومن الريح مجاز وانما قدم بالخير على المفضل عليه لئلا يتوهم تعلقه
بالمرسلة فان قلت لو اخر عن المرسلة وتعلق الجار بالمرسلة هل
كان يختلف المعنى قلت المراد انه يفضل جود النبي صلى الله عليه وسلم بالخير
على جود الريح المرسلة بالخير فاذا ذكر بالخير في المفضل يعلم انه مراد في
المفضل عليه وان لم يذكر فيه ويكتفى بقرينة ذكره في المفضل كما تقول زيد
في الحسن كالبدر فان المراد انه كالبدر في الحسن لا في علو المنزل ولا في السير
المخصوص فان الريح تكون مرسلة في الخير وفي الشر كالريح التي ارسلها
الله عز وجل على عاد واذا ذكر في المفضل عليه ولم يذكر في المفضل يعلم انه
مراد وان لم يذكر فيه وفي شرح الكرماني على صحيح البخاري في معنى ارسال
الريح اما هو على اطلاقه فتكون اللام فيها للجنس واما على تقييده بالارسال
للرحمة فاللام للعهد قال تعالى هو الذي يرسل الرياح بشرا بين يدي رحمته
وقال تعالى والمرسلات عرفا اي الرياح المرسلات للمعروف واقول لا وجه
لحمل الارسال في مقالة ابن عباس هذه على اطلاقه فان الجود بالخير لا يشبه
بمطلق الريح المرسلة سواء كان ارسالها في الخير ام في الشر وانما يشبه
بريح ارسلت في محض الخير غاية ما في الباب انه ذكر الخير في المفضل ويعلم
ارادته في المفضل عليه من ذكره في المفضل نعم ان اعتبر اطلاق الارسال

فلابد

فلا بد من ملاحظة القيد فيه ليخصص عمومه فان قلت ما الخير الذي يجود
به النبي صلى الله عليه وسلم وما الخير الذي يجود به الريح قلت خير النبي صلى الله عليه
وسلم منافع الدنيا والاخرة وخير الريح المرسلة بالخير منافع الدنيا فقط
فلهذا افضل جوده على جودها ثم انه يظهر لي ان المرسلة وان كان وصفا لكل
ريح الا انه صار علما بالغلبة على ريح مخصوصة من شانها ان تاتي بالرحمة
والخير ويرشد الى ذلك حديث رواه ابن ابي الدنيا في كتاب المطر وابو الشيخ
في كتاب العظمة بسندهما عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال
الرياح ثمان اربع منها رحمة واربع منها عذاب فالرحمة الناشرات والمبشرات
والمرسلات والرخاء والعذاب العاصف والقاصف وهما في البحر والعقيم
والصرصر وهما في البر ورواه ايضا ابن عباس فان قلت قد ذكر الريح في
هذا الحديث مفردة وقد قال بعضهم ان كل ما كان من الريح بلفظ المفرد
فهو عذاب وكلما كان بلفظ الجمع فهو رحمة قلت هذا في تفسير الريح
الواقعة في القران واما غيره فلا حجر فقد اخرج ابن ابي حاتم عن ابي بن كعب
رضي الله عنه قال كل شيء في القران من الرياح فهو رحمة وكل شيء في القران من
الريح فهو عذاب فان قلت نجد النبي صلى الله عليه وسلم ايضا في الرحمة ياتي بلفظ
الجمع وفي العذاب ياتي بلفظ الافراد فكيف تخصون ذلك بالقران فقد اخرج
الشافعي والبيهقي في المعرفة عن ابن عباس قال ما هبت ريح قط الا جثا
النبي صلى الله عليه وسلم على ركبتيه وقال اللهم اجعلها رحمة ولا تجعلها عذابا اللهم
اجعلها رياحا ولا تجعلها ريحا فدل ذلك على انها بالافراد دالة على الشر وبالجمع على

الخبر قلت اراد النبي صلى الله عليه وسلم بذلك ان يجعلها طبق ما وقع في القران
ولذلك قال ابن عباس بعد ذكر والله ان تفسير ذلك في القران ارسلنا
عليهم ريحا صرصرا وقال فارسلنا عليهم الريح العقيم وقال وارسلنا
الرياح لواقح وارسلنا الرياح مبشرات فان قلت قد قرئ في مواضع
كثيرة في القران بالافراد والجمع في موطن الرحمة قلت اراد النبي صلى الله
عليه وسلم بقوله اجعلها رياحا ما جاز فيه الجمع وان قرئ بوجه اخر بالافراد
وبقوله لا تجعلها ريحا ما كان بالافراد فقط وعن انس ان رجلا هو صفوان
ابن امية الاتي ذكره سأله فاعطاه غنما بين جبلين اي غنما كثيرا وكان
بين جبلين لملأ ما بينهما من كثرته هذا حديث صحيح رواه مسلم في صحيحه
فقيه بسنده عن موسى بن انس عن ابيه انس قال ما سئل رسول الله صلى
الله عليه وسلم على الاسلام شيئا الا اعطاه فجاء رجل فاعطاه غنما بين جبلين
فرجع الى قومه فقال يا قوم اسلموا فان محمدا صلى الله عليه وسلم يعطي عطاء
من لا يخشى الفاقة وفي رواية عنه ان رجلا سال النبي صلى الله عليه وسلم
غنما بين جبلين فاعطاه اياه فاتى قومه فقال اي قوم اسلموا فوالله ان محمدا
صلى الله عليه وسلم ليعطي عطاء ما يخاف الفقر ثم ان قولنا ان الذي اعطاه الغنم
هو صفوان بن امية تبعنا فيه ابا الفتح اليعمري في سيرته فانه ذكر فيها
ان النبي صلى الله عليه وسلم اعطى صفوان بن امية غنما ملأت واديا بين جبلين
لكن الصرصري في قصيدته النونية ذكر انه اعرابي فقال

واتاه اعرابي يلتمس الذي ٥ اعطاه شاء ضمها جبلان ٥

فرجع الى بلده وقال اسلموا فان محمدا يعطي عطاء من لا يخشى فاقة ح
منه [illegible]

وصفوان

وصفوان بن امية من اكابر قريش وليس اعرابيا والصرصري كان اماما مطلعا
فلعل القصة تعددت ويؤيد ما قال الصرصري انه ذهب الى قومه فقال
لهم اسلموا فان محمدا يعطي عطاء من لا يخشى الفاقة فيدل على ان قومه
كانوا جاهلين بحال النبي صلى الله عليه وسلم وقريش كانوا اهل النبي صلى الله عليه
وسلم وكانوا يعرفون جوده وكرمه فالقصة تعددت مع صفوان ومع اعرابي
واعطى غيره واحدا مائة من الابل فقد اعطى ابا سفيان بن حرب اربعين اوقية
ومائة من الابل قال ابني يزيد قال اعطوه اربعين اوقية ومائة من الابل قال
ابني معاوية قال اعطوه اربعين اوقية ومائة من الابل واعطى حكيم بن حزام
مائة من الابل ثم سأله مائة اخرى فاعطاه واعطى النضير بالتصغير ابن
الحارث وهو اخو النضر الذي قتله علي بن ابي طالب بامر رسول الله صلى الله
عليه وسلم مائة من الابل واعطى اسيد بن حارثة الثقفي مائة من الابل واعطى
الحارث بن هشام مائة من الابل واعطى صفوان بن امية مائة من الابل
واعطى قيس بن عدي مائة من الابل واعطى سهيل بن عمرو مائة من الابل
واعطى حويطب بن عبد العزى مائة من الابل واعطى الاقرع بن حابس
مائة من الابل واعطى عيينة بن حصن مائة من الابل واعطى مالك بن
عوف مائة من الابل واعطى صفوان بن امية مائة ثم مائة ثم مائة هو صفوان
ابن امية بن خلف بن وهب قرشي جمحي يكنى ابا وهب وقيل ابا امية
قتل ابوه ببدر كافرا وهرب صفوان يوم الفتح وفي ذلك يقول حماس بن
قيس البكري يخاطب امراته ٥ انك لو شهدت يوم الخندمه ٥

اذ فر صفوان وفر عكرمه • واستقبلتنا بالسيوف المسلمه •
يقطعن كل ساعد وجمجمه • ضربا فلا تسمع الا غمغمه •
لهم نئيب خلفنا وهمهمه • لم تنطق في اللوم ادنى كلمه •

والمراد بيوم الخندمه يوم فتح مكة سمي بجبل عند مكة اسمه الخندمه ثم رجع صفوان الى النبي صلى الله عليه وسلم وشهد حنينا والطائف وهو كافر وامراته مسلمه اسلمت يوم الفتح قبله ثم اسلم فقرا على نكاحهما واعطاه النبي صلى الله عليه وسلم من غنائم حنين فاكثر فقال صفوان اشهد بالله ما طابت بهذا الا نفس نبي فاسلم واقام بمكة فقيل له من لم يهاجر هلك ولا اسلام لمن لا هجرة له فقدم المدينة مهاجرا فنزل على العباس رضي الله عنه فقال النبي صلى الله عليه وسلم لا هجرة بعد الفتح كان احد اشراف قريش ومن افصحهم وهو من المولفة وممن حسن اسلامه منهم مات سنة اثنين واربعين بمكة اول خلافة معاوية وهذا الحديث يوخذ منه اعطا المولفة ولا خلاف في اعطا مولفة المسلمين لكن هل يعطون من الزكاة فيه خلاف والاصح عندنا انهم يعطون من الزكاة ومن بيت المال والثاني لا يعطون من الزكاة بل من بيت المال خاصة واما مولفة الكفار فلا يعطون من الزكاة وفي اعطائهم من غيرها خلاف والاصح عندنا لا يعطون لان الله عز وجل قد اغنى الاسلام عن التالف بخلاف اول الامر ووقت قلة المسلمين وحديث اعطا النبي صلى الله عليه وسلم صفوان ما ذكر رواه مسلم في صحيحه فقيه بسنده عن ابن شهاب قال غزا رسول الله صلى الله عليه وسلم غزوة الفتح فتح مكة ثم خرج

رسول

رسول الله صلى الله عليه وسلم بمن معه من المسلمين من مكة فاقتتلوا بحنين فنصر الله عز وجل دينه والمسلمين واعطى رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ صفوان بن امية مائة من النعم ثم مائة ثم مائة قال ابن شهاب حدثني سعيد ابن المسيب ان صفوان قال والله لقد اعطاني رسول الله صلى الله عليه وسلم ما اعطاني وانه لابغض الناس الي فما برح يعطيني حتى انه لاحب الناس الي وهذه الخصال المذكوره كانت خلقه قبل ان يبعث وقد

قال له ورقة هو ابن نوفل بن اسد بن عبد العزى بن قصي وبقية نسبه معروفة قال ابن منده اختلف في اسلامه وروى بسنده عن الاعمش عن عبد الله بن عبد الله عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما عن ورقة ابن نوفل قال قلت يا محمد اخبرني عن هذا الذي ياتيك يعني جبريل عليه السلام فقال ياتيني جناحاه لولو وباطن قدميه اخضر وعن عائشة رضي الله عنها قالت سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ورقة فقالت له خديجة انه كان صدقك وانه مات قبل ان تظهر فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم رايته في المنام عليه ثياب بيض ولو كان من اهل النار لكان عليه لباس غير ذلك وعن عروة بن الزبير قال ساب اخ لورقة رجلا فتناول الرجل ورقة فسبه فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فقال للاخر هل علمت اني رايت لورقة جنة او جنتين فنهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن سبه هذا القرشي وفي شرح حافظ بلدنا وعالم اقليمنا البرهان الحلبي على البخاري ترجمة ورقة طويلة منها انه لا عقب له وقد روى الحاكم في مستدركه

من حديث عائشة رضي الله عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تسبوا
ورقة فاني رأيت له جنة او جنتين وكذا اخرجه البزار وفي كتاب الزبير
من حديث عبد الله بن معاذ عن الزهري عن عروة قال سئل رسول الله صلى الله
عليه وسلم عن ورقة كما بلغنا فقال لقد رأيته في المنام وعليه ثياب
بيض فقد اظن انه لو كان من اهل النار لم أر عليه البياض ورواه
الترمذي في كتاب الرؤيا من جامعه من حديث عثمان بن عبد الرحمن عن
الزهري عن عروة عن عائشة رضي الله عنها مرفوعا بنحوه ثم قال حديث غريب
وعثمان بن عبد الرحمن ليس عند اهل الحديث بالقوي قال السهيلي في
اسناده ضعف لانه يدور على عثمان انتهى وذكره الحاكم في المستدرك
في الرؤيا وقال صحيح وتعقبه الذهبي بالوقاصي وهو عثمان المذكور
انتهى لكن يقويه قوله صلى الله عليه وسلم رأيت القس يعني ورقة وعليه
ثياب حرير لانه اول من امن بي وصدقني وذكره ابن اسحق عن ابي
ميسرة عمرو بن شرحبيل وقال المرزباني كان ورقة من علماء قريش
وشعرائهم وكان يدعى بالقس وقال صلى الله عليه وسلم رأيته وعليه حلة خضرا
يرفل في الجنة وكان يذكر الله عز وجل في شعره وتسبيحه قال وقد ذكر شيخنا
حافظ العصر العراقي فيما قرأته عليه ما لفظه وينبغي ان يقال انه اول
مَنْ آمَنَ مِنَ الرجال ورقة بن نوفل لما ثبت في الصحيحين من حديث
عائشة في قصة بدء الوحي الى ان قال ففي هذا ان الوحي تتابع في
حياة ورقة وانه امن به وصدقه وقد روى ابو يعلى الموصلي وابو بكر

البزار

البزار في مسنده من رواية مجالد عن الشعبي عن جابر بن عبد الله رضي الله
عنهما انه عليه السلام سئل عن ورقة بن نوفل فقال ابصرته في بطنان
الجنة عليه سندس هذا لفظ ابي يعلى قال البزار عليه حلة من سندس
وروى البزار ايضا فذكر حديث عائشة الذي ذكرته ثم قال صحيح
رجاله كلهم ثقات ثم قال كان شيخنا العراقي في سيرته المنظومة

فهو الذي امن بعد ثانيا ۞ وكان برا صادقا مواتيا ۞

والصادق المصدوق قال انه ۞ رأى له تخططا في الجنه ۞

وقوله ثانيا اي بعد خديجة رضي الله عنها قال الذهبي والاظهر انه
مات بعد النبوة وقبل الرسالة انتهى وكان ورقة تهود في الجاهلية
ثم تنصر ثم امن بالنبي صلى الله عليه وسلم وكان تمكن من معرفة دين النصرانية
بحيث صار يتصفح في الانجيل فيكتب ان شاء منه بالعبرانية وان شا
بالعربية فان قلت كيف يكون الخبر الذي رواه ابن اسحق وهو قوله
صلى الله عليه وسلم رأيت القس يعني ورقة وعليه ثياب حرير مقويا
لما رواه الترمذي باسناده الضعيف من قوله صلى الله عليه وسلم فقد اظن
انه لو كان من اهل النار الخ فان خبر ابن اسحق قطعي وهذه الملازمة
ظنية فقد عقد فيها الملازمة بين كونه من اهل النار وعدم رؤيته لابسا
ابيض ثم ان اللازم انتفى لانه رآه لابسا ابيض فينتفي الملزوم وهو
كونه من اهل النار واما قوله رأيت القس يعني ورقة وعليه ثياب
حرير فانه قطع فيه ولم يقل اظن قلت انما كان مقويا له من حيث

اي في كل من الخبرين رويا تقتضي ان النبي صلى الله عليه وسلم راه على هيئة
تنافي العذاب ورويا الانبيا حق والحاصل ان حديث عروة الذي رواه
الزبير حديث مرسل لان عروة تابعي فهو ضعيف وقد رواه الترمذي
مسندا من حديث عروة عن عائشة لكنه ضعيف ايضا لان في سنده
عثمان بن عبد الرحمن فهو متابع لذلك الحديث فاعتضد بهذه المتابعة
ثم ان حديث ابن اسحق المروي عن عمرو بن شرحبيل جا شاهدا للحديث
الذي رواه الترمذي وللحديث الذي رواه الزبير وانما حكمنا على حديث
الترمذي بانه متابع وعلى حديث ابن اسحق بانه شاهد لان حديث
الزبير وحديث الترمذي تشاركا في جعل الحديث من رواية عروة فكان
متابعا لتوافقهما في الراوي وحديث ابن اسحق خالفهما في الراوي
وشاركهما في المتن فكان شاهدا فقد توافقت ثلاثة احاديث في كونه
صلى الله عليه وسلم راه على هيئة تنافي العذاب ولم يقطع له في حديث منها بانه
من اهل الجنة اما في حديث الزبير فانه صرح فيه بانه ظن انه من اهل الجنة
مع قطعه بانه راه لابسا ثيابا بيضا واما في حديث الترمذي فانه قطع بانه
راه لابسا ثياب حرير ولا منافاة بينهما لجواز ان يكون الثياب البيض حريرا
مع عدم ذكر انه من اهل الجنة نعم القطع بانه من اهل الجنة انما ورد في قوله
صلى الله عليه وسلم لاخي ورقة هل علمت اني رايت لورقة جنة او جنتين وفي
قوله اني رايته في بطنان الجنة ومع ذلك لا ينافي الحديث الذي فيه انه ظن
انه من اهل الجنة لجواز ان يكون اولا ظن ثم قطع وكان صلى الله عليه وسلم

كثيرا

كثيرا ما يخبر بشي من غير قطع ثم يقطع الا ترى الى قوله صلى الله عليه وسلم في حق
موسى عليه السلام فلا ادري اسبقني ام كان ممن استثنى الله عز وجل
وفي حديث البخاري قال صلى الله عليه وسلم انا اول من يرفع راسه بعد النفخة
فاذا انا بموسى آخذ بقائمة من قوائم العرش فلا ادري اكان موسى عليه
السلام قبلي ام جوزي بصعقة الطور ومع ذلك قال صلى الله عليه وسلم
كما رواه مسلم انا اول من تنشق عنه الارض فكانه صلى الله عليه وسلم
لم يكن عنده علم بانه اول من تنشق عنه الارض وانه يسبق موسى وغيره
حتى اعلمه الله عز وجل بذلك وكذلك هنا ظن اولا ان ورقة من اهل الجنة
بسبب الامارات التي راها عليه ككونه لابسا بياضا وكونه لابسا
حريرا ثم ان الله اطلعه على انه من اهل الجنة ومثل هذا كثير واما قول من
قال لا يبعد انه بعد ان اقام الدليل القطعي على ايمانه لاح له صلى الله
عليه وسلم دليل ظني عليه فاورده لا لاثبات ايمانه ظنا لان القطعي قد
كفى المؤنة واذا اجرى به الله بطل به معقل ولكن للارشاد الى ان
من راى احدا في منامه بهذه الحالة وهو متردد في ايمانه فلا يتردد بل
ليترجح عنده على عدم الايمان فهو من التسامح بمكان بل هو واه جدا
اذ يفتقر الى ان يثبت ان النبي صلى الله عليه وسلم قطع اولا ثم ظن بعد ذلك
ويبعد ان النبي صلى الله عليه وسلم يخبر الناس بخبر قطعي ثم يخبرهم بانه
يظن ذلك ولم يقطع به ويكون منافيا لقوله اولا نعم لو اخبر بالقطعي
بعد الظني لما ضر ذلك لكون القطعي رافعا للاحتمال الذي يفيده الظني

الاترى ان النبي صلى الله عليه وسلم لما قال له رجل يا خير البريه قال ذاك ابرهيم لعدم
قطعه اولا انه افضل من ابرهيم عليه السلام فلما علم انه افضل منه ومن غيره
قال انا سيد ولد ادم يوم القيمة ولا فخر فاتى بكلام رافع لاحتمال ان ابرهيم
افضل منه وذلك ان اخبارات النبي صلى الله عليه وسلم كلها من الوحي والكشف
فربما خفي عليه امر ثم اطلعه الله على اليقين فان قلت ثبت ان ورقة
كان مومنا وانه صدق النبي صلى الله عليه وسلم وفي الصحيحين ثبوت لقيه له في
حديث عائشة في قصة بدء الوحي وانه لقيه بين النبوة
والرسالة فهل يكون لقيه في حال النبوة كافيا في كونه صحابيا اولا بد من
ان يكون لقى الصحابي له حال رسالته قلت اجاب عن ذلك شيخنا الرضي
ابن الحنبلي الشاذفي فقال النبوة كافية مع اللقى اذ ممن يعد صحابيا عندنا
على ما اشار اليه الامام الهمام كمال الدين ابن الهمام من امتنا من لقى النبي صلى
الله عليه وسلم قبل النبوة ومات قبلها على الملة الحنيفية كزيد بن عمرو
ابن نفيل بخلاف مثل ابى الطفيل عامر بن واثلة ممن ثبت له مجرد الروية
من غير لقى فانه غير ذي صحبة حقيقية وان عد في مطلق الصحابة واذا
كان مثل زيد صحابيا كان ورقة صحابيا بالطريق الاولى وان لم يدرك رسالة
النبي صلى الله عليه وسلم فان قلت او يتحقق الروية من غير لقى قلت
نعم كما يتحقق اللقى من غير روية فيمن كان صحابيا اعمى على ما صرحوا به
في محله من ان اللقي اعم من ان يكون على وجه الروية اولا ولا شك في تحققهما
في الكثير من الصحابة فيكون بينهما العموم والخصوص من وجه واقول

بلاغ
صح ابن الحنبلي
له

المرئي

الذي رجحه الشمس السخاوي تبعا لشيخه الحافظ ابن حجر ان من راى النبي
صلى الله عليه وسلم اذ من راى النبي صلى الله عليه وسلم من مومني اهل الكتاب قبل
البعثة الشريفة كزيد بن عمرو بن نفيل الذي قال في حقه النبي صلى الله عليه
وسلم انه يبعث امة وحده انه ليس صحابيا بل جزم ابن حجر في مقدمة
الاصابة بذلك لانه وان كان مومنا لكنه ليس مومنا بالنبي صلى الله عليه
وسلم وقد عرف في النخبة الصحابي بانه من لقى النبي صلى الله عليه وسلم مومنا
به فخرج من لقيه مومنا بغيره فان قلت زيد بن عمرو بن نفيل امن
بنبينا صلى الله عليه وسلم فقد روى محمد بن سعد والفاكهي من حديث
عامر بن ربيعة حليف بني عدي بن كعب قال قال لي زيد بن عمرو
اني خالفت قومي واتبعت ملة ابرهيم واسمعيل عليهما السلام وما
كانا يعبدان وكانا يصليان الى هذه القبلة وانا انتظر نبيا من بني
اسمعيل يبعث ولا اراني ادركه وانا او من به واصدقه واشهد
انه نبي وان طالت بك حياة فاقره مني السلام قال عامر فلما
اسلمت اعلمت النبي صلى الله عليه وسلم بخبره قال فرد عليه السلام وترحم
عليه وقال لقد رايته في الجنة يسحب ذيولا قلت نعم امن بان
نبيا من بني اسمعيل يبعث وهذا الايمان خلصه من النار لكنه مات
قبل ان يلاقي شخص النبي صلى الله عليه وسلم في حال نبوته ويومن به
بان يومن بان هذا الشخص الذي بعينه من بني اسماعيل محمد كان حين
البعثة بان مات قبلها ثم قبل خروج النبي صلى الله عليه وسلم فاقبل يريده فقتل

هو هو

النخبة رسالة في اصول الحديث للعلامة ابن حجر العسقلاني وعليها شرح لمصنفه

بسيفعة من ارض البلقا وقال ابن اسحق لما توسط بلادهم قتلوه وقيل انه
مات قبل المبعث بخمس سنين عند بنا قريش الكعبة ويدل على انه لا يعد
من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم انه يبعث يوم القيمة امة وحده ولو كان
من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم لبعث مع النبي صلى الله عليه وسلم كما يبعث
معه سائر امته جعلنا الله عز وجل منهم وانما بعث وحده ولم يبعث مع
ابرهيم عليه السلام لانه لم تدين بدين ابرهيم على وجهه لانه لم يعلم دين
ابرهيم فلم يكن زيد كافرا فكان امة وحده وكذلك القس بن ساعدة
والحامل لابن الهمام على جعله من الصحابة كون ابن منده والبغوي وابن حجر
ذكروه في اسما الصحابة لكن هولا يوسعون الدائرة حتى يذكرون في
اسما الصحابة من له روية فقط حتى ان ابن الاثير من المولفين في اسما
الصحابة ذكر منهم القسم ابن نبينا صلى الله عليه وسلم مع انه مات قبل
البعثة فان قلت ورقة بن نوفل صحابي ام لا قلت قد عده العلامة
الزين عبد الرحيم العراقي في الفيته في السيرة منهم وجعله اول من
امن بالنبي صلى الله عليه وسلم كما تقدم لكن الحافظ الشهاب ابن حجر في
كتابه الاصابة عده من القسم الاول من الصحابة وهو من وردت له
رواية او ذكر من طريق صحيحة او حسنة او ضعيفة او منقطعة لكون
ورقة كان بعد البعثة وقبل الدعوة ومع ذلك لم يجزم بانه صحابي بل قال
وفي اثباتها له نظر فان قلت ما شبهة من لم يجعله صحابيا اليس
قد لقي النبي صلى الله عليه وسلم وامن به قلت نعم لكنه امن بانه سيدعو الى الله
عز وجل

عز وجل وانه هو الذي يبعث من ولد اسمعيل لكنه ما تلبس بدينه
بل كان على نصرانيته ولم يكن دين النصارى اذ ذاك باطلا لانه لم يبطل
حتى جاءت دعوة نبينا صلى الله عليه وسلم فيكون حشره مع المحقين
من دين النصرانية لان نبينا صلى الله عليه وسلم لم يدعه الى دينه ولا كان
النبي صلى الله عليه وسلم دعا احدا الا بعد موت ورقة قال ابن عطية في كتابه
تحرير المقال وورقة على النصرانية مات فانه لم يدرك بعث النبي صلى الله
عليه وسلم فيؤمن به وانما مات اول ما راى النبي صلى الله عليه وسلم الملك وكلمه
وقالت خديجة رضي الله عنها زملوني زملوني فقال له ورقة اذ ذاك هذا
الناموس الاكبر الذي انزل الله عز وجل على موسى عليه السلام وان يدركني يومك
انصرك نصرا مؤزرا وفي هذا الحديث ثم لم ينشب ورقة ان توفي وفتر
الوحي فعلى هذا ورقة دخل في الشريعة العيسوية ومات قبل ان تنسخ
فصار متبعا لدين حق فلهذا راه النبي صلى الله عليه وسلم في الجنة ولا يكون
صحابيا فانه مات قبل ظهور الاسلام واما اخراج ابي الطفيل عامر بن
واثلة عن كونه صحابيا فهذا امر غير مسلم له كيف وهو قد ولد يوم احد
وكان سنه عند موت النبي صلى الله عليه وسلم اما سبع سنين واما ثمان سنين
فهو قد لقي النبي صلى الله عليه وسلم وراه وهو اسن من الحسين بن علي
رضي الله عنهما والحسين صحابي بالاتفاق نعم لهم مقالة في الصغير غير
المميز كعبد الله بن الحرث بن نوفل وعبد الله بن ابي طلحة الانصاري
وغيرهما ممن حنكه النبي صلى الله عليه وسلم ودعا له ومحمد بن ابي بكر الصديق

رضي الله عنها الذي ولد قبل الوفاة النبوية بثلاثة اشهر وايام فهو لا صحابة
نالوا بركة روية النبي صلى الله عليه وسلم لهم ونالوا شرف الصحبة فقد صرح
بعضهم بانه اذا راه مسلم او راى مسلم لحظة طبع قلبه على الاستقامة لانه
باسلامه مهيا للقبول فاذا قابل ذلك النور العظيم اشرق عليه فيظهر اثره
على قلبه وعلى جوارحه لكن يعد حديثهم الذي يرفعونه الى النبي صلى الله عليه وسلم
من غير ذكر واسطة في المراسيل ويكون حكمهم في ذلك حكم كبار التابعين
فهم من حيث الرواية اتباع ويرد حديثهم من يرد الحديث المرسل كالشافعي
رضي الله عنه ولا يقال انه مرسل صحابي لانه هو الان من حيث الرواية لهم حكم
كبار التابعين واما جعل النسبة بين اللقي والروية العموم من وجه
فتقريره ان اللقي يفهم منه الاجتماع في المجلس او في الطريق فرب من
راه من بعيد ولم يجتمع به في مجلس فهو قد راه ولم يلقه ورب من
اجتمع به في مجلس وكان اعمى كابن ام مكتوم فهو قد لقيه ولم يره واما
من اجتمع به وراه فشي كثير قال ورقة انك تحمل الكل وتكسب المعدوم
الكل بفتح الكاف من لا يستقل بامره كما قال تعالى وهو كل على مولاه وفي النهاية
الاثيرية الكل بالفتح الثقل من كل ما يتكلف والكل العيال وفي الحديث
من ترك كلا فالي وعلي وقوله وتكسب المعدوم في النهاية يقال فلان
يكسب المعدوم اذا كان مجدودا محظوظا اي يكسب ما يحرم غيره وقيل
اراد تكسب الناس الشي المعدوم الذي لا يجدونه مما يحتاجون اليه وقيل
اراد بالمعدوم الفقير الذي صار من شدة حاجته كالمعدوم نفسه فيكون

تكسب

تكسب على التاويل الاول متعديا الى مفعول واحد هو المعدوم كقولك كسبت مالا
وعلى التاويل الثاني والثالث يكون متعديا الى مفعولين تقول كسبت زيدا
مالا اي اعطيته فمعنى الثاني تعطي الناس الشي المعدوم عندهم
فحذف المفعول الاول ومعنى الثالث تعطي الفقير المال فيكون
المحذوف المفعول الثاني يقال عدمت الشي اعدمه عدما اذا فقدته
واعدمته انا وعدم الرجل يعدم فهو معدم وعديم اذا افتقر فان
قلت ما بال الخطابي قال الصواب المعدم بلا واو قلت بنا على ان
المراد بالمعدوم الفقير والفقير لا يقال له معدوم وانما هو معدم قال الشاعر
قالت بنات العم يا سلمى وان كان فقيرا معدما قالت وان ه قال
الحافظ الشهاب بن حجر في شرح البخاري ولا يمتنع ان يطلق على الفقير
المعدم انه معدوم لكونه كالمعدوم الميت الذي لا تصرف له والكسب
هو الاستفادة فكانه اذا رغب غيرك ان يستفيد مالا موجودا
رغبت انت ان تستفيد رجلا عاجزا فتعاونه هذا وان الذي في
الصحيحين ان خديجة هي التي قالت له ذلك لكن المصنف رجل عالم
كبير مطلع فلعله وقف على نقل ان ورقة قال له ذلك ايضا والذي
في الصحيحين ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لخديجة رضي الله عنها لقد خشيت
على نفسي فقالت خديجة كلا والله ما يخزيك الله عز وجل ابدا انك لتصل
الرحم وتحمل الكل وتكسب المعدوم وتقري الضيف وتعين على نوائب
الحق فقولها يخزيك الله بضم اوله والخا المهملة والزاي المضمومة

والنون من الحزن ويروى بضم اوله ويليه خا معجمة ثم زاي معجمة مكسورة
ثم يا مثناة تحتية ساكنة من الخزي وقولها انك لتصل الخ استيناف
ما واراد تعليلا لقولها ما يخزيك الله وانما كان ما خشي منه صلى الله عليه
وسلم حزنا لان ما خشي منه قيل هو الجنون بان يكون ما راه من جنس
الكهانة كما جاء مصرحا به في بعض طرق الحديث وقد ابطله القاضي ابو بكر
ابن العربي وحق ابطاله لم نظر لانه خشي هذا الامر قبل ان يحصل له علم
ضروري بان الذي كلمه الملك وانه من عند الله عز وجل وقيل هو الموت
من الرعب وقيل هو المرض وقيل دوام المرض وقيل العجز عن اعباء
النبوة وقيل العجز عن مواجهة الملك وقيل مفارقة الوطن وقيل
تكذيب قومه له وقيل قتلهم اياه والجميع حزن عظيم واما على رواية
يخزيك بالخا المعجمة من الخزي فالخزي فسر بامور اولها الهوان اي ما كان
الله عز وجل ليهينك ويجعلك مهانا لانك تفعل افعالا تستحق
ان تعظم بها ثانيها الفضيحة ومنه قوله تعالى ذلك خزي في الحياة الدنيا اي
فضيحة يقال خزي يخزى خزيا اذا افتضح وحينئذ يكون الذي خشي
منه ان يكذب وان يرمي بين قومه بالكذب ثالثها الاستحيا ومنه
قوله عز وجل ولا تخزون في ضيفي اي لا تدعوني استحيي منهم فيكون
الذي خشي منه مخالفة قومه ومواجهتهم بانهم على الكفر والضلال فيستحيي
منهم والله لا يستحيي من الحق وقولها وتعين على نوائب الحق النوائب جمع
نائبة وهي ما ينوب الانسان اي ينزل به من المهمات والحوادث وقد

نائبة

نائبة ينوبه نوبا وانتابه اذا قصده مرة بعد اخرى وانما قيدها بالاضافة
الى الحق لان النوائب تكون في الحق والباطل قال لبيد

من الطويل

نوائب من خير وشر كلاهما ٥ فلا الخير ممدود ولا الشر لازب

فمعنى كلام خديجة رضي الله عنها انك لا يصيبك مكروه لما جعل الله عز وجل فيك
من مكارم الاخلاق وجميل الصفات وذكرت ضروبا ودلت احاديث ورقة وخديجة
على جواز ان يمدح الانسان في وجهه لمصلحة فان قلت اما يعارضه
قوله صلى الله عليه وسلم احثوا في وجوه المداحين التراب قلت ذلك في
مدح يؤدي الى العجب او التيه واما من مدح وقصد المادحون في استقصاء
كمالاته وكان مدحه قربة عظيمة الى الله عز وجل فلا باس بل يتعين ذلك لا سيما
كان النبي صلى الله عليه وسلم يحب ان يمدح لان مادحه يكون مومنا وينتفع
بمدحه في الدارين فان قلت كلام خديجة ادل على مقصود المصنف من كلام
ورقة لانها ذكرت خصالا كثيرة من مكارم الاخلاق فلم عدل عنه المصنف واستشهد
بكلام ورقة قلت لان ورقة كان متدينا بدين اخر فهو اجنبي بالنسبة الى
خديجة وشهادة الاجانب للمرء احسن من شهادة الاقارب له ورد اي
النبي صلى الله عليه وسلم على هوازن سباياها هوازن اسم قبيلة منسوبة
الى هوازن بن اسلم بن افصى بن حارثة وكان هوازن يسكن حنينا وهو
موضع عرف بحنين بن قانية بن مهلائيل فلذلك تسمى تلك الغزوة التي وقع
فيها السبي تارة بغزوة هوازن واخرى بغزوة حنين وسمي ايضا غزوة
اوطاس سميت بذلك بالموضع الذي وقعت فيه الغزوة ماخوذ من

وكانوا استه الاقرع

وطست الشي وطسا اذا كدته وكانت تلك الوقعة التي سبى فيها رسول الله
صلى الله عليه وسلم من سبى وهي وقعة حنين في شوال لست ليال خلون
منه وتقال للليلتين بقيتا من رمضان سنة ثمان من الهجرة وهي غزوة
معروفة ذكرها المصنفون في السير وكان عدة السبي ستة الاف راس
والابل اربعة وعشرين الفا والغنم اكثر من اربعين الف شاه واربعة
الاف اوقية فضة ثم لما قدم وفد هوازن على النبي صلى الله عليه وسلم وهم
اربعة عشر رجلا وراسهم زهير بن صرد وفيهم ابو برقان عم رسول الله صلى الله
عليه وسلم من الرضاعة فسالوه ان يمن عليهم بالسبي فقال ابناوكم ونساوكم
احب اليكم ام اموالكم قالوا ما كنا نعدل بالاحساب شيا فقال اما مالي
ولبني عبد المطلب فهو لكم وساسال لكم الناس فقال المهاجرون والانصار
ما كان لنا فهو لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال الاقرع بن حابس اما انا
وبنوا تميم فلا وقال عيينة بن حصن اما انا وبنوا فزارة فلا وقال العباس
ابن مرداس اما انا وبنوا سليم فلا فقالت بنوا سليم ما كان لنا فهو لرسول
الله صلى الله عليه وسلم فقال العباس بن مرداس وهنتموني فقال رسول
الله صلى الله عليه وسلم ان هولا القوم جاوني مسلمين وقد كنت استانيت بهم
وقد خيرتهم فلم يعدلوا بالابنا والنسا شيا فمن كان عنده منهن شي وطابت
نفسه ان يرده فسبيل ذلك ومن ابى فليرده عليهم وليكن ذلك قرضا
علينا ست فرايض من اول ما يفي الله عز وجل علينا قالوا رضينا وسلمنا
فردوا عليهم سباياهم وابناهم ولم يتخلف منهم احد غير عيينة بن حصن فانه ابى

ان

ان يرد عليهم عجوزا صارت في يده منهم ثم ردها بعد ذلك وكان رسول الله صلى الله
عليه وسلم قد كسى السبي قبطيه قبطيه وقد انشد ابو جرول زهير بن صرد
الجشمي لرسول الله صلى الله عليه وسلم قول

من البسيط

امنن علينا رسول الله في كرم ... فانك المرء نرجوه وننتظر
امنن على بيضة قد عاقها قدر ... مشتت شملها في دهرها غير
ابقت لنا الدهر هتافا على حزن ... على قلوبهم الغماء والغمر
ان لم تداركهم نعما تنشرها ... يا ارجح الناس حلما حين يختبر
امنن على نسوة قد كنت ترضعها ... اذ فوك يملاه من محضها الدرر
اذ انت طفل صغير كنت ترضعها ... واذ يزينك ما تاتي وما تذر
لا تجعلنا كمن شالت نعامته ... واستبق منا فانا معشر زهر
انا لنشكر للنعما اذ كفرت ... وعندنا بعد هذا اليوم مدخر
فالبس العفو من قد كنت ترضعه ... من امهاتك ان العفو مشتهر
يا خير من مرحت كمت الجياد به ... عند الهياج اذا ما استوقد الشرر
انا نومل عفوا منك تلبسه ... هذي البرية اذ تعفو وتنتصر
فاعف عفا الله عما انت راهبه ... يوم القيمة اذ يهدى لك الظفر

فلما سمع النبي صلى الله عليه وسلم هذا رد عليهم سباياهم فان قلت لم طلب
النبي صلى الله عليه وسلم ان يردوا سبايا هوازن عليهم ولم يردها قهرا
واحتاج في ردها الى اذنهم ورضاهم قلت انما فعل ذلك لان المقاسم كانت
قد وقعت فيهم ولا يجوز للامام ان يمن على الاسرى بعد القسم ويجوز له ذلك

قبل القسم كما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم باهل خيبر حين من عليهم وتركهم
عمالا للمسلمين وهم في ارضهم التي افتتحوها عنوة كذا قال ابو حنيفة
قال ولا يجوز للامام ان يمن عليهم فيردهم الى دار الحرب ولكن على ان يودوا
الجزية ويكونوا تحت حكم المسلمين والامام مخير في الاسرى بين القتل
والفدا والمن والاسترقاق والفدا بالنفوس لا بالمال كذا قال اكثر
الفقها هذا في الرجال سوا اما في الذراري والنسا فليس الا الاسترقاق
والمفاداة بالنفوس دون المال واعطى العباس اي ابن عبد المطلب
عمه صلى الله عليه وسلم من الذهب ما لم يطق حمله ففي صحيح البخاري وقال ابرهيم
ابن طهمان عن عبد العزيز بن صهيب عن انس رضي الله عنه قال اتي
النبي صلى الله عليه وسلم بمال من البحرين فقال انثروه في المسجد وكان اكثر
مال اتي به رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ جاءه العباس فقال يا رسول الله
اعطني فاني فاديت نفسي وفاديت عقيلا فقال خذ فحثا في ثوبه
ثم ذهب يقله فلم يستطع فقال امر بعضهم يرفعه الي قال لا قال
فارفعه انت علي قال لا فنثر منه ثم ذهب يقله فلم يستطع فقال
امر بعضهم يرفعه الي قال لا قال فارفعه انت علي قال لا فنثر منه ثم
احتمله على كاهله ثم انطلق فما زال يتبعه بصره حتى خفي علينا عجبا فما
قام رسول الله صلى الله عليه وسلم وثم منها درهم وانما اعطى النبي صلى الله عليه
وسلم العباس رضي الله عنه المال المذكور لانه خرج في غزوة بدر مستكرها
قال ابن اسحق حدثني العباس بن عبد الله بن معبد عن بعض اهله عن

عبد الله بن عباس رضي الله عنهما ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لاصحابه يومئذ
اني قد عرفت ان رجالا من بني هاشم وغيرهم قد اخرجوا كرها لا حاجة لهم
بقتالنا فمن لقي منكم احدا من بني هاشم فلا يقتله ومن لقي ابا البختري
ابن هشام بن الحرث بن اسد فلا يقتله ومن لقي العباس بن عبد المطلب
عم رسول الله صلى الله عليه وسلم فلا يقتله فانه خرج مستكرها ثم انهم ظفروا
بالعباس فجي به اسيرا كذا في السيرة الهشامية ومن الاسرى عقيل
ابن ابي طالب والعباس ونوفل ابنا عبد المطلب وكان قد عرض الاسارى
على اصحابه ثم استشارهم فيهم فقالوا انهم الاهل والعشيرة وهم ذووا اموال
يفادون نفوسهم ثم دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم العباس وقال فاد
نفسك وابني اخويك قال يا نبي الله اني كنت مسلما واستكرهوني
على الخروج فقال صلى الله عليه وسلم الله اعلم باسلامك ان يكن حقا يجزك به
واما ظاهر امرك فقد كان علينا ففاد نفسك وابني اخويك عقيلا
ونوفلا فقال ليس لي مال فقال فاين المال الذي وضعته عند
ام الفضل بمكة وليس معكما احد وقلت لها ان اصبت فللفضل كذا
ولعبد الله كذا فقال والذي بعثك بالحق ما علم به احد غيرها واني لاعلم
انك رسول الله ففدى نفسه بمائة اوقية وكل واحد منهما باربعين
اوقية واسلم هو وعقيل ثم نوفل اسلم بعد وهاجر عام الخندق واراد
الانصار ان لا ياخذوا منه فداً ففي صحيح البخاري بسنده عن انس رضي الله
عنه ان رجالا من الانصار استاذنوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا

ائذن لنا فلنترك لابن اختنا عباس فداءه فقال لا تدعون منه درهما فان قلت
كم كان قدر الفدا قلت كان في اسارى بدر من اربعة الاف الى ثلاثة الاف
الى الفين الى الف درهم وكان يفاديهم على قدر اموالهم وكان اهل مكة يكتبون
واهل المدينة لا يكتبون فمن لم يكن عنده فدا دفع اليه عشرة غلمان من غلمان
المدينة يعلمهم فاذا حذقوا فهو فداؤه وفي اخر الجهاد من المستدرك للحاكم
ان فدا الجاهلية يوم بدر اربعمائة قال وهو على شرط البخاري ومسلم فان قلت
هذا المال الذي دفع للعباس ماذا كان قلت قد وقع من ابن بطال
انه استدل بقصة العباس على جواز اعطا بعض الاصناف من الزكاة
ولا دلالة فيها لان المال المذكور ليس من الزكاة وعلى تقدير كونه منها
فالعباس رضي الله عنه ليس من اهل الزكاة فان قيل انما اعطاه من
سهم الغارمين كما اشار اليه الكرماني قلنا بل الحق ان المال المذكور كان
من الخراج او الجزية وهما من مال المصالح وحمل اليه تسعون الف درهم
فوضعت على حصير ثم قام اليها بنفسه فقسمها فما رد سائلا حتى
فرغ منها هذا الحديث رواه ابو الحسن بن الضحاك في الشمائل عن الحسن
مرسلا واخرجه ايضا صاحب الوفا فيه بسنده عن هارون بن رباب قال
قدم على النبي صلى الله عليه وسلم سبعون الف درهم وهو اكثر مال اتي به قط
فوضع على حصير ثم قام فقسمه فما رد سائلا حتى فرغ منه كذا وجدناه
في الوفا بلفظ سبعين بتقديم السين على الباء وفي نسخ الشفا بلفظ
تسعين بتقديم التا على السين والجلال السيوطي ذكره في تخريج احاديث

الشفا

الشفا بلفظ سبعين بتقديم السين على الباء ويوافق ذلك ما ذكره الصرصري
في قصيدته النونية حيث قال

سبعين الفا فضها في مجلس ٭ لم يبق منها عنده فلسان

وجاءه رجل فسأله اي طلب منه ان يحسن اليه فقال ما عندي شي ولكن
ابتع علي اي اشتر بثمن يكون ذلك الثمن علي اي في ذمتي وفي القاموس
فاذا جاءنا شي قضيناه
ابتاعه اشتراه وهذا ليس ضمانا لازما بل هو منه صلى الله عليه وسلم
وعد ووعده يجب الوفا به ولهذا صح انه لما مات النبي صلى الله عليه وسلم
نادى ابو بكر رضي الله عنه من كانت له عند رسول الله صلى الله عليه وسلم عدة
او دين فليأتنا ففي صحيح البخاري بسنده عن جابر رضي الله عنه قال كان
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لي لو قد جاءنا مال البحرين قد اعطيتك هكذا
وهكذا وهكذا فلما قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم وجاء مال البحرين
قال ابو بكر رضي الله عنه من كانت له عند رسول الله صلى الله عليه وسلم عدة
او دين فليأتنا فاتيته فقلت ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد كان قال
لي لو قد جاءنا مال البحرين لاعطيتك هكذا وهكذا وهكذا فقال لي احثه
فحثوت حثوة فقال لي عدها فعددتها فاذا هي خمسمائة فاعطاني الفا
وخمسمائة فقال له عمر ما كلفك الله عز وجل ما لا تقدر عليه فكره
رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك فقال رجل من الانصار انفق يا رسول
الله ولا تخف من ذي العرش اقلالا وقد اشتهرت هذه الجملة على السنة
الناس بلفظ انفق بلالا ولا تخش من ذي العرش اقلالا واشتهر انه حديث مرفوع

روى عن النبي صلى الله عليه وسلم وتكلموا في توجيهه بانه نهي عن المنع وقيل انه منادى
حذف منه حرف النداء وهو منادى مضاف الى ياء المتكلم وان اصله يا بلالي
فحذف يا كما يحذف حرف النداء كثيرا وقلبت ياء المتكلم الفا نحو يا غلاما وبدل
على كونه منادى ورود انفق يا بلال مصرحا بحرف النداء والصحيح انه حديث
مرفوع روى عن النبي صلى الله عليه وسلم فقد اخرج الطبراني في الكبير والبزار في مسنده
من حديث عاصم بن علي والطبراني فقط وكذا القضاعي في مسنده من حديث
مالك بن اسمعيل بسنده عن ابن مسعود رضي الله عنه قال دخل النبي صلى الله
عليه وسلم على بلال وعنده صبر من تمر فقال ما هذا يا بلال قال يا رسول الله ذخرته
لك ولضيفانك قال اما تخشى ان يفور لك بخار من جهنم انفق يا بلال قال يا
رسول الله وذكره واخرجه العسكري في الامثال عن عائشة رضي الله عنها قالت
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اطعمنا يا بلال فقال يا رسول الله ما عندي الا صبر
من تمر خبأته لك فقال اما تخشى ان تقذف به في نار جهنم انفق بلال ولا تخش
من ذي العرش اقلالا فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم وعرف البشر في
وجهه وقال بهذا امرت ذكره الترمذي اي في كتاب الشمائل النبوية لم قلت
ما بال النبي صلى الله عليه وسلم غضب من مقالة عمر رضي الله عنه وسره مقالة ذلك الانصاري
قلت اما غضبه من عمر فانه حثه على البخل وقال له ان الله لم يامرك بهذا لان
الله عز وجل لم يامره الا كما امر غيره من الناس باخراج قدر مخصوص من المال
كالزكاة والنذور فغضب من كونه عمر تكلم على وفق ظنه ثم ان ذلك الانصاري
لما قال مقالة بعثه فيها على الجود فقال بهذا امرت فان قلت ما القدر الذي امره صلى

الله عليه وسلم في اخراج المال قلت المال خلق لحكمة ومقصود وهو صلاح
لحاجات الخلق ويمكن امساكه عن الصرف الى ما خلق للصرف اليه ويمكن بذله
بالصرف الى ما يحسن الصرف اليه ويمكن التصرف فيه بالعدل وذلك ان يحفظ
بحيث يجب الحفظ ويبذل بحيث يجب البذل فالامساك حيث يجب
البذل بخل والبذل حيث يجب الامساك تبذير وبينهما وسط محمود
وينبغي ان يكون السخا والجود عبارة عنه اذ لم يومر صلى الله عليه وسلم الا
بالسخا في قوله عز وجل لا تجعل الاية فالجود وسط بين الاسراف والاقتار
وبين البسط والقبض والذي يجب بذله قسمان واجب بالشرع
وواجب بالمروة فواجب الشرع معلوم وواجب المروة لا يمكن التنصيص
على مقداره واقل حد البخل امساك المال عن غرض وذلك الغرض هو اهم
من حفظ المال فان صيانة الدين اهم من صيانة المال وكذا صيانة
المروة اهم من صيانة المال فالحق في ما نحن فيه مقالة الانصاري لان
ذلك الرجل الذي سال النبي صلى الله عليه وسلم كان محتاجا الى الغاية ولا
يليق بمروة النبي صلى الله عليه وسلم وهو اكمل جميع خلق الله عز وجل ان
يرد هذا المحتاج فكان منع هذا السائل بخلا وحاشى رسول الله صلى
الله عليه وسلم عن البخل فلهذا سر بمقالة ذلك الانصاري اذ اجرى الله
عز وجل على لسانه الحق واما عمر رضي الله عنه فانه لاحظ الشفقة على
نبي الله صلى الله عليه وسلم فان الناس كثرت نوائبهم فتون عليه وكثر ضرره
باعطاء الناس جميع ما يطلبون منه فقصد عمر ان يصد الناس عنه وعن معوذ بن عفرا

يجوز في معوذ فتح الواو وكسرها وعفرا امه وهو ابن الحرث بن رفاعة بن الحرث
ابن سواد قيل انه الذي قتل ابا جهل يوم بدر ثم قاتل حتى قتل وفي صحيح البخاري
عن انس رضي الله عنه قال قال النبي [redacted] صلى الله عليه وسلم من ينظر ما صنع
ابو جهل فانطلق ابن مسعود فوجده قد ضربه ابنا عفرا رضي الله عنهما حتى برد
قال انت ابا جهل قال احمد بن يونس انت ابو جهل قال فاخذ بلحيته قال
وهل فوق رجل قتلتموه او قتله قومه واخرج الحاكم عن معاذ بن عمرو بن الجموح
قال سمعتهم يقولون وابو جهل في مثل تلك الحرجة ابو الحكم لا يخلص اليه فجعلته
من شاني وصمدت نحوه فلما امكنني حملت عليه فضربته ضربة اطنت قدمه
وضربني ابنه عكرمة على عاتقي فطاح يدي قال ثم عاش معاذ الى زمن عثمان
رضي الله عنه قال ومر بابي جهل معوذ بن عفرا فضربه حتى اثبته وبه رمق ثم
قاتل معوذ حتى قتل فمر عبد الله بن مسعود بابي جهل فوجده باخر رمق
قال ابن مسعود فوضعت رجلي على عنقه فقلت اخزاك الله عز وجل يا
عدو الله الى اخر الحديث فيفهم من هذا الحديث ان معاذ بن عمرو بن الجموح
ضرب ابا جهل حتى اطن قدمه وان عكرمة ابن ابي جهل ضرب معاذا على
عاتقه فطرح يده فتعلقت يده بجلدة من جنبه قال واجهضني القتال
عنه ولقد قاتلت عامة يومي واني لاسحبها خلفي فلما اذتني وضعت
قدمي عليها وتمطيت بها حتى طرحتها ثم عاش حتى كان في زمن عثمان رضي
الله عنه وقيل ان ذلك وقع لمعاذ بن عفرا ثم ان معوذ اضربه حتى ادى الى
حركة المذبوح فجا ابن مسعود فحز راسه قال اتيت النبي صلى الله عليه وسلم

بقناع

قال في الصحاح الطنين صوت الذباب الى ان قال وضربه فاطن ساقه اي قطعها ويقال يراد بذلك صوت القطع انتهى

جهضني فلان واجهضني اذا غلبك على الشيء الى اخر ما قال صحاح

انظر قد اهمل هذا الصحابي رضي الله عنه بعد طرح يده

بقناع بكسر القاف [redacted] بعدها نون يليها الف بعدها عين مهملة في
النهاية الاثيرية القناع الطبق الذي يوكل عليه ويقال له القنع بالكسر والضم
وقيل القناع جمع ومنه حديث عائشة رضي الله عنها ان كان ليهدى لنا
القناع فيه كعب من اهالة فنفرح به اتى ولو لا افراده عود الضمير في قولها
فيه اليه بالافراد ولو كان جمعا لقال فيها واجر بفتح الهمزة وسكون الجيم
جمع جر وكادل جمع دلو والجرو صغار القثا وقيل الرمان ايضا زغب بزيد فتا
اي زيد عليه وفي النهاية الزغب جمع ازغب من الزغب صغار الريش
اول ما يطلع شبه به ما على القثا من الزغب فاعطاني اي النبي صلى الله
عليه وسلم ملء كفه حليا وذهبا الحلي اسم لكل ما يتزين به من مصاغ
الذهب والفضة والجمع حلي بالضم والكسر وفي الغريبين في الحديث
اهدي للنبي صلى الله عليه وسلم اجر زغب الاجري هو جمع الادنى للجرو
وهو صغار القثا والرمان والجراجيع الجمع ويقال للشجرة قد اجرت
اذا قويت فهو الجدح وقد اجرحت شجرتك وقال ابو بكر من جمع الجرو على
اجر قال هو بمنزلة عدل واعدال ومن جمع على اجر قال هو بمنزلة ذئب
وذئاب ومن قال في جمعه اجر فالحجة له ربما جمعت فعلا وفعلا
على افعل كقولهم ضرس واضرس وزمن وازمن قال الشاعر
وقرعت نابك قرعه بالاضرس ه وقال الهروي في الغريبين في باب
جنى والجنى ما يجتنى من الثمر والرطب والعسل وغير ذلك وفي بعض
الروايات اهدي له اجن زغب فالاجن جمع الجنى ويسمى القثا الرطب

خ
من رطب بريد طبقا
القناع ح
واجر زغب بريد
قناع ~~واعطاني~~ ح
حر

في اصل الشارح فيه ما لم يذكر وهو سهو ه

زغب بزيد فتا

الغض جناثم جمع اجنبا كما تقال عصا واعص ورسن وارسن وجبل
واجبل والرواية المشهورة اجر زغب بالزاي انتهى هذا والظاهران مرت
المصنف وهم في نقل هذا الحديث عن معوذ بن عفرا فان معوذا اقتل يوم بدر
وما البحرين انما اهدي الى النبي صلى الله عليه وسلم بعد ظهور الاسلام وانتشار
امره وذلك في اخر حياة النبي صلى الله عليه وسلم ومعوذ لم يدرك تلك الايام
والحديث المذكور رواه الترمذي في الشمايل فقيه بسنده الى الربيع
بنت معوذ قالت بعثني معاذ بن عفرا يعني عمها بقناع عليه اجر من
قثا زغب وكان النبي صلى الله عليه وسلم يحب القثا فاتيته بها وعنده
حلية قدمت عليه من البحرين فملا يده منها فاعطانيه ثم روى رواية
اخرى عن الربيع بنت معوذ بن عفرا قال اتيت النبي صلى الله عليه وسلم بقناع
من رطب واجر من زغب فاعطاني ملء كفه حليا او قالت ذهبا
وقال انس كان النبي صلى الله عليه وسلم لا يدخر شيا لغد لعله اراد بالشي — بحث الادخار وهو بحث نفيس مفيد
الذي لم يكن صلى الله عليه وسلم يدخره الدرهم والدينار والاموال بل كان يجود
بها على الناس ولعل المصنف انما ذكر ذلك في هذا الباب لانه يلايمه والا
فلو كان المدخر القوت لناسب ان يذكره في بحث توكل النبي صلى الله عليه وسلم
على الله عز وجل وقد صح ان النبي صلى الله عليه وسلم ادخر لعياله قوت سنة ونهى
ام ايمن وغيرها ان يدخر له شيا لغد ونهى بلالا رضي الله عنه عن الادخار
لكسرة خبزة ادخرها ليفطر عليها وقال انفق بلال ولا تخش من ذي العرش
اقلالا وقال له صلى الله عليه وسلم اذا سلت فلا تمنع واذا اعطيت فلا تخبا

فان قلت

فان قلت الادخار ينافي التوكل على الله عز وجل قلت الناس في ذلك على قسمين
اما رجل منفرد لا عيال له واما رجل معيل ثم المنفرد له احوال الاولى ان
ياخذ قدر حاجته في وقته فياكل ان كان جايعا ويلبس ان كان عاريا
ويشتري مسكنا مختصرا ان كان محتاجا ويفرق الباقي في الحال فهذا
واف بالتوكل الثانية انه يدخر الى سنة فهذا خارج عن التوكل الثالثة
ان يدخر لاربعين يوما فقد ذهب الخواص الى انه لا يخرج باربعين يوما
عن حد التوكل ويخرج بما زاد على ذلك هذا كله في حق من لا ينزعج قلبه
بترك الادخار ولا تستشرف نفسه الى ايدي الخلق ولا يلتفت قلبه
الا الى الوكيل الحق عز وجل فان كان يستشعر من نفسه اضطرابا يشغل قلبه
عن العبادة والذكر والفكر فالادخار له اولى بل لو امسك ضيعة يكون دخلها
وافيا بقدر كفايته وكان لا يتفرغ قلبه الا به فذلك اولى لان المقصود
اصلاح القلوب لتتجرد لذكر الله عز وجل ورب شخص يشغله وجود
المال ورب شخص يشغله عدمه والمحذور ما يشغل عن الله عز وجل
والا فالدنيا في عينها غير محذورة لا وجودها ولا عدمها وبعث رسول
الله صلى الله عليه وسلم الى اصناف الخلق وفيهم التجار والمحترفون واهل
الصناعات ولم يامر التاجر بترك تجارته ولا المحترف بترك حرفته و
امر التارك لهما بالاشتغال به ودعا الكل الى الله عز وجل بل كان يقول
للملوك والسلاطين كالنجاشي وقيصر يكونون على ملكهم ويجيبوني الى
الله عز وجل والى الايمان به سبحانه فارشد صلى الله عليه وسلم الكل الى قوام

وبجاتهم في انصراف قلوبهم عن الدنيا الى الله عز وجل وعدة الاشتغال بالله عز
وجل القلب فالصواب للضعيف ادخاره قدر حاجته كما ان الصواب
للقوي ترك الادخار هذا كله في حق المنفرد الذي لا عيال له واما المعيل فلا
يخرج عن التوكل بادخار قوت سنة لعياله جبر الضعفهم وتسكينا لقلوبهم
وادخار اكثر من ذلك مبطل للتوكل لان الاسباب تتكرر بتكرر السنين
فادخار ما يزيد على ذلك سببه ضعف القلب وذلك يناقض قوة
التوكل وفي صحيح البخاري بسنده عن عبد الرحمن بن عابس عن ابيه قلت
لعائشة رضي الله عنها انهى النبي صلى الله عليه وسلم ان توكل لحوم الاضاحي
فوق ثلاث قالت ما فعله الا في عام جاع الناس فيه فاراد ان يطعم الغني
الفقير وان كنا لنرفع الكراع فناكله بعد خمس عشرة قيل ما اضطركم اليه
فضحكت قالت ما شبع ال محمد صلى الله عليه وسلم من خبز بر مادوم
ثلاثة ايام حتى لحق بالله عز وجل وفيه بسنده عن جابر رضي الله عنه قال
كنا نتزود لحوم الهدي على عهد النبي صلى الله عليه وسلم الى المدينة قال
ابن بطال في هذين الحديثين رد على من زعم من الصوفية انه لا يجوز ادخار
طعام لغد وان اسم الولاية لا يستحق لمن ادخر شيئا ولو قل وان من
ادخر اساء الظن بالله عز وجل وفي هذين الحديثين كفاية في الرد على من زعم
ذلك لكن ينبغي ان يكون قلبه فارغا عن الاعتماد على المدخر ويشهد لذلك
ما روي عن بشر الحافي رضي الله عنه قال الحسن المغازلي من اصحابه حكاية
كنت عنده في ضحوة النهار يوما فدخل عليه كهل اسمر خفيف فقام اليه

بشر

بشر قال وما رايته قام لاحد غيره قال ودفع الي كفا من دراهم وقال اشتر
لنا من اطيب ما تقدر عليه من الطعام الطيب وما قال لي قط مثل ذلك
قال فجئت من الطعام بشي فوضعته فاكل معه وما رايته اكل مع غيره
قال فاكلنا حاجتنا قال وبقي من الطعام شي كثير فاخذه الرجل وجمعه
في ثوبه وحمله معه بعد ما اكل منه حاجته وانصرف فعجبت من ذلك وكرهته
له فقال لي بشر انكرت فعله قلت نعم اخذ بقية الطعام من غير اذن
فقال هذا اخونا فتح الموصلي زارنا اليوم من الموصل وانما اراد ان
يعلمنا ان التوكل اذا صح لم يضر معه الادخار هذا وان هذا الحديث رواه
الترمذي والخبر بجوده وكرمه صلى الله عليه وسلم كثير وعن ابي هريرة رضي
الله عنه قال اتى رجل النبي صلى الله عليه وسلم يساله فاستسلف له رسول
الله صلى الله عليه وسلم نصف وسق الوسق بفتح الواو وكسرها وهو
ستون صاعا وهو ثلثمائة وعشرون رطلا عند اهل الحجاز واربع مائة
وثمانون رطلا عند اهل العراق على اختلافهم في مقدار الصاع والمد والاصل
في الوسق الحمل وكل شي وسقته فقد حملته والوسق ايضا ضم
الشي الى الشي ومنه حديث احد استوثقوا كما يستوثق جرب الغنم
اي استجمعوا وانضموا فجا الرجل يتقاضاه فاعطاه
وسقا وقال نصفه قضا ونصفه نائل اي عطاء فصل
واما الشجاعة والنجدة فالشجاعة فضيلة قوة الغضب وانقيادها
للعقل لان الشجاعة ملكة نفسانية تقتضي اعتدال القوة الغضبية

قوله وحبر العام انه مقدم وهو حسنا الفصل في نسخة هذا

هو والذي والاشبه بخط في نسخة صحيحة

لان القوة الغضبية ان صار لها ملكة الافراط فهو التهور ويسمى ذو الملكة
متهورا وان صار لها ملكة النقصان جدا فهو الجبن وصاحبها جبان وان
اعتدلت فهو الشجاعة وصاحبها شجاع **والنجدة ثقة النفس عند**
استرسالها الى الموت حيث يحمد فعلها دون خوف في النهاية النجدة بفتح
النون مختومة بدال مهملة الشجاعة ورجل نجد بكسر الجيم ونجد بضمها اي
شديد الباس ومنه حديث علي اما بنو هاشم فانجاد امجاد اي اشداء شجعان
وقيل انجاد جمع الجمع كانه جمع نجدا على نجاد او نجود ثم نجد ثم انجاد ولا حاجة
الى ذلك لان افعالا في فعل وفعل مطرد نحو عضد واعضاد وكتف واكتاف
وكان صلى الله عليه وسلم منها بالمكان الذي لا يجهل قد حضر المواقف الصعبة
وفر الكماة جمع كمي كغني الشجاع او لابس السلاح كالمتكمي كذا في القاموس
فدل كلامه على ان الكمي مشترك بين الشجاع وان لم يكن متكميا بالسلاح وبين
المتكمي بالسلاح وان لم يكن شجاعا وفي الصحاح الكمي الشجاع المتكمي في
سلاحه لانه كمى نفسه اي سترها بالدرع والبيضة والجمع الكماة كانهم
جمعوا كامي مثل قاضي وقضاة انتهى فكلامه كما ترى يقتضي انه لا يطلق
الا على شجاع تكمى في سلاحه اي استتر **والابطال** عنه جمع بطل وهو الشجاع
قال مرحب * قد علمت خيبر اني مرحب * شاكي السلاح بطل مجرب ه
وهو ثابت لا يبرح اي لا يفارق مكانه فهو مثل قوله فلن ابرح الارض
اي لن افارقها **ومقبل لا يدبر ولا يتزحزح** اي يتنحى عن مكانه زحزحه اي
نحاه عن مكانه وباعده منه فعطف يتزحزح على يدبر عطف عام على خاص

مخالف بين عبارتي القاموس والصحاح ه

رجز
عن مرحب

لان الادبار اخص من الزحزحة اذ كل مدبر متزحزح وليس كل متزحزح
مدبرا لان الادبار مخصوص بما اذا فارق مكانه موليا والمتزحزح
يجوز ان يكون متنحيا عن اليمين والشمال من غير ادبار فان قلت هل كان
يفعل ذلك استحبابا ام وجوبا قلت من خصائصه صلى الله عليه وسلم انه يجب
عليه مصابرة العدو وان كثروا حتى زادوا على ضعف عسكره واما
الامة فان زاد العدو على ضعف المسلمين جاز للامام وغيره ان ينصرف من
صف القتال نعم يحرم على مائة بطل من المسلمين ان يفروا من مائتين
وواحد ضعفاء فانه لا يجوز لهم الانصراف للمقاومة لو ثبتوا وكذا مائة
ضعفاء من مائة وتسعة وتسعين ابطالا وكذا يجوز الانصراف عن صف
القتال لتحرف لقتال او تحيز الى فئة سواء قربت الفئة ام بعدت
والمتحرف لقتال قد يكون لمحاذاة شمس ونحو ذلك هذا ان لم تنكسر الفئة
المنصرف عنها بانصرافه فان انكسرت فلا يجوز الانصراف ثم انه اذا جاز
الفرار فان غلب ظن الهلاك وليس في الثبات نكاية وجب الفرار
وان كان فيه نكاية لم يجب بل يستحب المصابرة كما قرره النووي
في الروضة **وما شجاع الا وقد احصيت له فرة وحفظت عنه جولة**
سواه في النهاية الاثيرية يقال جال واجتال اذا ذهب وجاء ومنه
الجولان في الحرب واجتال الشيء اذا ذهب به وساقه والجائل الزائل
عن مكانه وفي الحديث للباطل جولة ثم يضمحل هو من جولان البلاد اذا
طاف يعني ان اهله لا يستقرون على امر يعرفونه ويطمئنون اليه قال

مسئلة
كان يجب عليه
مصابرة العدو
وان كثر ه

واما حديث الصديق رضي الله عنه للباطل نزوة وللحق جولة فانه يريد غلبة
الحق من جالة الحرب على قرينة يجول ويجوز ان يكون من الاول لانه قال بعده يعفو
لها الاثر وتموت السنن انتهى والجولة في كلام المصنف تحمل على الاول وهو
التردد في المعركة وعدم الثبات في مكان واحد خوفا من القتل وهو نوع
خوف ينافي الشجاعة كالفرار قال المصنف حدثنا القاضي ابو علي الجياني
فيما كتب الي هو الحافظ ابو علي الغساني والجياني نسبة الى جيان على زنة
شداد بلدة بالاندلس منها هذا العالم ومنها ابن مالك صاحب التسهيل
في العربية وشارحه ابو حيان وقد ذكر ابو حيان في شرحه على التسهيل
ان ابن مالك بلديه وقوله فيما كتب لي والمتبادر من قوله كتب لي انه كتبه
بيده فان الكتابة قد تكون بخط الشيخ الى طالب الحديث وقد تكون بان ياذن
الشيخ لثقة بان يكتب عنه والظاهر ان المصنف كان غائبا عن
القاضي ابي علي في بلد اخر فان ابا علي جياني والمصنف سبتي مع احتمال
ان يكون لقيه في بلدة واحدة وكتب له فان الكتابة تجوز الرواية بها للغائب
عن البلد وحاضر فيه والظاهر انه لم يقع له مع الكتابة اجازة بل جردها
عن الاجازة ولو قرنها بالاجازة لكان اعلى مما اذا جرد الكتابة عن
الاجازة ومع ذلك فيعمل بمجرد الكتابة فقد استمر عمل السلف فمن بعدهم
من الشيوخ بالحديث بقولهم كتب الي فلان قال حدثنا فلان واجمعوا
على العمل بمقتضى هذا الحديث وعدوه في المسند بغير خلاف يعرف في ذلك
وهو موجود في الاسانيد كثيرا قال ابن الصلاح كثيرا ما يوجد في مسانيدهم

ومصنفاتهم

ومصنفاتهم قولهم كتب الي فلان قال حدثنا فلان وذلك معمول به عندهم
معدود في المسند الموصول وفيها اشعار قوي بمعنى الاجازة فهي وان لم
تقترن بالاجازة لفظا فقد تضمنتها معنى بل عد هذا النوع من التحمل
ابو المظفر بن السمعاني اقوى من الاجازة المجردة واليه صار امام الحرمين
لما فيها من التشخص والمشاهدة للمروي وجمع المصنف بين قوله حدثنا
وقوله فيما كتب لي احتياطا وورعا وعملا بقول الجمهور المانعين من قول
حدثنا واخبرنا فيما كان مكاتبة الا مع التقييد بقوله كتابة او نحوها قال
الحاكم الذي اختاره وعهدت عليه اكثر مشايخي وائمة عصري ان يقول فيما
كتب اليه المحدث من مدينة ولم يشافهه بالاجازة كتب الي فلان او يقول
حدثنا او اخبرنا كتابة او مكاتبة قال حدثنا القاضي سراج هو ابن عبد الله
ابن سراج قال حدثنا ابو محمد الاصيلي هو ابو محمد عبد الله بن ابرهيم بن محمد
ابن عبد الله بن جعفر الاصيلي ويقال الازيلي نسبة الى اصيل مدينة
بالمغرب قال الصغاني واصيل بلد من اعمال الاندلس قال حدثنا ابو زيد
الفقيه هو ابو زيد المروزي قال حدثنا محمد بن يوسف هو الفربري
قال حدثنا محمد بن اسماعيل هو البخاري صاحب الجامع الصحيح قال
حدثنا ابن بشار هو محمد بن بشار بن عثمان العبدي وهو بندار قال
ابو داود كتبت عنه خمسين الف حديث عاش ثمانين سنة ومات سنة
اثنتين وخمسين ومائتين في رجب قال الذهبي انعقد الاجماع على
الاحتجاج ببندار قال حدثنا غندر هو بضم الغين المعجمة ثم نون ساكنة

ثم دال مهملة مفتوحة ويجوز ضمها وهو محمد بن جعفر الهذلي مولاهم
البصري الحافظ وهو ابن زوجة شعبة وجالسه عشرين سنة
مات في ذي القعدة سنة ثلاث وتسعين ومائة اخرج له الائمة
الستة قال حدثنا شعبة هو ابن الحجاج امير المومنين في
الحديث ولد بواسط وسكن البصرة راى الحسن وابن سيرين وسمع
معوية بن قرة وله نحو الفي حديث مات في سنة ستين ومائة عن
ابي اسحق هو عمرو بن عبد الله ابو اسحق السبيعي الهمداني سمع جريرا
وعدي بن حاتم وزيد بن ارقم وابن عباس وعدة من الصحابة واما من
التابعين عدا عشر مرات وكان صواما قواما مات سنة سبع وعشرين
ومائة وله خمس وتسعون سنة انه سمع البرا هو بتخفيف الرا والمد
هذا هو الصحيح المشهور وحكي فيه القصر وهو ابن عازب بن الحرث
ابن عدي نزل الكوفة وتوفي بها زمن مصعب بن الزبير استصغره النبي
صلى الله عليه وسلم يوم بدر واول مشاهده احد غزا مع النبي صلى الله عليه وسلم
خمس عشرة غزوة وشهد مع علي الجمل وصفين والنهروان وساله رجل
اي البرا والجملة حال وقد صرح افررتم يوم حنين هو اسم موضع سمي
باسم رجل هو حنين بن قانية بن مهلايل والغزوة تسمى غزوة حنين
وهوازن واوطاس وكانت غزوة حنين في شوال سنة ثمان وكان
سيما الملائكة فيها عمائم حمرا قد ارخوها بين اكتافهم وحنين واد بين
مكة والطائف وراء عرفات بينه وبين مكة بضعة عشر ميلا وهو
منهم في

منصرف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال نعم لكن رسول الله
صلى الله عليه وسلم لم يفر كذا في بعض الطرق وفي صحيح مسلم قال الرجل
للبرا يا ابا عمارة فررتم يوم حنين قال لا والله ما ولى رسول الله صلى
الله عليه وسلم ولم يذكر في هذه الرواية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
النووي في شرح هذه الرواية هذا الجواب الذي اجاب به البرا من بديع
الادب لان تقدير الكلام افررتم كلكم فيقتضي ان النبي صلى الله عليه وسلم وافقهم
في ذلك فقال البرا لا والله ما فر رسول الله صلى الله عليه وسلم ولكن جماعة من
اصحابه جرى لهم كذا وكذا انتهى قال البرهان الحلبي وهذا الجواب لا ياتي الا على
الرواية الثانية اعني رواية مسلم وهي التي فيها افررتم يوم حنين ولم يقل
عن النبي صلى الله عليه وسلم وكان ينبغي للشيخ يعني النووي ان يجيب بجواب
غير هذا لان هذا الوهم احترز عنه السائل بقوله عن رسول الله صلى الله
عليه وسلم فانه لم تجئ رواية ان النبي صلى الله عليه وسلم انهزم قط وقد قالت
الصحابة كلهم انه لم ينهزم ولم ينقل احد قط انه صلى الله عليه وسلم انهزم وقد
نقل الاجماع على انه لا يجوز ان يعتقد احد في النبي صلى الله عليه وسلم انه انهزم
ولا يجوز ذلك عليه قال شيخنا الرضي بن الحنبلي بل يتاتى ذكر الجواب على
الرواية الاولى لان قول السائل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وان دفع وهم
انه صلى الله عليه وسلم فر معهم الا انه لم يدفع وهم انه فر لما ان ثبت بعد
فرارهم فكان ثابتا فيما طواه البرا من الجواب الذي تقديره فر من فر عن
رسول الله صلى الله عليه وسلم فصح رفعه بقوله لكن رسول الله صلى الله عليه وسلم

لم يفر لانه استند راكبا انتهى واقول ـــــ يصح ان يكون جوابا السوال
ذكر على كلتا الروايتين اما الرواية الاولى التي ليس فيها عن رسول الله صلى
الله عليه وسلم فصحة الجواب عنها ظاهرة واما على الرواية التي فيها عن رسول
الله صلى الله عليه وسلم فلا فانه لا يلزم ان يكون النبي صلى الله عليه وسلم ثبت اذ فر عنه
القوم فانه اذا فر القوم احتمل ان يكون هو فر معهم حين فروا عنه واحتمل
ان يكون ثبت فدفع ذلك التوهم وكون النبي صلى الله عليه وسلم لا يجوز عليه
الفرار ولا يجوز ان يتوهم فيه ذلك امر يدركه خواص الناس ولعل
السائل من عوام الناس فخاف البراء من ان يتخبطه الشيطان بسوء ظنه
بنبيه صلى الله عليه وسلم فبادر الى تنزيهه صلى الله عليه وسلم عما لا يليق بشانه
ويمكن ان يقال ان قصد البراء بذلك ان يبين ان فرارنا لم يكن بالكلية
وانما صادفنا من نعم الحرب نوع حفة فتحولنا عن وجه العدو ثم نعود
لان نبينا صلى الله عليه وسلم ثابت لم يفر ولا يمكن ان ندع نبينا وننفر
فانظر بثبات نبي الله صلى الله عليه وسلم ان فرارهم لم يكن بالكلية بل
يعودون لانه من هو اعز من انفسهم عندهم وعند كل مسلم واقف في
الحرب فكيف نفر بالكلية وندعه ويمكن ان يكون جواب البراء من الاسلوب
الحكيم لان السائل سال عن فرارهم فقال له هذا لا يهمك شانه وان
الذي ينفعك في الدارين ان تعتقد ان النبي صلى الله عليه وسلم لم يفر ثم قال
ولقد رايته على بغلته البيضا في صحيح مسلم اهداها له فروة بن
نفاثة كما صرح به العباس بن عبد المطلب وفي صحيح مسلم سماها بعضهم

فضة

فضة وجاء في رواية انها شهباء قال النووي هما واحدة ولا يعرف له
صلى الله عليه وسلم بغلة سواها وقال البرهان الحلبي قد صح ان البغلة
البيضا هي الشهبا وتسمى الدلدل اهداها له المقوقس وبغلة يقال
لها فضة اهداها له فروة بن عمرو الجذامي فوهبها لابي بكر رضي الله عنه
وبغلة اهداها ابن العلما صاحب ايلة وبعث صاحب دومة الجندل
الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ببغلة وقيل اهدى له كسرى بغلة ولا يثبت
وقد روى الحاكم في المستدرك باسناده الى ابن عباس رضي الله عنهما
قال اهدى الى النبي صلى الله عليه وسلم بغلة اهداها له كسرى فركبها بحبل من
شعر ثم اردفني خلفه الحديث وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال
اهدى النجاشي الى رسول الله صلى الله عليه وسلم بغلة فكان يركبها فهذه
ست بغلات وذكر بعضهم خمسا فلم يذكر بغلة كسرى وفي سيرة
مغلطاي ومن البغال دلدل وفضة التي اهداها له ابن العلما والايلية
وبغلة اهداها له كسرى واخرى من دومة الجندل واخرى من عند النجاشي
فهن سبع والبغلة التي ركبها يوم حنين هي فضة التي اهداها له فروة بن
نفاثة كذا قاله ابن سيد الناس وفي كلام السهيلي معناه ولفظ
السهيلي والبغلة التي كان عليها يومئذ يعني يوم حنين هي التي تسمى الشهبا
وهي التي اهداها له فروة بن نفاثة ورجح النووي انها الدلدل وفي
صحيح البخاري انه كان راكبا على بغلته البيضا اهداها له فروة بن نفاثة
وهذا يرد كونها الدلدل لان الدلدل اهداها له المقوقس وابو سفيان اخذ بلجامها

غيرت لفظة الايلية في نسخة المصنف بخط اخر الحافظ هو والي ايلة تحرر

هذا ابو سفيان بن الحرث بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف القرشي
الهاشمي ابن عم النبي صلى الله عليه وسلم وكان اخاه من الرضاعة ارضعتهما
حليمة بنت ابي ذويب السعدية وامه غزية بنت قيس قال ابن المنذر
اسمه المغيرة وقيل اسمه كنيته والمغيرة اخوه وكان يشبه النبي صلى
الله عليه وسلم وكان شاعرا مطبوعا سبق له في كفره انه هجا رسول الله
صلى الله عليه وسلم وعارضه حسان بقوله

من الوافر

الا ابلغ ابا سفيان عني • مغلغلة فقد برح الخفاء
هجوت محمدا فاجبت عنه • وعند الله في ذاك الجزاء

ثم ان ابا سفيان اسلم وحسن اسلامه وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال
مر رسول الله صلى الله عليه وسلم عام الفتح وكان ابو سفيان بن الحرث
وعبد الله بن ابي امية بن المغيرة قد لقيا رسول الله صلى الله عليه وسلم
بثنية العقاب بين مكة والمدينة فالتمسا الدخول عليه فكلمته ام سلمة
رضي الله عنها فيهما فقالت يا رسول الله ابن عمك وابن عمتك وصهرك
فقال لا حاجة لي بهما اما ابن عمي فهتك عرضي واما ابن عمتي وصهري
فهو الذي قال بمكة ما قال فلما خرج الخبر اليهما بذلك ومع ابي سفيان رضي الله
عنه ابن له فقال والله ليأذنن لي رسول الله صلى الله عليه وسلم او لآخذن
بيد ابني هذا ثم لنذهبن في الارض حتى نموت عطشا وجوعا فلما بلغ
رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك رق لهما فدخلا عليه فانشده ابو سفيان قوله
في اسلامه واعتذاره مما كان مضى فقال ـــــ

لعمرك

لعمرك اني يوم احمل راية • لتغلب خيل اللات خيل محمد
لكالمظلم الحيران اظلم ليله • فهذا اواني حين اهدى فاهتدي
هداني هاد غير نفسي ودلني • على الله من طردته كل مطرد
اصد واناى جاهدا عن محمد • وادعى وان لم انتسب من محمد

وهي اطول من هذا وحضر مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الفتح وشهد معه
حنينا فابلى فيها بلاء حسنا توفي ابو سفيان سنة عشرين وكان سبب
موته انه حج فحلق راسه فقطع الحجام ثؤلولا كان في راسه فمرض منه
حتى مات بعد مقدمه من الحج بالمدينة وصلى عليه عمر بن الخطاب رضي الله عنه
وقيل مات بالمدينة بعد اخيه نوفل بن الحارث باربعة اشهر الا ثلاث
عشرة ليلة وهو الذي حفر قبر نفسه قبل ان يموت بثلاثة ايام وذلك
سنة خمس عشرة والصحيح انه مات سنة عشرين وقال ابو سفيان
عند موته لا تبكوا علي فلم افعل خطيئة منذ اسلمت وكان ابو سفيان بن الحرث
من الذين ثبتوا يوم حنين مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم ينهزم قال
مغلطاي في سيرته ولم يثبت معه يوم حنين الا عشرة وقيل ثمانية وفي
سيرة ابن سيد الناس وممن ثبت معه من المهاجرين ابو بكر وعمر ومن
اهل بيته علي بن ابي طالب والعباس وابو سفيان بن الحرث وابنه
والفضل بن العباس وربيعة بن الحرث واسامة بن زيد وايمن بن
ام ايمن وقتل يومئذ فهؤلاء عشرة وذكر ايضا ابو الفتح بن سيد الناس في
بحث اعمامه وعماته ان عتبة ومعتب ابني ابي لهب ثبتا معه يوم حنين

وذكر ان عبد الله بن الزبير عم النبي صلى الله عليه وسلم ثبت معه يوم حنين وذكر
ابن عبد البر في الاستيعاب ان ام الحرث الانصارية ثبتت معه يوم حنين
وعد ابن هشام فيمن ثبت معه قثم بن العباس وفيه نظر لانه صلى الله
عليه وسلم توفي وهو صغير وذكر ابن الاثير ان ممن ثبت عقيل بن
ابي طالب وقال ابو معشر ثبت معه يومئذ مائة رجل بضعة وثلاثون
من المهاجرين وسايرهم من الانصار وفي الترمذي وقال انه حسن
وما مع النبي صلى الله عليه وسلم الا مائة رجل وابو سفيان اخذ بلجامه
وكان العباس من الجانب الاخر قال العباس التفت النبي صلى الله
عليه وسلم يومئذ الى ابي سفيان بن الحرث بعد ان كان يجفوه لما تقدم
له من العداوة للنبي صلى الله عليه وسلم وكان ابو سفيان اذ ذاك مقنعا
بالحديد وكان ممن صبر ذلك اليوم فقال النبي صلى الله عليه وسلم وابو سفيان
يقفر البغلة من هذا قال له ابن امك يا رسول الله ويقال انه قال
لابي سفيان من انت قال اخوك فداك ابي وامي ابو سفيان بن الحرث
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم نعم اخي ناولني حصا من الارض فناولته
فرمى بها في اعينهم كلهم وانهزموا والنبي صلى الله عليه وسلم يقول انا النبي
لا كذب انا ابن عبد المطلب قال المازري انكر بعض الناس كون الرجز وزاد غيره م
شعرا لوقوعه من النبي صلى الله عليه وسلم مع قول الله عز وجل وما علمناه
الشعر وما ينبغي له وهذا مذهب الاخفش واحتج به على فساد مذهب
الخليل في انه شعر واجابوا عن هذا بان الشعر هو ما قصد اليه واعتمد

الانسان

الانسان ان يوقعه موزونا مقفى بقصده الى القافية ويقع في الفاظ
العامة كثير من الالفاظ الموزونة ولا يقول احد انها شعر ولا صاحبها
شاعر وكذا الجواب عما في القران من الموزون كقوله تعالى لن تنالوا البر
حتى تنفقوا مما تحبون ۞ وكذا قوله تعالى نصر من الله وفتح قريب ۞
ولا شك ان هذا لا يسميه احد من العرب شعرا لانه لم يقصد تقفيته
وجعله شعرا قال وقد غفل بعض الناس عن هذا القول فاوقعه ذلك في
ان قال انا النبي لا كذب بفتح الباء حرصا منه على ان يفسد الروي
فيستغني عن الاعتذار وانما الرواية باسكان الباء هذا كلام المازري
قال النووي وقال ابن القطاع قد راى قوم منهم الاخفش وهو شيخ
هذه الصناعة بعد الخليل ان مشطور الرجز ومنهوكه ليس بشعر
لقول النبي صلى الله عليه وسلم الله مولانا ولا مولى لكم وقوله صلى الله عليه
وسلم هل انت الا اصبع دميت وفي سبيل الله ما لقيت ۞ وقوله
صلى الله عليه وسلم انا النبي لا كذب انا ابن عبد المطلب قال ابن القطاع
وهذا الذي زعمه الاخفش وغيره غلط بين وذلك لان الشاعر انما
سمي شاعرا لوجوه منها انه شعر القول وقصده واراده واهتدى
اليه واتى به كلاما موزونا على طريقة العرب مقفى فان خلا من هذه
الاوصاف او بعضها لم يكن شعرا ولا يكن قائله شاعرا بدليل انه لو قال
كلاما موزونا على طريقة العرب وما قصد به الشعر ولا اراده لم يسم ذلك
الكلام شعرا ولا قائله شاعرا باجماع العلماء والشعراء وكذا لو قفاه وقصد به

الشعر ولكن لم يات به موزونا لم يكن شعرا وكذا الواقع به موزونا حقيقي
لكن لم يقصد به الشعر لا يكون شعرا فدل ذلك على ان الكلام الموزون
لا يكون شعرا الا بالشروط المذكورة والنبي صلى الله عليه وسلم لم يقصد
بكلامه ذلك الشعر ولا اراده فلا يعد شعرا وان كان موزونا فان قيل
كيف قال صلى الله عليه وسلم انا النبي لا كذب انا ابن عبد المطلب
فانتسب الى جده دون ابيه وافتخر بذلك مع ان الافتخار في حق اكثر
الناس من عمل الجاهلية فالجواب انه صلى الله عليه وسلم كانت شهرته بجده
اكثر لان اباه عبد الله توفي شابا في حياة ابيه عبد المطلب وكان
عبد المطلب مشهورا شهرة ظاهرة شايعة وكان سيد قريش وكان
كثير من الناس يدعون النبي صلى الله عليه وسلم ابن عبد المطلب ينسبونه
الى جده لشهرته ومنه حديث ضمام بن ثعلبة ايكم ابن عبد المطلب
وكان مشتهرا عندهم ان عبد المطلب بشر بالنبي صلى الله عليه وسلم وانه
سيظهر ويكون شانه عظيما وكان قد اخبره بذلك سيف بن ذي يزن
وقيل ان عبد المطلب راى رويا تدل على ظهور النبي صلى الله عليه وسلم
وكان ذلك مشهورا عندهم فاراد النبي صلى الله عليه وسلم تذكيرهم وتنبيههم
على انه صلى الله عليه وسلم لا بد من ظهوره على الاعداء وان العاقبة له لتقوى
نفوسهم واعلمهم ايضا بانه ثابت ملازم للحرب لم يول مع من ولى وعرفهم
موضعه ليرجع اليه الراجعون ومعنى قوله صلى الله عليه وسلم انا النبي لا
كذب اي انا النبي حقا فلا افر ولا ازول وفي هذا دليل على جواز ان يقول

الانسان

التاسع والاربعون

٢٣٤

الانسان في الحرب انا فلان ابن فلان ومثله قول سلمة انا ابن الاكوع وقول
علي رضي الله عنه انا الذي سمتني امي حيدره وقد صرح بجوازه علماء
السلف وفيه حديث صحيح قالوا وانما يكون ذلك على سبيل الافتخار
كفعل الجاهلية والله سبحانه اعلم بالصواب

صورة ما كتبه المولف الشارح دام نفعه

هذا وقد تم لنا تاليف هذه المجلدة والبال مشغول بما عرى الدنيا من
هموم لا تثبت لها الجبال * وغموم لم تكن تخطر ببال * واعظم شيء وقع
اعراض الناس عن العلم واهله * وقناعة كل انسان ببطالته وجهله *
فلذلك تفاقم الظلم بكل مكان * وامتلات الاقاليم من الجور والعدوان *
وكان فراغنا من تاليف هذه المجلدة في يوم الجمعة ضحى النهار
سادس عشر جمادى الاخرة سنة خمس عشرة والف وكتب هذه
المجلدة مولفها ومحررها عمر عبد الوهاب بن ابرهيم بن محمود بن علي بن
محمد العرضي الحلبي القادري الشافعي غفر الله له حامدا الله عز وجل
مصليا مسلما على سيدنا محمد واله وصحبه انتهى بحروفه من خطه رحمه الله

وكتب بعد هذا ما لفظه

هذا واني ناشدت من وقف على تاليفي هذا الله عز وجل ان لا ينظر اليه
بعين ان مولفه من اهل هذه الاعصار ويستبعد ان في اهل هذه الاعصار
من يطلع هذا الاطلاع فان فضل الله عز وجل يوتيه من يشا فلينظر اليه
نظر الانصاف ليعلم انه لم يولف في هذا الان مثله ومن يقرا على شرح

تكلم عليه من [illegible]
الكلام عليه [illegible]
قيل ما ارى [illegible]
كان [illegible]
[illegible] النبي صلى الله
عليه وسلم

بلغ مقابلة على نسخة
المولف وهي المسودة
وكان ذكر في حي السلخ ها
ضحوة الجمعة اواخر
جمادى الاخرة من شهور
سنة احدى وثلاثين
بعد الالف بحلب المحمية
قابلها مع نفسي
والحمد لله اولا واخرا
وصلى الله وسلم على سيدنا
محمد وعلى اله وصحبه وازواجه
وذريته اجمعين
وكتبه زين الدين الشعيفي

الشفا يعلم قدر مولف هذا الشرح ونعوذ بالله من شر حاسد يواجهنا بعين
الانتقاد ومبغض قد امتلا قلبه من السخيمة والعناد لكن يمينا
بالله عز وجل الذي من علينا بالاقدار على هذه المسالك لم يكن لي امل على
ان اقدر على ذلك لكن ما حصل هذا الا ببركة من هذا التاليف في شانه
سيد الاولين والاخرين فان عنايته اذا توجهت الى الثرى
صار اكسيرا والذليل صار قدره في الدارين خطيرا فعليه وعلى اله
وصحبه وازواجه وتابعيهم افضل الصلاة واتم التسليم كتبه
مولفه عمر بن العرضي ال... في القادري انتهى ما كتبه الشارح
بحروفه منقولا من خطه والحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده

ويقول كاتب هذه الحروف العبد الضعيف زين الدين بن احمد بن علي بن الحسن
ابن علي الحنبلي المعروف بابن الشعيفي الحلبي القادري كان الفراغ
من كتابة هذه المجلدة ليلة الثلاثا لخمس خلون من صفر سنة
عشرين بعد الالف وذلك بمنزلي بحلب المحمية بباب المقام من
خط المولف اطال الله بقاءه ونفع به والحمد لله اولا واخرا وصلى الله
وسلم على سيدنا محمد وعلى اله واصحابه وازواجه وذريته اجمعين
واسال الله حسن الخاتمة وعافية وان يجعل كتابة هذا التاليف
عملا صالحا مقبولا وسعيا مشكورا وان يوفقنا الى ما يحبه ويرضاه
وان يميتنا على قول لا اله الا الله محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم اجمعين